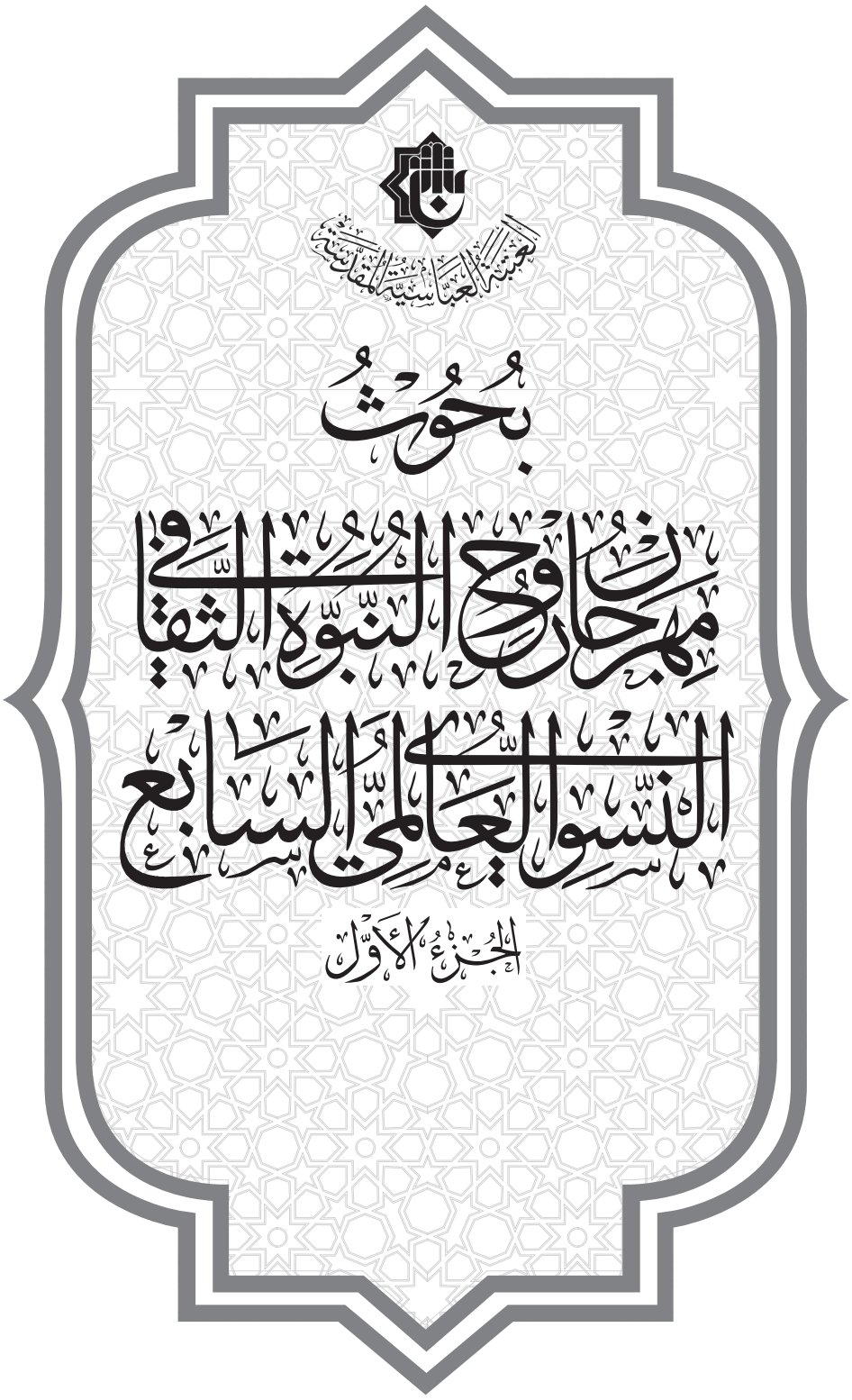
العتبة العباسية المقدسة
بحوث
مهرجان وفاء النبوة الثقافي
النسوي العالمي السابع
الجزء الأول

الكتاب: بحوث مهرجان روح النبوة االثقافي النسوي العالمي السابع (الجزء الأول).

الناشر: العتبة العباسية المقدسة.

إشراف وتدقيق: اللجنة العلمية للمهرجان.

الاخراج الطباعي وتصميم: علاء سعيد الاسدي، علي عبد الحليم.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٥٠ .

شهر صفر ١٤٤٧هـ-آب ٢٠٢٥م

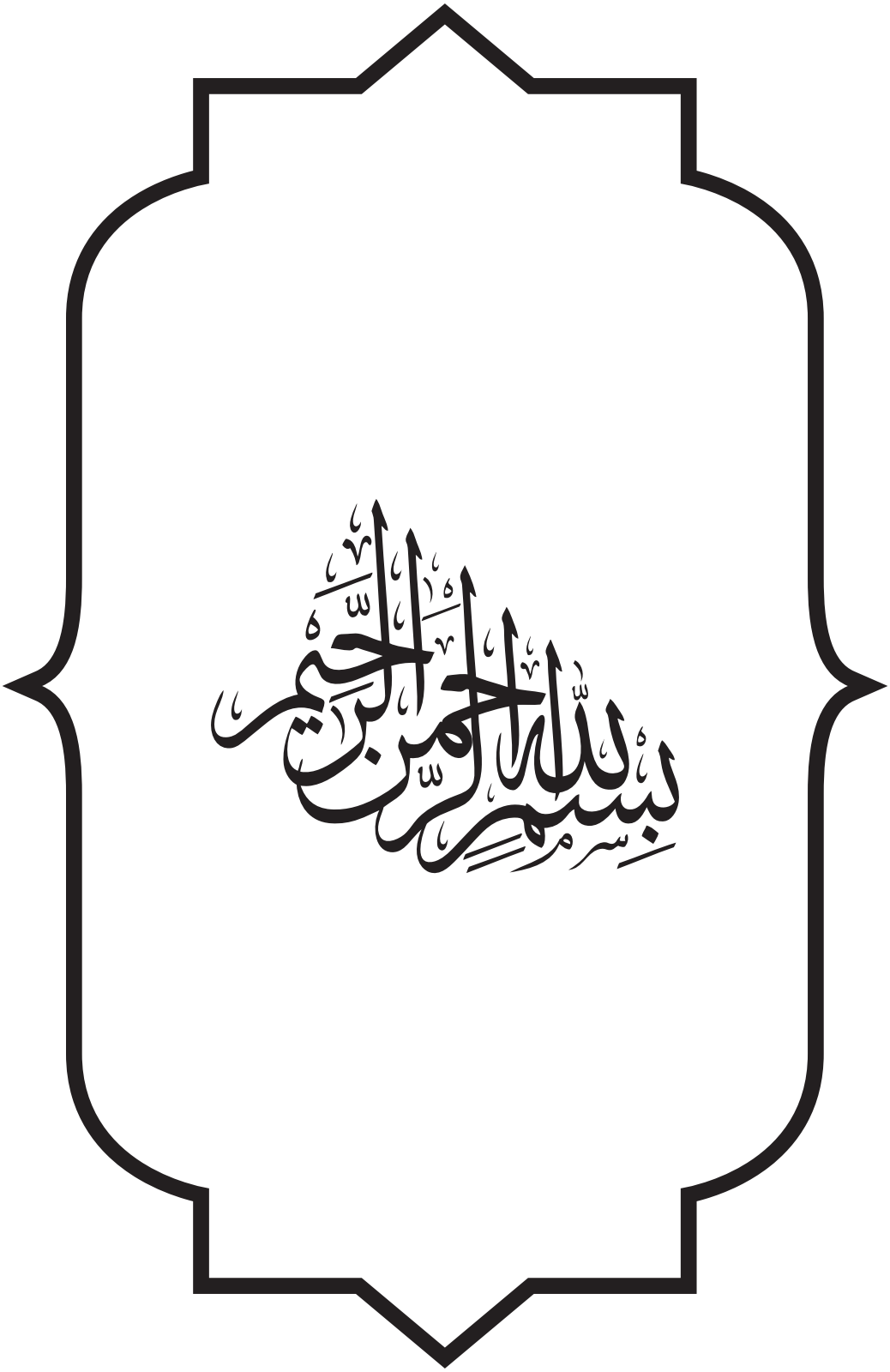
بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة التحضيرية للمهرجان

الست منى وائل عباس	مشرفا
الست بشرى جبار الكناني	رئيساً
الست سارة عبد الله محمد	عضواً
الست سارة حسن الحفار	عضواً
الست نور وديع عبد الجليل	عضواً
الست مشكاة محمد علي	عضواً
الست إسراء حميد ابحيلج	عضواً

اللجنة الإعلامية

الست نور محمد العلي

الست بسمة صالح مهدي

الست غسق مكي سلمان

الست اسراء علي جاسم

الست ازهار عبد الجبار حسن

اللجنة العلمية

أ.د. سلمى عبد الحميد حسين الهاشمي	جامعة البصرة
أ.د. كريمة نوماس محمد المدني	جامعة كربلاء
أ.د. فضيلة عبوسي محسن العامري	جامعة الكوفة
أ.د. نوال عائد هلول الميالي	جامعة الكفيل
أ.د. انتصار عدنان عبد الواحد العواد	جامعة البصرة
ا.د. سكينة حسين كاظم تاج الدين	جامعة المثنى
أ.م. د. زهراء رؤوف جواد الموسوي	الجامعة المستنصرية
ا. م. د. أسماء قاسم	جامعة كربلاء
أ.م. د مواهب صالح مهدي الخطيب	جامعة كربلاء
م. م زهراء عباس محمد الهاشمي	
م. م دعاء حسن سهيل التميمي	شعبة مدارس الكفيل

المحتويات

المقدمة ٧

الآيات الواردة في فضل السيدة الزهراء دراسة تفسيرية ١٣

الباحثة: انوار حسين عبد الأمير علوان

القرآنية في خطَب نساء أهل البيت عليهم السلام ٥٣

الباحثة: رحاب حسين العريفاوي

حجية مرويات الزهراء عليها السلام عند الأصوليين الخطبة الفدكية انموذجاً ٦٥

الباحثة: أ.م.د. آيات عبد الوهاب عبد الرزاق

الحق وقيادة المجتمع قراءة تحليلية في فكر السيدتين الزهراء وزينب عليهما السلام ٨١

الباحثة: أ. د.عهود عبد الواحد عبد الصاحب

المقاربة الدلالية لخطب نساء أهل البيت عليهم السلام مع النص لقرآني ١١١

الباحثة: أ. د. أزهار علي ياسين غالي

العفة والحياء في مدرسة القران الكريم والعترة الطاهرة ١٤٩

الباحثة: دنيا حميد عواد كاظم الخزعلي

نساء النبوة في ضوء الوحي والنسوية الحديثة ١٨٣

الباحثة: سندس سعدون مهدي علي الشمري

المرأة المسلمة المعاصرة بين فكر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ٢١٩

الباحثة: نور طلال شياع معله

الاستدلال بمواقف فاطمة (عليها السلام) في ابطال نظرية عدالة الصحابة ٢٤٢

الباحثة: رؤى محمد عبد العزيز

اثر وتحديات العولمة الثقافية على البناء الفكري للأسرة المسلمة ٢٨٣
الباحثة: م.م الحان يوسف عبد الشمر

المرأة الكاملة في القران الكريم ٣٠٥
الباحثة: م.د. بتول نعمة علي الموسوي

تجليات العواطف في خطابات الزهراء عليها السلام ٦٢٣
الباحثة: م. م. حنان مرزوك شدهان عبود العبودي

البعد السوسيو لساني للدلالة اللغوية والعددية في تسبيحة الزهراء عليها السلام ٩٤٣
الباحثة: م. م رشا محسن عباس الباحثة: م. م ميادة إبراهيم حبش

الملامح التفسيرية في الخطب الفاطمية ٣٧٧
الباحثة: أ.د آمال خلف علي آل حيدر

تحديات المرأة المعاصرة في ظل العولمة : رؤية من خلال سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ٣٩٤
الباحثة: د. منى محمد يونس

المقدمة

مثلما حرص سماحة المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة العلامة السيد أحمد الصافي دام عزه، على ان يفرد للنساء فيها تشكيلات إدارية وفكرية وثقافية خاصة بهن، كي يكون لهن دورهن الفاعل في بناء الفرد والمجتمع كونهن عماد الأسرة التي ينشأ فيه الفرد وينمو ويتعلم.

فإن سماحته سعى دائما إلى تفعيل دورهن التربوي والإرشادي سواء في التشكيلات العلمية أو المجتمعية الرسمية وغير الرسمية من أجل الحيلولة دون شيوع المشكلات التربوية والسلوكية والأخلاقية في بينة المجتمع وفي بيئته، بعد تقصّيها ورصد مستجداتها في تلك الميادين والآثار الناجمة عنها، والحدّ دون سلبيّاتها، من خلال دراستها وتقصّي آثارها، وإيجاد الحلول الناجعة لها، من خلال حثّهنّ على الرجوع إلى مدونة أهل البيت عليهم السلام، والتدبُّر في تراثهم والتأمل فيه لفهمه ومعرفة أسراره والكشف عن مكنوناته وعن المواعظ التي فيه والعمل بمضمونها..

ومن تلك التشكيلات (شعبة مدارس الكفيل الدينية النسوية) ومن نشاطاتها (مهرجان روح النبوة الثقافي النسوي العالمي) بنسخه المتتالية عبر السنوات، لا سيما فعاليات (المؤتمر العلمي) في المهرجان الذي ينطلق عادة بمناسبة الذكرى العطرة لولادة السيدة الزهراء عليها السلام.

وإن التركيز على سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وعقد المهرجانات والمؤتمرات حولها، والكتابة عنها، يستهدف إعادة قراءة تراثها الإسلامي، ورصد المحطات الفكرية والعلمية فيه، ، من أجل تكريسها في معالجة الأزمات المفتعلة التي تحيق باستقرار المرأة المعاصرة، وإظهار آثارها، وتجلية سيرتها وأدوارها في التصدي الراهن للشبهات الفكرية التي تنال من المرأة بل من حياتنا المعاصرة، والتسلّح بها في مواجهة التيارات المنحرفة، ومن هذا المنطلق تحرص اللجنة العلمية لكل مؤتمر على

الدعوة إلى الكتابة في موضوعات ومحاور معينة تكون فيها البحوث نابعة من حاجة فعلية لمتطلبات الزمن الراهن، وعلى الأصعدة كافة، وأن لا يكون نظريا أو ترفا فكريا بعيدا عن واقعنا ومقتضياته.

كما أنها تستهدف فيما تستهدفه، الوقوف ضد ما كان شائعا في الأزمان البائدة وفي أطوار تاريخية سابقة معروفة من معارضة نشر تراثها عليها السلام، وفضائلها، والحيلولة دون إذاعة سيرتها وما تكتنزه من قيمة معنوية ومعرفية كبرى ليس فقط للمسلمين بل للإنسانية جمعاء، وما تزخر به للمسلمين من هدى، وهو نهج بدأ مع أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ منعت السلطة إذاعة علومه، وتحاشى كثير من الكتاب مجرّد ذكره، حتى قال أحمد بن حنبل فيه عليه السلام: «كتم أصحابه فضله خوفاً ، وكتمه أعداؤه حسداً، حتّى شاع من بين ذا وذاك ما طبق الخافقين».

وطالما شدّدت رؤية سماحة السيد الصافي دام عزه على ضرورة تعزيز الدور النسوي في المشهد الثقافي ضمن مساع دائبة، لتوسيع دورهنّ التربوي والفكري في الاسهام في تطوير قدراتهن، وتمكينهن معرفيا ودينيا للإسهام في بناء المجتمع، والنهوض بالفرد والأسرة، وتعزيز الحوار الثقافي بينهنّ، إيمانا منه بأن ذلك سوف يؤثر حتما وبشكل إيجابي على النشء الجديد، حيث ستنقل المرأة له المهارات والقدرات ومن قبل ذلك القيم، وستلهمه في بناء مجتمع وتوفر له بيئة داعمة ملهمة محفّزة.

كما يستهدف من خلال فاعليتها في المهرجانات والمؤتمرات إكسابها المهارات والمعارف كي تكون فاعلة في البناء، وتعزيز دورها في كافة الأصعدة، وجعلها قادرة على مواجهة التحديات، والتعامل معها..

إن أهمية تراث السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تنشأ من منبع ذلك التراث ومن مصدره، فهي تتلقاه عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وعليها وعلى آله اجمعين، وهو يأخذه عن الله عز وجلّ، وإن أية محاولة لفهمها، والتقرب إليها، واستيحاء تراثها، هي في صميم التفقه والتدبر في رسالة الإسلام الخالدة، كونها أحد تجلياته المترجمة لتعاليمه على أسمى وأبهى وأدق ما تكون الترجمة أو التجسيد أو التطبيق.

نعم، إن تراثها صلوات ربنا وسلامه عليها، من صميم السنة النبوية الشريفة، وإذا كانت تلك السنّة هي ثاني مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن، فإن تراثها عليها السلام جزء لا يتجزأ منها، فهو يبين معاني القرآن، ويوضّح معالمه؛ لذلك فنحن نؤمن بأن أفعالها وأقوالها وتقريراتها حجة شرعية ومصدر تشريعي، بدليل أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمرنا بالرجوع إلى أهل بيته عليهم السلام، وفرض علينا طاعتهم، ونهى عن مخالفتهم : « **إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**

وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

فلا شك، ولا ريب، من أن إظهار تراثها سيكون حافزا لاستقطاب النساء المسلمات في كل مكان إلى خطها وإلى منهجها، وفي هذا رسالة عظمى وهدف نبيل تسعى الشعب النسوية في العتبة المقدسة إلى تحقيقه، إيمانا منها بأن ذلك يصب في أجر رسالة نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو مودة قرباه، والزهراء عليها السلام أصل تلك القربى، فضلا عما فيه من استجابة لتوجيه المعصوم عليه السلام بإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام؛ فإن من إحياء أمرهم إظهار سيدة نساء العالمين إلى الملأ كي يعلموها تجسيدا لقول المعصوم عليه السلام «**فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا**».

ومما تهدف اليه العتبة المقدسة في نشاطاتها النسوية هو توفير منصة ثقافية داعمة ومحفزة، من أجل صقل مهارات الملاكات النسوية وتطويرها وتفعيلها في خدمة المجتمع، والسعي إلى الإسهام في تعزيز المعرفة والوعي بأهمية التراث الإسلامي عموما.

وثمة غاية أسمى هي نشر الإسلام من منبعه الأصل، واستقاء مادته، والتعريف بنهجه من تلك البيوت التي طالما كانت الملائكة تدخلها وتطأ بُسُطَها، ويتنزل فيها وحي الله سبحانه وتعالى، ومنها الكشف عن نماذج طيبة للقدوة الصالحة الحسنة التي ترجمت النظرية الإسلامية في سلوكها وتفكيرها وترجمتها واقعا ملموسا، تتوافق فيها النظرية مع التطبيق.

إن مهرجان روح النبوة السنوي النسوي العالمي يعدّ تجربة فكرية رائدة لم يسبق للمشهد البحثي أن أفرد للباحثات مجالا علميا مثله؛ وملتقى متكررا كل سنة أملا في أن يسفر كل ملتقى علمي عن صناعة فكرية مشتركة تتمخض عنها فرق بحثية تنهض بمشاريع بحثية هي ثمرة ونتاج تلاقح عقول من بيئات شتى وثقافات وانتماءات شتى عراقية وعربية ودولية..

ولا بدّ بعد كل هذه الأهداف والغايات السامية النبيلة، من أن تجد تلك البحوث والدراسات المشاركة سبيلها إلى الطبع، ولأننا نتحدث عن مؤتمر علمي، فقد كانت هذه الوقائع..

ولا يخفى عن المطلع على رؤية العتبة العباسية المقدسة، أنها تُعنى ـ فيما تُعنى به ـ بالتوثيق؛ ودون ذلك أسباب وغايات؛ منها:

أولا: من أجل أن نصون الصحائف من عبث أيادي الزمان والأقلام المأجورة التي بها ((تنحرف الحقائق، وتنقلب الموازين، وتغيب المصداقية))، كما نص على ذلك سماحة المتولي الشرعي دام عزه في

كلمته التي قدم بها لسفر موسوعة الدفاع الكفائي الخالد، في طبعتها الأولى عن دار الكفيل للطباعة والنشر.

ثانيًا: يعدّ الطبع الباب الأول من أبواب نشر العلم و إذاعة المعرفة وإشاعة الثقافة..

ثالثًا: حماية حقوق الملكية الفكرية، ونسبتها إلى أصحابها، فطباعة الجهد الفكري لأي باحث ونشره، يعدّ وثيقة نسبةٍ إليه، كما يوثّق زمنه، وموقعه من نتاجه الفكري المعاصر.

رابعًا: حماية الهوية الثقافية والحفاظ على المنجزات الفكرية، وصون تراث أهل البيت عليهم السلام، وتعريف العالم الإسلامي بهم، وبتعاليمهم، وسيرهم وآثارهم.

وستظل هذه الوقائع وما يليها وما سبقها من بحوث ودراسات قطرة في بحر سيدة نساء العالمين اللجّي، وحيّز صغير في فضائها الفكري والمعرفي والعقائدي، ولكنها قراءات تلتمس فيها أقلامها الأجر: أجر رسالة نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو مودة قرباه، والزهراء عليها السلام أصل تلك القربى، ومن عُرِف بمودتها فإنه سيكون في منجاة من أمره، فهي من سفن النجاة كما أن في سيرتها ومعارفها يوجد الحل الناجع والترياق الشافي من علل الأزمان وأوجاعها، مثلما أن التأمل في نهجها عليها السلام والتمعن في تراثها، يوصل الباحثين إلى صياغة برامج تربويّة قادرة على مواجهة التحدّيات المعاصرة وبمستويات مختلفة..

خامسا: تقدير جهد الباحثين كلّ بحجمه الحقيقي الذي يظهر في المدونة الحقيقية.

سادسا: تسهيل عملية الرجوع إلى بيانات الباحثين العلمية وبحوثهم.

سابعا: أن يفيد اللاحق من تجارب السابقين له، في بناء معرفته وتراكمها وتنميتها، وفهم تجاربهم والإفادة منها في بناء التجارب اللاحقة وتجنب الإخفاقات السابقة.

ثامنا: ثمة سيرة يمرّ بها أي حقل معرفي أو مجال أو محور، وإن توثيق البحوث فيه يجعلنا نراقب مراحل تلك السيرة، وتحولاتها، وخط سير تقدمها.

تاسعا: امتلاك قواعد للبيانات الفكرية والثقافية وذاكرة حية وتوفيها لطالبيها، وأرشفة المحتويات، وتدوينها رسميًا.

عاشرا: تعد الوقائع بمثابة مصادر حديثة، يمكن للقراء الاطلاع عليها والإفادة منها، فضلا عن أنواع المصادر الأخرى.

حادي عشر: إنّ لنشر البحوث المشاركة ، هنا في هذه الوقائع، أهمية بالغة؛هي أن بعضها لمن ينلْ حظه الكافي من الاستعراض بسبب ما تحاصر به الباحثة عادة من تحديد لزمن الالقاء بوقت قصير، في حين أن الوقائع ستنشره كاملًا كما خطه يراع تلك الباحثة..

ويبقى علينا أن نحث دائما _ في العتبة العباسية المقدسة_ على الإفادة من التوثيق، من خلال تخطي مرحلة جمع البيانات إلى قراءتها وتحليلها، وهو الدور القادم للقارئات والقراء الكرام.

وإذا كنا_ فيما صار معروفا عنّا في العتبة العباسية المقدسة_ قد نشّطنا الحركة الكتابية في كل تخصص او اتجاه بحثي ، ثم وثّقنا ذلك في وقائع مطبوعة، فإن ثمة فائدة مضافة لمهرجاننا ذلك، وهي الحركة الحوارية التي انشغلت بها الباحثات سواء خلال قراءة البحث ومناقشته، أو في جلسات حوارية مستقلة كان حصادها أفكارا جديدة ستكون عماد بحوث جديدة أو مشاريع بحثية قادمة، ولعل نشرها هنا سيعيد المتحاورين إلى معترك البحث، ليقولوا فيه كلمة فصلا.

نضع هذه الوقائع بين يدي القرّاء لتكون مساحة تفاعلية غنية بالحوار العلمي المثمر، وفضاء تلتقي عند نبعه الباحثات، ويحدونا الأمل في أن تكون هذه الوقائع مرجعا أصيلا يسهم في إغناء المكتبة النسوية وإثرائها بدراسات خاصة بسيدة نساء العالمين عليها وعلى أبيها وبعلها بنيها والسرّ المستودع فيها صلوات الله وسلامه..

والحمد لله أولا وآخرا

الآيات الواردة في فضل السيدة الزهراء

دراسة تفسيرية

الباحثة: انوار حسين عبد الأمير علوان

ملخص البحث

البحث بعنوان «الايات الواردة في فضل السيدة الزهراء دراسة تفسيرية» يركز على دراسة الآيات القرآنية والأحاديث التي نزلت في حق السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي محمدﷺ. يهدف البحث إلى تحليل وتفصيل هذه الآيات، مع ذكر الأحداث والمواقف التي نزلت فيها، مدعومة بأحاديث وروايات من أهل البيتعليهم السلام.

النقاط الرئيسية للبحث:

١. التركيز على السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام: البحث يسلط الضوء على مكانة السيدة فاطمة الزهراء في القرآن الكريم، مع ذكر الآيات التي نزلت في حقها.

٢. الآيات القرآنية: يتم اختيار الآيات التي تتحدث عن السيدة فاطمةعليها السلام وتفصيل معانيها ودلالاتها.

٣. الأحاديث والروايات: البحث يعتمد على أحاديث وروايات من أهل البيتعليهم السلام لتأكيد مكانة السيدة فاطمة الزهراء ودورها في الإسلام.

٤. الأحداث التاريخية: يتم ذكر الأحداث والمواقف التي نزلت فيها هذه الآيات، مع تحليل لأهميتها في السياق التاريخي والديني.

الهدف من البحث:

يهدف البحث إلى تقديم دراسة مفصلة عن الآيات القرآنية والأحاديث التي تتعلق بالسيدة فاطمة الزهراءعليها السلام، مع تحليل لأهميتها ودورها في الإسلام، مدعومة بمصادر من أهل البيتعليهم السلام.

المقدمة

تعد الآيات النازلة في حق فاطمة الزهراء عليها السلام مظهراً تتجلى فيها قدسيتها الإلهية، فكما حث عليه النبي محمد صلى الله عليه وآله من بيان عظمتها إذ أكد في قوله (فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني وأيضاً في قوله (رضا فاطمة رضاي وغضبها غضبي) وعنوان هذا البحث (الآيات الواردة في فضل السيدة الزهراء دراسة تفسيرية(الذي سيتضمن آيات من القرآن الكريم التي نزلت في حق (الصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد (صلوات الله عليهم أجمعين، معززاً في ذلك بأحاديث وروايات عن أهل البيت عليهم السلام، والذي يهدف الى تقديم دراسة مفصلة عن الآيات القرآنية والأحاديث التي تتعلق بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، مع تحليل لأهميتها ودورها في الإسلام، مدعومة بمصادر من أهل البيت عليهم السلام. حيث يتضمن مبحثين وهما: المبحث الأول: مفاهيم البحث والمصطلحات الأساسية (معنى التفسير لغاً واصطلاحاً) ويتضمن مطلبين وهما:

المطلب الأول: المقصود بما نزل من القران

المطلب الثاني: من هي فاطمة الزهراء عليها السلام؟

المبحث الثاني: الآيات التي نزلت بحق الزهراء عليها السلام

المبحث الأول: مفاهيم البحث والمصطلحات الأساسية (معنى التفسير لغاً واصطلاحاً)

التفسير لغاً:

في اللغة العربية، كلمة «تفسير» مشتقة من الفعل «فسّر»، والذي يعني الكشف أو الإيضاح أو البيان. فالتفسير في اللغة يعني إظهار المعنى الخفي أو توضيح الغامض. فمثلاً، عندما نقول «فسّر الكلام»، يعني أننا كشفنا عن معناه ووضحناه.

التفسير اصطلاحاً:

أما في الاصطلاح، فإن التفسير يعني شرح معاني القرآن الكريم وبيان مقاصده وأحكامه. وهو علم يهتم بتوضيح الآيات القرآنية، وشرح مفرداتها، واستخراج الأحكام الشرعية منها، وفهم المراد الإلهي من النصوص.

المطلب الأول: المقصود بما نزل من القران:

١-النص القرآني الكامل: يشير إلى جميع آيات وسور القرآن الكريم التي أنزلها الله تعالى على النبي محمدﷺ عن طريق الوحي يشمل ذلك كل ما هو مدون في المصحف الشريف من سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

٢-الوحي الإلهي: يشير إلى عملية الوحي نفسها، أي كيفية نزول القرآن على النبي محمدﷺ عن طريق جبريلعليه السلام.

يُعتبر «ما نزل من القرآن» هو الوحي الذي تلقاه النبيﷺ من الله تعالى، وليس كلامًا من عند النبي نفسه.

٣-الرسالة السماوية: يشير إلى أن القرآن الكريم هو رسالة الله تعالى الخاتمة إلى البشرية حيث يتضمن الأحكام الشرعية، والأخلاق والقيم الإسلامية، والقصص والعبر، والمعارف والعلوم التي تُهدي الناس إلى الصراط المستقيم.

٤-الإعجاز الإلهي: يشير إلى أن القرآن الكريم معجز في لفظه ومعناه وأسلوبه، ولا يمكن للبشر

أن يأتوا بمثله حيث يُعتبر دليلًا على نبوة محمدﷺ وعلى وحدانية الله تعالى.

المطلب الثاني: من هي فاطمة الزهراءعليها السلام؟

السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام هي ابنة رسول اللهﷺ وحبيبته، وقد أكرمها الله سبحانه وتعالى بخصائص متميزة جعلتها تصل إلى مكانة عالية وأصبحت سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين وفيما يلي نعرض بعض المعلومات عن السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام:

اسمها ونسبها: فاطمة ابنة النبي محمدﷺ.

من أبرز ألقابها: الزهراء، سيدة نساء العالم، الحوراء الإنسانية، الممتحنة، الصابرة، الصديقة، الطاهرة، المعصومة، المحدثة، البتول.

كُناها: أم أبيها، أم الحسنين، أم الأئمة النجباء.

أبوها: هو النبي محمدﷺ.

أمها: السيدة خديجة بنت خويلد.

زوجها هو الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام.

نور من حياة فاطمة الزهراء: رُوِيَ عن الإمام موسى ابن جعفرعليه السلام أنه قال: «**كانت فاطمة إذا دعت، تدعو للمؤمنين والمؤمنات، ولا تدعو لنفسها**».

فَقِيلَ لَهَا: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ، أَتَدْعِينَ لِلْناس وَلَا تَدْعِينَ لِنَفْسِكِ؟

فَقَالَتْ: «الجَارُ ثُمَّ الْدار».

نُقِلَ عن سيدة النساء فاطمة الزهراءعليها السلام أنها قالت: «**بِشْرٌ فِي وَجْهِ الْمُؤْمِنِ يُوجب لِصَاحِبِهِ الْجَنَّةَ، وَبِشرٌ فِي وَجْهِ الْمُعَانِدِ يقي صَاحِبَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**».

المبحث الثاني: الآيات التي نزلت بحق الزهراء عليها السلام

أولا: سورة البقرة ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[1].

في كتاب الاحتجاج للطبرسى (رحمه الله) وعن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن آدم عليه السلام عندما أخطأ كانت توبته أن قال: اللهم أني أسألك بحق محمد وآل محمد، أن تغفر لي، فغفر الله له.**[2]

﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[3].

عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: سُئل المفضل بن عمر عن تفسير قول الله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ** ﴾ وأجاب: **أنها الكلمات التي تلقاها آدم من الله فتاب عليه، حيث دعا بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتاب الله عليه انه هو التواب الرحيم.**[4]

﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾[5].

محمد عن أحمد عن السراد عن مؤمن الطاق عن سلام، عن أبي جعفر عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا** ﴾ **يعني علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم**، ثم رجع قوله تعالى إلى الناس فقال: ﴿ **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ** ﴾ **يعني علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة** ﴿ **فَقَدِ هَتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ** ﴾.

بيان: يعني أن الخطاب في ﴿ **قُولُوا آمَنَّا** ﴾ يتعلق بعلي وفاطمة والحسن والحسين ومن بعدهم

---

(١) سورة البقرة: الآية٣٧.

(٢) العروسي، الشيخ عبد علي، تفسير نور الثقلين: ج١ ص٦٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

(٤) العروسي، الشيخ عبد علي، تفسير نور الثقلين: ج١ ص٦٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

الأئمة الآخرين، لأنهم هم الذين يؤمنون بما أمروا به بوعي وبصيرة وحقيقة.[١]

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[٢].

فيما يتعلق ببيان الإمام الصادق عليه السلام حول الآية **﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾**، قال: **إن الصلوات تشير إلى النبي صلى الله عليه وآله، والإمام علي، وفاطمة، والإمام الحسن، والإمام الحسين** عليهم السلام، وتشير الصلاة الوسطى إلى الإمام علي عليه السلام، وقوموا لله قانتين أي طاعة الأئمة عليهم السلام.[٣]

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٤].

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾، أسماء أنبياء الله أجمعين، وأسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأطهار من ذريتهم، وأسماء صفوة شيعتهم وعتاة أعدائهم.[٥]

ثانياً: **﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾**.[٦]

حدثنا أبو المفضل قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الهمداني بالكوفة قال حدثنا محمد بن المفضل بن إبراهيم بن قيس الأشعري قال حدثنا علي بن الحسن الواسطي عن عبد الرحمن بن كثير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن عمه الحسن قال: **قال الله تعالى لمحمد حين كذبه كفار الكتاب وحاجوه: تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين. «فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أبي، وأنا وأخي من الأبناء، وفاطمة أمي من النساء، فنحن أهله، لحمه، دمه، نفسه، ونحن منه وهو منا».**[٧]

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[٨].

(١) الطائي، الشيخ نجاح، تفسير أهل البيت عليهم السلام: ج١ ص١٧٦-١٧٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.
(٣) الفتوني، أبي الحسن ابن محمد طاهر العاملي النباطي، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار: ص ٦٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ٣١.
(٥) العسكري، أبي محمد الحسن بن علي، تفسير الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: ص ٢١٧.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٦١.
(٧) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج١ ص٦٣٠.
(٨) سورة آل عمران: الآية٧.

روى أبو الصباح الكناني عن أبي عبد الله قال: **يا أبا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا، وعندنا الانفال، وعندنا الأموال الكثيرة، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين ذكرهم الله في كتابه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾**[1].[2]

ثالثاً: **﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾**.[3]

حديث عن أبي عبيدة عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: **في الجنة في دار أمير المؤمنين عليه السلام هناك شجرة مباركة، وكل شيعته يجد في بيتهم فرعًا من تلك الشجرة وورقة من أوراقها تحتها تستظل أمة من الأمم. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل فاطمة الزهراء عليها السلام كثيرًا، وعندما أنكرت عائشة ذلك، قال: «يا عائشة، لقد رأيت في الجنة شجرة طوبى وناداني جبرائيل منها وأكلت من ثمارها فحول الله ذلك ماءاً في ظهري وعندما نزلت إلى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة، وكلما قبلتها وجدت رائحة شجرة طوبى فيها»**.[4]

رابعاً: **﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾**[5].

في تفسير عليّ بن إبراهيم: نقلت عن أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن تفسير قول الله تعالى: **﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾** قال: «**الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصلها نسبه ثابت في بني هاشم، وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام، وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام، وثمرها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليهم السلام، وشيعتهم ورقها، وان المؤمن من شيعتنا ليموت فتسقط من الشجرة ورقه، وان المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة**».[6]

خامساً: **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾**[7].

قال فرات أخبرني محمد بن الحسن بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: **﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾** فقال **هم آل محمد**.[8]

---

(١) سورة النساء: الآية٥٤.

(٢) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج٢ ص٩٧.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٩.

(٤) القمي، أبي الحسن علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج١ ص٣٦٥.

(٥) سورة ابراهيم: الآية٢٤.

(٦) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج ٧ ص ٥٥.

(٧) سورة النحل: الآية٤٣.

(٨) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ٢٣٥.

سادساً: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا** ﴾[1].

أخبرنا جعفر بن محمد الحسيني، قال: أخبرنا عليّ بن المنذر الطريفي، قال: أخبرنا عليّ بن عابس، قال: نقلنا عن فضل بن مرزون، عن عطية العرني، عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** ﴾ دعا النبي صلى الله عليه وآله فاطمة وأعطاها فدكاً.[2]

سابعاً: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾[3].

حدثنا عبد العزيز بن يحيى، عن محمد بن عبد الرحمن بن سلام، عن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن مصقلة القمي، عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم بزيارة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في كل سحرة، حيث كان يأتي باب فاطمة عليها السلام ويسلم عليهم قائلاً: السلام عليكم أهل البيت ورحمة اللّه وبركاته، الصلاة يرحمكم الله.[4]

ثامناً: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[5].

قال محمد بن العباس، أخبرني محمد بن همام، عن محمد بن إسماعيل، عن عيسى بن داود، عن الإمام موسى بن جعفر [عن أبيه] في قول الله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ قال: **نزلت في رسول الله، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، صلوات الله عليهم أجمعين.**[6]

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(٢) البزّاز، الماهيار ابن الجُحام، تأويل ما نزل من القرآن الكريم في النبي وآله صلى الله عليهم: ص ١٢٠.

(٣) سورة طه: الآية١٣٢.

(٤) الرفيعي، السيد مجيب جواد جعفر، أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت: ص ١٢٣-١٢٤.

(٥) سورة المؤمنون: الآية١-١١.

(٦) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص ١١.

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾.[1]

ابن شهر آشوب يروي عن سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ﴾، يعني صبر علي وفاطمة والحسن والحسين أنهم صبروا على الطاعات والجوع والفقر وبلاء الله في الدنيا، وإنهم هم الفائزون.[2]

تاسعاً: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾.[3]

ابن شهر آشوب يروي عن ابن عباس ومحمد بن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، حيث ان الفضل الله هو محمد ورحمته هي علي، وقيل: فضل الله علي ورحمته فاطمة عليها السلام.[4]

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[5].

علي بن محمد ومحمد بن الحسن، يرويان عن سهل بن زياد، الذي يروي عن محمد بن الحسن بن شمون، الذي يروي عن عبدالله بن عبدالرحمن الاصم، الذي يروي عن عبدالله بن القاسم، الذي يروي عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبوعبدالله في تفسير قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ فاطمة ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ الحسن ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ الحسين ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ إبراهيم ﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يهدي الله للائمة من يشاء ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ قلت: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ ﴾ قال: الاول وصاحبه ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ﴾ الثالث ﴿ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾ ظلمات الثاني ﴿ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ معاوية لعنه الله عليه وفتن بني امية ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ ﴾ المؤمن في ظلمة فتنتهم ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ

(١) سورة المؤمنون: الآية١١١.
(٢) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص ٤٠.
(٣) سورة النور: الآية١٠.
(٤) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص ٥٢.
(٥) سورة النور: الآية٣٥.

لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا ﴾ إماما من ولد فاطمة ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ إمام يوم القيامة.(١)

عاشراً:-﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾(٢).

قال ابن عباس: خلق الله آدم فخلق من الماء نطفة فمزجها ثم صورها حتى استودعها إبراهيم، فنزلت من الأصلب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة إلى عبد المطلب فانقسمت نورين: نور لعبد الله فولد محمد، ونور لأبي طالب فولد عليا عليه السلام، ثم زوج الله عليا من فاطمة، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾.(٣)

﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾(٤)

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب أن الآية: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ** ﴾ نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام خاصة، وأن الازواج فاطمة، وذرياتنا هم الحسن والحسين.(٥)

أحد عشر: ﴿ **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾.(٦)

قال ابن بابويه: أخبرنا محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن يعقوب بن يزيد، قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال، عن عبد الرحمن بن الحجاج عن سدير الصيرفي عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خلق نور فاطمة قبل خلق الأرض والسماوات**» قال بعض الناس: يا نبي الله، فهي ليست بشرية؟ قال: **فاطمة حوراء إنسية** سألوا: يا نبي الله، كيف هي حوراء إنسية؟ قال: **خلقها الله من نور قبل خلق آدم، فلما خلق الله تعالى أدم عرضت على أدم**، سُئل: يا رسول الله، أين كانت فاطمة؟ قال: **كانت تحت ساق العرش** قالوا: يا نبي الله، وما طعامها؟ قال: **التسبيح والتهليل والتحميد فلما خلق الله آدم فأخرجني من صلبه، أحب الله أن يخرجها من صلبي، فجعلها تفاحة في الجنة، فأتاني بها جبرئيل، وهو يقول: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقلت: وعليك السلام ورحمة الله يا حبيبي جبرئيل، وقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام قلت: منه يأتي السلام، وإليه يعود السلام قال: يا محمد، إن هذه التفاحة هي هدية من**

---

(١) الرازي، أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ج١ ص ٢٤٥.
(٢) سورة الفرقان: الآية٥٤.
(٣) الجعفي، جابر بن زيد، تفسير جابر بن زيد الجعفي، ص ٢٩٥.
(٤) سورة الفرقان: الآية ٧٤.
(٥) العروسي، الشيخ عبد علي، تفسير نور الثقلين: ج٥، ص ٦٠٧.
(٦) سورة الروم: الآية٤-٥.

الله عز وجل لك من الجنة فأمسكت بها وضممتها الى صدري قال: يا محمد، يقول الله عز وجل كلها، ففلقتها وشاهدت ضوءا مشرقا، ففزعت منه، ثم قال: لماذا تخاف يا محمد؟ كلها ولا تخف، إن ذلك النور للمنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة، فقلت: حبيبي جبرئيل لماذا سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: إنما سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار، وفطم أعداءها من حبها، وهي في السماء المنصورة، وذلك عن قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ بنصر الله أي نصر الله لمحبيها.(١)

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

قال محمد بن العباس: حدثنا علي بن العباس المقانعي، عن أبي كريب، عن معاوية بن هشام، عن فضل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت **﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾** دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، فأعطاها فدك.(٣)

إثنا عشر: **﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾**(٤).

حدثنا محمد بن العباس، عن علي بن عبد الله بن أسد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن علي بن هلال الأحمسي، عن الحسن بن وهب العبسي، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام قال: نزلت هذه الآية في بني فاطمة خاصة: **﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾**.(٥)

ثلاثةً عشر: **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾**(٦).

حدثنا سعد بن عبد الله، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن حسان الواسطي، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، قال: سألت الإمام الحسين عليه السلام عن معنى قوله تعالى: **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾** قال: **نزلت في النبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين**

---

(١) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص ٣٣٧.
(٢) سورة الروم: الآية ٣٨.
(٣) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص ٣٤٩.
(٤) سورة السجدة: الآية ٢٤.
(٥) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص ٤٠٢.
(٦) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

وفاطمة عليها السلام، فلما قبض الله نبيهُ كان إمامهم أمير المؤمنين، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم وقع تأويل هذه الآية: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ فكان علي بن الحسين إماماً، ثم استمرت الأئمة من ولده الأوصياء، فطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله عز وجل.(١)

أربعةً عشر: **﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾**(٢).

حدثنا أبو جعفر محمد بن بابويه (رحمه الله) عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، عن أبي الحسن محمد بن أحمد القواريري، عن أبي الحسين محمد بن عمار، عن إسماعيل بن ثوبة، قال: عن زياد بن عبد الله البكائي، عن سليمان الأعمش، عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ جاءه رجل فسأله: «يا رسول الله، أخبرني عن قول الله تعالى لإبليس: **﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾** قال رسول الله: **أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنّا في سرداق العرش، نُسبح الله فسبحت الملائكة بتسبيحنا قبل خلق الله آدم بألفي عام عندما خلق الله -عز وجل- آدم، طلب من الملائكة أن يسجدوا له وأمرهم بالسجود لأجلنا فقط، فجميع الملائكة سجدوا، إلا إبليس رفض السجود،** وقال؟ **فنحن باب الله الذي يؤتى منه، وبنا يهتدي المهتدون، من أحبنا أحبه الله، وأسكنه في جنته ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره ولا يحبنا إلا من طاب مولده.**(٣)

خمسةً عشر: **﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾**.(٤)

قال محمد بن عيسى بن زكريا الدهقان: حدثنا عبد الرحمن، يعني ابن سراج، عن أبي حفص، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: **ينادي منادٍ يوم القيامة: ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ عندما يقولها، يقوم الجميع برفع رؤوسهم، فإذا قال: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ لم يبق أحد إلا وطأطأ رأسه إلا المسلمين المحبين** قال: **ثم ينادي: هذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله تمرّ بكم، وهمت ومن معها الى الجنة، ثم يبعث الله ملكاً لها فيقول: يا فاطمة، اسألي**

---

(١) البحراني، السيد هاشم الحسيني، البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص ٤٤٥.

(٢) سورة ص: الآية ٧٥.

(٣) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١١، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٦٨.

حاجتك، فتقول: يا رب، حاجتي أن تغفر لمن نصر ولدي[1].

ستةً عشر: ﴿ **حم۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾[2].

أحمد بن مهران وعلي بن إبراهيم، عن محمد بن علي، وعن الحسن بن راشد، وعن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم: كنت عند أبي الحسن، موسى عليه السلام حين جاءه رجل نصرانيّ، فقال: إني أسألك، أصلحك اللهَّ قال: **سل**، فسأله عن كتاب الله الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وآله ثم وصف الكتاب ونطق به، حتى قال: ﴿ **حم۞ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ ما التفسير الباطن لهذه الآيات؟

قال: ﴿ **حم** ﴾ **هو محمد صلى الله عليه وآله وهو في كتاب هود الذي نزل عليه، وهو ناقص الحروف وأما** ﴿ **وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ** ﴾ **فهو علي أمير المؤمنين عليه السلام وأما الـ** ﴿ **لَيْلَةٍ** ﴾ **فاطمة.**[3]

سبعةً عشر: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** ﴾.[4]

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء والحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام جاء جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن فاطمة تلد غلاماً تقتله أمتك من بعدك، فلما حملت فاطمة بالحسين كرهت الحمل، ولما ولدته كرهت الولادة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: هل رأيتم في الدنيا أماً تلد غلاماً تكرهه؟ ولكنها تكرهه لعلمها أنه يقتل قال: وفي هذا نزلت هذه الآية: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** ﴾[5].

ثمانيةً عشر: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾[6].

---

(١) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٢، ص ٩٧.

(٢) سورة الدخان ١-٤.

(٣) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٢، ص ١١٧.

(٤) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٥) العروسي، الشيخ عبد علي، تفسير نور الثقلين: ج٥، ص ١٣.

(٦) سورة الطور: الآية ٢١.

أخبرنا أحمد بن القاسم عيسى بن مهران، حدثنا داود بن المجبّر، عن الوليد بن محمود بن زيد بن جدعان عن عمه علي بن زيد قال: كنا نتفاضل فنقول: أبو بكر، وعمر، وعثمان، في حين يقول آخرون: فلان وفلان. قال رجل له: يا أبا عبد الرحمن فعليّ؟ قال إن علي من أهل بيت لا يمكن أن يقاس بأي شخص آخر، علي مع النبي في درجته، وأن الله تعالى يقول: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ﴾. ففاطمة هي ذرية النبي وهي معه في درجته، وعلي مع فاطمة (صلى الله عليهم).[1]

تسعةً عشر: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾.[2]

شرف الدين النجفي عن محمد بن العباس رحمه الله: أخبرنا محمد بن أحمد، عن محفوظ بن بشير، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ** ﴾ قال: **علي وفاطمة** ﴿ **بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ** ﴾، **قال: علي لا يبغي على فاطمة، وفاطمة لا تبغي على علي،** ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ **قال: الحسن والحسين عليهما السلام، من رأى هؤلاء الأربعة: علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم؟ لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا كافر، فكونوا مؤمنين بحب أهل البيت، ولا تكونوا كافرين ببغض أهل البيت، فتذهبوا إلى النا**»[3].

عشرون: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾[4]

حدثنا محمد بن العباس، عن أحمد بن عبد الرحمن، عن محمد بن سليمان بن بزيع، عن جميل بن المبارك، عن إسحاق بن محمد، قال: أخبرني أبي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه. عن آبائه عليهم السلام قال: **قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: إن زوجك من بعدي سيلاقي كذا وكذا فأخبرها بما سيواجهه من بعده. فقالت: يا رسول الله، أفلا تدعو الله أن يرد ذلك عنه؟ قال: سألت الله لذلك الأمر، فأجاب بأنه مبتلى ومبتلى به، فهبط جبرائيل عليه السلام وقال:** ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**

(١) البزّاز، الماهيار ابن الجُحام، تأويل ما نزل من القرآن الكريم في النبي وآله صلى الله عليهم، ص ٣٥١.
(٢) سورة الرحمن: الآية ١٩-٢٢.
(٣) الجعفي، جابر بن زيد، تفسير جابر بن زيد الجعفي: ص١٥.
(٤) سورة المجادلة: الآية ١.

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[1].

إحدى وعشرون: ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾[2].

أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها هذا مثل ضربه الله لفاطمة عليها السلام** وقال: **إنّ فاطمة أحصنت فرجها، فحرم الله النار على ذريتها**[3].

إثنان وعشرون: ﴿ **إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۞ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ** ﴾[4].

في تفسير القمي عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام، قال في قول الله تعالى في سورة المدثر: ﴿ **إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۞ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ** ﴾ يعني فاطمة عليها السلام.[5]

ثلاثة وعشرون: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴾[6].

في أمالي الصدوق قال الحسن بن مهران في حديثه: فوثب النبي صلى الله عليه وآله الى دار فاطمة بسرعة ورأى حالهم، ثم جمعهم وانكب بينهم يبكي ويقول: **أنتم منذ ثلاث أيام فيما أرى وأنا غافل عنكم**، فنزل جبرئيل بهذه الأبيات: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ**... الى قوله: **تَفْجِيرًا** ﴾ **قال هي عين تتدفق في دار النبي صلى الله عليه وآله إلى دور الأنبياء والمؤمنين يوفون بالنذر، أي عليا وفاطمة والحسن والحسين وجاريتهم ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾** يقول: **عابسا كلوحا**».[7]

أربعة وعشرون: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾[8].

في كتاب المناقب لابن شهر آشوب، ذكر الشيرازي بالإسناد عن هذيل عن مقاتل عن محمّد بن الحنفيّة، عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: **كلّما ورد في كتاب الله من قول: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَار ﴾**

---

(١) الرفيعي، السيد مجيب جواد جعفر، أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت، ص ٢٠٢.
(٢) سورة التحريم: الآية١٢.
(٣) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٣، ص ٣٤٦.
(٤) سورة المدثر: الآية ٣٥-٣٦.
(٥) الفتوني، أبي الحسن ابن محمد طاهر العاملي النباطي، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، ص ٢٢٠.
(٦) سورة الإنسان: الآية ٥-٧.
(٧) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٤، ص ٥٧.
(٨) سورة المطففين: الآية ٢٢.

فوالله ما أُريد به إلا عليّ بن أبي طالب وفاطمة وأنا والحسين.(١)

خمسة وعشرون: ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾(٢).

في تفسير علي بن إبراهيم بقوله تعالى: إنهم يكيدون كيدًا قال :كادوا رسول الله وعلي وفاطمة، قال الله: يا محمد ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ حتى يأتي الوقت الذي يُبعث القائم لينتقم من الطغاة الجبارين والطواغيت من قريش وبني أمية والناس أجمعين(٣).

ستة وعشرون:﴿ **وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۞ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ** ﴾(٤).

تفسير الأيات: عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قوله تعالى ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ هو القائم، و﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ تشير للأئمة عليهم السلام من الحسن إلى الحسن ﴿ وَالشَّفْعِ ﴾ هو أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام، والوتر هو الله وحده لا شريك له**(٥).

سبعةٍ وعشرون: ﴿ **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** ﴾(٦).

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب، يروي الباقر عليه السلام قوله: ﴿ **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى** ﴾ فالذّكر هو أمير المؤمنين عليه السلام والأنثى هي فاطمة عليها السلام.(٧)

ثمانٍ وعشرون: ﴿ **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾.(٨)

حدثنا محمد بن أحمد بن الحكم، عن محمد بن يونس، عن حماد بن عيسى، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من أجلة الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال: يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة غداً. فأنزل الله ﴿ **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾.(٩)

---

(١) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٤، ص ١٨٨.
(٢) سورة الطارق: الآية١٥.
(٣) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٤، ص ٢٣٠.
(٤) سورة الفجر: الآية١-٣.
(٥) الأصفهاني، الشيخ عبد الله البحراني، عوالم العلوم والمعارف والمستدرك: ج١ ص ٣٠.
(٦) سورة الليل: الآية ٣.
(٧) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٤، ص ٣٠٥.
(٨) سورة الضحى: الآية ٤-٥.
(٩) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٤، ص ٣١٩.

تسعةٍ وعشرون: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾[1].

محمد بن جمهور نقلاً عن موسى بن بكر، عن زرارة نقلاً عن حمران، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يفرق في ليلة القدر، هل هو ما يقدر الله فيها؟ قال: **لا توصف لقدرة الله، إلا أنه قال: فيها يفرق كل امر حكيم، فكيف يمكن أن يكون حكيمًا إلا ما فرق، ولا يمكن وصف قدرة الله لأنه يحدث ما يشاء وعن قوله: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [يعني فاطمة عليها السلام] ويقول: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾، الملائكة في هذا الموضع هم المؤمنون الذين يملكون علم آل محمّد (صلوات الله عليهم) والروح روح القدس وهو في فاطمة ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَامٌ ﴾ يقول: كل أمر مسلمة ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ وقيام القائم عليه السلام.**[2]

ثلاثون: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[3].

جابر بن يزيد يروي عن أبي جعفر عليه السلام قال في قوله: ﴿ **وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ فالصلاة والزكاة هي أمير المؤمنين** عليه السلام ﴿ **وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ قال: إنها فاطمة** عليها السلام[4].

إحدى وثلاثون: ﴿ وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[5].

في كتاب كمال الدين وتمام النعمة، يروي محمد بن سنان عن المفضل ابن عمر قوله: سألت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن تفسير قول الله عزوجل ﴿ **وَالْعَصْرِ** ﴾، فأجاب بأن العصر يشير إلى خروج القائم عليه السلام، ﴿ **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** ﴾ يشير إلى أعدائنا الذين ليسوا من أهل الإيمان والأعمال الصالحة هم الخاسرون، وتواصوا بالحق يعني الامامة وتواصوا بالصبر يعني بالعترة.[6]

---

(١) سورة القدر: الآية١-٥.

(٢) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٤، ص ٣٧٢.

(٣) سورة البينة: الآية ٥.

(٤) المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ج١٤، ص ٣٨٢.

(٥) سورة العصر: الآية١-٣.

(٦) العروسي، الشيخ عبد علي، تفسير نور الثقلين: ج٥، ص ٦٦٦.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكننا أن نستخلص الأهمية الكبيرة للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في الإسلام، ليس فقط كابنة للنبي محمد صلى الله عليه وآله، بل كشخصية ذات مكانة روحية وعلمية عالية، اختارها الله لتكون من أعظم نساء العالمين من خلال دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تبيّن لنا أن السيدة فاطمة عليها السلام كانت:

١- محوراً للعديد من الأحداث والمواقف التي نزلت فيها آيات قرآنية لتؤكد مكانتها وفضلها لقد أظهر البحث أن السيدة فاطمة الزهراء كانت رمزاً للطهارة والعفة، وأنها كانت محطّ اهتمام القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام. كما أن الروايات والأحاديث التي تم الاستشهاد بها في البحث أكدت دورها كأم لأئمة الهدى، وحليلة لسيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام، مما يجعلها شخصية مركزية في التاريخ الإسلامي.

٢- لم تكن مجرد شخصية تاريخية عابرة، بل كانت نموذجاً للإيمان والتضحية والعطاء، وقد خصها الله تعالى بآيات قرآنية وأحاديث نبوية لتؤكد مكانتها الرفيعة في الإسلام، حيث جسّدت القيم الإسلامية بأسمى معانيها، وكانت مثالاً للمرأة المؤمنة التي تحمل في قلبها حب الله ورسوله، وتضحّي بكل ما تملك في سبيل دينها.

٣- أن السيدة فاطمة الزهراء كانت حلقة الوصل بين النبوة والإمامة، حيث كانت ابنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وزوجة الإمام علي عليه السلام، وأم الأئمة المعصومين عليهم السلام هذا الموقع الفريد جعلها محطّ أنظار السماء، حيث نزلت آيات قرآنية تتحدث عن فضائلها ومكانتها، كما جاءت الأحاديث النبوية لتؤكد على طهارتها وعلوّ شأنها.

المصادر والمراجع

- تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي العروسي، مؤسسة التاريخ العربي، شيراز، ١٣٨٣هـ.
- تفسير أهل البيت عليهم السلام، الشيخ نجاح الطائي، الطبعة الأولى، مؤسسة دار الهدى لإحياء التراث الإسلامي العالمية، قم، ٢٠١٧م.
- مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، أبي الحسن ابن محمد طاهر العاملي النباطي الفتوني، الطبعة الثانية، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٤٢٧هـ.
- تفسير الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، أبي محمد الحسن بن علي العسكري، الطبعة الثانية، مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٣٣هـ.ق.
- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، الطبعة الأولى، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٣٨٠هـ.
- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم الحسيني البحراني، الطبعة الثانية، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٤٢٧هـ.
- تفسير القمي، أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، الطبعة الأولى، مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، قم، ١٣٨٦هـ.
- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، الطبعة الأولى، مؤسسة شمس الضحى، طهران، ١٤٣٠هـ.
- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، الطبعة الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ١٤١٠هـ.
- تأويل ما نزل من القرآن الكريم في النبي وآله صلى الله عليه، الماهيار ابن الجُحام البزّاز.
- أسباب النزول في ضوء روايات أهل البيت، السيد مجيب جواد جعفر الرفيعي،
- الكافي (الأصول من الكافي)، أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، الطبعة الأولى، منشورات الفجر، بيروت-لبنان، ١٤٢٨هـ.
- تفسير جابر بن زيد الجعفي، جابر بن زيد الجعفي، مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي،

النجف الاشرف.

- عوالم العلوم والمعارف والمستدرك، الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني، الطبعة الأولى، مؤسسة المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٣١٣هـ.
- كتاب سُليم بن قيس الهلالي، سُليم بن قيس الهلالي، الطبعة الأولى، دار الإرشاد الأسلامي، بيروت-لبنان، ١٤٣٥هـ.

القرآنية في خطَب نساء أهل البيت عليهم السلام

الباحثة: رحاب حسين العريفاوي

المُلَخّص

يُعدّ القرآن الكريم الرّافد الأكثر أهمّية وأثراً في النّصوص الإبْدَاعيّة، مما جعل الأدباء من الشّعراء والكُتّاب والخُطباء يسعون نحوه لإثراء نصوصهم الأدبيّة بما هو مؤثر وفاعل بغية التّأثير في المُتلقّي، وتعدّ خطب نساء أهل البيت عليهم السلام من النّصوص الثّرة التي تجلّت فيها القُرآنيّة بصورة واضحة، بسبب اتصالهن بالقرآن الكريم اتصالاً عميقاً مُباشراً؛ وكيف لا يكون ذلك وقد كانت نشأتهنّ المُبَارَكَة في أحْضَانِ الرّسالة وَبيوت الطّهارةِ؛ الذين قالَ اللهُ عز وجل فيهم: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾؛ ولما يتمتّع به النّص القرآني من أسلوبيّة خاصة ولما يتيحه من إمكانيّة التّعبير الحُر عن الرّؤى بعيداً عن الخطاب المباشر، استندن إليه في بناء نصوص خطبهن الكريمة، مُعبرات عن القيم القُرآنيّة المُتجسّدة فيهن؛ ولذلك يسعى هذا البحث للوقوف على القُرآنيّة في خُطبِ نِساء أهل البيت عليهم السلام وَمُقَارَبَتها مع خطابهن الكريم، إذ يتناول في التّمهيد، التّعريف بالقُرآنيّة فضلاً عن ثلاثة مباحث تناول الأول منهما القُرآنيّة المُباشرة غير المُحوّرة، واشتمل المبحث الثّاني على القُرآنيّة المُباشرة المحوّرة، بينما تضمّن المبحث الثّالث القُرآنيّة غير المُباشرة المُحوّرة في خُطب نِسَاء أهل البيت عليهم السلام مع خاتمة لأهم النّتائج التي توصّل لها البحث.

الكلمات المفتاحية: القُرآنيّة، القُرآنيّة المُباشرة غير المحوّرة، القُرآنيّة المُباشرة المحوّرة، القرآنيّة غير المُباشرة المحوّرة.

Abstract: The Holy Qur'an is considered the most important and influential source of creative texts, which made poets, writers, and orators strive towards it to enrich their literary texts with what is influential and effective in order to influence the recipient. The sermons of the women of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) are among the rich texts in which they appear. Qur'anic texts clearly, because of their deep and direct connection with the Holy Qur'an. How could this not be when their blessed upbringing was in the embrace of the Message and homes of purity? About whom God Almighty said: "God only desires to remove uncleanness from you, O People of the House, and to purify you with a thorough purification"; Because the Qur'anic text has a special stylistic nature and the possibility of free expression of visions away from direct speech, they relied on it in constructing the texts of their noble sermons, expressing the Qur'anic values embodied in them. Therefore, this research seeks to find out the patterns of the Qur'anic verses in the sermons of the women of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) and to approach them intertextually, as it deals in the introduction with the definition of the Qur'anic text and the intertextual approach, in addition to three sections, the first of which dealt with the pattern of direct, modified Qur'anic verses, and the second section included the pattern of direct Qur'anic verses. The third section included the pattern of indirect, modified Qur'anic verse in the sermons of the women of Ahl al-Bayt (peace be upon them), with a conclusion of the most important results reached by the research.

Keywords: Qur'anic, comparison, intertextuality, direct modified Qur'anic, direct not modified Qur'anic, indirect modified Qur'anic.

أهداف البحث: ١-الوقوف على مَظَاهر القُرآنيّة المُتمثّلة في خُطب نساء أهل البيت عليهم السلام، وأهمّيتها في تماسك النّص وتعميق دلالته.

٢-تقديس الشّخصيّات الدّينية، لا سيّما المُتمثّلة بنساء أهل البيت عليهم السلام بعدّها المثل الأعلى والسّير على نَهْجها في الحَياة العِلميّة والعَمَليّة.

أهمّية البحث:

١- حاجة الإنسان المُعاصر إلى مَعْرفة القِيم القُرآنيّة وتمثّلاتها في خُطب نساء أهل البيت عليهم السلام التي تميّزت بجماليّة التّعبير الإبداعي فضلاً عن المَضَامين المُعبّرة عن قضايا الأمة الإسلاميّة، والدّفاع عن الرّسالة المُحمديّة.

٢- التّأسي بالقيم القُرآنيّة والاستناد إليها في إثراء النّصوص الإبداعيّة؛ بعدّ القرآن الكريم الرّافد الثّر والمَنهل العَذب الذي خصّ اللهُ به أمّة نبيه محمد صلى الله عليه وآله.

التّمهيد

القُرآن الكريم هو ذلك الكتاب المُعجز في أسلوبه وبيانه، الذي تحدّى الله فيه العرب بلغتهم فكان مبعثاً للدهشةِ والغَرَابة والإعجاز، فضلاً عن ألفتهم للغته وفصاحة ألفاظه بناء وصوتاً ففتح باب التّحدي إذ عجز العَرب عن الإتيان بمثله، بغض النّظر عن مضامينه التي أحدثت الثّورة في مجتمع جاهلي عُرف ببعده عن القيم الدّينية والأخلاقيّة قال تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** ﴾[1]، ومن هذا المُنطلق وَقَبْلَ أنْ ندلفَ إلى دراسة القُرآنيّة في خُطب نساء أهل البيت عليهم السلام لابد أنْ نُعرّف بمفردات البحث لغة واصطلاحاً.

١ -القُرآنيّة: القرآن في اللّغة من «قَرَأَ وَالقُرآن التّنزيل العَزيز، وإنّما قُدّم على ما هو أبسط منهُ لشرفِهِ، قرأه يُقرؤه ويَقرؤه، الأخيرة عن الزّجاج، قراء وقراءة وقُرآناً، الأولى عن اللّحياني، فهو مَقروء، أبو إسحاق النّحوي: يُسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله كتاباً وقرآناً وفرقاناً، وَمعنى القُرآن الجَمع، وسُمّي قُرآناً؛ لأنّه يجمع السّور فيضمها، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾ أي جمعه وقراءته، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، أي قراءته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا بيّناه لك بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك»[2].

وبذلك يكون معنى القُرآن لغة بمعنى ضم الشّيء وجمعه وقراءته وبيانه، وإنّما سُمي القُرآن قرآناً؛ لأنّه يجمع الآيات والسّور فيضمها بعضاً إلى بعض.

القُرآنيّة اصطلاحاً:

تعدّ القُرآنيّة من المُصطلحات النّقدية المُعاصرة التي شغلت مساحة مُهمّة في الدّراسات والأبحاث النّقدية؛ كونها تتعلّق بكتاب الله الكريم، وعُرّفت على أنّها «نمط معاصر يتجلّى فيه تعامل الشّاعر أو الأديب مع النّص القُرآني، إذ يتم بموجبه استحضار النّص القُرآني أو استضافته في النّص الشّعري، بهدف إغناء نصوصهم الإبداعيّة بطريقة (قصديّة/ غير قصدية)، (مباشرة/ غير مباشرة) تتشكّل من خلالها نصوصهم الإبداعيّة من جهتي الرّؤيا والأنساق (بنية وإيقاعا) بحسب ما مرسوم في القُرآن

(١) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ج١ ص١٢٩. مادة (ق ر أ).

بكونه مرجعاً يشحذُ تجاربهم الشّعرية»[١].

وبذلك يتجلّى مفهوم القُرآنية في تعامل الأدباء من الكتّاب والشّعراء والخُطباء مع النّص القرآني المُقدّس إذ يعمدون على استحضاره وإضافته إلى نصوصهم لغاية اما إقناعيّة أو جماليّة، ولابد من الذّكر أنّ أول من طرح مفهوم القُرآنية وعرّفها الباحث (مشتاق عباس معن) في بحثه الموسوم بـ (القُرآنية في شعر أل ياسين) بقوله القُرآنية: «آليّة من الآليّات التي يتوّسل بها المُبدع في تشكيل نصوصه الإبداعيّة من جهتي الرؤية والأنساق (بنية وإيقاعا) بحسب ما مرسوم في الكتاب المُقدّس»[٢].

فالاستناد إلى النّص القُرآني المُقدس ممارسة قديمة وعريقة، تعود جذورها إلى العُصور الإسلاميّة الأولى، إذ شغل القرآن الكريم الفكر العربي على مرّ العصور ولا سيّما عصر النّبي صلى الله عليه وآله فعمد الخُطباء الإسلاميّون والشّعراء في صدر الإسلام إلى إثراء نصوصهم بقصصه وحكمه وأمثاله وجعله محل استشهادهم، بغض النّظر عن أهمّية المأخوذ منه كنص مُقدّس وما له من أثر في نفس المُتكلّم والمُتلقّي، ولا سيّما إذا جمعتهم الهويّة الدّينية الإسلاميّة[٣]، ولا زالَ النّص القُرآني يحتلُ تلك الأهّمية البارزة في الفنون الأدبيّة بمختلف أنواعها وعصور نشأتها؛ فهو خطاب الله لعباده الذي يتميّز بالحيوية والملاءمة لكلّ عصر وزمان، فقد روي عن (أبي عبد الله عليه السلام) أنّه قال: «**القُرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أنْ ينظر في عهده وأنْ يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية**»[٤]، وبذلك فإنّ الارتباط بين المُسلم والنّص القرآني المُعجز ببلاغته وأسلوبه من شأنه أنْ ينعكس على الفنون الأدبيّة الإبداعيّة؛ فلا شكّ أنّ الأدباء والخُطباء غير غافلين عمّا للنص القرآني من سمات تعبيريّة فائقة وما فيه من مُحاكاة لقصص الماضيين فضلاً عن المُعجزات الباهرة التي تجلّت عند أولياء الله من الرّسل والأنبياء عليهم السلام ما يجعله الرّافد الأول الذي يعلو على أي نص في الاستقاء من مضامينه الثّرة.

ولدراسة القُرآنيّة في خُطب نساء أهل البيت عليهم السلام ومُقاربتها تناصيّاً تُقسّم المادة على ثلاثة مباحث:

---

(١) القُرآنية في شعر الرواد، دراسة لفاعلية النص المقدس في النص الإبداعي، د. إحسان محمد التميمي: ص٢١.

(٢) تأصيل النص، مشتاق عباس معن: ص١٧١.

(٣) ينظر: تأصيل النص، مشتاق عباس معن: ص ١٣٩.

*نعني بالهوية الإسلامية: «الإيمان بعقيدة الأمة الإسلامية والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة عند الناس» الهوية الإسلامية، في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري: ص٤٥.

(٤) الكافي، الكليني: ج٢ ص٦٠٩.

المبحث الأول: القُرآنيّة المُباشرة غير المُحوّرة

وهو النّمط الذي يستند فيه الأديب إلى النّص القُرآني بطريقة واضحة، مع الحفاظ على شكله البنائي، أي إنّه يستدعي النّص القُرآني استدعاء حرفيّاً، ولذلك فإنّ هذا النّوع يكاد يخرج من دائرة (التّناص) إلى (التّنصيص)، إذ إنّه يتحرّك في دائرة الاقتباس(١).

ويرى الدّكتور (إحسان التّميمي) في كتابه (القُرآنيّة في شعر الرّواد) الذي يُعدّ من الكُتب المُهمّة في هذا المجال: «إنّ هذا النّمط لا يخرج عن دائرة التّناص بمجمله، وفي هذا الشّأن تبرز حاكميّة السّياق الشّعري، فعندما تزيح البنية الشّكلية القُرآنيّة مساحة ما في النّص الشّعري فلا غرو إنّها سوف تفقد وظيفتها السّياقية القرآنيّة، لتدخل في علاقات جديدة مع النّص الجديد، لكنها مع ذلك لا تفقد شحناتها الدّلالية السّابقة كلياً، وتبقى مساحة تحكيم السّياق نسبية، تخضع لعامل مُهم ينطلق من مقصديّة المبدع نفسه، وليس هناك طريقة يستطيع من خلالها معرفة مقصديّة المبدع سوى تفكيك الرّسالة التي تقوم على عاتق المُتلقّي الانموذجي»(٢).

ومن أمثلته في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام، ما ورد في خطبة السّيدة الزّهراء عليها السلام.

«**ألا هلمّ فاسمع، وما عشت أراك الدّهر عجباً! وإنْ تعجب فعجب قولهم!! ليت شعري إلى أي سناد استندوا؟! وإلى أي عماد اعتمدوا؟! وبأيّة عروة تمسكوا؟! وعلى أية ذريّة أقدموا واحتنكوا؟ لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا**»(٣). تستند السّيدة الزّهراء عليها السلام في خطبتها قبل وفاتها الخطبة التي روى المؤرخون أنها قالتها في أيامها الأخيرة عندما دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها، فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله؟ فحمدت الله وصلت على أبيها، ثم خطبت هذه الخطبة، وفيها بيان حق أمير المؤمنين عليه السلام إذ استندت السّيدة الزهراء عليها السلام إلى النّص القرآني استناداً مباشراً في قولها «**وبئس للظالمين بدلا**» فقد أدخلت جزءاً من سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**

(١) ينظر: القرآنية في شعر الرواد: ص٣٥.
(٢) م. ن: ص ٣٥.
(٣) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام، محمد دخيل: ص٤٨- ٤٩.

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا ﴾[1]، في نصها فجاء امتصاصها للبنية القُرآنيّة مُناسباً مع السّياق الذي يدور في حلقة قضيّة ولاية أمير المؤمنين والاعتداء على حق أهل البيت عليهم السلام وجحدهم المكانة التي خصّهم الله فيها، خروجاً عن طاعته واعتداء على وصيّة نبيه صلى الله عليه وآله وبذلك تكون «الكتب المُقدّسة أرضاً فكريّة خصبة يستطيع الأديب عن طريقها أنْ يوظّف آليّات التّناص المُختلفة التي تخدم نصّه»[2].

ومنه ما ورد في خطبة السّيدة زينب عليها السلام في الشّام: «وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المُنادي ألا لعنة الله على الظّالمين».[3]

تتميّز نصوص نساء أهل البيت عليهم السلام بتوظيفها للنصوص القُرآنيّة بطريقة دالة على طول العِشرة وعمق الخبرة والتّشبع بالنص القرآني بصورة عامة، وإنّ هذا النّوع من الاندماج والتّقارب يتطلّب حسّاً إبداعيّاً عميقاً لا يحصل بالحد الأدنى من الثّقافة القُرآنيّة، وفي هذا النّص من خطبة السّيدة زينب عليها السلام تستند فيه إلى سورة هود في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[4]، يتّضح للمتلقي عمق التّشبع بالنص القرآني، وقوة السّبك والارتباط الدّالة على صلابة الموقف في بيان الحق ونصرة قضيّة آل محمد عليهم السلام والتّعريض بأعدائهم بصورة صريحة واضحة.

ومنه ما ورد في خُطبة السّيدة الزّهراء عليها السلام في مسجد الرّسول صلى الله عليه وآله:

«**فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام في النّاس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدّين القويم، ودعاهم إلى الصّراط المستقيم**»[5]،تعمد السّيدة الزّهراء في هذا النّص إلى بيان مكانة رسول الله صلى الله عليه وآله العظيمة ومهمته الشّريفة في هداية النّاس إلى طريق الحق، وتستند في قولها «**ودعاهم إلى الصّراط المُستقيم**» إلى سورة الفاتحة، في قوله تعالى:﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[6]، فقد قيل في تفسير الصرّاط المُستقيم، إنّه معرفة الإمام، استناداً إلى ما جاء في أقوال العترة الطّاهرة، فقد ورد عن جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام:

(١) سورة الكهف: الآية٥٠.

(٢) التناص في شعر نزار قباني، عيسى بن سعيد الحوقاني: ص١٢٢.

(٣) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص٧٣.

(٤) سورة هود: ص١٨.

(٥) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص١٥.

(٦) سورة الفاتحة: الآية ٧.

«﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾، صراط المُستقيم، قال: **الطّريق هو معرفة الإمام**»، وعنه أيضاً: «**والله نحن الصّراط المُستقيم**»، وعنه «**الصّراط المُستقيم أمير المؤمنين**عليه السلام»[1].

ومنه قولهاعليها السلام في خطبتها الأخيرة في بيان حق آل البيتعليهم السلام:

«**استبدلوا والله الذّنابى بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**»[2]، يتضح في هذا النّص موقف السّيدة الزّهراءعليها السلام من غاصبي حق آل محمد، وما فيه من تعريض واضح بغاصبي حق أمير المؤمنينعليه السلام والناكرين لوصية نبيهمصلى الله عليه وآله، وفيه تستند السّيدة الزّهراء إلى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[3]، ومن هنا تكمن قيمة التّعالق النّصي ليكون «التّناص نطاقاً شعريّاً كامناً مُفعماً بالقيم الجماليّة، ناشداً قراءة شموليّة للمحولات المعرفيّة، والأبعاد الثّقافية، تفضح أسراره الدّلاليّة وتزيل الضّبابية عن كنوزه المكبوتة»[4].

ومنه قولهاعليها السلام في الخطبة ذاتها:

«**أنى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون**»[5]، تستند السّيدة الزّهراءعليها السلام في بيان حق خلافة أمير المؤمنينعليه السلام عن قصد واضح إلى قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾[6]، ومعنى أنلزمكموها أنكرهكم عل قبولها أو نجبركم، ومن هنا يظهر أهمّية توظيف النّص القرآني، وما أفيض عنه من مهارة كلاميّة وقوة موقف دعا السّيدة الزّهراءعليها السلام إلى هذا النّوع من التّوظيف المُباشر فكان رد فعل حاسم تجاه نزع القوم واستلابهم حق آل البيتعليهم السلام.

ومنه ما ورد في خطبة السّيدة زينبعليها السلام في الكوفة:

«أفعجبتم أن تمطر السّماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه عز وجل لا يحفزه البدار ولا يخشى عليه فوت الثأر، كلا إن ربك لبالرمصاد»[7]، ففي قولها: «ولعذاب

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج١ ص٥٧.
(٢) خطب نساء أهل البيتعليهم السلام: ص ٤٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٢.
(٤) التناص في شعر أبي العلاء المعري، إبراهيم مصطفى: ص٣٦.
(٥) خطب نساء أهل البيتعليهم السلام: ص٥٠.
(٦) سورة هود: الآية ٢٨.
(٧) خطب نساء أهل البيتعليهم السلام: ص٦٣.

الآخرة أخزى وهم لا ينصرون» استناد واضح إلى قوله تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ** ﴾[1]، كما تضمن قولها: «إنّ ربك لبالمرصاد» عبارة قُرآنيّة واضحة، وردت في قوله تعالى:﴿ **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾[2]، إذ لم تجر السّيدة زينب عليها أي تغيير، فالمقصدية واضحة من وراء هذا التّوظيف القُرآني، في خطبتها بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وفي هذا النّص لم تخرج دلالته عن المعنى القُرآني إذ أصبحت الصّياغة في نص السّيدة زينب عليها السلام صياغة مُقاربة للمعنى القُرآني الذي يشير إلى دلالة العجز الإنساني عن مقاربة أهوال يوم القيامة، وما وعد الله به المجرمين، فالمرصاد «المكان الذي يرصد منه ويرقب وكونه تعالى على المرصاد استعارة تمثيلية شبه فيها حفظه تعالى لأعمال عباده بمن يقعد على المرصاد يرقب من يراد رقوبه فيأخذه حين يمر به وهو لا يشعر فالله سبحانه رقيب يرقب أعمال عباده حتى إذا طغوا وأكثروا الفساد أخذهم بأشد العذاب، وفي الآية تعليل ما تقدم من حيث تعذيب الطغاة المكثرين للفساد من الماضين وفي قوله: «ربك» بإضافة الرب إلى ضمير الخطاب تلويح إلى أن سنة العذاب جارية في أمته صلى الله عليه وآله على ما جرت عليه في الأمم الماضين»[3]، وبذلك فقد ارتكزت السّيدة زينب عليها السلام في هذا النّص على أكثر من معنى من معاني القرآن الكريم لترسم بذلك صورة عميقة الدّلالة لما ينتظر أعداءهم من العذاب والخزي يوم القيامة.

ومنه خطبتها عليها السلام في الشّام:

«الحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرّحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[4]، تستند السّيدة زينب عليها السلام في قولها «وحسبنا الله ونعم الوكيل» إلى قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾[5]، فهذا التّوظيف يدل على وعي عميق بالنص القرآني فالسيدة زينب عليها السلام وفي موقفها المُكمل لرسالة الإمام الحسين عليه السلام وجدها رسول الله صلى الله عليه وآله، تعي بشدة أهمّية النّص القُرآني وفاعليته في دعم دلالة خطبتها في الشّام، فأرادت أنْ يكون نصها مقارباً للنص القرآني لإثبات قضية آل البيت عليهم السلام، وقد إضاف

(١) سورة فصلت: الآية ١٦.

(٢) سورة الفجر: الآية ١٤.

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي: ج٢٠ ص٢٨١- ٢٨٢.

(٤) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص٧٤.

(٥) سورة ال عمران: الآية ١٧٣.

التّناص مع هذه الآية القُرآنية من سورة آل عمران، إضفاء صفة الصّبر والنّصر المُنبثق من الإيمان بالله تعالى والدّفاع عن الدّين الإسلامي، وفي هذا السّياق بقيت الجملة المُتناصة مُحمّلة بصياغتها وشحنتها الدّلالية السّابقة الواردة في القرآن الكريم، التي تحكي الصّبر والنّصر النّابع من صدق الإيمان وثبات الموقف.

المبحث الثّاني: القُرآنيّة المُبَاشرة المُحوّرة

هو أحد الأساليب التعبيرية التي يعمد إليها الأديب في التّعامل مع البنية القُرآنيّة، وفيه «يعمد المبدع إلى استدعاء البنية القُرآنية واستضافتها في خطابه وجعلها ممتزجة معه عن طريق العمليّة التّحويرية للنص القرآني، لفظاً ودلالة، حذفاً وتوليداً، تكثيفاً وتوسيعا»[1]، وبتعبير آخر تعني القُرآنيّة المباشرة المحورة أنْ يتعامل الأديب باللفظ والدّلالة مع النّص القُرآني محولاً النّص المُستقر إلى نص قلق البناء إذ يفقده بنائه الأول، عن طريق تقديمه وتأخيره في الألفاظ أو حذف جزء منها أو دمجها وتكثيفها وبذلك يكون هناك تداخل وامتزاج واضح بين النّص الأدبي والنّص القُرآني[2]، مما يجعل المُتلقّي «يشترك مع المبدع في المبدأ الاستدعائي للنص القرآني بنحو يجعل المبدع في حالة تماس مع أفق الانتظار أو التّوقع الذي يحتويه المتلقّي، ذلك الأفق الذي ينتظر ما يشبع رغبته في كلّ خطاب يحمل خصائص دينيّة أو عقيدية ولاسيّما القُرآن الكريم».[3]

ومن أمثلته في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام ما ورد في خطبة السّيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام:

«والله قست قلوبكم وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم، وسول لكم الشيطان، وأملى لكم، وجعل على أبصاركم غشاوة فأنتم لا تهتدون، فتبا لكم أهل الكوفة»[4]، تستند السّيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام في خطبتها بعد حادثة كربلاء وما تعرضت له العترة الطّاهرة من ظلم في قولها: «**وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وبصركم**» إلى قوله تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[5]، إذ استندت إلى اللّفظة القُرآنيّة لا البنية التّركيبية للجمل إذ اختلف قولها عن النّص القُرآني اختلافاً يسيراً في البنى التّركيبية، بهيأة جعلت النّص ينبض بالحركة التي تجذب القارئ فضلاً عن أنّها صبت في إثراء قولها

(١) القُرآنية في شعر الرّواد: ص٤٥.
(٢) ينظر: تأصيل النص: ص١٨٣.
(٣) القُرآنية في شعر الرّواد: ص٤٦.
(٤) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص٩٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ٧.

معنى ودلالة.

ومنه قولها عليها السلام في الخطبة نفسها: «فافتخر بذلك مفتخركم وقال:

نحن قتلنا عليا وبني علي بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأي نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب، افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم الله، وأذهب عنهم الرّجس»[1]، ففي قولها السّيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام «طهرهم الله، وأذهب عنهم الرّجس» تشّرب واضح من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾[2]، إشارة واضحة محوّرة تحويراً طفيفاً وهذا يعود إلى الذّاكرة الخصبة التي أمدتها بالاستدعاء الذي جلب بعضه بعضاً مما أدّى إلى ترسيخ ظاهرة التّداعي في نص خطبتها عن طريق ظاهرة قلب الدّلالة القُرآنيّة، عن طريق تحويل صيغة المضارع في النّص القُرآني إلى صيغة الماضي، إذ «إنّ دلالة الماضي على وقوع الحدث وتمامه قبل زمن التّكلّم هي الأصل»[3]، وبذلك أسهمت هذه الصّيغة بتوسيع دلالة النّص فضلاً عن الجماليّة المُستقاة من تحويل الصّيغ من المضارع إلى الماضي.

ومن أمثلة هذا النّوع من القرآنية قول السّيدة زينب عليها السلام في خطبة الكوفة:

«ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم، فتعساً تعساً، ونكساً نكساً، لقد خاب السّعي وتبّت الأيدي، وخسرت الصّفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلة والمَسكنة»[4]، تستند السّيدة زينب عليها السلام في قولها «وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة» إلى قوله تعالى: ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ** ﴾[5]، عن طريق التّقديم والتّأخير فضلًا عن التّحوير في لفظة المفردة القرآنيّة بالحذف والتّوسيع، وتغيير الضّمير من الغائب إلى ضمير المخاطب / الحاضر، في قولها «بؤتم/ عليكم»، التي وردت في الأصل في القُرآن الكريم ﴿ **وَبَاءُوا / عَلَيْهِمُ** ﴾ وهو تحوير يسير لكن بنيته دخلت في سياق جديد في نصها وهو التّعريض بأهل الكوفة تعريضاً واضحاً مباشراً.

(١) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص ٩٤.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٣) المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين: ص٦١.
(٤) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص٦١- ٦٢.
(٥) سورة ال عمران: الآية ١١٢.

المبحث الثّالث: القُرآنيّة غير المباشرة المُحوّرة

ويشير هذا الأسلوب إلى الطّريقة التي يستلهم فيها الشّاعر لفظة أو لفظتين من النّص القرآني وتوظيفها في صورة انزياح لغوي جديد[1]، ويتمثّل هذا النّمط من القُرآنيّة عندما يوظف الأديب لفظة من ألفاظ القُرآن الكريم في جمله بطريقة شعريّة، وإنّ هذا الملفوظ الواحد يُمثّل إشارة أو يقوم بدور الإشارة إلى النّص القُرآني بعينه، وهذا النّوع يعد أقل وضوحاً من النّمط الأول والثّاني من القُرآنيّة، التي لا تحتاج عناء كبيراً لمعرفة مكامن التّقاطع فيه مع النّصوص، وفي هذا النّوع يتطلّب من المُتلقّي ثقافة أكبر تدور حول النّصوص القُرآنيّة وأعظم مما هي الحال في القُرآنيّة المُباشرة، إذ لا دليل عليها غير إشارة واحدة[2].

ويتميّز هذا النّمط من القُرآنية في غموضه فهو بمثابة الرّمز أو الإيحاء، إذ يستند فيه الأديب إلى النّص القُرآني بطريقة الإشارة، ولذلك يتطلّب هذا النّوع انتباهاً وسرعة بديهة لكشف معناه، وقد جعلوا التّلميح أعمق من التّصريح، فكلّ حالة من الخطاب تتطلّب شرطاً مُعيناً في الأداء وفقاً للرسالة التي يريد المُرسِل توجيهها إلى المُتلقّي ومن ذلك رأى النّقاد العرب ضرورة ملاءمة المعاني لأقدار السّامعين كقول (الجاحظ ٢٥٥هـ) «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبيعة من ذلك كلاماً ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتى يُقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويُقسّم أقدار المعاني على أقدار تلك الحالات»[3].

فالإيحاء يلعب دوراً بارزاً «في رسم الفاصلة بين النّص اللّغوي العادي، وبين النّص الشّعري الإبداعي؛ لأنّ الإيحاء هو الذي ينقل النّص من صيغة المباشرة والتّقريرية إلى أفق أرحب وأوسع، حيث يمنحه القدرة على تجاوز الإطار المحدود لمجال التّواصل الفوري، بين النّاطق والسّامع، ويمكنه من حفر خندق سري داخل النفس الإنسانيّة»[4].

ومن أمثلة هذا النّمط في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام ما ورد في خطبة السّيدة الزّهراء عليها السلام:

(١) ينظر: التناص في شعر أبي العلاء المعري: ١٣٤.
(٢) ينظر: القرآنية في مراثي العباس بن علي عليه السلام، مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي: ص١٠٠.
(٣) البيان والتبيين، الجاحظ: ج١ ص١٣.
(٤) ظاهرة الشعر العربي المعاصر، محمد بنيس: ص١٥٦.

«**أبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا، وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم، وأنى بكم وقد عمّيت عليكم**»[1]، تستند السّيدة الزّهراء عليها السلام في قولها «**وجمعكم حصيدا**» إلى قوله تعالى: ﴿ **فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ** ﴾[2]، بطريقة غير مباشرة أي من دون أنْ يكون للفظ القُرآني حضور واضح أو ذكر صريح، وإن كشف هذا التّعالق يحتاج نوعاً من كد الذّهن وإعماله كونه يعمد إلى تذويب النّص القُرآني الأصلي داخل النّص بطريقة إيحائيّة لتكون بذلك عمليّة قراءة النّصوص وربطها مسألة مثيرة وبخاصة «إذا تم النّص بطريقة محبوكة، بدا حذق ومهارة الصنعة فيه جلياً، ولكن مهما تسترت واختفت وتماهت مع النّص فإن القارئ المطلع لا يلبث أن يمسك بأطرافها، ويرجعها إلى مظانها التي استقيت منها، بيد أن التواصل يظل مختلفا من قارئ إلى قارئ آخر»[3].

ومنه قولها عليها السلام في النّبي محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ومساندته له في صيانة الدّعوة الإسلاميّة:

«**قذف أخاه لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون، فاكهون، آمنون تتربصون بنا الدوائر**»[4]، يتّضح في خطبة السّيدة الزّهراء عليها السلام في قولها «**وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون**» استناد إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ** ﴾[5]، إذ عمدت إلى الإيحاء والإشارة لقوله تعالى موظفة اللّفظة القُرآنيّة في سياق السّجع نفسه، بهيئة لا تسمح للقارئ العادي بتلمّسها، لكن القارئ الانموذجي يستطيع المُشاركة مع المبدع في إنتاج النّص عن طريق استدعاء الآية الكريمة، وفيها إشارة لجهاد الإمام علي عليه السلام ومؤازرته للنبي صلى الله عليه وآله في مختلف الظّروف من المبيت في فراشه إلى الحرب، فالسيدة الزّهراء عليها السلام عمدت مخاطبة القوم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بمفردات وعيهم الدّيني وتصرّفت بهذه المفردات عن طريق الرّموز والإيحاء لتعميق الدّلالة وإثارة الدّهشة والتّأثير عن طريق توظيف المدلولات القُرآنية المُقدّسة.

---

(١) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص٥٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٥.

(٣) دينامية النص: ص ١٠٤.

(٤) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص٢٢.

(٥) سورة يس: الآية ٥٥.

ومنه قولها عليها السلام:

«**الحمد لله على ما أنعم، وله الشّكر على ما ألهم، والثّناء بما قدّم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها**»[1]، تستند السّيدة الزّهراء عليها السلام في توظيفها الألفاظ القُرآنيّة: (نعم، آلاء) إلى قوله تعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾[2]، إذ دخلت الصّياغة الأدبية بطريقة رمزيّة غير مباشرة إذ تمّ تحويلها إلى سياق يتوافق مع التّدفق الكلامي المُنبثق عن النّفس الشّاعرة فضلاً عن الإنسيابيّة الإيقاعيّة، فقد جاء اللّفظ الإيحائي مشابهاً للأجواء القُرآنيّة التي وردت في سورة الرّحمن.

(١) خطب نساء أهل البيت عليهم السلام: ص١٢.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٦٩.

الخاتمة

بعد الرّحلة البحثية المُثمرة مع القُرآنيّة في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام نُبيّن أهم النّتائج التي اقتطفناها منها وبحسب الآتي:

١-إنّ القُرآنيّة مصطلح نقدي معاصر، يسعى في طروحاته إلى المُحافظة على قُدسيّة النّص القُرآني والاستقاء من مضامينه الشّريفة؛ ومقاربته في النّصوص الأدبيّة؛ كونه معجزة العرب الفريدة في أسلوب خطابها وبيانها.

٢-إنّ المعاني الإبداعيّة في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام جاءت بطريقة مُنسجمة متناسقة مع النّص القُرآني، فضلاً عن البعد التّأملي الذي كشف عن المعاني الخفيّة التي تم التّعبير عنها بالإيحاء والرُّمز القرآني؛ لما له من أهمّية إبداعيّة تكمن في خلق الإثارة عند المُتلقّي، فضلاً عن أهمّية مضمون الرّسالة المراد توصيلها.

٣-استوحت خطب نساء أهل البيت عليهم السلام المعاني القرُآنيّة بطريقة مُباشرة محوّرة تارة وبطريقة غيّر محورّة تارة أخرى، وفقاً لما يتطلّبه المقام، وقد تضافر هذا التّوظيف مع الاستناد إلى الأساليب البلاغيّة التّصويرية والاستعاريّة وأساليب أخرى أسهمت في تكثيف دلالات النّصوص وتوسيع المعاني.

٤-تجلت القُرآنية في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام بدقة عالية وجاءت مُمتزجة مع خطابهن الشّريف تمام الامتزاج، ومُحتلّة موقعها المُتميّز في نسيج نصوص الخُطب.

٥-تعدّدت أنواع القُرآنيّة في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام فمنها موافقة النّص القرآني لفظاً ومعنى، ومنها موافقته معنى مع التّغيير بالتقديم والتّأخير في اللّفظ والمخالفة في البنى التّركيبية، ومنها الإشارة والإيحاء للنص القُرآني.

٦-استندت الخطب إلى النّص القرآني في بيان مكانة العترة الطّاهرة، وأحقيتها في الولاية، عن طريق التّعالق النّصي مع الآيات القُرآنيّة التي نزلت بحق آل بيت النبي صلى الله عليه وآله الذي عمدت إليه نساء أهل البيت عليهم السلام في خطبهن كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾.

٧-وظفن نساء أهل البيت عليهم السلام الرّموز القُرآنية في نصوصهن مفيدات مما تحمله من آفاق حيويّة، ومتخذات منها في الغالب منطلقاً لتكثيف صورة الصّراع بين الحق والباطل/ الخير والشّر.

التّوصيات

١-إنّ النّظرة الموجّهة نحو الإبداع الأدبي يجب أنْ لا تكون بمعزل عن المؤثرات القُرآنيّة؛ وذلك لأنّ النّص القرآني يشكّل دستور الأمة الإسلاميّة، ولابد أنْ نكون مُنطلقين في هذا المبدأ من قول النّبي صلى الله عليه وآله: «**إني تارك فيكم الثّقلين ما أنْ تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**».

٢-إنّ التّأثر بالقرآن الكريم عند أهل البيت عليهم السلام أمر واقع وجازم، فهم حملة القرآن وأصل الرّسالة، وبذلك فإنّ لوجود دراسات تعنى بنصوصهم الكريمة ومقاربتها مع القرآن الكريم أهمّية كبيرة تضاف إلى السّاحة العِلميّة في كلّ مكان وزمان.

٣-تتميّز خُطب نساء أهل البيت عليهم السلام بالأساليب البلاغيّة الإبداعيّة عالية المُستوى في التّعبير، من ناحية بناء الصّور الإبداعيّة والتّعبيرات الانزياحيّة؛ ولذلك فهي رافد ثرّ ومعين عذب للدارسين لإغناء هذه الأنواع من العلوم بالنماذج الحيّة من النّصوص.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، د. ط، دار المشرق، ١٩٨٦م.
- تأصيل النص، مشتاق عباس معن، ط١، مركز عبادي، صنعاء، ١٤٢٤.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ط٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.
- تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائ، د. ط، د. ت، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
- التناص، النظرية والممارسة، مصطفى بيومي، ط١، النادي الأدبي -الرياض، ٢٠١٠م.
- التناص في شعر أبي العلاء المعري، ١٣٤إبراهيم مصطفى محمد الدهون، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن: ٢٠١١م.
- التناص في شعر نزار قباني، عيسى بن سعيد الحوقاني، ط١، مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان، ٢٠١٢.
- التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزعبي، ط٢، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ٢٠٠٠م.
- التناص نظريا وتطبيقيا، أحمد الزعبي، ط٢، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ٢٠٠٠م.
- التناص وتداخل النصوص المفهوم والمنهج دراسة في شعر المتنبي، أحمد عدنان حمدي، ط١، دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.
- حداثة السؤال، محمد بنيس،ط١ دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م.
- خطب نساء أهل البيت عليهم السلام، محمد دخيل، ط١، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
- ظاهرة الشعر العربي المعاصر في المغرب (مقاربة بنيوية تكوينية)، محمد بنيس، د. ط، دار التنوير

للطباعة والنشر،المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء)، ١٩٨٥.

- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة: فريد الزاهي، ط٢، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب، ١٩٩٣م.
- القرآنية في شعر الرواد، دراسة لفاعلية النص المقدس في النص الإبداعي، د. إحسان محمد التميمي، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٣م.
- القرآنية في مراثي العباس بن علي عليه السلام: مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام العدد ٢٠، ١٨ديسمبر، ٢٠١٦م.
- الأصول من الكافي، أبو جعفر الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٣، الناشر: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨م.
- لسان العرب، ابن منظور، ط٣، دار صادر، ١٤١٤هـ، بيروت.
- مدخل إلى التناص، نتالي بييقي، ترجمة: عبد الحميد بورايو، د. ط، دار نينوى، سوريا، دمشق، ٢٠١٢م.
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، د. نعمان بوقرة، ط١، جدار للكتاب العلمي للنشر والتوزيع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.
- المقاربة النصية من منظور بيداغوجي: وزارة التربية الوطنية، الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الأولى جذع مشترك آداب، جذع مشترك علوم، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ٢٠٠٨م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين: مؤسسة الرسالة لبنان د. ط، ١٩٨٠م.
- نظرية القراءة وجماليات التلقي دراسة في رواية أموات بغداد لجمال حسين علي، رحاب حسين العريفاوي، ط١، ٢٠٢٣م، دار الصادق.
- الهوية الإسلامية، في زمن العولمة الثقافية، خليل نوري، ط١، ٢٠٠٩م، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد.

حجية مرويات الزهراء عليها السلام

عند الأصوليين الخطبة الفدكية انموذجاً

الباحثة : أ.م.د. آيات عبد الوهاب عبد الرزاق

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد واله الطيبين الطاهرين.

إن للزهراء عليها السلام مقاما أعظم واجل من تقديم بيانه في هذه السطور البسيطة من هذا البحث، فلا يمكن لاحد ان يستوعب مقامها الا النبي صلى الله عليه وآله لأنها بضعته والاوصياء عليهم السلام لأنها حجة عليهم كما ورد عن الامام الحسين عليه السلام بقوله: « **أمي خير مني** » ولها الولاية التكوينية بتفويض من الله بمعنى التصرف في الكون بأذنه تعالى، ولها الولاية التشريعية بمعنى ان بيدها التشريع فأنه من لوازم التكوين ولأنهم عليهم السلام نور واحد...

يبين البحث حجية ما روي عنها عليها السلام من حيث تمامية السند لروايته عن ثقة بمقتضى الآيات والروايات وبناء العقلاء وكما ورد عن المعصوم عليه السلام بقوله: «**لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا**»[1]، وحجية الروايات من حيث قوة المتن مما يؤكد ورود الخبر عنهم عليهم السلام وان لم يكن السند قويا لبناء العقلاء ولا يبعد تأثير القرائن الخارجية والشهرة المضمونية فالمجمع عليه لاريب فيه كما هو الحال في سند خطبتها عليها السلام الذي لا يدع للشك مجالا، وسنبين ذلك ما ورد عنها عليها السلام في الخطبة الفدكية.

وعلى هذا قسم البحث على ثلاثة مباحث الأول منها: بيان المراد من الحجية وبيان مقامها عليها السلام،

اما الثاني حجية روايات الزهراء عليها السلام وآراء الأصوليين فيها وادلتهم وترجيح الرأي الصائب منها،

اما المبحث الثالث فيتناول الأبحاث الأصولية كمباحث الالفاظ والحجج وتطبيقاتها،

وختم البحث بخلاصة واهم ما جاء فيه من نتائج.

(١) وسائل الشيعة، الفقيه المُحْدّثِ الشيخُ محُمّدْ بن الحسن الحُر العاملي: ج ٢٧ص ١٥٠.

المقدمة

الحمد لله كثيرا والصلاة والسلام على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها كما يحب ويرضى، إن للزهراء (صلوات الله عليها) خصوصية اختصها الله بها ولها مقامات وردت على لسان النبي والائمة من بعده (صلوات الله عليهم) نعجز عن إدراكها ومنها مقام الحجية الذي يعد من ضرورات المذهب الذي نسعى في هذا البحث وعلى هذه العجالة لإثباته لإنها عليها السلام المدار والقطب الذي يدور المجتمع السليم عليه وما أحوجنا اليوم للقدوة والاسوة كما إنها مصدرا من مصادر التشريع لا بعنوان النبوة والامامة بل لها مقام الحجية والعصمة في تبليغ الاحكام الواقعية، فمن سمع منها فقد حصل على الحكم الواقعي من مصدره الأصلي قاطعا من ناحية السند كما لو أخذ من القرآن الكريم والائمة المعصومين عليهم السلام اما تحصيل الاحكام في غير زمانها فيكون بالرجوع الى الاخبار الواردة عنها بالطرق القطعية او الظنية المفيدة للقطع، وما نطقت به من خطبتها المعروفة بـ (الخطبة الفدكية) في المسجد لمن غصبها تعد أهم وثيقة جاءت عنها، خاطبت فيها من كان في المسجد لمن غصبها حقها وارث النبوة وحق إمام زمانها في الامامة والخلافة والانقلاب الحاصل لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، فنطقت بفلسفة الإسلام الحنيف بفكره الموحد وتشريعاته القيمة وكونه منظومة معرفية متكاملة لا غنى للمجتمع الإنساني عنها الى قيام الساعة لتصبح الخطبة مصدرا من مصادر التشريع كالقرآن الكريم يستنبط منها الاحكام، ولهذا تطلب ان يكون البحث على ثلاثة مباحث:

الأول منها يبحث في مقامها الشريف والأدلة على عصمتها فلا يمكن أن تثبت الحجية إلا بثبوت العصمة، والثاني يبين موقف الأصوليين من حجيتها بالاعتماد على الأدلة اللازمة، أما الثالث فقد ركز على البحث السندي والدلالي للخطبة الفدكية، وبعدها يختم البحث بأهم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة.

المبحث الأول: مقام السيد الزهراء عليها السلام والأدلة على عصمتها

المطلب الأول: مقام السيدة الزهراء عليها السلام

لقد تميزت عليها السلام بخصائص عديدة واهمها انها البنت الوحيدة لخاتم الرسل وحبيب رسول رب العالمين محمد ص فهي روحه وقلبه وبضعة منه ويكفي في بيان مقامها ومعرفتها ما قاله فيها النبي صلى الله عليه وآله: من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها..... فالقلب هو مضخة الحياة وبدونه يموت الإنسان ويعدم الحياة[1].

وأمها خديجة سيدة نساء هذه الامة ومفخرة التأريخ الإسلامي وتاج المسلمين التي بمعونتها قام الإسلام فكانت أعظم عون للنبي ص على نشر دعوته حتى روي عن الامام الحسن عليه السلام: «**استوى الدين بسيف علي ومال خديجة**»[2]، فقد سجلت مواقف مشرفة في تأريخ الإسلام وبذلت أموالها في سبيل نصرته كما انها من ربت فاطمة عليها السلام على الايمان والأخلاق والتصدي للباطل والوقوف بوجه المنافقين.

ومن فضائلها عليها السلام انها حليلة علي بن أبي طالب عليه السلام أحب الخلق وأشرفهم بعد النبي ص الذي ملا الدنيا علما ووعيا واخلاقا وكرما وإيثارا أعز الدين بعلمه وحكمته ولو لم يخلق الله علياً لما وجد على اهل الأرض كفؤ لفاطمة عليها السلام، ويكفيها فضلا وشرفا بأنها من الخمسة الذين طهرهم الله تطهيرا فقد شملها النص المبارك في آية التطهير واية المباهلة واية المودة واية القربى واية (هل اتى) وأنها الكوثر التي بارك لرسوله في نسلها فكان الأئمة من ذريتها بإجماع العلماء وتظافرهم وقطعهم بالادلة[3].

حتى أطلق عليها النبي صلى الله عليه وآله عظيمة وجليلة فسماها (أمّ أبيها) صلوات الله عليها، فهي تعبّر عن عمق الارتباط الروحيّ ومن الواضح أنّ ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله ليس من باب العاطفة، والعلاقة الرحميّة الخاصّة، بقدر ما هو توجيه للأمة وتعريفها بالمقام الخاصّ للسيدة الزهراء عليها السلام عند الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله، والدور المُلقَى على عاتقها خلال حياة أبيها، والوظيفة التي ينبغي أن تقوم بها بعد

(١) ينظر: بحار الانوار، المجلسي: ج٤٣ ص٥٤.

(٢) دلائل الصدق لنهج الحق، محمد حسن المظفر: ج٥ ص١٩٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٣ ص٥٠١. التفسير الكبير، الرازي: ج٣٢ ص١٢٥. فتح القدير، الشوكاني: ج٣ ص٢٢٤.

وفاته صلى الله عليه وآله[1].

ولا يخفى ما ورد عنها في الاخبار المعتبرة يوم القيامة الذي يدل على عظم مقامها ومكانتها عند الله تعالى، وما لها من القداسة والفضل ومقام الشفاعة حيث يؤمر الناس بغض الطرف حين يمر موكبها عليها السلام، وهو ما ثبت من طرق العامة والخاصة[2].

المطلب الثاني: الأدلة على عصمتها

بالرجوع الى مصادر الامامية والجمهور نجد في طياتها الكثير من الأدلة التي تثبت عصمة السيدة الزهراء عليها السلام فضلاً عن عصمة الائمة عليهم السلام وسنأخذ أهم تلك الأدلة:

اولاً: الدليل القرآني

وردت نصوص عديدة من كتاب الله المجيد يمكن الاستدلال بها على عصمة السيدة الزهراء صلوات الله عليها ولكن سنكتفي بدليلين ظاهرين واضحين في بيان عصمتها عليها السلام ومتفق على ان مفاد كليهما ثبوت العصمة لها وهما:

الآية الأولى: آية التطهير في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾.[3]

أجمع المسلمون على ان مفاد النص في آية التطهير انه نزل بحق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وإذهاب الرجس لا يكون إلَّا بالعصمة من الذنوب، لأنّ الذنوب من أرجس الرجس[4].

وفي الآية دلالة واضحة على أعظم فضيلة للزهراء عليها السلام[5]، فقد تظافرت آراء المفسرين من علماء العامة والخاصة باعتمادهم على الأدلة والبراهين القطعية بأن المراد من أهل البيت في الآية هم (علي وفاطمة والحسن والحسين)[6] (صلوات الله عليهم) المطهرين من كل رجس وكل رذيلة وخطيئة

(١) ينظر: اسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الاثير: ج٥ ص٥٢٠.

(٢) بحار الانوار، المجلسي: ج٨ ص٦٧. ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ ص٣٢٣. مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩ ص٢١٢. الجامع الصغير، السيوطي: ج١ ص١٢٧.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٤) تفسير القران المجيد، المفيد: ص ٤١١.

(٥) فاطمة مظلومة التاريخ، عبد الرسول الكاظمي: ص ٥٩.

(٦) تفسير العياشي، العياشي: ج١ ص٢٥٠، تفسير القمي، القمي: ج٢ ص١٩٣، صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٧ ص١٣٠ باب فضائل أهل البيت، سنن الترمذي، الترمذي: ج٧ ص١٢٣ باب فضائل الصحابة.

وهم عليهم السلام مسددون بأمر الله تعالى مبعدون بلطفه وعنايته عن جميع الخبائث والذنوب[1].

الآية الثانية: آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾[2].

اتفقت الروايات الواردة في مضمونها الى ان سبب نزول النص هو في يوم المباهلة الذي خرج فيه النبي صلى الله عليه وآله لمباهلة نصارى نجران حيث دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**»[3].

وذكر الزمخشري في تفسير الآية بأنها أقوى دليل على فضل علي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) لإنها لما نزلت دعاهم الرسول صلى الله عليه وآله فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلي خلفهما فعلم المراد من الآية، وعلم انهم أولاد فاطمة يسمون ابناءه وينسبون اليه نسبة صحيحة في الدنيا والاخرة[4].

ثانياً: دليل السنة الشريفة

حيث وردت روايات كثيرة عند الفريقين على عصمة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ولا يمكن حصرها ولا عدها سنذكر بعض منها:

١. حديث بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: «**ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[5]، وفي حديث آخر قوله: «**إنها بضعة مني يغضبني ما يغضبها**»[6].

فلا يمكن أن يغضب الله لغضب فاطمة وهي غير معصومة من الخطأ، مما يعني أنّ الزهراء عليها السلام لن تغضب إلَّا لشيءٍ يغضب الله تعالى بسببه ومن كان غضبه لغضب الله فهو لن يفعل إلَّا الحقّ، ولن يخطئ أو يميل إلى الباطل وبه تثبت عصمتها.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحراني: ج٣ ص٣١٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦.

(٣) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٧ ص١٢٣. سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٢٢٥. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٦٣، الصواعق المحرقة، ابن حجر: ص١٥٥.

(٤) الكشاف، الزمخشري: ص٣٣٤.

(٥) صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص٢١٩. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٥٤. المعجم الكبير، الطبراني: ج٢ ص٧٧، غوالي اللآلئ، الاحسائي: ج٤ ص٩٢.

(٦) ينابيع المودة، القندوزي: ج٢ص٤٦. الطرائف، ابن طاووس: ص٢٦٢.

كما أنّ غضب رسول الله ﷺ موجب لأذاه ومن يسبب الأذى لرسول الله ﷺ يقع مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[1].

٢. حديث الثقلين عن النبي ﷺ انه قال: «**إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**»[2]، ودلالته ظاهرة في ان هناك ملازمة بين أهل البيت والقرآن الكريم توجب لها نفس المقام، كما ثبت انها (صلوات الله عليها) من أهل البيت وما لازم المعصوم فهو معصوم..

٣. عن النبي ﷺ انه قال: «**وأما ابنتي فاطمة، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهو نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية**»[3].

بمعنى انها (صلوات الله عليها) جزء لا يتجزأ من كيان النبي وروحه الطاهرة وهو محور الحق والشرع وبالتالي تكون الزهراء عليها السلام أيضا كذلك، وهو المعصوم الذي لا تميل به الأهواء ومن يكون جزءاً منه مؤهل لأن يكون معصوما. وبهذا التقريب نرى عصمة الزهراء عليها السلام جلية وواضحة.

ثالثاً: دليل الإجماع

إتفق جمع من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والمتأخرين عنهم على ان المراد بأهل البيت هم العترة الطاهرة ومنهم أبي سعيد الخدري وانس بن مالك ووائلة بن الاسقع وعائشة وام سلمة واجماع الامة بضميمة العديد من القرائن تدل على عصمتها عليها السلام الموجب للقطع بقولها وفعلها فالمعصوم لا يجهل ولا يخطئ ولا يذنب وكل ما يقوله حجة[4].

رابعاً: دليل العقل

يرى العقل بان ما يثبت تطهيره بالوحي وبالصحيح من الأحاديث من قول رسول الله ﷺ المجمع عليه في مصادر العامة والخاصة تثبت عصمته، ومن أمن وقوع الخطأ منه وجب الاقتداء به، ومن

(١) سورة التوبة: الآية ٦١.

(٢) الكافي، الكليني: ج١ ص٢٩٤. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٧ ص٣٤. سنن الترمذي، الترمذي: ج ٥ ص٣٢٨. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١١٠.

(٣) الامالي، الصدوق: ص١٧٥. بحار الانوار، المجلسي: ج٢٨ ص٣٨.

(٤) الأصول العامة للفقه المقارن: محمد تقي الحكيم: ص ١٦٢-١٦٣، أصول الفقه: فاضل الصفار: ج١ ص١٠٢.

كانت له هذه الحالة ثبت انه يهدي الى الحق ومخالفته التوبيخ الوارد في قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[1].

فيلزم العقل بوجوب اتباع المعصوم في قوله وفعله لإنه من الصواب وعدم جواز مخالفته لإنه من الخطأ والعصيان وهو معنى الحجية[2].

(١)سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٢)أصول الفقه فاضل الصفار: ج١ ص١٠٤-١٠٥

المبحث الثاني: موقف الأصوليين من حجيتها صلوات الله عليها

بعد ان ثبت بالأدلة القطعية عصمة الزهراء عليها السلام في المطلب السابق الذي يهمنا في هذا المبحث هو اثبات حجية كل ما صدر عنها عليها السلام واعتبار قولها حجة يستند الية في مقام إثبات الواقع فإذا كان الأئمة من آل البيت المنصبون بعد النبي حجة على العباد الذي يوجب إتباعهم (قولا وفعلا وتقريرا)، فهل مولاتنا عليها السلام انها ليست امام -حجة علينا؟ وإذا ثبتت الحجية فهل تعد مصدرا من مصادر التشريع كمقام رسول الله والائمة من بعده (صلوات الله عليهم اجمعين)؟ بمعنى الحصول على الحكم الواقعي من مصدره الأصلي يقينا، وفي حال عدم توفر ذلك هل يمكن للمكلف ان يأخذ الاحكام بالرجوع إلى الروايات التي تنقل عنها سواء عن طريق التواتر او الطرق الظنية الاخرى المفيدة للقطع؟ وهل لفعلها وقولها وتقريرها دلالة وأثر في التشريع؟

يمكن الإجابة عن كل هذه التساؤلات واثبات حجيتها بالاعتماد على أهم الطرق لإثبات ذلك وهو ما تكفلت به المطالب الاتية:-

المطلب الأول: معنى الحجية لغة واصطلاحا

أولا: معنى الحجة لغة

يراد منها القصد، وهي وجه الظفر عند الخصومة[1]، كما تأتي بمعنى البرهان فنقول حاجَه محجة أي غلبه بالحجة والتحاج والتخاصم،[2] والحج الغلبة بالحجة والحجة: السنة[3].

ثانيا: معنى الحجة في اصطلاح الأصوليين

لا يختلف استخدام الأصوليين لكلمة الحجة عن اللغويين والتي تطلق لكل ما يصح الاحتجاج به في أوسع نطاق واستخدام فهي عن الأصوليين شاملة للعلم والامارة مع الاختلاف بينهما فإطلاقها على العلم لا يحتاج الى توسط شيء واطلاقها على الامارة يحتاج الى توسط جعل من الشارع او من

(١) العين، الفراهيدي: ج٣ ص١٠.
(٢) الصحاح، الجوهري: ج١ ص٣٠٤-٣٠٥. لسان العرب، ابن منظور: ج٢ ص٢٢٦.
(٣) تاج العروس، الزبيدي: ج٣ ص٣١٦.

العقل لذلك قسمت الى ذاتية ومجعولة[١].

فكل دليل معتبر هو حجة فلا يصح الاحتجاج بغير المعتبر فيكون منجزا لوجوب العمل به اما لو أخطأ العبد فيه فيكون معذورا وهو ما يعبر عنه بالمنجزية والمعذرية[٢].

ثالثا: اقسام الحجة

١ .الحجة الذاتية: وهي التي لا تحتاج الى جعل جاعل لانها من اللوازم العقلية للقطع التي يستحيل تخلفها عنه[٣]، وهذه الحجة هي العلم فحجيتها ملازمة لذاتها ولا تتوقف على دليل شرعي يعطيها الحجية او ينفي عنها فإذا قطع الإنسان بشيء من أي طريق كان قطعه حجة عليه ولا يجوز له مخالفته[٤].

٢ .الحجة المجعولة: وهي الحجة التي تحتاج الى من يسندها من الشارع اومن العقل فهي لا تنهض بنفسها في مقام الاحتجاج[٥]، ولا تفيد العلم واليقين، بل الظن الذي لا يكشف عن الواقع كشفا تاما ولا يحكم العقل بلزوم اتباعه فاحتمال الخطأ ملازم له فلا يصح الاعتماد عليه مالم يوجد دليل يرفع نسبة صحته ومطابقته للواقع[٦].

ما ينبغي إثباته بعد التعرف على معنى الحجة واقسامها عند الأصوليين هو ان حجيتها صلوات الله عليها من قبيل الحجة الذاتية التي يستند اليها في مقام اثبات الواقع فقولها قول النبي صلى الله عليه وآله من حيث كونه حجة على العباد وواجبة الاتباع بعد ما اتفقت كلمة الامامية على ان جميع المعصومين يجري عليهم ذلك لأنهم المنصبون من الله (جل وعلا) لتبليغ الاحكام الواقعية، بل هم أنفسهم مصدر للتشريع[٧].

وعلى هذا فان من سمع منها او شاهدها فقد اخذ الحكم الواقعي من مصدره الأصلي اما من يريد الحصول على الحكم الواقعي في غير زمان حضورها لابد عليه بعد الرجوع إلى القران الرجوع إلى ما روي عنها عن طريق التواتر او خبر الاحاد.

ولإثبات ما تقدم بالإمكان الرجوع إلى العديد من الأدلة كنصوص القران الكريم والروايات

---

(١) الأصول العامة، الحكيم: ص ٢٩.
(٢) أصول الفقه، فاضل الصفار: ج١ ص٤٢-٤٣.
(٣) الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقي الحكيم: ص٢٩.
(٤) أصول الفقه، فاضل الصفار: ج١ ص٤٤.
(٥) الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقي الحكيم: ص ٣٢.
(٦) أصول الفقه، فاضل الصفار: ج١ ص٤٤.
(٧) أصول الفقه، المظفر: ج٢ ث٣١٤.

المتفق عليها والعقل، وهو ما تكفل به المطلب الثاني من الدراسة.

المطلب الثاني: الأدلة على حجية مرويات الزهراء (صلوات الله عليها)

هناك العديد من الأدلة التي يمكن الاستدلال بها على حجية ما ورد عنهاعليها السلام واهمها:

أولا: القران الكريم

١.آية التطهير في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾.(١)

ثبت مسبقا انهاعليها السلام من ضمن أهل البيت المقصودين في الآية المباركة كما ثبتت بذلك العصمة لها لأنه تعالى بإرادته التكوينية يذهب عنهم الرجس وفعل القبيح وكل نقص(٢)، فاذا كانت ممن اختصهم الله بالطهارة من الذنوب والارجاس يثبت ان كل ما يصدر عنها حجة في اقوالها وافعالها.

٢. آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿ **تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾(٣).

فمن مختصات أهل البيتعليهم السلام هو مباهلة النبي بهم لوفد نصارى نجران وإنه لامر عظيم والزهراءعليها السلام منهم كما ثبت بالأدلة الواردة في تفسير النص ففيه فضيلة ودليل واضح على حجيتها فمقام المباهلة مقام الاحتجاج والمشاركة الواضحة في التبليغ وصدق البعثة.

٣.آية القربى في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾(٤).

لقد تواتر بأن الزهراءعليها السلام من ذوي القربى(٥)، لا بل لها الاسبقية رتبة بمقتضى الوراثة الروحية لمقامات النبيصلى الله عليه وآله بلحاظ المقامات المعنوية، كما لها الوراثة البدنية -تكوينا وتشريعا- بلحاظ المناصب والشؤون الاعتبارية إلا ما خصه الدليل، كالإمامة ولم يكن احد أولى بالنبي منهاعليها السلام فهي اول من يصدق عليه هذا العنوان وعليه يلزم مودتها بمعنى ولايتها العامة الشاملة مع انها ليست بإمام تستقل

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) أصول الفقه، فاضل الصفار: ج١ ص٩٨-٩٩.

(٣) سورة ال عمران: الآية ٤٤.

(٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٥) ما ورد من روايات في بيان قوله تعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**..... ﴾ عن عطية: عن أبي سعيد قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** ﴾ دعا النبيصلى الله عليه وآله فاطمة وأعطاها فدكا. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٣٩.

في تلك الولاية بل بالمشاركة مع النبي والامام عليهم السلام بنحو طولي وبثبوت ولايتها وملكية التصرف في الانفال والفيء والخمس يظهر حجية قولها وفعلها وتقريرها.[1]

٤. قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾[2].

يراد من الاصطفاء لمريم عليها السلام في النص هو تقبلك من نذر أمك في تحريرك لله وطهرك زيادة على ذلك من الادناس التي تلحق النساء وقدمك عليهن بالولادة من غير فحل[3].

ولكن لا توجد دلالة على سيادتها على نساء العالمين فليس في اللفظ والقرائن ما يدل على ذلك، بل ثبت من السنة سيادتها على نساء عالمها، اما الزهراء (صلوات الله عليها) فهي سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين وهو ما تواتر عند المسلمين من الفريقين[4]: «في حديث طويل – قال في آخره: قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة! **أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟...**»[5].

من هذا يظهر ان للزهراء عليها السلام سيادة ومقاما لا يدركه الا الله ومحمد وال محمد وبلوغ هذا المقام لهو دليل يؤكد حجيتها عليها السلام فاذا طهر الله مريم وثبتت بذلك عصمتها فالأولى اثبات عصمة الزهراء عليها السلام لإنها اعلى مرتبة وأخص درجة بحسب ما ورد في حقها[6]. ووجه الأولوية أن فاطمة عليها السلام قد تم اصطفائها وتطهيرها بآية التطهير مع النبي صلى الله عليه وآله وعلي والحسنان عليهم السلام الذين ثبتت حجيتهم القطعية لكون الآية مشيرة إلى اشتراك الحكم بين أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا تحت الكساء[7].

ثانيا: السنة الشريفة

وردت العديد من الأحاديث المتواترة والمتفق عليها بين المسلمين تؤكد حجيتها (صلوات الله عليها) وأهمها:

١. حديث الثقلين عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «**إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا**

(١) مقامات فاطمة في الكتاب والسنة، محمد السند: ص ١٥٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٢.
(٣) التفسير الكبير، الرازي: ج٨ص٤٦. البرهان، البحراني: ج١ ص٦١٨. تفسير نور الثقلين، الحويزي: ج١ ص٣٣٦.
(٤) الأربعين، محمد طاهر القمي: ص٤٨٦.
(٥) صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص١٨٣. السنن الكبرى، البيهقي: ج٥ ص١٤٧. كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص١١٠، الامالي، الشيخ الطوسي: ص٢٤٨. مناقب أبي طالب، ابن شهر اشوب: ج٣ ص١٠٥.
(٦) بنور فاطمة اهتديت، عبد المنعم حسن: ص٧٩
(٧) مقامات فاطمة في الكتاب والسنة، محمد السند: ص٧٢.

كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1].

وتقريب الاستدلال في كونها عدلا للقران يجعل التمسك بها موجب للأمن من الظلال كما يثبت العصمة لهاعليها السلام الى حين الورود الى الحوض فالقران والزهراء لا يفترقان ولا يختلفان وهذا يستلزم حجيتها (صلوات الله عليها) في أقوالها وأفعالها.[2]

٢. ما رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا بإسناده عن علي بن موسى الرضاعليه السلام في حديث تزويج الله تعالى لفاطمة من عليعليهما السلام ... «**اني أجمعهما على محبتي وأجعلهما حجتي على خلقي وعزتي وجلالي لأخلقن منهما خلقاً ولأنشأنّ منهما ذرّية مباركة طاهرة أجعلهم خزاني في ارضي ومعادن لحكمي بهم احتج على خلقي بعد النبيين والمرسلين**»[3].

٣. قالصلى الله عليه وآله: «**أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين حجج الله على خلقه، أعداؤنا أعداء الله، وأولياؤنا أولياء الله**»[4].

٤. ما ورد في **أن الله تعالى يرضى لرضاها ويغضب لغضبها**[5]، مما يدل على حجيتها من دون تقييد لذلك بالعلوم التي صدرت منها أي ليست حجيتها بالوساطة العلمية فقط بل يعمّ رضاها في الأمور العامّة وغضبها فيها. كما تجلى ذلك واضحاً في موقفهاعليها السلام بعد النبيصلى الله عليه وآله في دفاعها عن الخلافة الإسلامية وأحقية أمير المؤمنين في الولاية، ومن ثَمَ دارت أربعين ليلة على المهاجرين والأنصار تستحثهم على مناصرته وتجديد البيعة له، مما يدل على اشرافها ومساهمتها في تدبير أس الأمور العامة وهي الخلافة[6].

٥.عن أبي جعفرعليه السلام: «**ولقد كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس**

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل: ج٣ ص١٤. السنن الكبرى، البيهقي. كنز العمال، المتقي الهندي: ج١ ص١٧٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٢٧ ص١٨٩.

(٢) الصحيح من سيرة النبي، جعفر مرتضى العاملي: ج١٥ ص١٠٨.

(٣) عيون اخبار الرضا، الصدوق: ج١ ص٢٠٢.

(٤) الامالي، الصدوق: ص٧٤.

(٥) الامالي، الصدوق: ص٤٦٧. بحار الانوار، المجلسي: ج٢٢ ص٢٣٦. صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص٢١٠. فتح الباري، ابن حجر: ج٧ ص٦٣. المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي: ج٧ ص٥٢٦. السنن الكبرى، البيهقي: ج٥ ص٩٧. المعجم الكبير الطبراني: ج١٨ ص١٠٨. كنز العمال المقي الهندي: ج١٢ ص٦٣.

(٦) مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والسنة، محمد السند: ص١٧٣. الامالي، الصدوق: ص٤٦٧. بحار الانوار، المجلسي: ج٢٢ ص٢٣٦. صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص٢١٠. فتح الباري، ابن حجر: ج٧ ص٦٣. المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي: ج٧ ص٥٢٦، السنن الكبرى البيهقي: ج٥ ص٩٧. المعجم الكبير، الطبراني: ج١٨ ص١٠٨.

والطير والوحوش والأنبياء والملائكة....»[1].

٦. ما ورد من الروايات التي تصرح بلفظ الحجية وتؤكد على حجيتها على عامة الخلق تارة وعلى الأئمة خاصة تارة أخرى وكونها مفروضة الطاعة على جميع ما خلق الله وهي:

• ورد عن الإمام العسكري عليه السلام انه قال: «**نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا**»[2].

• ما رواه جابر بن عبد الله الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله «**أن الله جعل عليا وزوجته وأبناؤه حجج الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمتي، من اهتدى بهم هدي إلى صراط مستقيم**»[3].

• عن أبي جعفر عليه السلام: «**ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحوش والأنبياء والملائكة**»[4].

٧. ما ورد من الروايات تبين مقامها كونها كفواً لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ما ترويه أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله: «**لولا يخلق عليا لما كان لفاطمة كفو**»[5].

مما يعني أن أكثر المقامات التي كانت لأمير المؤمنين علي عليه السلام هي ثابتة للصديقة فاطمة عليها السلام، فهما في منزلة واحدة من الإيمان والتقوى، وإلا لما كان كل منهما كفوا للأخر؟ وعليه تكون فاطمة حجة على الأئمة عليهم السلام كما كان أمير المؤمنين عليه السلام الحجة على الأئمة عليهم السلام[6].

ثالثا: دليل العقل

ان العقل يرى بأن الدليل والبرهان على إثبات حجية قول أحد ما بحاجة إلى متابعة سيرتها والاطلاع على حياتها، فبمراجعة التأريخ الشريف للزهراء (صلوات الله عليها) والسيرة العطرة تثبت الدراسات انها لم ينقل عنها أي خطأ او اشتباه، ومن ثبتت له العصمة تثبت له الحجية في أقواله وافعاله وكل ما يصدر عنها.

---

(١) دلائل الامامة، الطبري: ج٢٧. مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي: ج٨ ص٢٤٧.
(٢) تفسير اطيب البيان، عبد الحسين الطيب: ج٢٢ص٨٢.
(٣) الامالي، الصدوق، ص٧٤.
(٤) دلائل الامامة، الطبري: ص٢٧.
(٥) ينابيع المودة، القندوزي: ص ١٧٧.
(٦) الاسرار الفاطمية، محمد فاضل المسعودي: ص٨٤.

كما ان المستوى الذي بلغته سيدة نساء العالمين من حيث كونها أم ابيها والحجة على الحجج وسيدة نساء اهل الجنة يجزم العقل بحجيتها لابل بضرورة ان تكون حجة لان بلوغ هذه المقامات لا يكون الا للمعصوم.

المبحث الثالث: دراسة تطبيقية في سند الخطبة الفدكية ودلالتها

تعد الخطبة الفدكية من الخطب المشهورة التي دونتها المصادر المختلفة وشرحها العلماء والمؤرخون في رسائل خاصة كما انها من النصوص الاحتجاجية التي تعتمد على الدليل العقل مما يغني عن النظر إلى سندها كما هو الحال في المسائل المنطقية والفلسفية التي تثبت دون المناقشة السندية لها.

ومما يؤكد حجيتها وصدق محتواها هو ما جاء فيها من مضامين علمية والأساليب البلاغية التي تتوافق مع ما جاء عن النبي وآله عليهم السلام وموافقتها للقرآن الكريم.

ومع هذا ينبغي في هذه الدراسة ان نثبت حجيتها السندية وبعدها نستنبط أهم ما جاء فيها باعتبارها من أهم النصوص الواردة في التشريع الإسلامي، لذا يكون البحث على مطلبين:

المطلب الأول: حجية الخطبة من الناحية السندية

من أهم ما يمكن ان يبحث من الناحية السندية للخطبة الفدكية هو تمامية نقلها في المرحلة الأولى من بدء تدوين الحديث حيث دونها المؤرخ والمحدث أبي مخنف لوط بن يحيى الازدي[1] (١٥٧هـ) في كتاب باسم (خطبة فاطمة الزهراء) وهو ممن عاصر الإمام الصادق عليه السلام وبعدها تواتر النقل مع عدم الانقطاع في الأدوار التاريخية المختلفة مما دعا إلى اشتهارها في مصادر الفريقين قديما وحديثا، حيث تؤكد الدراسات للبحوث الروائية والرجالية إلى ان اثنان وتسعون راويا قاموا بنقل النص لخمس وعشرين طريقا مختلفا ابتداءا من منتصف القرن الأول حتى منتصف القرن الرابع الهجري كما اشتمل نقل الخطبة على أسماء بارزة أهمها الأئمة (صلوات الله عليهم اجمعين) والسيدة زينب عليها السلام وعائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وعبد الله بن عباس وغيرهم[2].

---

(١) وهو أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم (سالم) الأزدي، شيخ أصحاب الاخبار بالكوفة ووجههم كما في النجاشي وتوفي سنة ١٥٧ كما في الاعلام يروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ويروي عنه هشام الكلبي وهو من أعاظم مؤرخي الشيعة وجده مخنف بن سليم صحابي شهد الجمل بالبصرة في أصحاب علي عليه السلام حاملا راية الأزد فاستشهد في تلك الوقعة سنة ٣٦، كما في الاعلام، ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء السنة في النقل عن كتبه كالطبري وابن الأثير بل التاريخ الكبير لابن جرير مشحون من كتب أبي مخنف.الذريعة، آقا بزرك الطهراني: ج١ ص٣١٢.

(٢) خطبة اللمة – سندها ومكانتها عند الشيعة: محسن الويري، مجلة العلوم الإنسانية الدولية العدد١٦ ٢٠٠٩/ ١٤٣٠هـ.ق

ومن الملفت ان الخطبة قد وردت بأسانيد متنوعة وفي أكثر من مجال للنقل ومنها:

١ .وردت الإشارة اليها في كتب اللغة عند بيان بعض المفردات كما جاء في بيان مفردة (لَمَة) وهو ما أورده ابن منظور[١] وابن الاثير[٢].

٢. نقل الخطبة في كتب البلاغة مثل كتاب بلاغات النساء لابن طيفور (٢٨٠هـ) الذي يجمع في كتابه الخطب البليغة للنساء.[٣]

٣. كما ورد ذكر الخطبة في المصادر التاريخية في كتاب (السقيفة وفدك) للجوهري (٣٢٣هـ) برواية بن أبي الحديد المعتزلي (٦٥٦هـ) حيث وصفه بكثرة العلم وحسن التصنيف والورع في النقل ومن المأمونين[٤]، وكتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة (٢٧٦هـ)[٥] وابن طاووس (٦٦٤هـ) في كتابه الطرائف في معرفة الطوائف[٦] وغيرها الكثير.

٤. كما يروي الخطبة الطبرسي في كتابه الاحتجاج[٧] الطبري في كتابه دلائل الامامة بكل طرق اسنادها[٨].

المطلب الثاني: حجية الخطبة من الناحية الدلالية

لقد القت الزهراء خطبتها الغراء التي تناولت مواضيع عديدة يشهد التاريخ ببلاغتها وعظمتها اعتراضا منها على ما ادعاه أبا بكر في حديث قد سمعه من النبي يقول فيه: «**ان معشر الأنبياء لا نورث**.....» وقد شرح الخطبة علماء وباحثين من جوانب مختلفة في دلالتها اللغوية والفكرية والتشريعية ولا يسعنا في هذه العجالة ان نسلط الضوء على كل ما جاء فيها فهو بحاجة الى التأمل والشرح المفصل لذا نكتفي ببيان ابرز المسائل كتطبيقات متفرقة باعتبارها مصدرا من مصادر التشريع، فكل فعل لها يدل على اباحته كما ان تركها لفعل يدل على عدم وجوبة وقد تكون هناك دلالة أوسع من ذلك فيما

(١) لسان العرب، ابن منظور: ج١٢ ص٥٤٨.
(٢) النهاية في غريب الحديث والاثر، ابن الاثير: ج٤ ص٢٧٣.
(٣) بلاغات النساء، ابن أبي طيفور ص١٢-١٤ حيث يروي الخطبة بطريقين الأول عن زيد ابن علي والثاني عن السيدة زينب عليها السلام.
(٤) السقيفة وفدك، الجوهري، تح: محمد هادي الاميني: ص ١٠٠.
(٥) الامامة والسياسة، ابن قتيبة: ص ١٤
(٦) الطرائف في معرفة الطوائف، ابن طاووس: ص٢٦٣.
(٧) الاحتجاج، الطبرسي: ج١ ص١٣١.
(٨) دلائل الامامة، الطبري: ص ١١١.

لو احتف الفعل بقرائن فانه يحرز في وجه ما من حيث كونه واجبا او مستحبا او مباحا[1]، والتأسي بها يلزم الاتيان بالأفعال التي قامت بها، فاذا كانت واجبة تعبدنا بإيقاعها واجبا وان كانت مندوبة تعبدنا بإيقاعها مندوبة وهكذا بالنسبة للإباحة[2]، وعلى هذا نعرض أهم ما جاء في الخطبة:

١. مما يميز الخطبة ملاحظة إلتزام رواتها بذكر طريقة تهيأ الزهراء عليها السلام للخروج من المنزل وبشكل متفق علية في نص الرواية[3] (لاثت خمارها)، (اشتملت على جلبابها)، (أقبلت في لَمَة من حفدتها)، (تطأ ذيولها).

وفيه دلالة على وجوب الحجاب للمرأة بقرينة قولة تعالى: ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**.... ﴾[4] بأعتباره من الفرائض التي لابد من التزام بها المرأة المسلمة به واخذ الحيطة والتحفظ[5].

وقول الراوي لاثت أي طوته وشدته مرتين[6] دليل على تحفظها من ان يكون مسترسلا الذي قد يبرز منه بعض أجزاء الجسد او الزينة، كما ان التأمل في طريقة تهيئها للخروج يستفاد منه لزوم طي الخمار تحت الجلباب فمستحب تغطية جميع البدن وعدم الاكتفاء بالخمار بل لابد من الستر الطويل الذي يغطي الساقين احتياطا وهو المستفاد من وضع قدمها على اذيال جلبابها فأنه استر للمرأة[7].

كما يستفاد من خروجها في لَمَة من حفدتها امرين:

الأول: خروج المرأة مع غيرها أكثر سترا وحفظا لها من المخاطر خصوصا إذا كان الامر خطيرا.

ثانيا: انه من دواعي الوقار المطلوب في المقام إيحاء بالقوة وإيجاب للهيبة وأوقع في النفوس.

٢. جواز مطالبة المرأة بحقها[8] واتخاذ الموقف الحاسم بفورية المطالبة بحقها المادي والمعنوي

(١) أصول الفقه، محمد رضا المظفر: ج٢ ص٣١٦.

(٢) نهاية الوصول الى علم الأصول، العلامة الحلي: ج٢ ص٥٠٥.

(٣) بلاغات النساء، ابن أبي طيفور: ص ١٢. دلائل الامامة، الطبري: ص٣٠، وغيرهم بحسب البحث السندي المتقدم في البحث

(٤) سورة النور: الآية ٣١.

(٥) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ج٧ ص١٣. مستمسك العروة، محسن الحكيم: ج٥ ص٢٤٧.

(٦) لسان العرب، ابن منظور: ج٢ ص١٨٥.

(٧) الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها. لسان العرب، ابن منظور: ج٤ ص٢٥٧، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ** ﴾ أي مقانعهن، مجمع البحرين، الطريحي: ج٣ ص٢٩٢.

(٨) من فقه الزهراء، محمد الشيرازي: ج٢ ص٧٧.

استحبابا مؤكدا والذي قد يجب في بعض الموارد وهو ما وجب عليها (صلوات الله عليها) من نصرة امام زمانها والمطالبة بحقها المغصوب فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر[١].

٣.ضرورة تحمل المسؤوليات والامتثال لأوامر الله ونواهيه وهي الغاية الرئيسية من البعثة (حملتم)[٢]وهو ما اشارت اليه بقولها «**أنتم عباد الله نصب امره ونهيه**».[٣]

أي لزوم طاعة الله في امر الخلافة وغيرها من التكاليف كما تلزم (صلوات الله عليها) بمراعاة الاهتمام بالقرآن الكريم وان كان ذلك واجبا كفائيا كما يجب استنباط الاحكام الشرعية منه سواء كان بالدلالة المطابقية او التضمنية او الالتزامية او بالدلالة العرفية[٤]، اما العدول الى شرائع أخرى وضعية فهو من المحرمات المؤكدة وهو صريح قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ** ﴾.[٥]

٤.وجوب طاعة أهل البيت عليهم السلام وارشاد الناس الى ذلك لانهم اوصياء النبي صلى الله عليه وآله والخلفاء من بعده وطاعتهم توجب حفظ نظام الامة واستقرارها وحفظ الدين واستحكامه والى ذلك يؤكد صريح القرآن في قوله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[٦]، أي ولاية أمير المؤمنين والائمة من ولده صلوات الله عليهم[٧].

ومما يؤكده قول الإمام الصادق عليه السلام: «**نحن قوم فرض الله طاعتنا في القرآن، لنا الأنفال ولنا صفو المال**»[٨].

٥.مطالبتها بفدك[٩] كونها لها ولعقبها من الأئمة بهبة من الله على لسان رسوله في القرآن وعلى ذلك

---

(١) الكافي الكليني: ج٥ ص٦٠.

(٢)سورة النور: ج٥٤.

(٣)دلائل الامامة، الطبري: ص١١١.

(٤)من فقه الزهراء، محمد الشيرلزي: ج٢ ص٣٣٩.

(٥) سورة المائدة: الآية٤٤.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٧) تفسير العياشي، العياشي: ج١ ص١٩٤.

(٨) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج٩ ص٥٣٢.

(٩) فدك: هي قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله صلحا، فيها عين فوارة ونخل، وقد كانت ملكا لرسول الله صلى الله عليه وآله خالصة، لأنها لم يوجب عليها بخيل ولا ركاب، وقد أعطاها ابنته الزهراء عليها السلام فكانت بيدها في عهده صلى الله عليه وآله، وروي إنه صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: **قد كان لأمك خديجة على أبيك محمد صلى الله عليه وآله مهرا، وأن أباك قد جعلها لك بذلك،**

الأدلة منها قوله تعالى: ﴿ **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[1].

بتفسير ان الحق –آت ذا القربى حقه – هي فدك وهي حق لفاطمة وبنيها[2] مؤكدا هذه الخصوصية والملكية بما ورد في نزول هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ادعوا لي فاطمة**، فدعيت له، فقال: **يا فاطمة**، قالت: **لبيك يا رسول اللّه**، فقال: **هذه فدك، هي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني اللّه –تعالى – به، فخذيها لك ولولدك**»[3].

واحتجت صلوات الله عليها على ارثها من ابيها بأدلة موثقة من الآيات المحكمات التي لا يمكن ردها فاحتجت بتوريث الأنبياء الشامل لأبيها مما يؤكد حقها بالتوريث، كما احتجت بعموم آية الإرث والوصية والتي يجب الاخذ بعمومها من باب التخصيص لا التخصص بلا مخصص وانما يوجب التخصيص والخروج عن هذه العمومات هو فيما لو اختلف الوارث ومورثه في الدين بقولها: «**اولست انا وابي من اهل ملة واحدة**».

وأنحلتكها تكون لك ولولدك بعدك، وكتب كتاب النحلة علي عليه السلام في أديم، وشهد عليه السلام على ذلك وأم أيمن ومولى لرسول الله صلى الله عليه وآله. راجع: معجم البلدان للحموي: ج٤ ص٢٣٨.

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ج٦ ص٤١١. تفسير العياشي: ج٢ ص٢٨٧.

(٣) عيون اخبار الرضا، الصدوق: ج١ ص٣٣. تفسير البرهان، هاشم البحراني: ج٢ ص٤١٥.

الخاتمة ونتائج البحث

وفي الختام نحمد الله تعالى بجميع محامده على أن وفقنا في البحث والدراسة عن أحب الخلق لديه – التي يرضى لرضاها ويغضب لغضبها – لنكشف الحجب عن مقام من مقاماتها لنستنتج أهم ما أفرزه البحث الذي ليس بجديد في الساحة العلمية ولكن لنلفت الأنظار على نقاط عدة نورد أهمها فيما يلي:

١. ثبت بالأدلة القطعية الصريحة من القرآن والسنة الشريفة عصمتها (صلوات الله عليها) وخصوصيتها التي اختصها الله بها وعلو مقامها الشريف ما بين النبوة والإمامة بشاهدة التاريخ الصحيح عن سيرتها الطاهرة والبرهان العقلي.

٢. بعد ثبوت العصمة لها (صلوات الله عليها) تثبت لها الحجية الذاتية المجعولة بوجوب الاتباع ولها مقام التبليغ للأحكام الواقعية بل هي مصدر من مصادر التشريع وهو ما اتفق عليه الاصوليون في مباحث الحجة لديهم، فالسنة الفاطمية هي بعينها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة القران الكريم كمشروع متكامل للهداية والفلاح،

٣. من أبرز مصاديق مجهولية قدر الزهراء عليها السلام هو عدم الاستفادة من كلما صدر عنها (قولا، فعلا، تقريرا) فهناك ضرورة ملحة للتأمل وامعان النظر للاستفادة واستنباط الاحكام الشرعية.

٤. تعد الخطبة الفدكية من أهم الوثائق الشرعية ذات المضامين المتعددة في فلسفة الدين وعقائده وتشريعاته وهي في غاية البلاغة والفصاحة وقوة الحجة والتي تحتاج إلى دراسة أكثر عمقا وتدبرا.

٥. بعد مراجعة اسانيد الخطبة الفدكية وتتبع طرق روايتها ثبت تواترها وشهرتها المؤكدة بشهادة جمع كبير من العامة والخاصة فضلا عن المصادر اللغوية والبلاغية والتاريخية، فما يستفيض من الاخبار يحصل الاطمئنان بصحته فيكون مضمونه معتبرا ناهيك عن توافقه مع مصادر التشريع الأخرى، ومن العجيب ان نجد من يشكك في سندها او نسبتها للزهراء (صلوات الله عليها)، ولو فرض ضعف السند الا انه منجبر بعمل الفقهاء.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأربعين، محمد طاهر القمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ.
- الاسرار الفاطمية، محمد فاضل المسعودي، تقديم عادل علوي، ط١ (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، رابطة الصداقة الإسلامية.
- الأصول العامة للفقه المقارن: محمد تقي الحكيم، ط١ (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) الناشر: بيك فدك
- أصول الفقه، المظفر، تحقيق: صالح حسن زادة المراغي، ط١ (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، مكتبة العزيزي، قم
- أصول الفقه، فاضل الصفار، مكتبة ابن فهد الحلي، كربلاء المقدسة، العراق ط٢، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).
- الامالي، الشيخ الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، ط١ (١٤١٤هـ)
- الامالي، الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر ط١ (١٤١٧هـ.ق)
- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)
- البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحراني، تقديم: محمد مهدي آصفي، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.
- بلاغات النساء، أبي الفضل ابن ابى طاهر طيفور، مكتبة بصيرتي، قم.
- بنور فاطمة اهتديت، عبد المنعم حسن، دار المعروف للطباعة والنشر ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)
- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دار الفكر للطباعة والنشر ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)
- تفسير اطيب البيان، عبد الحسين الطيب، مؤسسة القافة الإسلامية، طهران، ط٣، ١٤١٧هـ.

- تفسير العياشي، أبي النظر محمد ابن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- تفسير القران المجيد، المستخرج من تراث الشيخ المفيد، محمد علي ايازي، مركز الثقافة والمعارف القرآنية، قم.
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تعليق طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، إيران.
- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ط٣.
- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي، صححه: هاشم رسولي، مؤسسة اسماعيليان، قم، ايران.
- الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، الكتاب الكتروني فقط، المكتبة الشاملة.
- الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
- خطبة اللمة -سندها ومكانتها عند الشيعة: محسن الويري، بحث منشور، مجلة العلوم الإنسانية الدولية العدد ١٦، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
- دلائل الصدق لنهج الحق، محمد حسن المظفر، تحقيق مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، دمشق.
- سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب، عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط٢ (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣ (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، محمد باقر المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط١ (١٤١١هـ-١٩٩٠م).
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ (١٣٧٢هـ-١٩٥٦م).
- صحيح البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١ (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الصحيح من سيرة النبي، جعفر مرتضى العاملي، مؤسسة دار الحديث العلمية الثقافية، ط١ (١٤٢٦ق)، قم.
- الصواعق المحرقة في الرد على اهل البدع والزندقة، أحمد ابن حجر الهيتمي، تخريج وتعليق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢ مزيدة ومحققة، مكتبة القاهرة، مصر.
- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى ابن طاووس الحلي، ط١ (١٣٩٩ه)، مطبعة الخيام، قم.
- العين، الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢ (١٤٠٩ه) إيران.
- عيون اخبار الرضا، أبي جعفر الصدوق، محمد بن علي بن بابوية القمي، تعليق: حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٠٤ه، ١٩٨٤م).
- عوالي اللآلئ، محمد بن علي بن إبراهيم الاحسائي، تحقيق: آقا مجتبى العراقي، ط١، (١٤٠٣-١٩٨٣م).
- فاطمة مظلومة التاريخ: عبد الرسول الكاظمي، المركز الثقافي الحسيني، كربلاء، (١٤٣٧ه-٢٠١٦م).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢ (د.ت.ط).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مطبعة عالم الكتب.
- الكافي، الكليني، تعليق: علي أكبر غفاري، ط٥ (١٣٦٣ش)، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الطبعة الأخيرة، (١٣٨٥ه-١٩٦٦م).
- كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبي الحسن علي بن أبي الفتح الاربلي، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢ (١٤٠٥-١٩٨٥م).
- كنز العمال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة لنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- لسان العرب، ابن منظور، نشر ادب الحوزة، قم، ط١، ١٤٠٥ه.

- مجمع البحرين، الطريحي، تح: أحمد الحسيني، نشر مرتضوي، ط٢، طهران.
- مجمع البيان، الطبرسي، تح: لجنة من المحققين، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- مجمع الزوائد، الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي، تح: حسن النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٨هـ.
- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط١.
- مستمسك العروة، محسن الحكيم، منشورات المرعشي النجفي، قم، ط٤، مطبعة الاداب، النجف، ١٤٠٤هـ.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١.
- المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، تح: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار احياء التراث، بيروت، ط١ / ١٩٧٩م.
- المعجم الكبير، الطبراني، تح: حمدي السلفي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢.
- مقامات فاطمة في الكتاب والسنة، محمد السند، دار الغدير، قم، ط٢، ٢٠٠٣م.
- من فقه الزهراء، محمد الشيرازي.
- مناقب أبي طالب، ابن شهر اشوب، تح: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٦م.
- نهاية الوصول الى علم الأصول، العلامة الحلي، مؤسسة الإمام الصادق للطباعة، ط١.
- وسائل الشيعة، الحر العاملي، تح: مؤسسة ال البيت، مطبعة مهر، قم، ط٢، ١٤١٤هـ.
- ينابيع المودة، القندوزي، تح: سيد علي جمال، دار الاسوة للطباعة، ط١، ١٤١٦هـ.

الحق وقيادة المجتمع

قراءة تحليلية في فكر

السيدتين الزهراء وزينب عليهما السلام

الباحثة: أ. د.عهود عبد الواحد عبد الصاحب

المُقَدِّمَة التمهيدية

أنزل الله تعالى كتبه السَّمَاوِيَّة، وأرسلَ رسُلَهُ الهَادِيْنَ المَهْدِيِّيْنَ من أجل إرساءِ مبادئ الحق، وإحقاقه، والانتصار للمظلومين وإرجاع حقوقهم المستَلَبَة، وكان القرآن وهو خاتم الكتب السَّمَاوِيَّة حاملا لهذه المعاني السامية داعياً إلى التَّمَسُّك بها ونُصْرَتِهَا، ولو نظرنا إلى معاني الحق لَوَجَدْنَا أنَّ أوَّلَهَا يَخُصُّ الله تعالى فهو يمثِّل قمَّة الحق؛ لأنَّه مُوْجِدُ الكون ومبدِعُهُ، فأرَانا آياتِهِ فيما أوجد وفي أنفسنا؛ لنتيقَّن أنَّه سبحانه هو الحقُّ المبينُ، وبحكمته جعل كلَّ شيءٍ في مكانه ولم يتَّبِعْ أهواءَ أحدٍ ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ** ﴾[1].

وكان القرآنُ الكريمُ هو الحق؛ لأنَّه صَدَرَ عن منبعِهِ وهو الخالق سُبْحَانَهُ، فلمَّا أضاءَ نورُهُ زهقَ الباطلُ ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾[2].

ولمَّا كان أهل البيت عليهم السلام هم عِدْلُ القرآن وتُرْجُمَانِهِ العملي؛ لذا وصفوا بأنَّهم الحق، يدورُ معهم أينما داروا، ولو اتَّبَع الناس نهجهم وساروا على هديهم لاهتدوا ببصائرهم، وَلَمَا حَلَّ بالأمة ما حَلَّ نتيجة تضييع الحق وسلوك سبيل غير سبيله، لقد انطلق أهل البيت عليهم السلام ومنهم السَّيِّدَة الزَّهْرَاء عليها السلام من القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله في تثبيتِ صُوَر الحق واتباعها في المجتمع، وتَوَسَّمُوا ذلك في السَّيْرِ عليه في قيادة المجتمع، ورأينا ذلك في المعصومينَ عليهم السلام في قيادتهم وفي وصاياهم لمن يوكلون إليه القيادة عند تعيينهم عُمَّالا لهم في الأمصار، ولم تكن نساء أهل البيت عليهم السلام بأقلَّ وضوحا في خُطَبِهِنَّ للإبانة عن الحق ووجوب اتِّبَاعه وجَعْلِهِ منهجاً في الحكم، وقد كانت الظروف التي أحاطت بهِنَّ هي التي جعلتهُنَّ يُعْلِنَّ ذلك على رؤوس الأشهاد في خُطَبٍ عاليةِ البلاغة عظيمةِ المعاني، وقد انتخبتُ منهن شخصيَّتَيْنِ عظيمتينِ:

إحداهما السَّيِّدَة الزهراء التي أبرزت من خلال خطبتها عن مجموعة من الموضوعات وجوبَ اتِّبَاعِ صورة القائد العادل الناجح متمَثِّلَة بأبيها رسولِ الله صلى الله عليه وآله وما قدَّم من تضحيات في سبيل نشر التوحيد وإرساء قواعد الدين الحنيف والعمل بها ضمن دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق ما امر

(١) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨١.

الله به والابتعاد عن كل ما نهى عنه، وإلقاء الحُجَّة والدليلين العقلي والنقلي في المطالبة بحقوقها وجعلتها ظاهرة على الملأ؛ بصوت يصك المسامع وباعتراض سِلْمِيٍّ وبحُجَجٍ لا سبيلَ لدحضها؛ لِتَخُطَّ طريقا يجعل المؤمن شجاعا متسلِّحا بإيمانِهِ وما يُمْلِيْهِ عليه وبقي نهجها سبيلاً للأحرار للاعتراض السِّلْمِيِّ على الحاكم وعدم السكوت عن الحق، واتَّضَحَ لي أنَّ أهل البيت عليهم السلام يجاهرون بآرائهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلون بالتي هي أحسن للتذكير، فالذكرى تنفع المؤمنين؛ ليجعلوا صوت الحق أعمالا تصبُّ في صالحِ الأمَّة وتُذكي جذوة العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان خطاب الزهراء محتوياً على صورة القائد المثالي الناجح لكنَّها منبثَّة يلمحها المُتَمَعِّنُ بمعانيها المتأمِّلُ لسَبْكِ مَبَانِيْهَا، واتِّضَاحِ جمالِ الإقناعِ فِيْهَا، من خلال الدليلين العقلي والنقلي، فالعقلي يبرز خلال الاستنتاج والنظائر، والنقلي يتجلى في الأدلة القرآنية والأدلة المأخوذة من سُنَّةِ رسول الله وإيراد الأمثال العربية التي استعملوها وتعارفوا على معانيها.

والشخصية الأخرى: هي شخصية السَّيِّدَة زينب التي عَدَّدَت عشرَ صفاتٍ ينبغي توافرها في القائد الناجح الحكيم ووجوب أن تتمسك به الأمة؛ لوضوح هذه الصفات فيه وتَجَذُّرِ خصالِ الخير والصلاح في أفعالِهِ، من خلال خطبتها في الكوفة التي نَعَتْ فيها الإمامَ الحسين، وقرَّعَتْ شِرَارَ أهل الكوفة حين حاربوا أخاها وقتلوه وأهل بيته وأصحابه مع معرفتهم به ووضوح سمات القيادة الحقَّة فيه، وإرسالهم في طلبه وبيان حاجة الأمة له حَتَّى إذا لبَّى نداءهم غدروا به وضيَّعُوْهُ، فهم أشدُّ الخاسرينَ؛ لتفريطِهِمْ بالحقِّ وتمسُّكِهِمْ بالباطل.

فكانت صورةُ القائدِ واضِحَةً، أبانتْ مواضع حاجَةِ الأمة لهُ مع اختلافِ الظُّرُوْفِ التي تمرُّ بها وتباينِ أحوالِهَا.

وبِمَا أنَّ صَوْتَ النِّسَاء في ذلك الوقت كان خافتاً، فقد وجدنا صوتَ نساءِ أهل البيت عليهم السلام مدوِّياً بِمَا تسلَّحَ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وخُلُقٍ وحُجَجٍ رَسَمَتْ معالم طريق الحُرِّيَّة وعاضد ذلك ما امتلكنه من شخصيَّات لها ثقلها عند الناس لِصِدْقِهَا وعِلْمِهَا وتَدَيُّنِهَا وَعُلُوِّ شأنها عند الله ورسوله وعند الرَّعيَّة.

ولَمَّا كان المؤتمر الذي نحن بِصَدَدِهِ عن روح النبوة وهي السَّيِّدَة الزَّهْرَاء عليها السلام فقد وجدت الفرصةَ سانحةً للحديثِ عن عظيم ما قامت به والتَّذْكِير بالرجوع إلى منهج رسول الله صلى الله عليه وآله لتستقيمَ الأمَّة، ووجدت ذلك مستمراً في سَيْرِ ابنتها السَّيِّدَة زينب عليها السلام على نهجها في إبراز وجوب التَّمَسُّك بِمَنْ يحمل مبادئه وهو الإمام الحسين عليه السلام وبيان حاجة المجتمع له؛ ليرتقيَ إلى مصافِّ المجتمعات القوية التي تقوم

أسُسُهَا على ركائزَ راسخةٍ وهي رسالةٌ للأجيال الإسلامِيَّة جمعاء أن تسيرَ على بصيرةٍ ترشدها للقائد الحق الذي يحمل هموم الأمة ويعمل على إسناد أبنائها وإعطائهم كل ما يملكُ من صلاحٍ وخبرةٍ، والتضحية من أجلهم بالغالي والنَّفِيْسِ.

إنِّي لأجد أنَّ اختيار شخصيات أهل البيت عليهم السلام والإفادة مما تمخَّض عن تجاربهم ليكون نصب أعيننا نفيد منه لخير عاجلنا لنرتقي كما ارتقت الأمم الأخرى التي افادت من عظيم تراثها ونيِّر أفكار رموزها؛ ولما كانت الساحة خالية مما يمكن أن يسلك بنا المحجَّة البيضاء غير منهج الحق المتمثل بأهل البيت عليهم السلام؛ لذا وجدت من الأهمية بمكان أن أفيدَ من عمق تجربتين عظيمتين تعكسان ارتقاء المستوى الفكري للمرأة المسلمة المؤمنة وهما تجربتا السيدة الزهراء عليها السلام وابنتها السيدة زينب عليها السلام؛ عسى أن اتمكن من كشف النقاب عن عظيم المحتوى وسمو الأداء.

قراءة في مفاهيم العنوان

الحق: لغة: مشتق من الجذر الثلاثي (حقق)، قال الأزهري: «الْحق: نقيض الْبَاطِل، تَقول: حَقّ الشيءُ يَحِقّ حَقّا مَعْنَاهُ: وَجب يجب وجوبا»[1]، وذكر الزمخشري زيادة على ما ذكر: «وحققت الأمر وأحققته: كنت على يقين منه. وحققت الخبر فأنا أحقه: وقفت على حقيقته. ويقول الرجل لأصحابه إذا بلغهم خبر فلم يستيقنوه: أنا أحق لكم هذا الخبر....».[2]

الحق اصطلاحا: عرِّف الحق تعريفات كثيرة وجدت أقربها: «إن الحق الطبيعي هو الحرية التي يمتلكها كل شخص وتمكنه من استعمال سلطته الخاصة كما يريد، وذلك للمحافظة على طبيعته المميزة له، وبتعبير آخر، للمحافظة على حياته الخاصة. وبالتالي تمكنه من القيام بكل ما يعتبره وفقا لحكمه وتفكيره الخاصين الوسيلة الأكثر ملاءمة لتحقيق ذلك»[3].

ولو نظرنا إلى معاني الحق لَوَجَدْنَا أنَّ أوَّلَهَا يَخُصُّ الله تعالى فهو يمثِّل قمَّة الحق؛ لأنَّه مُوْجِدُ الكون ومبدِعُهُ، فأرَانا آياتِهِ فيما أوجد وفي أنفسنا؛ لنتيقَّن أنَّه سبحانه هو الحقُّ المبينُ، وبحكمته جعل كلَّ شيءٍ في مكانه ولم يتَّبعْ أهواءَ أحدٍ ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ** ﴾[4].

وكان القرآنُ الكريمُ هو الحق؛ لأنَّه صَدَرَ عن منبعِهِ وهو الخالق سُبْحَانَهُ، فلمَّا أضاءَ نورُهُ زهقَ

(١) تهذيب اللغة: باب الحاء والقاف، ج٣ ص٢٤٢، مجمل اللغة: ج١ ص٢١٦.
(٢) أساس البلاغة: ج١ ص٢٠٣.
(٣) الحق والعدالة: ص١٠.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

الباطلُ ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1].

ولَمَّا كان أهل البيت عليهم السلام هم عِدْلُ القرآن وتُرْجُمَانِهِ العملي؛ لذا وصفوا بأنَّهم الحق، يدورُ معهم أينما داروا، ولو اتَّبَع الناس نهجهم وساروا على هديهم لاهتدوا ببصائرهم، وَلَمَا حَلَّ بالأمة ما حَلَّ نتيجة تضييع الحق وسلوك سبيل غير سبيله.

وارتقاء المجتمع: هو تحسُّن أحواله وانتقاله إلى الرقي أسوة بالمجتمعات الراقية بما يتوافر فيه من أسباب اجتماعية وأخلاقية وتربوية تجعله عاملا بأسباب الرقي محوِّلا مسيرته نحو البناء الاجتماعي والأخلاقي السليمين ويستقرا ذلك من خلال مخرجاته وما يحمله أبناؤه من مبادئ وقيم وإنجازات تؤهلهم أن يكونوا في طليعة المجتمعات التي يشار إليها بالبنان.

ولولا المنهج التربوي والأخلاقي الذي حمله نهج أهل البيت عليهم السلام لما استطعنا ان نجد التطبيق العملي لمنهج القرآن الكريم الذي أخرج الأمة من الظلمات إلى النور بفضل رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسعيه العظيم للارتقاء بالمجتمع الإسلامي وجعله أسوة ومثلا اعلى للمجتمعات المتنوِّرة، وحريٌّ بنا ان نستفيد من ذلك النهج ونقطف ثماره باقتفاء آثاره وتطبيق نهجه السليم في حياتنا؛ لنصل إلى خيري الدنيا والآخرة.

لقد تطرَّقت في هذا البحث الذي وسمته بـ «الحقّ وقيادة المجتمع قراءة تحليليَّةٍ في فِكْرِ السَّيِّدَتَيْنِ الزهراء وزينب عليهما السلام» إلى نَهْجِ السَّيِّدَتين في إبراز الحق والتأكيد على ضرورة العمل به، وأثر تَرْكِهِ في خلخلةِ البناء الفكري للمجتمع، ليسَ في زمَنِهِ الماضي وحسب، بل في الزمن الحديث الذي تجني الأجيالُ آثارَهُ إلى يومنا هذا، وجاء البحث بعد هذه المقدمة التمهيدية بمبحثين:

أمَّا الأوَّلُ فهو (خطاب الزَّهْرَاء عليها السلام بين إظهار الحق ورسم صورة القائد الأمثل)

وقد أوضحتُ فيه منهجَهَا في المطالبة بالعمل بمنهج العَدْلِ وتكريس صورة قيادة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبيان التَّضْحِيَات التي قدَّمها أبوها الرسولُ واتِّبَاعُ زوجِهَا أميرِ المؤمنينَ عليه السلام طريقته والسير على هديه في سبيل إعلاء الدين الإسلامي ونشر معالمه ومطالبة المجتمع والسكوت باتباع الحق ومحاججته بأحقيتها من خلال الحجج البيِّنة في خطابها واستثمار طاقات اللغة العربية التعبيرية، وإيراد الأدلة المختلفة التي تعضد تلك الأحقيَّة.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨١.

وأمَّا الثاني فهو: (خطابُ السَّيِّدَةِ زينب عليها السلام والصفاتُ العشرُ للقائدِ الحقِّ)

وتناولت فيه إيضاح السَّيِّدَة زينب للقائد من خلال ذِكْرِ عشرِ صفاتٍ للقائد المتمكِّن الحريص على أُمَّته، وهذه الصفات تمثَّلَتْ بالإمام الحسين عليه السلام، الذي حاربَهُ الحاكمُ وجَهَّزَ لقتاله الجيشَ الجرَّارَ مع عِلْمِهِ بمؤهِّلاته وعَظَمَةِ مشروعِهِ الإصلاحي التنموي؛ فوجودُهُ الصَّالِحُ يهدِّدُ دولةَ الظُّلْمِ ويهدم أركانها؛ لذا أمر الحاكم بمقاتلته والتشنيع في قَتْلِهِ والقضاء على المؤمنين بنهضته، وقد أوضحت السيِّدَةُ فداحة خسارة الذين حاربوه في وقت هُمْ بأمسِّ الحاجة لوجوده، وأوضحت خسارة الامة الإسلامِيَّة عموماً له؛ ممَّا انعكس سلباً على استقرارِ المجتمع وإذلالِ أهلِهِ؛ لعملِهِمْ بالباطلِ ومحاربةِ الحقِّ.

وختمته بخاتمة بيَّنْتُ فيها أبرزَ النتائجِ، وأتبعتها بقائمةٍ لمصادرِ البحثِ ومراجِعِهِ، داعيةً الله تعالى أنْ يُوَفِّقَنِي لسَبْرِ غِمَارِ هذينِ الفِكْرَيْنِ النيِّرين واستخراجِ لآلِئِ بَحْرَيْهِمَا.

وآخرُ دَعْوَانَا أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ.

المبحث الأول: خِطَابُ الزَّهْرَاءِ بينَ إظهارِ الحقِّ ورَسْمِ صورةِ القائدِ الأمثل

لقد علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمنينَ أصولَ الحياة الكريمة فقال: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[1]؛ وكان أهل البيت عليهم السلام هم أوَّل الناس عملا بهذه الأصول رجالا ونساء، ولمَّا كان هذا البحث منصبا على رسم صورة القائد الأمثل من خلال الخطاب النسائي لأهل البيت عليهم السلام فلابد من الحديث عن الشخصيتين لمعرفة أسس بنائهما وكيفية انعكاس هذه المبادئ في التربية الكريمة التي تلقَّتاها بين حضني النبوة والإمامة فكان الناتج فخرا للمجتمع وللإسلام وللإنسانية.

إنَّ السيدة فاطمة الزهراء أشهر من نار على علم قد أذهب الله تعالى عنها الرجس وطهرها تطهيرا كما طهَّر جميع أهل البيت عليهم السلام وأفاض سبحانه كما أفاض رسوله في ذكر مناقبهم في مثل آية التطهير: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾[2] وآيةِ المُبَأهلةِ ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾[3] وآية المودة ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾[4] وهذا ما يجعلني أُدْرِكُ عظمةَ قولِ رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا أيُّها الناسُ إنِّي قد تركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا ما إن تمسَّكتم بهما كتاب الله وأهل بيتي، فإنَّ اللطيفَ الخبيرَ قد عَهِدَ إليَّ أنَّهما لن يفترقا حَتَّى يردا عليَّ الحوض كهاتين - وجمع بين سبَّابتيه - لا كهاتين - وجَمَعَ بينَ سَبَّابَتِهِ والوسطى - لأنَّ إحديهما قُدَّام الأُخْرَى فتمسَّكوا بِهِمَا لا تَضِلُّوا ولا تولَّوا ولا تَقَدَّمُوْهُمْ فَتَهْلَكُوا ولا تعلِّمُوهُمْ فإنَّهم أعْلَمُ مِنْكُمْ**»[5].

---

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله (صحيح مسلم): ج٤ ص٢٠٥٢ باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ووردت رواية أخرى: «**وَإِيَّاكَ وَاللَّوَّ، فَإِنَّ اللَّوَّ تُفْتَحُ مِنَ الشَّيْطَانِ**» مسند الإمام أحمد: ج١٤ ص٣٩٥.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٤) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٥) كتاب سُلَيْم بنِ قيسٍ الهلالي: ج٢ ص٨٩٤.

وورد في رواية أخرى: «**إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أهل بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا بِمَا تَخْلُفُونِي فِيهِمَا**»[1]، فهذا التلازم الذي لن يَفْتَرِقَ إلى يوم القيامة يدلُّ على حُرْمَةِ الْمُتَلَازِمَيْنِ.

وتطبيقا لما نادى به أبوها رسول الله ﷺ فإنّ السَّيِّدَة الزَّهْرَاء عليها السلام لم تسكت، «لَمَّا أجمعَ أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً، وبلغها ذلك، لاثتْ خِمَارَهَا على رأسِهَا، واشتملتْ بِجِلْبَابِهَا، وأقبلتْ في لُمَّةٍ من حَفَدَتِهَا ونساءِ قومِهَا، تطأُ ذيولُهَا، مَا تخرمُ مِشْيَتِهَا مِشْيَةَ رسولِ الله ﷺ، حَتَّى دخلتْ على أبي بكْرٍ وهو في حشدٍ من المهاجرينَ والأنصارِ وغيرِهِمْ»[2]، والمُلاَحَظ أنَّ السَّيِّدَةَ عليها السلام قد وظَّفت كل إمكانياتها لخدمة غرضها الأساس وهو إبرازُ الحقِّ وبيانُ حاجةِ الأمَّة للقائد الحكيم الذي يعمل على قيادتها على ذلك الأساس من خلال رسم صورته متمثِّلاً برسولِ الله ﷺ ومعاونَةِ أميرِ المؤمنين عليه السلام: من خلال مراعاة ما يأتي:

- العناية بما يذكِّرُهُمْ برسولِ الله ﷺ: من خلال تذكيرهم بمشيته وهيئته فهي أشبهُ الناسِ بمشيتِهِ يدلُّ على ذلك وَصْفُ ناقلِ الخُطْبَة في طريقة دخولها: «تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ» تَطَأُ ذيولَهَا، مَا تخرمُ مِشْيَتِهَا مِشْيَةَ رسولِ الله ﷺ[3]. فقد تهيَّأ القوم للاستماعِ مِنْ منبعِ الرِّسَالَةِ. والمُلاَحَظ على طريقة الدُّخُوْلِ أنَّها كانتْ مهيبةً وتُمَثِّلُ اعتراضاً سِلْمِيًّا مهيباً؛ لأنَّ السَّيِّدَة لم تدخلْ لِوَحْدِهَا إنَّما في جماعةٍ من حَفَدَتِهَا ونساءِ قومها، وأنَّها كانت بمنتهى الحشمة اللائقة بسيِّدَةِ نساء العالمين[4] وأنَّ ذلك كانَ في مقرِّ الخلافة وأمَامَ حَشْدٍ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ؛ ليكون ما جرى علنيًّا، وهو رسالةٌ للأجيالِ في عدمِ السُّكُوْتِ على غَمْطِ الحقوق والمطالبة بكلِّ أدبٍ وعلميَّةٍ مِصْدَاقاً لقولِهِ تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾.[5]

---

(١) مسند ابن الجعد: ج١ ص٣٩٧، فضائل الصحابة: ص٥٨٥، مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج١٧ص٢١١، الجامع الكبير (سنن الترمذي) تح بشار عواد معروف: ج٦ ص١٣١.

(٢) الاحتجاج: ج١ ص١٣١ -١٣٢.

(٣)الاحتجاج: ج١ ص ١٣٢.

(٤) أورد الرواة حديث رسول الله: «**يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**»، «**أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**» منهم أبو داود الطيالسي: مسند أبي داود الطيالسي: ج٣ ص٥، والإمام أحمد بن حنبل،مسند أحمد: ج٤٤ ص١٠، والبخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه =صحيح البخاري: ج٨ ص٦٤، ومسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم): ج٤ ص١٩٠٤.

(٥) سورة النحل: الآية ١٢٥.

- حُسْنُ إدارة فنِّ الحوار والتعامل مع استجابة الجمهور: كانت السَّيِّدَة الزهراء على دراية تامة بفن إدارة الموقف ومن ذلك استجابة الجمهور فقد اورد ناقل الخُطْبَة ما حصل في المجلس بقوله: «فجلست ثم أَنَّتْ أَنَّة أجهشَ القومُ لها بالبُكَاءِ، فارتجَّ المجلسُ، ثم أمهلتْ هنيئة حَتَّى إذا سَكَنَ نشيجُ القومِ وهدأتْ فورتُهُمْ، افتتحتِ الكَلَام»[1] فعندما سمعت السَّيِّدَة الزَّهْرَاء عليها السلام بكاء الجمهور المستمع أمسكَتْ عن الكلام، فلمَّا هدأت فورتهم: أي سَكَتُوا بدأت خطبتها فافتتحتها كما هو معتاد بحمد الله والثناء عليه ثم صلَّت على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فعاد القوم في بكائهم، فتوقَّفَتْ، وهذا يدلُّ على تمكُّنها وضبطها، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، أي أنها عليها السلام كانتْ على درايةٍ كُبْرَى بفنَّ التعامل مع تفاعل الجمهور، فتتكلم وتتوقف بحسب ردودِ أفعال المتلقين مع ما يصدر منها فتتوقف عندما يبكون وتستأنف عندما يهدؤون؛ لتضمن إنصاتهم لخطابها وفهمهم لما أرادت إيصاله إليهم.

- قوَّة استدلالِ السَّيِّدَةِ الزهراء عليها السلام من خلال إثراءِ فاعليَّة الحوار الذي إدارته مع المخاطب ودَخَلَتْ بشكلٍ واضحٍ في منطقةَ قناعاتهِ وهي أدرى بتلك الفاعلية إذْ كانتْ مُحيطةً بروافدها ومستوياتها بشكلٍ أظهر قابليتها على التواصل مع المتلقين والتأثير فيهم، فكان المخاطبُ مَدارَ عنايتها سواءٌ أكان أعلى السلطة وهو الخليفة الأول عند حواره المباشر، أم الأنصار عندما وَصَفَتْهُمْ بالقوَّة التي أمدُّوا بها الدَّعْوَةَ الإسلامِيَّة ومناصرتها في وقتها الأوَّل واختلاف موقفهم بعد التحاقِ أبيها الرسولِ الأكرمِ محمَّدٍ صلى الله عليه وآله بالرفيقِ الأعْلَى.

-أبانتْ صورةَ القائدِ الحكيمِ الناجحِ من خلالِ خطابِهَا عليها السلام عندما وصفت ما قام به أبوها رسول الله في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وارتباطه بنهج النور الإلهي: «**فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ**»[2]، فأشارت إلى أنَّ عمل الرسول كان من أجل إبراز الحق ليسفر ويكون واضحا وترسو قواعده قوية الجذور.

لم تبيِّن السَّيِّدَة عليها السلام صورةَ القائد مباشرة وإنما مَهَّدَت لها من خلال بيان عظمة ما جاء به وهي دعائم دعوته المرتبطة ببيان توحيد الله وعظمته واستحقاقه للحمد الدائم، وإيضاح أصول العقيدة وتفصيل ركنيها: التوحيد والنبوة، فقالت حامدة الله مُمَهِّدَة للتوحيد: «**الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ**

(١) الاحتجاج: ج١ ص١٣٢.

(٢) الاحتجاج: ج١ ص١٣٥ وقد ورد في التذكرة الحمدونية: ج٦ ص٢٥٦.

الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الْخَلايِقِ بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها».(١)

وكأنِّي أستشف من ظلال المعاني أنَّهَا تحثُّ الناسَ على حَمْدِ الله بألوانِ الحَمْدِ التي لا تُحْصَى وأنواعِ الآلاءِ السابغةِ المتواليةِ، فلولا أبوها رسول اللهﷺ لَمَا عُرِفَ اللهُ حقَّ معرفتِهِ وَلَمَا استتبَّ حكْمُ دولةِ الإسلامِ بهذِهِ القُوَّةِ.

وأشارتْ إلى الكيفيَّةِ الَّتي علَّمَهُم إيَّاها أَبُوْهَا الرسولُﷺ: «**وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها**».(٢)

وأشارت إلى ماهيَّةِ الخَالِقِ سبحانَهُ: «**الْمُمْتَنِعُ مِنَ الإبْصارِ رُؤْيتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ**»(٣)، وإلى بديعِ خلقِهِ: «اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ»(٤).

وأشارت إلى انه سيجزي الخلق على أعمالهم إنْ خيرا بخيرٍ وإنْ شَرًّا بِشَرٍّ «**ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ**» تعزيزا لروح الخير في نفوسهم ليسارعوا في الخيرات.

الركن الثاني من الشَّهَادَةِ: النبوَّة

أشارت السَّيِّدَة الزَّهْرَاءعليها السلام إلى النبوة التي من خلالها نَفِذَت الى تعداد صفات القائد الناجح الحكيم حين أشارتْ إلى الرُّكْنِ الثَّاني من الشَّهَادَةِ: «**وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداًﷺ عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطَفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُورِ، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ**».(٥)، لتبينِّ أهمِّيَّة أبيها رسول اللهﷺ وتهيئة الله تعالى لمجيئه بالاختيار

(١) الاحتجاج: ج١ ص١٣٢.
(٢) م. ن: ج١ ص١٣٢ ـ ١٣٣.
(٣) م. ن: ج١ ص١٣٣.
(٤) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.
(٥) الاحتجاج: ج١ ص١٣٢.

والانتجاب والتسمية والاصطفاء، وفي ذلك إشارة الى ضرورة أنْ يكونَ القائدُ صالحاً في المَنْبَتِ وتكوين الشخصية القويَّة المحصَّنَةِ بِحُسْنِ الخُلُقِ والحِكْمَةِ فاختيارُ الله لرسولِهِ وخلقِهِ كان متعمَّدا لتؤسيخ هذه المعاني.

أمَّا صورةُ القائدِ التي رسمَتْهَا فهي مستنبطةٌ من معالمِ قيادتي رسول الله صلى الله عليه وآله وأميرِ المؤمنين عليه السلام التي ذكرتها في أثناء خطبتها، وذلك ما استنبَطْتُهُ أنا من خُطْبَتِهَا الشَّرِيْفَةِ:

١ـ توحيد الأممِ المتفرِّقَةِ وجَمْعِهَا بالرَّأيِ الصَّائِبِ الحكيم؛ لتكونَ أمَّةً واحدةً أشدَّ قوَّةً وأكثرَ تراصًّا من خلال توحيدِهَا على كلمةِ الإيمان وإذابةِ الفروقاتِ الحضاريَّة والعقائديَّة واللغويَّة بين أبناء الأمَّةِ، قالت واصفةً حال الأمم المتفرِّقَةِ التي أرْسِلَ الرسولُ إليها بأنَّها كثيرة الأديان قليلة الإيمان منكرة لله على الرُّغْمِ من معرفتِهَا بِهِ: «**فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نِيْرَانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها**»(١).

٢ـ تغيير حال الأمَّة الفكري والعقائدي المظلم بتعدد الآلهة وتوحيد فكرها الإيماني المؤمن بوحدانية الله تعالى واستحقاقه للعبادة، ووصفت ما قام به الرسول من عمل عظيم: «**فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها**»(٢).

٣ـ نَشْر الوعي وتوجيه البَصِيْرَةِ نحوَ الانفتاحِ وليْسَ نحوَ التعصب وهدايتها للطريق المستقيم الذي يُنِيْرُ العقول وينقذُهَا من الهَلَكَةِ، حيث قالت: «**وَقَامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ**»(٣).

٤ـ العمل على نشر الدِّيْنِ الجديدِ وتوحيدِ الناسِ تحتَ رايتِهِ: «**وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّرِيقِ المُستَقيمِ**»(٤)، فقد أنقذ الأمة وجَمَعَهَا في ديْنِ الله الواحدِ وأخرجَ أبناءَهَا من ظلماتِ الجهلِ إلى نورِ الإيمانِ.

٥ـ ذكرتِ السَّيِّدَة من صفاتِ القائد المُلْهَمِ ما تَضَمَّنتْهُ الآيةُ الكريمةُ في وصفِهِ وهي خمسُ صفاتٍ:

أ ـ أنَّهُ منهم، أي أنَّهم يعرفونَ منبتَهُ الطيِّبَ وأخلاقَهُ وسجاياهُ، ولم يُفْرَضْ عليهم مِنْ خارجِ بيئتِهِمْ

(١) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.
(٢) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.
(٣) م. ن: ج١ ص١٣٣.
(٤) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.

ب ـ عزيزٌ عليه ما يُعْنِتُهُمْ ويشقُّ عليهم، فهو الَّذي يُحِبُّهُمْ ويعملُ على كلِّ ما ينفعهم

ج ـ حريصٌ عليهم فلا يأتي إلَّا بِمَا فيه صلاحُهُم ونَفْعُهُمْ.

دـ رؤوف رحيم بالمؤمنين أي أن طريقته تتمثل بالرأفة والرحمة وعدم الظلم وإحقاق الحق.

قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾.(١)

وهنا توقَّفت السَّيِّدَة لتعود بالحديث إلى المخاطبين وجعلت نهاية الحديث عن أبيها بقولها: «**ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إليْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاختِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ فمُحَمَّدٌ ﷺ عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفَّارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيَّهِ وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ**»(٢) وكأنَّهَا تقولُ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ لقد لاقى أبي من العَنَتِ في دعوته ما أتعبه، فكان الموت راحةً له، وهذا حقيقي فلقد قال ﷺ عن ذلك: «**مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ فِي اللهِ**»(٣). فأبدله الله بخير ممن أتعبه بالملائكة الأبرار وبرضوانه، وقد اختارت من صفات الله تعالى ما يناسب معناها، فجعلت (الغفَّار) في رضاه عن النبي ﷺ؛ فهو راض عن مسيرة حبيبه، و(الملك الجبَّار) في مجاورة النبي ﷺ ؛ لتضفي عليه القوة فهو بجوار مالك السماوات والأرض وما فيهن، القادر على أهلاك المتجبرين.

بعدها انتقلت إلى جمهور المؤمنين وما يفترض أن يتحلوا به من الصفات التي تناسب من كان مع النبي واتَّخَذَه أسوةً حسنة، وتفقَّهَ بدينِهِ واتَّبَع أوامر الله واجتنب نواهيه «**أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ**»(٤) فهل كان المسلمون على الشاكلة التي وصفتها ؟!!، وهل تمسَّكوا بما أمرهم الرسول ﷺ أن يتمسَّكُوا به: «**وَزَعَمْتُمْ حَقّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ....**»(٥) وأشارت إلى كتاب الله الذي تَوَجَّبَ عليهم العمل به فوصفته قائلة: «**كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ،**

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٢) الاحتجاج: ج١ ص١٣٣.

(٣) حلية الأولياء: ج٦ ص٣٣٣.

(٤) الاحتجاج: ج١ ص١٣٣.

(٥) م. ن: ج١ ص١٣٤.

مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ»[1] فهذه الأوصاف الكثيرة للقرآن ومنها أنَّه «**بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ**»[2] أرادتْ بها الاستدلالَ على أنهم لم يتمسَّكوا بها فخالفوا ما حملته آياته التي ستحاججهم بها وهي ذات معانٍ قاطعةٍ لا سبيل لتأويلها «**بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ**»[3]؛ لذلك استعانت بآياته لمحاججتهم؛ لأنهَّا حجج منوَّرة وعزائم مفسَّرة، وبيِّنَات جليَّة لا سبيلَ لدحضها ومن خالفها كانت نتيجته أنه خالف القرآن الذي هو «**قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ**»[4] بمعنى أنَّه سيكونُ في عدم رضوان من الله، ولا يصلُ جادَّة النجاة لتركه سماع معاني القرآن واتباعها.

التعريف بنفسها وأهَمِّيَّة أبيها وأنَّها تمَّت له بِصِلَتَيْنِ، انَّه أبوها وهو أخ[5] لزوجها، ثُمَّ قالت: «**أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ**ﷺ، **أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً... فَإنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ**ﷺ»[6]، وهنا ركَّزت على اختصاصها بالرسولﷺ، من الطريقين آنفي الذكر وأن ما يصدر عنها مدروسٌ خالٍ من الغلط والشطط.

– رسم خارطة منهج عمل القائد من خلال التبليغ، قالت السَّيِّدَة عن منهج أبيها أنَّه احتوى على:

أ. التبليغ والإنذار، حين قالت: «**فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ**».[7]

ب ـ الابتعاد عن المشركين ومقاتلتهم، قالت: «**مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ**».[8]

(١) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.

(٢) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.

(٣) الاحتجاج: ج١ ص١٣٤.

(٤) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.

(٥) لقد آخى النبي بينه وبين الإمام عليعليه السلام يوم آخى بين المهاجرين والأنصار إذ قال الإمام علي للنبيﷺ: «فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحَابِكَ وَلَمْ تُؤَاخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ**، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهﷺ: **أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»، سنن الترمذي، ت بشارعواد معروف: ج٦ ص٨٠، المعجم الكبير: ج١٣ ص١٩٨، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٦.

(٦) الاحتجاج: ج١ ص١٣٤– ١٣٥.

(٧) م. ن: ج١ ص١٣٥

(٨) الاحتجاج: ج١ ص١٣٥.

ج ـ الدعوة إلى الله بالحكمة وبالحرب بحسب المقابل: فمن اهتدى بالحكمة والموعظة الحسنة فذلك خير «**داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ**» ومن رفض فالقتال هو السبيل إليه: «**يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ**»، وقد شُهِدَ للرسول صلى الله عليه وآله ركونه إلى الحكمة والموعظة الحسنة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

د ـ الاستمرار في الجهاد حَتَّى وصل غايته: قالت السَّيِّدَة عليها السلام.

«**حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ**»؛ لتوضح مقدار تضحيات الرسول صلى الله عليه وآله من أجل إتمام الدين وبلوغ الغاية في بناء المجتمع المسلم، وبيَّنت أهَمِّيَّة ما فعله أبوها لهذا المجتمع وتغييره من البداوة وشظف العيش إلى الحضارة والرفاهية ومن الضَّعْفِ والهوان إلى القوة فبعد أن عانوا من عدم احترام من الأمم المجاورة أصبحوا أصحاب مكانة قوية تغلب الأمم المتطورة.

وقد ضربت أربعة امثلة متتابعة تدل على هوان المكانة هي: «**مُذْقَةَ الشّارِبِ**» وتعني: الشربة القليلة للشارب المُتَعَجِّل الذي يرضى بالقليل وهو مثل «يضرب للقنوع بالقليل»[1].

وَ «**نُهْزَةَ الطّامِعِ**» أَي هُم «**صَيْدٌ لكلّ أحد**»[2] فهذا يدلُّ على مَثَلٍ يُضْرَبُ لسهولة السيطرة عليهم وكثرة الطامعين بهم يقولون: فلان كان نهزة المختلس، أي فرصة لاختلاسه لأنَّه سهل السرقة[3].

وَ«**قُبْسَةَ الْعَجْلانِ**»، مثل مُعَزِّزٌ لسابِقَيْهِ، يدلُّ على الأخذِ السَّرِيْع من النار القبس، وقد أورد الزمخشري ما نقله وزاد عليه: «خُذْ لي قَبَساً من النار ومقبساً ومقباساً، واقبس لي ناراً واقتبس، ومنه: ما أنت إلا كالقابس العجلان أي كالمقتبس، وما زورتك إلا كقُبْسَةَ الْعَجْلانِ»[4].

وهذه عادة يقوم بها العجلان أي الذي هو على عجلة من أمره يأخذ ما أمامه من نار حَتَّى وإن لم تكن ذات إضاءة كافية؛ لحاجته للسرعة في اقتناص الوقت. أي أنتم ـ أيُّها الحاضرون لستم أصحاب ثقل مكانة ومن أراد أن ينال منكم تمكَّن من ذلك بكل سهولة، فأنتم كالنار سريعة الانطفاء، التي يأخذها المُتَعَجِّل بسرعة ومن غير تمحيص.

---

(١) ينظر مجمع الأمثال: ج٢ ص٢٨٧.

(٢) تهذيب اللغة: أبواب الهاء والزاي: ج٦ ص٩٣.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٥ ص١٣٥.

(٤) أساس البلاغة: مادة (قبض).

وَ«**مَوْطِئَ الأَقْدامِ**» وقد أورد ابن منظور قول ابن الأثير: «وتَوَطَّأْتُهُ بقَدَمِي مِثْلُ وَطِئْتُه. وَهَذَا مَوْطِئُ قَدَمِك»(١)، أي المكان الذي يمكن للقدم أن تطأه، وهنا قصدت السَّيِّدَة عليها السلام أنتم لستم رفيعي المستوى كقمم الجبال بل شبهتهم بمكان مهيأ لتطأه الأقدام.

وأحْسَنَتْ في ذلك؛ لِمَا في التَّمْثِيْلِ من أهَمِّيَّة، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى تلك الأهَمِّيَّة برأيه، فالتمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ تلك المعاني باختصار في مَعرِضه، فنقلها عن صُوَرها الأصليَّة إلى صورته، عند ذاك يكون قد كساها أُبَّهَةً، وأكَسَبها مَنْقَبةً، لترتفع أقدارها، وتشَبَّ نارها، وتتضاعف قُوَاها لتحريك النُّفوس لها، ودعوة القُلوب إليها(٢)، أي أنَّ المجاز كان سبيلها لإظهار ذلك الهوان ثمَّ صرَّحت بعد المجاز بقولها: أذِلَّةً خاسِئِينَ، واستعانت بآية كريمة تدلُّ على الضَّعْفِ والخوف من الآخرين «﴿ **تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ** ﴾(٣)**مِنْ حَوْلِكُمْ**».(٤)

فقد كانوا يعيشون بشظف من العيش «**فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله **بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي**»(٥)، أي بعد أن مررت بأنواع الدواهي، وممَّا يدلُّ على ثقافة السَّيِّدَة الزهراء الواسعة استعمال الأمثال في أماكنها ومنها قولها: «**بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي**» وهو مثل يُضرب لنوعي الداهية الكبيرة والصغيرة، قال الميداني في شرح المَثَل: «وكَنَّى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحيَّة، فإنها إذا كثر سمها صغرت؛ لأنَّ السم يأكل جَسَدها، وقيل: الأصل فيه أن رجلاً من جَدِيس تزوج امرأة قصيرة، فقاسى منها الشدائد، وكان يعبِّرُ عنها بالتصغير، فتزوج امرأة طويلة، فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة، فطلَّقَها، وقال: بعد اللَّتَيَّا والَّتِي لا أتزوج أبدا، فجرى ذلك على الداهية، وقيل: إن العرب تصغِّر الشيء العظيم، كالدُّهَيْم واللُّهَيْم، وذلك منهم رَمْز»(٦)، فحبيب الله صلى الله عليه وآله أنقذ العرب من المصائب والمصاعب والدواهي وغيرَّ حياتهم نحو الأفضل.

هـ مقاتلة الرسول للرجال الأشداء «**وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أهل الْكِتابِ**»(٧) أولئك الذين لهم دهاء وهم معاضدون للشيطان بل هم قرون له ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا**

(١) لسان العرب، فصل الواو، مادة (وطأ): ج١ ص١٩٩.
(٢) يُنظر أسرار البلاغة: ص١١٥.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٦
(٤) الاحتجاج: ج١ ص١٣٦.
(٥) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.
(٦) مجمع الأمثال: ج١ ص٩٢.
(٧) ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ** ﴾.

لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾[1]، **أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلْشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**»[2]، فهم من أكثر الأعداء دهاء وبسالة.

و ـ القائد يستطيع مواصلة العمل الناجح بدعم المحبين المخلصين الناصحينَ

أبانت السَّيِّدَةعليها السلام أنَّ القائد الناجح يستطيع الاستمرار على الرغم من الظروف العصيبة التي تضعف العمل لكنه يستمر بوجود المخلصين الذين يمدونه بالطاقة المعنوية والجسمية الرافدة لاستمرار نجاحه وبيَّنت أنَّ أشجع من كان مع النبي هو زوجها الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام الذي عبَّرت عنه وعن طريقه ابتعاث النبي له لينقذ الأمة من الأزمات بقولها «**قَذَفَ أَخَاهُ في لَهَوَاتِهَا**»[3] فهو يعرف شجاعته وقابلياته القتالية الفريدة فهو لا يدخله إلى المعركة إدخالاً بل يقذفه قذفا في أتونها، وكان الإمام عليعليه السلام عند حُسْنِ ظنِّ الرسولصلى الله عليه وآله فيقضي على الفتن ويجندل الأبطال ويرجع بالنصر مظفَّرا مع شِدَّةِ وَرَعِهِ وعظيم مساندتِهِ لأخيهِ النبيصلى الله عليه وآله ونصحه وجده وكدحه فقالت: «**فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وِيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً في أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رِسُولِ اللّهِ سِيِّدَ أَوْلياءِ اللّهِ، مُشْمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً**»[4].

أمَّا الخليفة وهو قائد الأمة فقد ناقشته السَّيِّدَة الزَّهْرَاءعليها السلام وبيَّنَتْ حَقَّهَا في الإرث مستشهدةً بالآيات الكريمة التي نزلت في عوائل الأنبياء السابقينعليهم السلام ونصَّت على التوارث الحقيقي وليس على توارث العلم الذي أصرَّ عليه الخليفة، فمن الاستدلال العقلي قولها: «**أَيُّهَا الْمُسْلِمونَ أُغْلَبُ عَلى إِرْثِي يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ! أفي كِتابِ اللّهِ أَنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أَرِثَ أبي؟**»[5] وأردفتها بالحجة النقلية من القرآن الكريم: «**أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ اذْ يَقُولُ: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾**[6]، **وَقالَ فيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَي بْنِ زَكَرِيّاعليهما السلام اذْ قالَ رَبِّ ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾**[7] **وَقَالَ: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّه ﴾**[8]

---

(١) سورة المائدة: الآية٦٤.
(٢) الاحتجاج: ج١ ص١٣٦.
(٣) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.
(٤) م. ن: الجزء والصفحة انفسهما.
(٥) م. ن: ج١ ص١٣٨.
(٦) سورة النمل: الآية ١٦.
(٧) سورة مريم: الآية ٦.
(٨) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

وَقالَ: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾[1] **وقال: ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾**[2]**»**.

وعادتْ للاستدلالِ العقلي: «**وزَعَمْتُمْ أَلَا حِظوَةَ لِي، وَلا إِرْثَ مِنْ أبي ولا رَحِمَ بَيْنَنَا! أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولونَ أهل مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ، أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أهل مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟**».[3]

فألقت الحجة على الأمة التي تصدَّق بحديث آحاد لم يثبت صوابه، ولم تأخذ بالآيات الكريمة التي تصف السَّيِّدَة الزَّهْرَاء عليها السلام وأهل بيتها عليهم السلام بإذهاب الرجس والتطهير التام[4] من كل دنس، وتثبت أن كل ما يصدر عنها إنَّما هو منزَّه من كل شائبة.

وبالتالي فما استنتِجُهُ من الخُطْبَة إنَّمَا هوَ صورةٌ واضحةٌ عن صفات القائد الذي تعتدل مسيرة الأمة من خلال منهجه وطريق أدائه متمثِّلا بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) سورة النساء: الآية ١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(٣) الاحتجاج: ج١ ص١٣٨.

(٤) وهي آية التطهير: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ سورة الأحزاب: الآية٣٣.

المبحث الثاني: خطاب السَّيِّدَة زينب عليها السلام والصفات العشر للقائد الحق

لابدَّ من الإشارة إلى عظمة الأخوَّة بين الإمام الحسين وأخته السيدة زينب عليها السلام، فقد ذهبت مثلا للتلازم الأخوي الرسالي وعمق المسيرة في نهج الحق الذي أراده الله أن يتجلى في البيت المحمدي العلوي الشريف، وقد كانت السيدة زينب عليها السلام صورة لتجلِّي عظمة شخصية أمها السيدة الزهراء عليها السلام ولاريبَ في ذلك فهي وريثتها في الشجاعة والبلاغة والصلابة وقوة الإيمان، وهي التي نقلت خطبة فدك لأول سماع وهي بعمر خمس سنين حين كانت مرافقة لأمها في ذلك الخطاب الفريد الشريف[1].

كان المجتمع الإسلامي في وقت نهضة الإمام الحسين كثير المشكلات قليل التآلف، اختلطت فيه عقائد الناس وساءت أفكارهم وغرَّتْهُم الحياة الدنيا، واستطاع الشيطان أن يُزَيِّن القبيح لهم؛ فعشقوا الدنيا وابتعدوا عن الآخرة، فلا يُعمل بالمعروف ولا يُتناهى عن المنكر الذي زَيَّنَهُ المنافقون، وكان الناس أحوج ما يكونون للقيادة الحكيمة التي تقشع ضباب القناعات وتبعد عنهم الفتن وتُجْلِي لهم الحقائق، فلمَّا رأى الإمام الحسين عليه السلام حاجة الأمة، ومآل الأمور إلى غير القادرين على إصلاحها انبرى يعلن نهضته التي تريد أن تعيد للدين سابق عهده، فساء ذلك أرباب المصالح والمستفيدين من ذهب شراء الذمم ووقفوا إلى جانب يزيد وجهزوا الجيوش لِحَرْبِ الإمام الحسين والقضاء على نهضته، وبعد مقتلِهِ رأتهم السَّيِّدَة زينب يبكون حين قرَّعت شرار أهل الكوفة في خطبتها الشهيرة فيهم، فاستنكرتْ هذه المفارقة وبيَّنت أنَّهم أحرى بالبكاء؛ لأنَّهم لن يغسلوا عارَ ما قامُوا بِهِ مدى الدهر فقد قَضَوْا على من كان سيقشع لهم ظلام عقائدهم ويهديهم صراطا مستقيما، ويرفع شأنهم وشأن الأمة الإسلامِيَّة، ويُحَامِي عنهم ويكون ملاذاً للفرد والجماعة في أوقات المحنة ومعاذاً لهم وقائداً حكيماً في السلم والحرب، ووقت الأزمات والخلافات واشتداد الأهوال، وهيهات أن يشهدوا عزَّة بعد تضييعهم إياه فسيعيشون في ذل دائم وخوف شديد من الحكام الظلمة الذين اتبعوهم وحاربوا منقذهم من الهلكة والمهانة فهم أشدُّ الخاسرينَ.

ولئِنْ كانَتْ صورةُ القائد منبثَّة في خطبة السَّيِّدَة الزهراء يستشفها المتأمل بعد تفكير في حديثها عن اوصاف رسول الله صلى الله عليه وآله وحكمته القيادية وعدله، فلقد جمعت السَّيِّدَة زينب هذه الأوصاف في مكان

(١) ينظر: علل الشرائع: ج١ ص٢٤٨.

محدَّدٍ حين عدَّدَت صفات الإمام الحسين عليه السلام التي كانت واضحة للعيان لكل ثاقب نظرٍ، وتحدَّثتْ عن قتلِهِ والتَّشْنِيْع في مقتله وأصحابه وأهل بيته والإبقاءِ على حكام الظلم الذين سيستمر تسلطهم على رقاب المنافقين ولن يرقبوا فيهم إلَّا ولا ذمة فما إن ينتهي تأثير المنافقين بوصفهم اداة لنيل مآرب الظالمين حَتَّى يقعدوا لهم كل مرصد ويقتلوهم شر قتلة جزاء قتلهم الصالح واتِّبَاع الطَّالح، وهذا ما تنبَّا لهم به رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال وهو يُنبئ بما سيحصل من تسلُّط الظالمين وقتلهم أهل البيت عليهم السلام: «**نُعِيَ إِلَيَّ حُسَيْنٌ، وَأُتِيتُ بِتُرْبَتِهِ، وَأُخْبِرْتُ بِقَاتِلِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُقْتَلُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ قَوْمٍ لَا يَمْنَعُوهُ إِلَّا خَالَفَ اللهُ بَيْنَ صُدُورِهِمْ وَقُلُوبِهُمْ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ شِرَارَهُمْ، وَأَلْبَسَهُمْ شِيَعًا**»[1]، وقد أعاد ذلك الإمام الحسين عليه السلام في خطبته الثانية بعد أن يئس من استجابة المخاطبين لنصيحته لهم فقال: «**أمَا والله، لا تلبثون بعدها إلاّ كريثما يُرْكَبُ الفرس، حَتَّى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قَلَقِ المحور، عهدٌ عَهَده إليَّ أبي عن جدّي رسول الله**»[2]، وأفاد من القرآن الكريم في قصة قوم نوح حين مرَّ بمثل ما به الإمام الحسين فبيَّن لقومه منهجه المُذَكِّرَ بآيات الله وتوكله على الله وهم مخيَّرون بين اتباعه ليصلوا جادة الصواب وتركه ليصلوا إلى مصير الذلة وقسوة الظالمين.

فقال: ﴿ **فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ** ﴾[3]، لينتقل مباشرة إلى الإفادة من حوار النبي صالح حين قال لقومه هود: ﴿ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[4]، فقد أفاد من تجارب الأنبياء مع أقوامهم العاصين مع كثرة النصيحة وقلة الأخذ بها، ويتضح توظيف الإمام لاستعمال النص القرآني في المكان المناسب، حَتَّى وصل إلى الدعاء، ثمّ رفع يدَيه نحو السّماء وقال: «**اللَّهمّ، احبس عنهم قطر السّماء، وابعث عليهم سنين كسنيّ يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة**[5] **فإنّهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليك توكّلنا وإليك المصير. والله لا يدع أحداً منهم إلاّ انتقم لي منه، قتلةً بقتلة وضربةً بضربة، وإنّه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي**»[6] وكان قد بيَّنَ اسباب

(١) المعجم الكبير: ج٣ ص١٢٠.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٧.

(٣) سورة يونس: الآية ٧١.

(٤) سورة هود: الآية ٥٦.

(٥) المصَبَرَّة شديدة المرارة، يقال عن مرارة الأشياء: «أمرٌّ من الحنظل أمرٌّ من الصَّبر/ .. أمرٌّ من الهجر: شديد المرارة» معجم اللغة العربية المعاصرة: ج٣ ص٢٠٨٥، لقد استعمل الإمام الحسين عليه السلام التعبير المجازي عما سيلاقيه أعداؤه من ويلات بعده ويقصد عليه السلام أنَّ الثقفي سيسومهم سوء العذاب.

(٦) الملهوف على قتلى الطفوف: ص١٥٧.

نهضته وصرخته بوجه الظلم: «**ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغبِ المؤمنُ في لقاء ربه محقا**»[1] وهو يتبع في ذلك ما قاله جده رسول الله ﷺ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ، وَقَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرُوهُ فَلَا يَغْفِرُ لَكُمْ. إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبُ أَجَلًا، وَإِنَّ الْأَحْبَارَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالرُّهْبَانَ مِنَ النَّصَارَى لَمَّا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَعَنَهُمُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ، ثُمَّ عَمَّهُمْ الْبَلَاءُ**»[2]، وبعد هذا الوصف لمنهج الإمام الحسين المستشفة من خطابه لِنَعُدْ إلى الصفات القيادية المستخرجة من خطاب اخته السَّيِّدَة زينب عليها السلام حين عددت الصفات التي توافرت فيه عليه السلام ولم يلتفت يعبأ بها المخاطبون على الرغم من تيقنهم من خبرته الفريدة وحكمته وحنكته فكانوا بحق أخسر الخاسرين.

الصفة الأولى: الأَصْلُ الطَّيِّبُ وما يحمله من صفات وراثية كالعلم والدِّرَاية والحكمة، وهي صفات تخدم القيادة وتيسِّر وتذلل العديد من الصعوبات، وهذا الأصل يملي عليه التمكن والقوة وعدم القبول بالباطل قال الإمام الحسين: «**ألا وإنَّ الدَّعِيَّ بن الدعي قد تركني بين السِّلَّة والذلة، أبى الله ذلك لنا ورسوله وحُجُور طهرَت وجدود طَابت أن يُؤْثَرَ طاعةَ اللئام على مصارع الكرام**»[3]، فالأصل الطيب رادع لصاحبه عن الوقوع في المعاصي واتخاذ القرارات غير اللائقة به؛ لذا قالت السَّيِّدَة زينب عن أخيها عليه السلام أَنَّهُ«سليل خاتم النُّبُوَّة» أي وليد النُّبُوَّة وهو جانب منها وقد ولد من سلالتها، ولننظر فيما ما قاله المعجميون عن كلمة السَّلِيْلِ:

قال أحمد بن فارس: «السَّلِيلُ: الْوَلَدُ؛ كَأَنَّهُ سُلَّ مِنْ أُمِّهِ سَلا»[4] وأضاف ابن سِيْدَة: «وَقَالُوا سَلِيلُ صِدْقٍ وسَلِيلُ سَوْءٍ كَمَا قَالُوا فِي النَّجْلِ وَالْأُنْثَى بِالْهَاءِ. ثَعْلَب، وَيُقَال لَهُ أَيْضا سُلالةِ وأصلهُ من سُلالةِ الشَّيْء وَهُوَ مَا سَلَلْتَهُ مِنْهُ»[5]، والمُلاَحَظ أنَّ السَّيِّدَة استعملت من الألفاظ اكثرها دلالة على ارتباط الحسين عليه السلام بجدِّهِ رسول الله ﷺ ولم تقل إنه سبطه، بل عمدتْ الى هذهِ اللفظة للدلالة على أنه مقتطع من رسول الله ﷺ مصداقا لقوله ﷺ: «**حسين مني وأنا من حسين**»[6] وكان المقام يستدعي بشدة هذه اللفظة للدلالة على أن القوم قاتلوا رسول الله ﷺ، وقتلوا مَنْ كانَ جُزْءاً منه، وقد عبَّرت عنه بأَنَّه كبد

(١) م. ن: ص١٣٨.
(٢) المعجم الأوسط: ج٢ ص٩٥.
(٣) الاحتجاج: ج٢ ص٢٤ – ٢٥.
(٤) مقاييس اللغة: ج٣ ص٦٠.
(٥) المخصص: ج١ ص٥٦.
(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٤ ص١٧٢ رقم الحديث: ١٧٥٩٧.

رسول الله بقولها: «**أتدروْنَ وَيْلَكُمْ أي كَبِدٍ لمحمَّدٍ ﷺ فرثتم؟!**»[1] وهو وصف آخر من أوصافها للحسين عليه السلام، وهو خارج هذه الأوصاف المتتابعة، لكنه مكمِّل لها وجاء في سياق إشارتها الى الفعلة الشنيعة لهؤلاء حين قرَّعَتْهُم على تعدِّيْهِم على حُرْمَةِ رسول الله بقتلهم ابن بنت نبيِّهِمْ من غير أنْ يُقِيْمُوا وزناً لهذه القَرَابة ولتلك المحبَّة التي أوصاهم بها تجاه الإمامِ الحسين عليه السلام.

الصفة الثانية إنَّ الإمام الحسين هو أصلُ الرِّسَالة في قول السَّيِّدَة عليها السلام: «ومعدن الرسالة» أي أصلها، ولنرجع إلى المعاجم لنرى معنى الكلمة، قال الفراهيدي: «وَقَالَ اللَّيْث: المَعْدِن مَكَان كل شَيْء يكون فِيهِ أَصله ومُبتدؤه؛ نَحْو مَعْدن الذَّهَب وَالْفِضَّة والأشياء. وَيُقَال: فلَان مَعدِن للخير وَالْكَرم إِذا جُبِل عَلَيْهِما»[2]، فما أدقَّ السَّيِّدَة في الاختيار فقد أكَّدت أنَّ منبتَ الإمام وهو بيت النُّبُوَّة هو منبت الذهبِ والنَّفَاسَةِ، والإمام كان مُنْسَلّاً من أصلِ هذه الرسالة فَجَدُّهُ النبي محمد ﷺ هو أصل الدعوة الكريمة وإلى ذلك الانسلال والاستمرار أشار بقوله: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ إلَّا سببي ونَسَبِي**»[3]، ومِنْ جَمِيْلِ ما يدركُهُ قارئ هذه الأوصاف أنَّ السَّيِّدَة اختارت هذا الوصف ليكون مقابلا للأصول التي انسلَّ منها المُحَرِّضُونَ على قتل الإمام عليه السلام والنيلِ منه، وكانوا من ذوي الأصول الدَّعِيَّة، وقد واجهتهم بذكرها كما في قولها لعبيد الله بن زياد «فانظر لِمَنِ الفلجُ ثكلتكَ أمُّكَ يا ابنَ مرجانةٍ»[4] أو قولها ليزيد: «أَمِنَ العدلِ يا ابنَ الطُّلَقَاءِ»[5] أو قولها له: «فالعَجَبُ كلُّ العَجَبِ لقتلِ الأتقياءِ بأيدي الطُّلَقَاء الخبيثةِ ونَسْلِ العَهَرَة[6] الفَجَرةِ»[7]. فجهودُ الإمام الحسين عليه السلام هي امتدادٌ لجهودِ جَدِّهِ ﷺ وأبيه عليه السلام اللَّذَينِ أرادا الارتقاء بالأمَّة وهو ما لا يعجبُ من أراد للأمةِ السقوطَ في الهاوية من متَّبِعِي الهوى ومُفَضِّلِيْ الحياةِ الدُّنيا على الآخرةِ.

الصفة الثالثة: المكانةُ الأخرويَّةُ المُقَدَّمَة العَالِيَة: في قولها: «وسَيِّدُ شبابِ أهل الجَنَّةِ» وهي إشارةٌ إلى حديثٍ صحيحٍ تنقلُهُ المذاهب الإسلامِيَّة كلُّهَا ولا خلاف عليه وهو «**الحسنُ والحسينُ سَيِّدَا شبابِ أهل الجَنَّةِ**»[8]، فالأمة التي تقتل سيد شباب أهل الجنة لن تجد طريقا للنجاة باتباع الطالحين إذ فرَّطت

(١) الاحتجاج: ج٢ ص٣٠.
(٢) تهذيب اللغة: باب العين والدال والنون: ج٢ ص١٢٩.
(٣) المعجم الكبير: ج٣ ص٤٥.
(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ص٢٠١ - ٢٠٢.
(٥) الاحتجاج: ج٢ ص٣٥.
(٦) العَهَرَة جمع عاهر، وهم الزناة. يُنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة عهر: ج٢ص٧٦٢.
(٧) الاحتجاج: ج٢ ص٣٧. الثكل الدعاء على الشخص بالموت اي بكتك أمك، ومن يقال له ذلك فقد أسيء إليه.
(٨) الكتاب المصنف في الحديث والآثار: ج٦ ص ٣٧٨، مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج١٧ ص٣١.

بأفضل من كان عليها أن تحتفظ به فهنا نبَّهَتْ إلى أَهَمِّيَّة وجودِ الإمام لصلاح الأمة فكيف وصل إلى هذه المرتبة عندَ اللهِ ورسولِهِ إن لم يكن أفضَلُهَا ديناً وخلقا وعلماً وأدباً وحكمة وصلاحا ؟!!

الصفة الرابعة: المكان الآمن للخائف المحارَب: هذه الصفة تخصُّ الأفراد فالإمام عليه السلام موضع الأمان للخائفين حيث قالت عليها السلام عنه: «وملاذ حربكم»، أي أنه الملجأ الآمن لمن استلبت أمواله وحاربه الناس، ولنرجع إلى كلمة (الحَرِب) لنتعرف إلى الدقة في الاختيار، قال الزَّبِيْدِي: «يُقَال: حَرِبَ فلانٌ حَرَباً أَي كَتَعِبَ تَعَباً، فالحَرَبُ: أَنْ يُؤْخَذَ مالُه كُلُّه، فَهُوَ رَجُلٌ حَرِبٌ، أَي نَزَلَ بِهِ الحَرَبُ، فَهُوَ مَحْرُوبٌ حَرِيبٌ، والحَرِيبُ: الَّذِي سُلِبَ حَرِيبَتَهُ»[1]، فقد جاءت إلى أكثر الناس لهفة لكي يلوذَ بالذي عنده القوة والحكمة والصلاح؛ ليعيد له حقَّهُ، والمُلَاحَظ على عود الضمير على المخاطبين (حربكم) تقول عليها السلام: لقد جئتم لهذا الملاذ وقتلتموه وأنتم الأحوج إليه، وهنا بيَّنت حاجة أفراد الأمة للقائد الذي يرجع إليهم حقوقهم المسلوبة.

الصفة الخامسة: الملجأ الآمن للجماعات المُتَرَاصَّة وهذه الصفة خاصة بالجماعة.

قالت السَّيِّدَة عليها السلام عن أخيها أنه: «معاذُ حِزْبِكُم»، أي أنَّه ملجأ للحزب أي للجماعة الملتحمة المتساندة، قال الفيروز آبادي: «العَوْذُ: الالتجاء، كالعِياذِ والمَعاذِ والمَعاذَةِ والتَّعَوُّذِ والاسْتِعاذَةِ، والتَّعْوِيذِ. والعَوَذُ بالتحريكِ: المَلْجَأُ، كالمَعاذِ والعِياذِ»[2]، أمَّا الحزب فمعناه: «جَماعَة النَّاس، وَالجْمع أَحْزابٌ..... وَقَوله تَعَالَى: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ** ﴾ الأحزابُ هَاهُنَا قوم «نوح وَعَاد وَثَمُود» وَمن أهلكَ بعدهمْ، وحِزْبُ الرجل: أصحابه وجنده الَّذين على رَأْيه»[3]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾[4]، فبعد أن بيَّنت حاجة الفرد الخائف له اردفت بحاجة الجماعات له فهو الملجأ الآمن لها إذا اصابها الهلع او حوربت من جماعات أخرى، فمن كانت هذه صفاته ينبغي أن تتمسك به الأمة لا أن يضيعه المنافقون الذين تكاثروا عليه وغدروا به.

ومن يتأمَّلُ الخطابَ يجد الدقة حاضرة فقد استعملت للفرد الحَرِب (الملاذ) بينما استعملت للجماعة (الحزب) المعاذ؛ لأن دلالتها على اللجوء أكبرُ فلكل مقام مقال[5] وهذه قمة البلاغة.

(١) تاج العروس: مادة حرب: ج٢ص٢٥١.

(٢) القاموس المحيط: فصل العين: ج٣٣٥.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، الحاء والزاي والباء: ج٣ ص٢٣١.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥٣.

(٥) مثل يراد به «أنَّ لكلِّ أمرٍ أو فعلٍ أو كلام موضعاً لا يوضَعُ في غيره» مجمع الأمثال: ج٢ ص١٩٨، وهو منقول عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ونقله غيره عن أبي الطفيل موقوفا، يُنظر: المقاصد الحَسَنَة، حرف اللام: ٥٣٦، بعدها وظَّفه البلاغيون بمعنى تكليم

الصفة السادسة: المكان المناسب لتنظيم السِّلْمِ:

فقالت: «وَمَقَرُّ سِلْمِكُمْ»، فالإمام عليه السلام يُمَثِّلُ السِّلْم وما فيه من أمن وَدَعَة، ووصفته بانه المقر لكل سلم وقد أوردَ اللغويون في شرح (المَقَر) بأنَّه من «القرار وهو: المستقرُّ من الأَرْض»[1]، وقد قيل عن المَقَرِّ بأنه «مَوضِع الِاسْتِقْرَار (ج) مقارّ، يُقَال اذْكُرْنِي فِي المقار المقدسة وَمحل يَتَّخِذهُ الْإِنْسَان مَكَانا لإقامته»[2].

فالإمام مستقرٌّ للسِّلْم، ولاسيَّما سِلْمُ مَنْ قاتَلَهُ، وهذا ما أكَّدَهُ في مقولته التي وصفت خروجه بأنه طلبٌ للإصلاح[3]، وذلك لا يكون إلا في وقت السلم الذي يقتضي النمو والازدهار من خلال استثمار جهود الناس فيه من قائد حكيم يحسن فن إدارة الأمور فيه فتعلو شؤون الأمة ويحيا فيه الناس بحياة آمنة كريمة، وقد فرَّط فيه المنافقون فوقعوا في شر أعمالهم وتتالت عليهم الحروب ولم يهنئوا بالسلم أبدا من بعده ولا بالكرامة التي يجب أن تحفظ في أثنائه، فإلى أيِّ شخص من بعده سيلجئون في سِلْمِهِمْ؟ وليس من أحد ابداً فيه العوض عنه.

الصفة السابعة: مداوي الجروح في الحرب: قالت السَّيِّدَة في أخيها: «وآسي كلمكم»، والآسي هو الطبيب المداوي قال اللغويون: «الآسي: الطبيبُ، والجمع الاساة مثل رامٍ ورماةٍ»[4]، والكَلْمُ هو الجُرْحُ قال الفراهيديُّ: «الكَلْم: الجُرْحُ، والجميع: الكلُومُ. كَلَمْتُهُ أكلِمه كَلماً، وأنا كالمٌ، وهو مَكلومٌ. أي: جَرَحْتُهُ»[5] وقصدت السَّيِّدَة أنَّ الإمام هو مداوي جروحكم ومضمِّدها، وهذه إشارة إلى وضع عكس سابقه، وهو أثر الإمام في الحرب في التَّصَرُّف للتخفيف من آثار الحرب وآهاتها النفسية والجسديَّة والقيمية والمالية، فالمجتمع بأمسِّ الحاجة لقائد حكيم له خبرة يُحْسِنُ من خلالها السيطرة على مثل تلك الظروف.

إنَّ أثرَ الإمام في هذا الوقتِ لا يقلُّ عن أثرِهِ في سابقه فكأنَّهَا قالت لهم: أنتم قَتَلْتُمْ الطبيبَ الذي يداوي جروحَكُمْ، وستبقونَ تعانون من جروحٍ بليغةٍ لا طبيبَ يداويها.

كل شخص بحسب وصفه وثقافته ومقامه واستعمال الألفاظ المناسبة المؤثرة فيه، يُنظر: كتاب الصناعتين: ج١ ص٢٧.

(١) جمهرة اللغة: ج١ ص١٢٥.

(٢) المعجم الوسيط: باب القاف، ج٢ ص٧٢٥.

(٣) يُنظر كتاب الفتوح: ج٥ ص٢١.

(٤) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (أسا): ج٦ ص٢٢٦٩.

(٥) كتاب العين: باب الكاف واللام والميم: ج٥ ص٣٧٨.

الصفة الثامنة: المكان الآمن للخلاص من الأهوالِ والشَّدَائِدِ:

قالت السَّيِّدَةعليها السلام: «ومفزعُ نازِلَتِكُمْ»، وهنا تستوقفني هذه اللفظة (مَفْزَع) قال اللغويون عنها: «وَفُلَان لنا مَفْزَعٌ وامرأةٌ لنا مَفْزَعٌ مَعْنَاهُ: إِذا دَهِمنا أَمر فَزِعنا إِلَيْهِ أَي لجأنا إِلَيْهِ واستغثنا بِهِ»[1]، أمَّا (النازلة) المضافة إليها فتعني عند أهل اللغة: «الشديدة من شدائد الدهر تَنْزِلُ بالقَوْم وجمعُها: النَّوازِل»[2]، فانظر غلى الدقة المعبرِّ بها عن الإمام الحسينعليه السلام فهو المكان الذي يُحْتَمَى به من الشدائدِ العِظَامِ ويُسْتَغَاث به وَقْتَ المهالك، ولكنَّ الذين لا حكمةَ لديهم من المتهافتينَ على الدُّنْيَا قد قتلوا ملجأهم عندَ الدَّوَاهي، وبقوا طُعْماً للشدائد.

وهنا التفاتةٌ مهمَّة أنَّ الناس ربما يمرون بأوقات هي اشد من أوقات الحرب، تلك هي الأهوال كالزلازل والأعاصير أو الأمراض الفتاكة كالطاعون مما يحتاج معها المجتمع إلى قائد صاحب فكرٍ اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ وأمنيٍّ وصحيٍّ يستطيعُ أن يسيطر على إدارة الأزمات والكوارث، والإمامعليه السلام خيرُ مَنْ يكونُ في ذلك، ولكن هيهات أنْ يجدوا أمثاله بعد تضْيِيْعِهِ.

الصفة التاسعة: مرجع المتحاربين والوسيط بينهم:

بعد ذكرت السَّيِّدَةعليها السلام أهَمِّيَّة الإمام الحسينعليه السلام في السلم عادت لتذكر أهميته في الحرب، وكأنها أرادت أن تبيِّن أهَمِّيَّة وجود الإمام للحفاظ على تماسك المجتمع في الأوقات كلها فقالت: «والمرجعُ إليهِ عندَ مُقَاتلتكم»، فالحرب تحتاج حكيما ليوقفها ويعيد السلم للمجتمع من جديد، والحسين هو ذلك الحكيم الذي يأتيه القوم للتزَوُّدِ ممَّا عنده من حِنْكَة وحِكْمَة، لكنَّ المنافقين لم يعرفوا قيمته ففرَّطوا بكل ما يمتلك من مكانة، وبالتالي فسوف يضيعون من بعده.

الصفة العاشرة: الأمين المحافظ على مؤونة السنين

وقالت أيضا: «ومَدَرَة حِجَجِكُمْ» نقل ابن منظورٍ عن الجَوْهَرِيُّ قوله: «والمَدَرَةُ، بِالْفَتْحِ، المَوْضِعُ الَّذِي يُؤخَذُ مِنهُ المَدَرُ فَتُمْدَرُ بِهِ الحِياضُ أَي يُسَدُّ خَصاصُ مَا بَيْنَ حِجارَتِها. ومَدَرْتُ الحَوْضَ أَمْدُرُه أَي أَصلحته بالمَدَرِ»[3] وهذا معنى مجازي، أي أن الحسينعليه السلام هو الذي يصلح ما تفطرُهُ السُّنُوْن مِنْ بناءِ الأمَّة، مِنْ مصائب أو محن ويحافظ على اماناتها فهو فيها كالمَدَرة التي تجعل الحياض راتعة صالحة للإيراد غير منكسرة، وربما كانت اللفظة: (مِدْرَهُ) أي (مِدْرَهُ حججكم)، وهذا وارد لأنَّ الكتابة كانت بلا تحريك، والهاء والتاء المربوطة متقاربتان في الكتابة والفرق بينهما هو النقطتان، والمِدْرَهُ: هو الدافع

(١) تهذيب اللغة: باب العين والزاي مع الباء.

(٢) كتاب العين، باب الزاي واللام والنون: ج٧ ص٣٦٧.

(٣) لسان العرب، فصل الميم: ج٥ ص١٦٢.

عن القوم الضيم أو الهلاك قال الفراهيدي «رجلٌ مِدْرَهُ حَرْبٍ، و[هو] مِدْرَهُ القومِ، أي: الدّافع عنهم» قال ابن دريد: «وَيُقَال: فلَان مِدْرَه بني فلَان، إِذا كَانُوا يدْفَعُونَ بِهِ الْأُمُور الْعِظَام، وَهَذِه همزَة قلبت هَاء»[1]، وما أستنتجه أنَّ الحسين هو خَيْرُ السنين، والدَّافع عن المسلمين ما تحتويه هذه الحُجَجُ من نوائب، فَمِنْ سَفَهِ القوم أنَّهم لم يحافظوا عليه ويدافعوا عنه؛ ليدفع وجوده بين ظهرانيهم ما سيأتيهم من حوادث وكوارث، وبالفعل شهدوا من بعده الكوارث والحروب والنوائب وأخذت السنون تغلي فكثرت المحن وقلَّ الخِصْب.

الصفة الحادية عشر: إنَّ القائدَ الإمام الحسين عليه السلام هو نورُ الطريق الفكري

وآخر أوصافها لأخيها أنَّه: «منارُ محجَّتِكُمْ»، قال الأزهريُّ عن المنارة وهي مفردة (مَنَار): «والمَنَارة: الشَّمعة ذاتُ السِّراج والمنارة أَيْضا: الَّتِي يوضع عَلَيْهَا السِّرَاج»[2]، وأورد غيره: «وَسُمِّيَتِ المَنَارة مَنَارة؛ لأنَّها آلةُ ما يضيء وينير من السراج»[3]، بينما قال ابن الأثير «المْنَارُ: جْمَعُ مَنَارَة، وَهِيَ الْعَلاَمَةُ تْجُعل بَيَنْ الحدَّين. ومَنَارُ الحَرم: أعلامُه الَّتِي ضَرَبَها الخليلُ عليه السلام عَلَى أقطارِه وَنَوَاحِيهِ»[4]، والمحجة الاستقامة، قال العسكري في الفرق بين القصدِ والحجِّ: «أَن الْحَج هُوَ الْقَصْد على استقامة وَمن ثمَّ سُمِّيَ قصد الْبَيْت حجا؛ لِأَن من يقْصد زِيَارَة الْبَيْت لَا يعدلُ عَنهُ إِلَى غَيره وَمِنْه قيل للطريق الْمُسْتَقيم محجة»[5]، فالإمام الحسين عليه السلام هو السراج الذي ينير الطريق ويهتدى به، وكان ينبغي أن يجعلُوهُ أمامهم لينيرَ طريقَهُمْ وقلوبهم بالإيمان، ويوصلهم الى الطريق المستقيم، وهو العلامة الواضحة والحد بين الحق والباطل يبين لهم الطريق، وهو كجده رسول الله صلى الله عليه وآله نور للقلوب والعقول، فبقتله باتوا في ظلمات الجهل وضياع الحكمة والسير وراء السفهاء.

وما وجدته بعد التأمُّل في هذه الأوصاف المجازية للإمام عليه السلام، أن السَّيِّدَة عليها السلام استقصت ما يمكن أن تحتاجه الأمة في الإمام والقائد والموجه والحكيم والنور والخير، وهو عون الفرد الخائف، وملجأ الجماعة في السِّلْمِ والحربِ فهوَ مرشدُ الضَّالِّيْن وملجأ الخائفين ومقر السلم وصمام الأمان للجماعات في الحروب. فالأمة التي تضيِّع مثلَ هذا الرمزِ الكبيرِ لابدَّ أنْ تضيعَ مِنْ بعدِهِ في ظُلُمَاتِ الجَهْلِ وتعيشُ نَكَبَاتِ الحروبِ.

---

(١) جمهرة اللغة، مادة (دره): ج٢ ص٦٤١.

(٢) تهذيب اللغة، باب الراء والنون: (نير، نور): ج١٥ ص١٦٦.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس: ج٢ ص٣٠٢.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس: ج٢ ص٣٠٢.

(٥) الفروق اللغوية: ص١٢٦.

الخاتمة ونتائج البحث

• إنَّ أهلَ البيت عليهم السلام رجالاً ونساءً قد سبقوا عصورَهُم في علوم اختصوا بها من عند الله تعالى فلا ريبَ أن تكونَ رؤاهم الاجتماعية والسياسية والمعرفيَّة سابقة لأزْمَانِهِمْ مفيدة للأجيال على مرِّ العصورِ وهذا ما تمثَّل بإعطائهم معالم صورة القائد الحكيم الناجح وتطبيقها عمليا في المجتمع؛ ليسودَ الحق والعدل الذي رسم معالمه الدين الإسلامي الحنيف.

• كانت نساءُ أهلِ البيتِ عليهم السلام من العلم والحكمة بمكان بحيث استطعن أن يجهرن برؤاهن في الأوقات العصيبة والظروف التي أحاطتْ بهنَّ فكنَّ على قدر المسؤولية، وتمثِّلُ ذلك بما فعلته السَّيِّدَة الزهراء والسَّيِّدَة زينب عليهما السلام بما احتواهُ خطاباهُمَا من الرؤى المنهجة العميقة في كيفية إدارة المجتمع وحاجة الأمة للقائد الحكيم الناجح لتسيرَ على المحَجَّة البيضاء.

• كانت صورةُ القائدِ الناجحِ منبثَّةً في خطاب السَّيِّدَة الزَّهْرَاء عليها السلام مستلهمة من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وآله وما قدَّمه للأمة من تضحيات وما تحمله من أعباء، وقد خفَّفَها وجودُ الصادقين الشجعان المعاضدين له من أمثالِ أمير المؤمنين عليه السلام الذي سار على نهجه وقاد الأمة بخطى رسول الله وبعدله وخلقه، ومن عاضده من الصحابة وخُلَّص المؤمنين؛ للإشارة إلى أن نجاحَ القائد لا يكتمل إلا بالأرضية الصالحة من الرعية المطيعة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر.

• كان توصيفُ السَّيِّدَة زينب عليها السلام للقائد الناجح متمثلا بالإمام الحسين عليه السلام وبيان أحقيته، وكانت الأوصاف بيِّنة متسلسلة انبثت في تقريعها لمن حارب الإمام مع علمه بمؤهلاته وعظيم شخصيته؛ لتنطلقَ من ذلك مؤكِّدَةً شدة خسارة المنافقين الذين ضيعوا الإمام وقتلوه وهم في أشد حالات الاحتياج إليه، وحرموا الأمة من نعمة قيادته بما جرَّ الويلات عليها والحروب والخسائر والذلة غير المنتهية فمن قتل العزة لن ينعم بها أبدا.

• إنَّ العلوم اليوم أحوج ما تكون لرؤى أهل البيت عليهم السلام وافكارهم الراقية المتزنة للأخذ بها وجعلها منهج حياة في الميادين التي تصب فيها ولاسيَّما الميادين التربوية والاجتماعية والسياسية.

• إنَّ المجتمع بأَمَسِّ الحاجة لاتخاذ نساء أهل البيت عليهم السلام أسوة حسنة؛ لكي ترتقي المرأة بتفكيرها

ولتكون على مستوى المسؤولية ولتنتج لنا نماذج نسوية نفخر بمنجزاتها ما دامت قد تمسكت بالعفة والتدين والعمل المثمر وإثبات الوجود بما يرضي الله تعالى.

• لابدَّ ألَّا يأخذنا الحزن عند الملمَّات عن التأثير في المجتمع واداء المهام على أحسن ووجه من خلال الصبر على البلاء وقول كلمة الحق وحسن غدارة الأزمات لنثبت للعالم ان التَّمَسُّك بالأخلاق التي ارادها الله تعالى وطبقها أهل البيت عليهم السلام يمكن أن تغير حياتنا نحو الأفضل وتوصلنا إلى المراتب العُلْيَا بين شعوبِ الأرضِ.

• إنَّ المجتمعات تصلح بانتخاب الأكفاء من أبنائها لقيادتها من ذوي الخصال الحميدة والقدرات الفريدة من أصحاب المنابت الطيبة والخلق القويم والحرص على الأمة والسَّيْرِ بها نحو المعالي والارتقاء بأخلاقها وأهلها ورفع شأنهم وترقية عقولهم وأخلاقهم وجعل التنمية سبيلا قويما لذلك وهذا ما اكَّدته سيدتان عالمتان طاهرتان من أهل البيت عليهم السلام بعد أن أكَّدهُ رجال ذلك البيت الذي أذهب الله عنه الرجس في خطبهم وفي تطبيقهم العملي لما جاء في القرآن الكريم من تلك الأوصاف، فحريٌّ بنا أن نتخذ ذلك شعارا لانتخاب الصالحين من قادة الأمة والعمل به.

• ينبغي قراءة موروث أهل البيت عليهم السلام رجالا ونساءً بدقَّة وتمعُّنٍ، والإفادة من علومهم في المحالات المختلفة والعمل بها فهي علوم مستمدَّة من القرآن الكريم والترجمان العملي لمبادئه، فهي تساير البناء الصالح للمجتمعات والشعوب، وينبغي اتخاذهم أسوةً حسنة في الأخلاق والعبادات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، (ت نحو ٥٨٠ هـ) تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، مؤسسة النعمان، بيروت ـ لبنان، د.ت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت ٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ) قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة د. ت.
- التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ)،دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) تح محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ١٩٩٨ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تح محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
- الحق والعدالة، إعداد وترجمة محمد الهلالي وعزيز الزرق، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط١، ٢٠١٤م.
- علل الشرائع، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت٣٨١هـ)، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها – النجف الأشرف، ١٣٨٥ – ١٩٦٦.
- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)،

تح: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.
• كتاب سُليم بن قيس الهلالي، للتابعي الكبير سُليم بن قيس الهلالي (و٢ قبل الهجرة – ت ٧٦ هـ) تح محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، مؤسسة نشر الهادي، قم المقدسة، ط٥، ١٤٢٨هـ.
• كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت،١٤١٩ هـ.
• لسان العرب، محمَّد بن مكرَّم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر- بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ.
• مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، ت ح محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، د.ت.
• مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
• مسند ابن الجعد، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، تح عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر – بيروت، ط١، ١٤١٠ – ١٩٩٠.
• مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ)، تح الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
• مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ) تح شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
• المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت.
• المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تح طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، د. ت.
- المقاصد الحَسَنَة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تح محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
- الملهوف على قتلى الطفوف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤ هـ)، تح وتقديم الشيخ فارس تبريزيان ((الحسون))، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران، ط٥، ١٤٣٤.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السَّعادات المُبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشَّيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تح طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

المقاربة الدلالية لخطب نساء أهل البيت عليهم السلام مع النص لقرآني

قراءة تناصية – دلالية

الباحثة: أ. د. أزهار علي ياسين غالي

الملخص

يحمل هذا البحث عنوان: المقاربة الدلالية لخطب نساء أهل البيت عليهم السلام مع النص القرآني/ قراءة تناصية- دلالية، ليسلط الضوء حول الكشف عن المقاربات الدلالية التي استترت في مضامين هذه الخطب، لتحليلها بنظرة فاحصة ومتأملة بعيدا عن الاستشفاف العابر، لغرض استجلاء الدلالات بما يتلاءم وفهم النص القرآني وفهم مضامين هذه الخطب، وتبرز أهمية البحث وضرورته في كشفه العلاقة الوثيقة بين النص القرآني وكلام المعصوم من أهل البيت عليهم السلام، ويتأتى هذا من سببين، هما: الأول خصوصية كلام المعصوم، فهو يمثل أثراً من الآثار القرآنية، والثاني: أهمية كلام المعصوم بوصفه كاشفا ومفسرا لمضامين النص القرآني، وقد وقع اختيار البحث على بعض من خطيبات البيت المحمدي- العلوي انموذجا لبيان المقاربة الدلالية مع النص القرآني المقدس، وهذا الاختيار لم يكن عفو الخاطر بل هو عن قصد وعمد؛ لأنَّ خطيبات أهل البيت عليهم السلام مثلنَّ عصبة الرسالة المحمدية، وهنَّ امتداد الطهارة والعصمة، وربيبات الوحي والتنزيل، فقد تغذينَّ بآيات القرآن ونهلنَّ من كوثر التسنيم، فكانت خطبهنَّ لغايات عقدية وأخلاقية وثقافية، فضلا عن الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن المنطق واللسان، وأهم المحاور التي ارتكز عليها البحث ركيزتين، الأولى: استجلاء المقاربات الدلالية بين نصوص خطب نساء أهل البيت عليهم السلام والنص القرآني، والثانية: عقد المساوقة النصية بين هذه الخطب والقرآن الكريم، أما أهم النتائج التي توصل اليها البحث، فأهمها أنَّ المقاربات الدلالية والنصية المنعقدة بين النص القرآني ونصوص خطب نساء أهل البيت عليهم السلام، قد بينت أنَّ توظيف النص القرآني في هذه الخطب يعرض لدلالات جديدة في بعض المسافات الخطابية، منها: تغاير الخطاب بين هذه النصوص بين العموم والخصوص أو العكس، أو توظيفه لدلالات انجازية، اختصت بالسياقات الثقافية والاجتماعية والعقدية الدينية.

الكلمات المفتاحية: خطب، المقاربة، التناص، الدلالة.

المقدمة

المقاربة الدلالية لخطب نساء أهل البيت عليهم السلام مع النص القرآني/ قراءة تناصية- دلالية، هو العنوان الذي اخترته لهذا البحث، الذي يكرس مادته حول الكشف عن المقاربات الدلالية التي استترت في حنايا وثنايا هذه الخطب، وتحليلها بنظرة فاحصة ومتأملة بعيدا عن التمحل الاستشفاف العابر، بل بالاستجلاء والتحليل بما يتلاءم وفهم النص القرآني وفهم مضامين هذه الخطب، وسماتها المميزة في الخطاب الخاص بها.

وتبرز أهمية البحث وضرورته في كشفه العلاقة الوثيقة بين النص القرآني وكلام المعصوم من أهل البيت عليهم السلام، ويتأتى هذا من سببين، هما:

الأول: خصوصية كلام المعصوم، فهو يمثل أثراً من الآثار القرآنية.

الثاني: أهمية كلام المعصوم بوصفه كاشفا ومفسرا لمضامين النص القرآني.

وقد وقع اختيار البحث على بعض من خطيبات البيت المحمدي- العلوي انموذجا للمقاربة الدلالية مع النص القرآني المقدس، وهذا الاختيار لم يكن عفو الخاطر بل هو عن قصد وعمد؛ لأنَّ خطيبات أهل البيت عليهم السلام مثلنَّ عصبة الرسالة المحمدية، وهنَّ امتداد الطهارة والعصمة، وربيبات الوحي والتنزيل، فقد تغذينَّ بآيات القرآن ونهلنَّ من كوثر التسنيم، فكانت خطبهنَّ لغايات عقدية وأخلاقية وثقافية، فضلا عن أنّها كانت صرخات مدوية هزت عروش الظالمين وصروح المعاندين، وغرور المتكبرين، فعكست هذه الخطب- بدون استحياء- معاني العفة والأدب والشموخ والخلق الرفيع، فضلا عن الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن المنطق واللسان، فكنَّ امتدادًا لمشروع فصاحة النبي صلى الله عليه وآله، والإمام علي عليه السلام الذي قيل فيه أنَّه كان «مشروع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أُخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل وخطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ»[1]، فلقد كانت فصاحة السيدة زينب عليها السلام امتدادا روحيا ومعنويا لفصاحة امها الزهراء، وفصاحة أمير المؤمنين عليه السلام، فبعد خطبتها في الكوفة انبرى الراوي، قيل هو حذلم بن كثير، وهو من

(١) نهج البلاغة، من كلام المحقق صبحي صالح: ١١.

فصحاء العرب، متعجبا من منطقها قائلا في فصاحتها وبلاغتها: «فنظرت إلى زينب بنت علي عليها السلام يومئذ فلم أرَ خفرة[1] والله انطق منها، كأنما تفرع عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»[2].

أما أهم الدراسات السابقة فهي غزيرة ومتعددة الجوانب، نتصيد منها: دلالة التناص في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية) للباحث د. عرابي أحمد، وتداعيات (التناص الواعي) في النص المعصوم، الخطبة الفدكية أنموذجا، د. عماد صالح جوهر التميمي، وإني فاطمة وأبي محمد، تأملات في خطبة الزهراء وبعض شؤونها، الشيخ فوزي آل سيف.

وتجدر الإشارة أنَّ البحث اقتصر على خطب كل من السيدة الزهراء عليها السلام والسيدة زينب عليها السلام والسيدة أم كلثوم عليها السلام، وقد تلافى الغور في اختلاف المصطلحات اللسانية وترجماتها المتعددة إمعانا في الإيجاز والاقتصاد في هيكليته، فاكتفى باستضاءة بعض المصطلحات والمفاهيم ذات العلاقة الصميمة بمادته، فانعقد على النحو الآتي:

المقدمة: وهي استضاءة عامة حول موضوع البحث.

-التمهيد: المقاربات الدلالية والتناصية. عرض لمفاهيم لغوية واصطلاحية.

-المبحث الأول: علم الدلالة من منظور اللغة واللسانيات الحديثة، وفيه ثلاثة مطالب، هي:

-المطلب الأول: المقاربة الدلالية بين مزايا المبنى وتجليات المعنى.

-المطلب الثاني: المقاربة الدلالية وتجلي الذاكرة الدلالية.

-المطلب الثالث: المنافذ الدلالية ومكوناتها اللغوية -اللسانية.

-المبحث الثاني: مقاربة الفهم الدلالي للنص المقدس عند المعصوم، وفيه ثلاثة مطالب أيضا:

-المطلب الأول: المحتوى الدلالي والقصد البراغماتي (السياقي).

-المطلب الثاني: الانحراف الدلالي ومرتكزات الاستقطاب الوظيفي.

-المطلب الثالث: التحول الوظيفي الدلالي في بنية الاستفهام.

-الخاتمة، وقد احتوت على أهم نتائج البحث وملاحظاته.

---

(١) الحفرة: شديدة الحياة، ينظر: مقاييس اللغة: ص٣٠٦.

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، المجلسي: ج٤٥ ص١٠٨.

واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي منطلقا في تشخيص المقاربات الدلالية للنصوص القرآنية في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام، واسترشد ببعض الأفكار من الدراسات اللسانية الدلالية الحديثة، فضلا عن الآراء الدلالية عند القدماء، وهنا يطرح البحث التساؤل الآتي: لِمَ يحرص المعصوم في كلامه وبلاغته الاحتذاء بكلام الخالق (القرآن) ويحاكيه ويتناص معه؟ وأجاب عنه أنَّ لذلك أسباب عدة، أهمها: أنَّ المعصوم هو مبين للقرآن الكريم وترجمانه الواقعي والتطبيقي، وهو أيضا حجة شرعية قطعية على الخلق، يطبق القيم الفكرية والقيم المستلهمة من كلام الخالق.

وآخر دعوانا أنْ الحمد والشكر لله ربِّ العالمين على ما حباني به من نعم ظاهرة وباطنة، وأملي أنْ يتقبل مني هذا العمل المتواضع ويسجله في صفحة أعمالي، لعله يضيف لي حسنة، أو يمحو عني سيئة، فإنْ أصبت فمنْ مَنِهِ وفضلهِ، وإنْ أخطأت فمنْ نفسي، والله ولي النعم والتوفيق، به استعين وعليه اتوكل إنَّه نعمَ المولى ونعمَ النصير والحمد لله ربّ العالمين أولا وآخرا.

التمهيد: المقاربة الدلالية والتناصية عرض لمفاهيم لغوية واصطلاحية.

أولا: المقاربة، لغة: من القرب، والقرب لغة استجلى معانيها ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بقوله: «القاف والراء والباء أصل صحيح يدل على خلاف البعد، يُقال قَرُبَ قُرْبَا، يُقال: قَرُبَ يَقْرُبُ قُربًا، وفلان ذو قَرْابَتي وهو مَنْ يَقْرُبُ منك رَحِما، والقُربة والقُرْبَى...والقارِب: الطالب الماء ليلاً، ولا يُقال ذلك لطالبه نهاراً، القْارِبُ سفينة صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحرية، تُستَخَفُّ لحوائجهم، وكأنَّها سُميت بذلك لقُرَّبها منهم، والقُربان ما قَرُبَ الى الله تعالى»[١]، والقرب خلاف البعد فبينهما علاقة ضدية، كما يؤتى بالقرب في الدلالة على الزمان والمكان، فضلا عن دلالته على النسبة والرعاية والقدرة والحظوة[٢]، وقَرُبَ الشيء بالضم يَقْرَبُ قُربا وقُرُبانا وقِرْبانا، بمعنى دنا فهو قَرِيب، يكون لفظ الواحد والاثنان والجمع في ذلك سواء، يُقال: فلان يَقرُب أمرا؛ وذلك اذا فعل شيئا أو قال قولا يقربُ به أمرا ما، وقِرابُ السيف جلدة لحفظه[٣]، والتقرب هو التدني إلى الله تعالى أو الى أي إنسان تربطه مع آخر علاقة نسب[٤]، والقُرْب والبعد يتقابلان بالضد، يقال: قرُبت منه أقْرُبُ وقرّبته أقْرِبُه قُربَا وقُربانا، إذن ليس هناك نقطة ارتكاز لفعل القرب أو حدثه، بل الأمر مناط بنقطة أخرى تعتمد البعد نفسه، وقيل القُرْبُ خاص في الزمان، والقُربة في المنزلة، والقُربَى والقَرابة في النسب والرحم، ومنه جاء اشتقاق اقْتَرَبِ أي دنا، ومنه أيضا تَقارَبُوا بمعنى تدانوا وقَرُبَ بعضهم من بعض، ثم جاء اشتقاق (قَرِيب) الذي يستوي فيه الذكر والأنثى، في الإفراد والجمع، يُقال: زيد قريب منك، وهند قريب منك، والزيدون قريب، والهندات قريب، إذا أُريد باللفظة بمعنى القرب المكاني، وقيل قَرُبَتْ المرأة قُرْباناً كناية عن الجماع، والقَرْبَةُ جيب مصنوع من الجلد يُحْرَزُ من جهة واحدة، يُستعمل لحفظ الماء أو اللبن[٥].

وفي بعض المعاجم الحديثة (القُرْبُ) يأتي كذلك بمعنى الدنو والمباشرة، ومنه اقترب القوم، أي:

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ص٨٥٣. (م: قرب).
(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني. ٤٠٠ وما بعدها (م: قرب).
(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ج١٢ ص ٥٣ (م: قرب).
(٤) ينظر: المصدر نفسه.
(٥) ينظر: المصباح المنير، الفيومي: ص ٥٣٦-٥٣٧ (م: قرب).

دنا بعضهم من بعض، وتقاربا أي دنا كل واحد منهما من الآخر، واسْتَقْرَبَهُ عدّه قَرِيْبًا أو طلب أنْ يكون قَرِيْبًا منه، وتتعدى صيغة الفعل (قَرَبَ) بحرفين، تارة بـ (الى) وأخرى بـ (من)، يُقال: قَرَبَهُ اليه وقَرَبَهُ منه، ويرد اشتقاق التَّقَرُّبات بمعنى التباشير التي هي حصى صغيرة يُستدل بها قديما على وجود الماء، ومنه أيضا المتقارب ومعناه القصير من الرجال، ومن ذلك المُتَقَارِبُ وهو أحد بحور الشعر العربي[1]، وورد اشتقاق (القربان) بمعنى كل ما يتقرب به الى الله تعالى من أمور مادية أو عينية مثل الطاعات، وحدد بعضهم معناه بأنَّه: «اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة أو صدقة....يقال: قرّب صدقة وتقرّب بها»[2]، هذه المعاني التي استجمعتها الدلالة اللغوية للفظة (قرب) كثيرة ومتنوعة لكثرة الاشتقاقات فيها، مما عدَّ لها معنى تتمركز حوله معاني هامشية أخرى، وهذا يعني «إنَّ تعدد المفاهيم التي يدل عليها اللفظ تعني أنَّ هذا اللفظ له معنى مركزي هو (النواة)، ومعانٍ هامشية ثانوية اكتسبها بفعل دورانه المتجدد في أنساق كلامية مختلفة»[3]، صفوة القول تضم لفظة القرب المعاني الآتية:

-الدنو الذي هو خلاف البعد المتضاد معه بالتقابل، ويُعدّ هذا المعنى النواة أو المعنى المركزي، وغيره يندرج ضمن المعاني الهامشية.

-الدنو بمعنى القرابة في النسب وصلة الأرحام، وتأتي منه اشتقاقات القَرابَة والقُربَى والقَرِيب.

- الفسحة من الزمان أو الفسحة من المكان، ويأتي عبر الحاق اللفظة بما يتوافق مع الدلالة الزمانية أو المكانية أو ما في معناهما.

والقرب اصطلاحا: نصَّ الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) بقوله «القرب: القيام بالطاعات، والقرب المصطلح: هو قرب العبد من الله تعالى بكل ما تعطيه السعادة، لا قرب الحق من عبده، فإنه من حيث دلالة﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ** ﴾[4]، قرب عام سواء كان العبد سعيدا أم شقيا»[5]، أما المقاربة اصطلاحا فهي «الطريقة أو الكيفية لدراسة موضوع ما أو مشكلة لحلها وفق استراتيجية محددة»[6] فالمقاربة هي الطريقة أو الكيفية التي تعبر عن نشاط معين مرتبط بعقد علاقة استراتيجية بين طرفين، أما المقاربة الدلالية فهي مفهوم يتعلق بالدراسة الألسنية التي تكشف تآزر النصوص وتقاربها

(١) ينظر: المعجم الوسيط، د. إبراهيم مصطفى وآخرون: ص٧٢٢-٧٢٣ (م: قرب).
(٢) الكشاف، الزمخشري: ج١ ص٢٨٦.
(٣) علم الدلالة، منقور عبد الجليل: ص٩٣.
(٤) سورة الحديد: الآية٤.
(٥) التعريفات، الشريف الجرجاني: ص١٤٢-١٤٣
(٦) معجم علوم التربية، عبد اللطيف غريب وآخرون: ص٢١.

في مضامينها على وفق استراتيجية لسانية يتوصل بها إلى غايات دلالية، تعزز انفتاح النصوص لاسيما الأدبية، فضلا عن تعدد قراءاتها لمرجعيات ثقافية وفكرية ومعرفية متنوعة.

ثانيا: الدلالة: للكلمة في القرآن الكريم أحوال دلالية متعددة ما بين الذكر والحذف والتقديم والتأخير والاستبدال والإعلال ونحو ذلك مما يعتريها، فضلا عن تنوع اشتقاقاتها تنوعا لغويا ودلاليا وسياقيا، «ولا شك أنَّ كل مفردة وُضِعَتْ وضعا فنيا مقصودا في مكانها المناسب، وأنَّ الحذف في الكلمة مقصود، كما أنَّ الذكر مقصود، وأنَّ الإبدال مقصود كما أنَّ الأصل مقصود، وكل تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل مقصود له غرضه»[١]، لذلك اتسمت الكلمة في القرآن الكريم بالحركة في ادراك معناها ودلالتها، ولها قصدية خاصة في الاستعمال والسياق. والدلالة لغة: ورد عند ابن فارس (ت٣٥٩هـ) «الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولك: دللت فلان على الطريق، والدليل الأمارة في الشيء»[٢]، ورأى الراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ) أنَّ: «الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب»[٣]، وحدد الفيومي (ت٧٧٠هـ) مفهوم الدلالة «هو ما يقتضيه اللفظ عند اطلاقه... ودليل وهو المرشد والكاشف»[٤]، وجاء في لسان العرب: دلّ فلان إذا اهتدى، ودلّ إذا افتخر، والدلّة المنة... دلَّ يدلّ إذا هدى، ودلَّ يدل إذا منَّ بعطائه...والدليل ما يُستدل به، والدليل الدال»[٥]. نستشف مما ورد في أعلاه أنَّ المفهوم اللغوي للدلالة ينحصر في ثلاثة مفاهيم: الهداية، والأمارة، والمنة. واصطلاحا: عرّف الشريف الجرجاني الدلالة برؤية اصطلاحية مختصرة، فقال: «الدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول»[٦]، وقيل الدلالة هي «محصل مجموع المعاني اللغوية التي ينظمها اللفظ، وهي وسيلة للوصول إلى المعنى، فبها يومأ إلى مفهوم اللفظ»[٧]، وهناك من وقف على مفهوم الدلالة بوصفها علما يهتم بـ «القوانين التي تشرف على تغير المعاني»[٨]، وقال آخر أنَّ علم الدلالة «هو مستوى

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي: ص٦.
(٢) مقاييس اللغة: ص٣٣٠ (م: دلّ).
(٣) المفردات في غريب القرآن: ص١٧٧ (م: دل).
(٤) المصباح المنير: ص٢١٧ (م: دللتُ).
(٥) لسان العرب: ص١١ ج٢٤٨ وما بعدها (م: دلّ).
(٦) التعريفات: ص٨٦.
(٧) البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن، د. خليل خلف بشير: ص٧.
(٨) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، د. كريم زكي حسام الدين: ص٤٦.

من مستويات الوصف اللغوي، ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى، فيبحث مثلا في تطور معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية»[١]، وتكمن أهمية الدلالة في أنهَّا تُعدّ: «جوهر الظاهرة اللغوية، وبدونها لا يتأتى للألفاظ والتركيب وظيفة فاعلية»[٢].

ويُحسب لعلماء الأصول السبق في الاهتمام بالدلالة والكشف عن العلاقات الدلالية بين الألفاظ والمعاني لاستنباط التشريعات والأحكام والتكليفات[٣]، فقد بحثوا في الكيفية التي يدل بها اللفظ على المعنى التي انحصرت في أربع شعب: عبارة النصّ، وإشارة النصّ، ودلالة النصّ، واقتضاء النصّ، والتركيز على دلالة النصّ التي تعني ما ثَبُتَ بمعنى النص لغة وليس اجتهادا[٤]، أما علماء اللغة فقد فاقت اهتماماتهم الاصوليين، لأنهم بحثوا بدقة وموضوعية في المعنى بوصفه فرعا من علوم اللغة، فقد درسوا المعنى على مستوى المفردة وعلى مستوى التركيب، «إنَّ عناية اللغويين باللفظ قادتهم إلى العناية بالعلاقات الدلالية وبيان أصول الألفاظ من حقيقة ومجاز وطباق وجناس...»[٥]، إذن الدلالة هي وظيفة تعنى بدراسة المعنى وكيفية توجيهه عبر اللفظ الدال ومدى ارتباطه بمدلوله، والهدف المنشود لعلم الدلالة «هو الوقوف على القوانين النّي تنتظم تغيّر المعاني وتطورها، والقواعد التي تسير وفقها اللغة، وذلك بالاطلاع على النصوص اللغوية بقصد ضبط المعاني المختلفة بأدوات محددة، وفي هذا سعي حثيث إلى التنويع في التراكيب اللغوية لأداء وظائف دلالية معينة، وهذا التنويع هو الذي يُثري اللغة إثراء يحفظ أصول هذه اللغة»[٦]، وقد بين أبو الهلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) أوجه الدلالة. «إنَّ الدلالة تكون على أربعة أوجه: أحدها ما يمكن أن يستدل به قصد فاعله أو لم يقصد... والثاني العبارة في الدلالة، يُقال للمسؤول اعدْ دلالتك، والثالث الشبهة يُقال دلالة المخالف كذا، أي شبهته، والرابع الامارات يقول الفقهاء الدلالة من قياس كذا، والدليل فاعل الدلالة»[٧]، وفصل ابن سينا (ت ٤٢٧هـ) الدلالة بقوله: «معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال اسم ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أنَّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحسّ على النفس التفتت إلى معناه»[٨]، وتشير

(١) الألسنية علم اللغة الحديث، ميشال زكريا: ص ٢١١.
(٢) التركيب اللغوي للأدب، لطفي علد البديع: ص٤٣.
(٣) ينظر: علم الدلالة العربي، فايز الداية: ص٩١.
(٤) ينظر: التعريفات: ص٨٦.
(٥) الدلالة القرآنية في تفسير مجمع البيان: ص٣٩.
(٦) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل: ص٢١.
(٧) الفروق اللغوية، أبو الهلال العسكري: ص٦٨.
(٨) كتاب العبارة، ابن سينا: ص٤.

أبحاث السيمولوجيا أن الدلالة أو العلامة اللسانية تتكون دال ومدلول ومرجع، لتعبر عن:

أ-المستوى الظاهر من القول، ويختص بمجال التعبير.

ب-المستوى الضمني للقول، ويختص بمجال المعنى.

ج-المستوى الذي يحيل اليه القول المختص بالواقع، ومجال المرجع المعبر عن الدلالات[١].

ثالثا: التناص، لغة: من نصَّ، وحصر ابن فارس معنى النص «النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء، منه قولهم. نصّ الحديث إلى فلان: رفعه اليه...»[٢]، أما التناص اصطلاحا: فمن أوائل محاولات توصيف مصطلح التناص ما طرحته جوليا كريستيفا ulia christiva التي عبرت عن النص بأنَّه لوحة فيسفيائية متناغمة من الاقتباسات والتضمينات، وعبرت عن ذلك بقولها: «كل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى»[٣] أو «أنَّ كل نص هو صدى لنص آخر إلى ما لا نهاية»[٤]، وأكد تودوروف Todorov ذلك فصرح أنَ «كل نصية هي تداخل نصي»[٥]، وهذا معناه أنَّ كل « نص يتسرب إلى داخل نص آخر ليجسد المدلولات»[٦]، فالتناص يتجسد بـ « الموجود الفعلي للنص في نص آخر»[٧]، وقد وضح لوران جيني Laurent Jenny رؤيته للتناص، بأنَّه «عمل تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم به نص مركزي يحتفظ بزيادة المعنى»[٨]، مما يفضي هذا كله إلى القول أنَّه لا يمكن استبعاد أي نص مهما كان مستواه الأدبي والفني والأسلوبي عن ولوجه فاعلية التناص، فكل نص لا بد أن يتشارك في علاقات نصية- تناصية مع نص آخر أو نصوص أُخر، فـ « أي نص مهما كان، ليس إلّا ركاماً وتكراراً لنواة معنوية موجودة من قبل»[٩].

(١) ينظر: تعدد المعنى في القرآن، الفة يوسف: ٦-٧، واللغة في الدرس البلاغي: ص٨٩.

(٢) مقاييس اللغة: ص٩٦٢ (م: نص).

(٣) ينظر: علم النص، جوليا كريستيفا: ص٣٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨، وينظر: المرايا المحدبة (من البنيوية الى التشريحية)، د. عبد العزيز حمودة: ص٣٦٣.

(٥) التناص في شعر الرواد، أحمد ناهم: ص ٢٩، ودلالة التناص في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية)، د. عرابي محمد: ص١٦٢-١٦٣.

(٦) الخطيئة والتكفير، (من البنيوية الى التشريحية)، د. محمد محمد الغذامي: ص٣٢٥.

(٧) مدخل لجامع النص، جيرار جينيت: ص٩٠.

(٨) في أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفتان تودوروف ورولان بارت ومارك انجينو: ص١٤٢.

(٩) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح: ص١١.

المبحث الأول: علم الدلالة من منظور اللغة واللسانيات الحديثة، مدخل تعريفي تاريخي

المطلب الأول: المقاربة الدلالية بين مزايا المبنى وتجليات المعنى.

تعدّ اللغة مجموعة من العلاقات الدلالية تتشكل وتتميز عن غيرها في أنّها تستمد وجودها من علاقاتها بغيرها، وليس الأمر في ذاتها، إذ تتحدد في نظامها اللغوي على ما تحتله في واقعها الخارجي، الذي يحدد بدوره قيمتها الدلالية المتغيرة على وفق الخطابات والسياقات، والدلالة في أبسط مفهوم لها تعني «طلب الاستدلال»[١]، فهي بمثابة علاقات لغوية تخضع للتحليل المكوناتي اللغوي الذي يحدد بنيتها الداخلية المتمثلة بعناصرها اللغوية، وما يتبعها من مكونات دلالية التي تنماز بها الكلمات المستنبطة من وجودها في سياقاتها؛ سعيا للظفر بالدلالات المائزة، وهذا التحليل المكوناتي الدلالي تدور مسالكه في ثلاث شعب: المعنى، والتفسير، والتأويل[٢]، إنّ «معنى الكلمة يعني مجموع العناصر أو الملامح المستنبطة المكونة لدلالاتها أو محتواها الدلالي، ويلعب السياق دورا هاما في تحديد هذه الملامح، لقد أصبح التحليل المكوناتي أحدث الاتجاهات الرئيسة في دراسة المعنى في النصف الثاني من القرن العشرين لدى كاستر وفودر تلميذي تشومسكي»[٣]، إنَّ الاشكاليات التي تطرحها المناهج اللغوية والنقدية الحديثة كلها تصب في المعنى والدلالة، «ومقاربة علم الدلالة تتصف باتساع المعنى، والذي أدى بعد ذلك إلى بروز مجالات ومدارس مختلفة ومتنوعة في علم الدلالة، قاربت المعنى بطرق ونظريات مختلفة»[٤]، فالدلالة تبدأ من حصر طرفي فعل الدلالة (الدال والمدلول) ثم تتفرع مباحثها، فتخص بعضها الدال، وأخرى تخص المدلول، ثم بيان العلاقة بينهما، وبذلك تتوزع أركان الدلالة إلى[٥]:

أ-الدال: ويمثله اللفظ.

---

(١) البحث الدلالي عند ابن سينا دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات، د. مشكور كاظم العوادي: ص٢٣.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس: ص ١٤٤.

(٣) التحليل الدلالي، اجراءاته ومناهجه، د. كريم زكي حسام الدين: ج١ ص٥٢.

(٤) علم الدلالة مقاربة وتطبيق (بحث)، د. محمود خليف خضير الحياني، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية: مج١، ع١، ٢٠٢٠م: ٩٣.

(٥) ينظر: علم الدلالة مقاربة وتطبيق (بحث سابق) د. محمود خليف خضير الحياني: ص ٩٤.

ب-المدلول: ويمثله المعنى.

ج-المرجع.وتمثله العلاقة بين الدال والمدلول.

د-الدلالية: هي رسم منهجي ينظم علاقة طرفي الفعل الدلالي، وهي تتحدد في محورين: الأول: المحور الداخلي بالدليل، ويتم عبر تحليل المدلول بأساليب تُنبأ عن صفاته الدلالية، الثاني: المحور الخارجي للدليل، الذي عبر تحليل علاقات الدليل المعجمية في إطار المقول الدلالي، لتجاوز الدلالات المعجمية والتصويرية، والإحاطة بالدلالات الإيحائية والأسلوبية.

لقد استنتج علماء الدلالة في الألسنية الحديثة أنَّ تضييق الدلالة أو توسيعها يتم بطرق عدة، منها: الطريقة الشكلية التي تصب في التلاعب بالسمات الدلالية، من حيث التحديد والسعة على وفق الشكل الذي يجمعها في بنية واحدة، إذ بتفرع اللفظة الواحدة عن أصل واحد تبرّز القرابة بينها، مثل حصر دلالة لفظة معينة ومشتقاتها نحو: علم يعلم عالم يتعلم، وهناك الطريقة السياقية التي تتحدد في ضوئها الدلالة باعتبار المعنى والمقام الدال عليها، فكلما تباينت مقامات السياق تباينت الدلالات المطروحة، وهناك أيضا الطريقة الموضعية التي تتحدد في ضوئها الدلالة، إذ يتحدد المدلول من الموضع أو الموقف الكائن فيه بإزاء المتكلم، فتعدد لذلك المقولات الدلالية وتتمايز بينها القرابات المعنوية[1].

كانت للجهود الالسنية دور رئيس في إرساء دعائم البحث الألسني الدلالي، التي استفاد منها علماء اللغة والدلالة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بدءا فيما ارساه العالم الفرنسي ميشال بريال في النظرية الدلالية فيما سماه (علم السيمانتك) وهو مصطلح يُراد به علم المعاني، أراد بذلك فصل علم اللسانيات عن علم الدلالة، فالأول يصب اهتماماته على المبنى الخارجي للكلمات وقواعد الكلام، بينما يهتم الثاني بجوهر الكلمات ومضامينها، بعد ذلك تطور علم الدلالة ليهتم بالوقوف على القوانين التي تنظم التعبير عن المعاني والدلالات في ضوء اتباع المنهج التطوري التأصيلي الذي يبحث في عمق المعاني المستترة خلف مبنى الكلمات ومعناها الظاهري (السطحي)، ويهتم كذلك بالكيفية التي تبلورت فيها الدلالات ومقاربتها مع الصورة المفهومية[2]، وينبغي القول «أنَّ المدلول في علم الدلالة تمت مقاربته في جوانب كثيرة، منها جانب يدرس المدلول على أساس العلاقة التي يقيمها المدلول مع الأشياء التي يومئ إليها أو يعبر عنها (المفاهيم، العواطف، معطيات العالم الخارجي)،

(١) ينظر: البحث نفسه، د. محمود خليف خضير الحياني: ص٩٤.

(٢) علم الدلالة مقاربة وتطبيق (بحث سابق) د. محمود خليف خضير الحياني: ص٩٣.

وجانب ثانٍ يتمثل في العلاقة التي يقيمها المدلول مع غيره من المدلولات، وجانب ثالث يتمثل في العلاقات التي تنشأ بين السمات الأساسية التي تتكون منها المدلولات»[1]، إذن يمكن تفحص ورود الدلالات في النصوص، لا سيما الإبداعية، باعتبارات ثلاثة:

١-الاعتبار السياقي، المتمثل بالطريقة السياقية التي تصنف الدلالات حسب ورودها في مقاماتها الاجتماعية والثقافية.

٢-اعتبار الحقول الدلالية، التي تفيد بأنَّ يعين المدلول بانكشاف قرابته المعنوية والدلالية بين المدلولات الأخرى.

٣-اعتبار التحليل المؤلفاتي، ويتجسد بتعيين المدلولات عبر توليفات الكلمات الأساسية (أنثى، بائع، بشر)، ولما كانت المادة الدلالية غير قابلة للملاحظة كماهي حال علوم الصوتيات والصرف والإعراب، لأنَّ الدلالة قابعة في مستوى البنية العميقة[2].

المطلب الثاني: المقاربة الدلالية وتجلي الذاكرة الدلالية

بعيدا عن الصفة السايكولوجية لعناصر الذاكرة بنوعيها الشخصية والدلالية، نجد أنَّ الذاكرة الدلالية هي «القدرة الذهنية على استحضار أمر، أو استعادة المدلولات والتصورات وربطها بدوالها»[3] وهذه الذاكرة تشتغل في أروقة الوقائع المتغيرة والمتجددة التي تنظمها حسب سياقاتها، فهي بمثابة انفتاح دلالي على تجليات الأحداث، ينبع من حضور المتكلم بصفته الشخصية للمشاركة في أحداث واقعه، وتتداخل هذه المشاركة في إطار الواقعية لاستنتاج إيماءات مؤثرة تتماها مع المحول الإخباري للأحداث[4]، إنّ مدخلات الذاكرة الدلالية هي التي تنظم مجموعة المعاني وترتيبها في إطار دراسة النص، بوصفه ممثلا لحالة تقوم على تنظيم الجمل الافتراضية، لذا هي تمثل معالجات «تخزين المعاني أو دلالات الكلمات والمفاهيم ومختلف المعلومات عن العالم الخارجي والبيئة المحيطة للإنسان»[5]، لذلك تمثل الذاكرة الدلالية نمطا تحفيزيا لإثارة الدلالات ودراستها، والكشف عن العلامات الدلالية والتمثيلات بين الكلمات وما تحمله من معانٍ، فهي تشتغل على وفق نمطين:

(١) ينظر: علم الدلالة مقاربة وتطبيق (بحث سابق) د. محمود خليف خضير الحياني: ص٨٥.

(٢) ينظر: المعنى بين الوحدة والتعدد، مقاربة دلالية (بحث) صابر الحباشة، مجلة دراسات في الإنسانيات: ع٤، ٢٠١٨م: ص ٤٠.

(٣) نحو مقاربة في وصف دلالة النص (بحث) د. لبوخ بوحملين، الأثر مجلة الآداب واللغات، الجزائر، ع٨، ٢٠٠٩م: ص٤٨.

(٤) ينظر: سيكولوجية الذاكرة الدلالية والأحداث الشخصية في ضوء نظرية معالجة المعلومات، د. أمثال هادي الحويلة: ص١٥.

(٥) سيكولوجية الذاكرة الدلالية والأحداث الشخصية في نظرية معالجة المعلومات، د. أمثال هادي الحويله: ص١٥.

أ-استحضار الدلالات، إذ تقوم الذاكرة الدلالية بترميز المعلومات ترميزا دلاليا، حسب مصنفاتها واختصاص معانيها وحقولها ومضامينها، ويشمل هذا الترميز الرموز اللفظية معناها ومبناها.

ب-تداعي المعاني ودلالاتها، عبر التنظيم المعرفي لدلالات الكلمات[1].

وقد سبق أنْ اقترح كينتش Kintsch بدراسة دلالة النصوص في إطار نموذج تنظيم الذاكرة الدلالي، فيضع تصورا قضويا للدلالة يتبنى قضية الدلالة تحت مسمى (الجمل الافتراضية) التي تُعدّ الوحدة الدلالية الأساس، حيث يقوم بتحليل البنية العميقة للجمل في نحو قضايا ذات فعل دلالي، يتصدر لعلاقات ظاهرة تشبه الحالات، حيث ترتكز الذاكرة الدلالية على مرجعيات تتعلق بذوات أو أشياء أو أفكار أو قضايا خارجية أخرى، بمعنى أنها ترتكز على مضمون الرسالة لا على شكلها أي التفاعلات اللفظية[2]، حيث تُعدّ الذاكرة الدلالية «مراجع معرفية...للإشارات التي تمثل مدخلات رمزية...إنّها تتكون من المعلومات اللفظية التي تخزن بشكل لغوي أو رمزي، ولها قواعد عملها الخاصة بها»[3]، فهي تعكس فاعلية التمثيل المعرفي والتمثيلات النشطة للذاكرة طويلة الأمد، فتضم الوحدات المعرفية المستترة، ذات الترابطات المتعلقة بالمعرفة التقريرية والمعرفة الإجرائية، فهي تستحضر نشاطات الترميز في الذاكرة العامة، فتختص بالربط بين الكلمات، وتنظيم المفاهيم والأفكار واستنتاج الدلالات من ذلك، وغالبا ما تختص بالمعارف العامة والمفاهيم والمعلومات التي لا ترتبط بحيزيّ الزمان والمكان، لذلك تبنى معالجة الدلالات عندما تسمح بتخزين المعلومات والتصورات، فتستبعد مكونات الذاكرة الشخصية التي تقوم بتسجيل الأحداث الواقعية الماضية أو الحاضرة، كالذكريات ونحوها، لأنَّ من طبيعة الذاكرة الدلالية أنَّها تهتم بالمعلومات ذات الطبيعة المعرفية، من هنا كانت هذه الذاكرة تتوارى خلف عباءة الذاكرة الشخصية[4].

تمثل الذاكرة الدلالية حافزا كشف وإثارة مكامن المقاربات الدلالية في النصوص، لا سيما الإبداعية، عبر تحولات وتجاذبات العصاب الاستحواذي المهيمن في هذه الذاكرة، فهي تساعد على انتزاع هذه المقاربات الدلالية من مكامنها المستترة والمشفرة في أروقة العقل، وتحويلها إلى منجز أو مشروع دلالي، ولولا هذه الذاكرة الدلالية ما استطاع كل من المتكلم والمتلقي في السيطرة على الدلالات، فالمتكلم

(١) سيكولوجية الذاكرة الدلالية والأحداث الشخصية في ضوء نظرية معالجة المعلومات: ص ١٥.

(٢) ينظر: نحو مقاربة في وصف دلالة النص (بحث سابق): ص٤٢-٤٣.

(٣) سايكلوجية الذاكرة الدلالية: ص١٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٦ ومابعدها.

تحفزه الذاكرة الدلالية لانتزاع بعض النصوص من مكامنها وتوظيفها في كلامه، والمتلقي كذلك لوما تستفزه الذاكرة الدلالية ما فهم النصوص ومقارباتها الدلالية، لا سيما في أنساق التناص أو التضمين أو الاقتباس، مهما اختلفت المسميات، فهي بمثابة استبصار دلالي، أو مهارة دلالية، تتوزع بين مبدع النص وصانعه وبين متلقيه ومستقبله.

المطلب الثالث: المنافذ الدلالية ومكوناتها اللغوية -اللسانية

دأب الدرس اللساني الحديث على تصور البحث الدلالي بمنافذ حسية تدرك بالحواس، وأخرى عقلية مدركة بالأفكار، وهذا مسار أدعى للتوافق الدلالي بين المبدع والمتلقي، إذ «تعتمد الدلالة على اللغة والخطاب في التعبير عن مضمون الواقع الحسي، والعقلي؛ لتؤسس وجودها وكينونتها الوظيفية من خلال الوعي أو من خلال المرجع»[1]، لذا تتصدر اللغة وعيها الدلالي على شاكلتين، الأولى: اللغة التقريرية، التي تكون فيها لغة العلامة اللسانية الدلالية مباشرة، تنحو إلى الإخبار والتقرير، فتكون الدلالة في مفرداتها اللغوية مطابقة في معانيها للواقع الخارجي، لتقتصر وظيفتها هنا على التوصيل والإفهام، حيث الدلالات ثابتة والمعاني محددة والمواقف منجزة، الثانية: اللغة الإيحائية، حيث ترد الدلالة بلغة تختبر المضامين غير المتطابقة في بنيتها الظاهرة مع الواقع الخارجي، فتسمو الكلمات والجمل لتخرج من حيز الثبات والمحدودية في دلالاتها لتحقيق الوعي الدلالي المتكامل، فتكتسب اللغة طاقاتها التعبيرية البيانية، فالمبدع يتقصد استعمال «الألفاظ لأجل ما توجده من إشارات، وإما لأجل المواقف والانفعالات التي تعقب هذه الألفاظ»[2]، وعندئذ تصبح الدلالات في لغتها انعكاسا لعلاقة متشابكة بين مثير ومنبه يعقبها استجابة ما، فتُحال هذه الدلالات إلى علامات ورموز، تعبر عن أشياء أو وقائع خارجية، هذا ما نوه إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: «إنّ اللغة تجري مجرى العلامات والسمات، ولا معنى للعلامة أو السمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه»[3]، فتبدو حقيقة الدلالات ارتسامات في الذهن معبرة عن الأشياء الخارجية[4].

إنَّ علم الدلالة بوصفه منافذ علاماتية هو علم يُعنى بالصورة الافهامية للنصوص؛ لأنه ينطلق على أساس «تحديد العلاقة بين الدال، وهي علاقة لا يمكن ضبطها إلّا إذا تعرفنا على طبيعة كل من

(١) البحث الدلالي عند ابن سينا: ص١٠٩.
(٢) مبادئ النقد الأدبي، أ.أ ريتشاردز: ص٢٣٩.
(٣) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: ص٣٤٧.
(٤) ينظر: اللغة في الدرس البلاغي، د. عدنان عبد الكريم جمعة: ص٩٠.

الدال والمدلول وخواصهما، وفي هذا الإطار فإنّ الدال اللغوي لا يمكن بحال من الأحوال أنْ يحيلنا على شيء بعينه في العالم الخارجي مباشرة، وإنّما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير إليه العلامة اللسانية»[1]، وبذلك تكتسب المقاربة الدلالية مصداقيتها من علاقاتها بالمفاهيم الخارجية الدالة عليها، عندما تبرز خصوصيات استعمال معاني الكلمات عند تفسيرها، وربطها بالإحالة إلى خصائص هذه المفاهيم والعلاقات الكائنة بينها[2]، لذا فإنّ اختيار الألفاظ وتوجيهها إنما لتؤدي، فضلا عن الإيفاء بالدلالة، وظيفة تأثيرية، انطلاقا من مضمونها المؤثر، بالنظر إلى الإعراب «عن الإحساس بوساطة اللغة، وبالنظر إلى تأثير اللغة بالإحساس»[3]، وعندئذ يتوجب أنْ يُحاط الكلام بمقاماته وسياقاته؛ لما لها من أثر في القيمة الدلالية، إذ يحدد معاني الألفاظ ودلالاتها التي تشير بدورها إلى المعنى اللغوي الكلي للنص، ضمن علاقته بالسياق»[4].

مثال ذلك قول الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية، الخطبة التي اكتسبت علوها وأهميتها من المتحدثة سيدة نساء العالمين، التي تنطق بالحق، ولا تنافيه أبدا، حيث قالت مخاطبة جمع من المسلمين في دار الخلافة بُعيد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله «**هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل بدار إنما زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**»[5]، في هذا النص الفدكي ضمنت السيدة الزهراء عليها السلام كلامها الشريف القول الكريم ﴿ **أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا** ﴾[6]، وفي الأصل انزل الله تعالى هذا النص في المنافقين الذين كانوا يستأذنون الرسول صلى الله عليه وآله بالقعود، وعدم الخروج للجهاد، بشتى الأعذار والأكاذيب، فكانت عاقبتهم أنَّهم سقطوا في وحل الفتنة، إذ فتنهم الشيطان بالغرور، فوقعوا في مهلكة الكفر والضلال والنفاق وسوء السريرة، وكذلك حالهم في الآخرة إلى جهنم وبئس المصير[7].

المقاربة الدلالية: يكشف هذا النص بتلابيبه ومعانيه أنَّه خطاب موجه من السيدة الزهراء عليها السلام إلى مجتمع المدينة آنذاك، لا سيما المنافقين منهم، فبعد أنْ كان الخطاب القرآني عاما شاملا للمنافقين

(١) النظرية الدلالية، حسام بهنساوي: ٩٠.
(٢) ينظر: المعنى بين الوحدة والتعدد مقاربة دلالية (بحث سابق) صابر الحباشة: ص ٥٢.
(٣) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندريس: ٣٣، وينظر: إني فاطمة وأبي محمد، فوزي آل سيف: ص١٣
(٤) الصوت الآخر الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، د. فاضل ثامر: ص٢٠٤.
(٥) بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر: ص ١٨.
(٦) سورة التوبة: الآية٤٩.
(٧) ينظر: الميزان، الطباطبائي: ج ٩ ص٣٠٥، وتداعيات (التناص الواعي) في النص المعصوم، الخطبة الفدكية إنموذجا، د. عماد صالح جوهر التميمي: ص١٣-١٤.

أينما كانوا، حتى المخاطَب المنافق الافتراضي الذي لم يتواجد آنذاك، أصبح الخطاب موجه إلى جمهور المدينة ممن نقضوا بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وبايعوا أبا بكر، هذا ما دلت عليه الجمل والتراكيب التي سبقت النص الفدكي «هذا والعهد قريب والكلم رحيب...» فهذه العبارات تدل على أنَّ واقعة الفتنة حدثت بُعيد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله حيث لا زالت آلام الفراق مدمية والقلب محزنا والنفس شجية لفراقه، فضلا عن ذلك أنَّ تنصيص الزهراء عليها السلام في خطبتها بالنص القرآني أعلاه حدثت فيه مغايرة في نمط الخطاب، فبعد أنْ كانت عليها السلام توجها خطابها بصورة الخطاب المباشر المواجه «**إنما زعمتم خوف الفتنة**» عدلت بخطابها إلى الغيبة ﴿ **أَلا فِي الْفِتنَةِ سَقَطُوا** ﴾ وهو ما يعرف بأسلوب الالتفات، وكأن المتكلمة نأت عن الاستمرار بمخاطبتهم بالخطاب المباشر، فعدلت إلى خطاب الغيبة استنكافا منها لهم، واستصغارا لشأنهم.

ثم عدلت السيدة عليها السلام في خطابها إلى خطاب التسوية الذي يتساوى فيه ضميرا الخطاب والغيبة، فاستشهدت بقوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾[1]، وإذا كانت دلالة هذا النص الأصلية فيها معادلة حال المنافقين في الدنيا وتسويتها بحالهم في الآخرة، نتيجة السقوط في وحل الفتنة وسبل الشيطان في الدنيا، والسقوط في وحل جهنم، فكذلك الحال في النص الفدكي، فهذا التناص مع القرآن، يشعر المتلقي بالوعيد والتهديد الشديدين وسوء عاقبة المنافقين كلهم شاردهم وواردهم، أسوة بالنص القرآني، فالدلالة متطابقة بين النصين القرآني والفدكي.

وخطبت السيدة زينب عليها السلام في الكوفة[2]، في موضع تناص كلامها مع قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ** ﴾[3] ، ثم تستشهد في موضع آخر بقوله تبارك وتعالى ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾[4]، الموضع الأول الخطاب عام يشمل الكافرين جميعا، فلا يحسب هؤلاء الذين كفروا أنَّ الله تعالى يملي لهم الخير في الدنيا، بل هو شر واقع عليهم ونازل بهم، فهذا الإملاء ليزدادوا إثما، والموضع الثاني أيضا خطاب عام شامل لكل مَنْ جاهد فاستشهد في سبيل الله تعالى، فهؤلاء لهم من الكرامات والنعم ما لا مثيل له[5].

(١) سورة العنكبوت: الآية ٥٤.
(٢) ينظر: بلاغات النساء: الآية ٢٦-٢٧.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.
(٥) ينظر: فتح القدير، محمد الشوكاني: ج١ ص٢٦٨-٢٧١.

المقاربة الدلالية: إنَّ استشهاد السيدة زينب عليها السلام بهذين النصين القرآنيين المتعاقبين في محفل الكوفة، لتبين جهة الحق من جهة الباطل بعقد المقارنة بين طرفين أو فريقين، بمعنى أنّ الخطاب له خصوصية، إذ خروج عن عموميته إلى الخطاب الخاص الموجه، يمثل الطرف الأول: ابن زياد وزمرته، والاستشهاد بالنص الأول يبين أنَّهم كفروا وتعدوا حدود الله وتجرأوا عليه وعلى رسوله؛ ولذلك سوف تكون نهايتهم جهنم وبئس المصير، أما الطرف الثاني فيمثله قتلى آل البيت عليهم السلام الذين استشهدوا في واقعة الطف، وهم أسياد الجنة وأهلها، وهم أحياء عند ربهم لهم رزقهم ونعيمهم، إذن المقاربة الدلالية حولت الخطاب من العموم إلى الخصوص، يصدق ذلك بلحاظ وجود السياقات المقامية، ومنها زمان ومكان القاء الخطبة الشريفة التي اقتبست هذين النصين القرآنيين، ثم المعنيين بالخطاب وهم أهل الكوفة (ابن زياد وزمرته) في الموضع الأول، وشهداء الطف (الحسين وأولاده وأصحابه عليهم السلام) في الموضع الثاني.

يتضح مما سبق دور السياقات لا سيما السياقات المقامية (الاجتماعية والثقافية) في التكهن بدلالات مستجدة، وإذا كان السياق القرآني قد سبق أنْ حدد دلالات النصوص القرآنية وأغراضها لا سيما دلالة السنن الاجتماعية ودورها في تفحص المعاني والدلالات، فإنَّ السياقات المقامية والسنن الاجتماعية والظروف السياسية تؤثر كذلك في دلالة ما يتناص به من النصوص القرآنية، فعندما تُنقل هذه النصوص القرآنية لتضمينها في نصوص أخرى وتناصها معها، فهذا يؤثر في تبدل نمط الدلالات إلى حدٍّ ما، فأصبحت النصوص القرآنية ذات دلالات أكثر تخصيصا وتحديدا، إلى حدّ ما بعد أنْ كانت تفيد العموم والشمول، إذ وجهت عناية المتكلم الذي اشتغل على تناص الآيات مع كلامه، إلى استثمار دلالات جديدة أُخرى تخدم أغراض كلامه ومقاصده.

المبحث الثاني: مقاربة الفهم الدلالي للنص المقدس عند المعصوم

المطلب الأول: المحتوى الدلالي والقصد البراغماتي (السياقي).

لم تكن الحماسة إلى البلاغة والفصاحة عند المتلقي المعصوم متكلفة الخاطر بل كانت عفوة السجايا، حملها معصوم عن معصوم، لأنه قد أدرك كلام الخالق ودلالات كلامه، دون المتلقي العادي، الذي لم تمكنه بواطنه الخفية وظواهره السجية من إدراك عمق دلالات النص القرآني، ولم يحط بدلالات ظواهره وبواطنه، ومن علم هو عاجز عن معرفة الله تعالى، كما حاط بذلك المعصوم وآله؛ لسببين:

الأول: تجلي المبدع (الذات الإلهية المقدسة) في كلامه، وشمولية هذا الكلام بدلالاته.

الثاني: محدودية إدراك المتلقي العادي لدلالات النص الكريم.

يفضي هذا إلى القول بقصور المتلقي العادي عن الإحاطة بالفهم القرآني المتكامل، فضلا عن قصوره عن إدراك تجلياته برؤية آثار المبدع المطلق المجرد، لأنّ «الفهم التام للنص القرآني ليس ممكنا لكل أحد، وهو ما يبين حقيقة النص وطبيعته الدلالية، وما يتمتع به من مراتب الفهم الظاهر والباطن»[1]، فأصبح الفهم القرآني في مفترق طرق، الأول: تباين الإفهام واختلافه حدّ التقاطع فيه، والانشغال بعملية الفهم نفسها تارة بالتفسير وتارة بالتأويل وثالثة بالاجتهاد الشخصي، مما أوقع هذا المتلقي العادي إلى القول بمجازية الدلالة القرآنية بمعنى «أنّ النص القرآني يقوم في تراكيبه على أوجه متعددة من المجاز، تُمارس دورا هائلا في استحداث ما يدور فيه بنية التباسية ونصية»[2]، وإذا كان المجاز يعمل على «تفجير الكلمات واستثمار طاقاتها بشكل يتحول فيه الخبر من عنصر إفهام إلى عنصر إثارة»[3]، إلاّ أنه لا يستثمر الدلالات الحقيقية، إذ يبعد الفهم عن مراد المتكلم وقصديته، والثاني: محاكاة متلقي النص القرآني وإتباعه، لاسيما ممن حذته المستويات الفكرية الرفيعة، والتوجهات العقدية الصادقة، وهم أهل العصمة عليهم السلام إذ يكون فهم الدلالة متأرجحا بين مقاصد المبدع وتلقي المعصوم، ولقد كان الوقوف على فهم النص القرآني ومقاصده الدلالية الغاية الأسمى التي نهض بها المتلقي

(١) فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة، د. صباح عيدان حمود العبادي: ص٤٧.

(٢) النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، طيب تيزيني: ص٢٧١.

(٣) الدلالة الوظيفية في بنية الجملة الشعرية، د. عامر السعد: ص١٣٢.

المعصوم الأول ﷺ، حيث أدرك جليا أنَّ من أهم «المقاصد التي يريد الخطاب القرآني أن يوصلها إلى المتلقي هي الكشف عن هوية المبدع وتعريف المتلقين به»[1]، مما يعني أنَّ أهل العصمة قد توصلوا إلى معطيات دلالية جديدة، اثبتت القدرة الملهمة في قراءة النصوص القرآنية لمعرفة انتاجها الدلالي.

ولكن هذا لا ينفي فهم العامة لمقاصد القرآن وأغراضه بالألفاظ والتراكيب؛ لأنَّ النص القرآني «كلام كسائر ما يتكلم به الناس، ويدل دلالة واضحة على معانيه المتصورة، وليس فيه خفاء على المستمعين، ولم نجد دليلا على أنّه يُقصد من كلماته غير المعاني التي ندركها من ألفاظه»[2]، وإلاّ لما صح القول بأنَّ القرآن مبين وواضح، «فالعرب كانت تفهم معاني القرآن من ظواهره، ولو كان القرآن من قبيل الألغاز لما تصح مطالبتهم بمعارضته ولم يثبت لهم إعجازه»[3]، ولكن نحن هنا بصدد الدلالات الكامنة في فحوى النص القرآني، التي تعسر على فهم العوام؛ لما فيها من خفايا وأسرار، «وأما الباطن فلا يقف عليه إلا الراسخون في العلم، وعلى ذلك يحمل ما ورد من اختصاص فهم القرآن بأهل البيت سلام الله عليه»[4]، حيث تبرز خصائص التلقي الصادق لديهم « فمعرفة خصائص المتلقي لها أثر دلالي كبير في توجيه النص التوجه الصحيح، وقد راعى النص القرآني هذا المقام وأعطاه أهمية قصوى، فكان الخطاب موجه إلى البشر وعلى قدر ما يفهمون، وذلك لأنَّ المتكلم الحكيم الواقف على خصائص مخاطبه يلاحظ حالاته الخاصة في خطاباته فلا يتكلم بما لا يليق بشأنه»[5].

إنَّ القرآن الكريم بكيفياته من التقديس والتكامل والشمولية امتلك الكفاءة التامة والقدرة المتكاملة على «اثبات دلالاته بنفسه، لأنَّ مبدعه أراد أنْ تكون له القدرة على إيصال هذه الحقيقة للمتلقي»[6]، وقد حظيّ تلقي المعصوم للنص القرآني ببنائه على الفكر والمعنى قبل بنائه على الألفاظ والبنى الشكلية، لأنَّه متلقٍ امتلك العمق العقدي والثقافي والتاريخي واكتنز بالعمق المعرفي استكمالا لمتطلبات الفهم والاستيعاب وإدراك المضامين الدلالية المستترة، فكان هذا التلقي عابرا للحدود الوظيفية القارة بالمباشرة والتقريرية والإخبار، إلى زوايا المعاني والدلالات القابعة استتارا في الحدث الكلامي والخطابي، لإبراز المقولات المعرفية حسب طاقاتها الدلالية، لا سيما أنّ النص القرآني قد

(١) فهم الخطاب القرآني بين الامامية والأشاعرة: ص٥٧.
(٢) القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي: ص٢٣.
(٣) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ص٢٦٢.
(٤) دراسات في علم الأصول، السيد الخوئي: ج٣ ص١٣١.
(٥) البحث الدلالي في آيات الأحكام عند السيد الخوئي، د. صباح عيدان العبادي: ص١٠٤.
(٦) فهم الخطاب القرآني بين الامامية والأشاعرة: ص٧٤.

تجاوزت فيه اللغة في بعض المواضع الإفهام في مطابقتها الواقع ووظيفة التوصيل الآنية، المحددة بإشارات تدل على معانٍ محدودة ترافق الألفاظ وتطابق المعاني، إلى مواقع يكون فيها الإفهام الدقيق المعبر عن قصدية المتكلم الخالصة، غاية صعب المنال ضمن أطر التواصل والإفهام ما لم يناط الأمر إلى فهم المعصوم، وإذا أخذنا بالاعتبار أنَّ «القرآن لم يفصل بين حدث الكلام والمتكلم وحدث الخطاب وصاحبه، بل ظل حضور المتكلم في النص مستمرا إلى ما بعد حدث الكلام ولحظة الاتصال الأولى بين المتكلم والمستمع»[1]، فنحن إذن في حاجة إلى متلقٍ له خصوصية فريدة، وحضور قوي مكثف؛ للولوج إلى البنى العميقة والجوهرية لاستحصال الدلالات الدقيقة عبر فك رموز النص وشيفراته واضاءة تأويلاته، الغاية من ذلك هداية المتلقي الآخر، وهي غاية يمثلها القرآن الكريم بنفسه.

لقد كانت غاية أهل العصمة عليهم السلام وإن ارتبطت هذه الغاية بفهم الظاهرة القرآنية، غير أنهم لم يقصروا على ذلك، بل تعمقوا بالفهم؛ لأنَّ غايتهم القصوى معرفة الله وسرّ كلامه المتجلي في القرآن الكريم، بل هي غاية الغايات عندهم، فهذا المتلقي المعصوم «هو الذي يتحمل مسؤولية فهم الخطاب من داخل الخطاب، لأنّ المبدع أودع مقاصده في كلامه»[2]، وهذا متأسس على أنَّ «لتحديد مقاصد الخطابات القرآنية الدور المؤثر في تخصيب بيئة المعنى وإثراء عملية الفهم»[3]، من هنا كانت مقاربات النصوص القرآنية مع نفسها في نصوص أخرى تحقق بنية ممتدة ممهدة لاستكشاف واستكناه المضامين الدلالية، لمغايرة توظيفها في ظل تناصها في النصوص الأخرى، كما في الخطبة الفدكية، فقد أصبح تضمين النصوص القرآنية لازمة مكررة ومهيمنة على مفاصل الخطبة الشريفة، فعبرت عن مجددات دلالية منتظمة فشكلت توليفة منهجية تضيء بنية النص الفدكي، إذ خرجت عن الدلالة القرآنية إلى التعبير عن دلالات أخرى معبرة عن إشكاليات عقدية وثقافية وفكرية خاصة بالمخاطب في هذه الخطبة.

من ذلك تنصيص السيدة الزهراء عليها السلام في خطبة فدك مع النص القرآني ﴿ **وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾[4]، فاستشهدت بهذا القول العظيم محتجة على المخاطبين، عارضة عنهم بوصفهم بالكفر، فانتقلت دلالة الخطاب من مخاطبة موسى لقومه -على سبيل الحكاية- ممن كفر وتولى عن عبادة الواحد الأحد، إلى مخاطبتها لجمهور المدينة آنذاك ممن غصب

(١) النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقي، د. وجيه قانصوة: ص٥٤١.
(٢) فهم الخطاب القرآني بين الامامية والاشاعرة: ص٥١.
(٣) أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد مصطفوي: ص٢١١.
(٤) سورة إبراهيم: الآية٨.

حقها وحق ابن عمها وظلم أهل البيت عليهم السلام، فاستقطعت صدر الآية الكريمة عارضة وصفهم بالكفر كما كفر قوم موسى، ومؤكدة أنَّ كفرهم هذا إنْ اشترك فيه كل مَنْ في الأرض؛ فإنَّ الله تعالى غني عنهم جميعا، وهي بذلك، فضلا عن وصفها إيّاهم بالكفر، تستخف بهم وتوعدهم بعذاب الله تعالى مثلهم مثل قوم موسى، إنَّ «إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يكون بالدلالات الوضعية التطابقية، وإنما لا بد من التصرف العقلي في نقل الدلالة، مرتبطة بالقرائن التي تقتضيها المناسبة»[1]، والمناسبة هنا علاقة المشابهة بين أبي بكر وعمر وأهل المدينة، وبين قوم موسى.

المطلب الثاني: الانحراف الدلالي ومرتكزات الاستقطاب الوظيفي

ينحو اللفظ في أصل وضعه إلى طلب الحقيقة به، بناء على «ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة))[2]، وينحو به -أحيانا- إلى غير الحقيقة، ليكون هذا اللفظ في غير «موضعه الأصلي أو جاز مكانه وضع فيه أو لا»[3]، فقد تُبنى التراكيب لغرض دلالي ابتغاه المتكلم، لإيصال قصديته إلى المتلقي، مما يجري على وفق قوانين لغوية مفترضة مسبقا، لكن قد يتم الانحراف أو العدول عن الأُطر القانونية القواعدية لينسحب ذلك للعدول على قطبي التركيب الشكل والدلالة، وهذا «ما يضع الإبداع على طريق الأسلوب، ليصبح النص عملا لغويا، وفي الوقت نفسه فعلا شخصيا»[4]، إنَّ للكلمة أو اللفظة تكوينا وظيفيا دلاليا قائما على ثلاثة أسس:

أ-الانتقاء ب-الترتيب (الموقع) ج-الترابط

إنّ «اختيار الدوال أو الألفاظ قائم على قابليتها وتأثيرها في العبارة، بما تحمله من شحنة فكرية وطاقة تخيلية، تتسق والروعة الفنية التي تحدثها في صلب أجزاء الأثر»[5]، فالكلمة في ضوء عامل الانتقاء فيها، ووقعها بين الكلمات، وترتيبها وترابطها معنويا مع الكلمات «تكتسب قيمتها في مجاورتها للكلمات السابقة واللاحقة لها في أي تركيب أو نص، ويحدد السياق نوع هذه العلاقة»[6]، فيكون لها استقطاب وظيفي تؤديه عبره وظيفتها الدلالية، لا سيما فيما تمتلكه الكلمات المنتقاة من عناصر جذب

(١) اللغة في الدرس البلاغي: ص١٠٥.
(٢) الخصائص: ج٢ ص٤٤٢.
(٣) أسرار البلاغة: ص٣٦٥.
(٤) الدلالة الوظيفية في بنية اللغة الشعرية، رؤية لسانية في تحليل الخطاب الشعري: ص٦٠.
(٥) البحث الدلالي عند ابن سينا: ص١٨٦.
(٦) الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش مصطفى: ص٢٨٥.

وآثار جمالية، لترفد الخطاب بقوة تعبيرية مكثفة الدلالات، ذات طاقات إيحائية غير مرئية عندما تنتظم الكلمات المنتقاة في سلسلة تراتبية مترابطة ومنتظمة تظهر آثارها الفعلية، إذ تستقطب قواعدها وأزمنتها وأحداثها، فتُطلق الكلمة من أسر المعجم إلى فضاءات السياقات، لتزاول بانحرافها وتحولها أبعادا وظيفية تستبطن مواضعها ودلالاتها[1]، إذ تحرز الكلمة في سياقها الانحرافي قوتها الدلالية وفعاليتها الجمالية؛ لتصبح عنصر جذب دلالي وجمالي في الوقت نفسه، مما يحيل ذلك «أنظمة الترتيب والترابط التي يغدو الخطاب في ضوئها مؤطرا بالنسق الذي يحيله إلى قوة تعبيرية كثيفة»[2]، إنَّ اللغة-أية لغة- تستنبط معانيها ومدلولاتها على مستويين، الأول: المستوى المثالي، القائم على مراعاة القوانين اللغوية والقواعد المستنبطة، وهذا يُحرز في الأداء العادي[3] وتكون الدلالات في هذا المستوى ذاتية وتسمى دلالات إفرادية، حيث يتطابق الدال مع مدلوله ويتطابق ظاهر النص مع باطنه واللفظ مع واقعه الخارجي مطابقة تامة «كدلالة لفظ الرجل والاسم والإنسان على معانيها المفردة، فإنها دالة عليها من غير إضافة أمر إليها، لا سلبا ولا إيجابا»[4]، وهي دلالة يفهمها القاصي والداني، أي الدلالة القرآنية، ممن اعتنق الإسلام واستوعب معاني القرآن، وهي دلالة ثابتة جازمة، يكون المتلقي فيها متساوٍ مع نظيره في الفهم الدلالي الثاني: المستوى الإبداعي، ويتجسد في اختراق مثالية اللغة القاعدية، وتجاوز قوانينها، وانتهاك مثاليتها، وفي هذا المستوى دلالات عرضية تعتمد على المفهوم التفسيري والتصور التأويلي، لإنتاج مخاتلات دلالية، وهي دلالات تستنبط من متلقٍ اعتمد على مكامن الاستدلال عبر استحضار المعاني، لإضافة وجه آخر من وجوه المعنى والدلالة، متعينا على ذلك باللغة، ومناسبة القول، وإدراك فحوى الكلام أو الخطاب[5]، فينبئ المقروء عن ماهيته الدلالية، فالفهم يختزل المسافات الدلالية بين مبدع النص والمتلقين؛ لتحقيق المعرفة الكاملة، وكل هذا مناط بتوفر الكفاءة الدلالية المرتبطة بكفاءة المبدع من جهة، وكفاءة المتلقي (كفاءة التبليغ والتوصيل) من جهة أخرى، وقد كان المتلقي الأول صلى الله عليه وآله شاهدا على كفاءة المبلغ وبيان دلالاته، وأهل بيته مثله، لا سيما بالكشف عن الانحرافات الدلالية، التي لا تقتصر على البُنى الشكلية التي تدعمها بُنى دلالية، بل يكون المرتكز الوظيفي يعمل على استقطاب دلالات أُخر، تقوم على رؤى تفسيرية وأخرى تأويلية؛ لذلك لابد أنْ تكون هناك

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان: ص٣٢٠.

(٢) الدلالة الوظيفية في بنية اللغة الشعرية، رؤية لسانية في تحليل الخطاب الشعري: ص ١٩١.

(٣) ينظر: البلاغة والأسلوب، د. محمد عبد المطلب: ص ١٩٨.

(٤) الطراز، العلوي: ج٢ ص٩.

(٥) ينظر: فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشاعرة: ص٧٤.

معايير دلالية في بنية التحول الدلالي (الانحراف الدلالي) وهي: «أنْ يكون التحول مرتكزا على علاقة منطقية، تربط حبل الأسباب بين الحقل الدلالي الأول، والحقل الدلالي الثاني، وهي العلاقة أو القرينة، هي ضرب من المناسبة أو المشاكلة أو الشبه المحقق...وألّا يكون ممعنا في الأغراب، ومعناه ألا يتعسر على الإنسان، والاهتداء إلى مدّ الجسر المنطقي الرابط بين الحقلين الدلالين»[1]، والانحراف الدلالي في خطب نساء البيت المحمدي- العلوي تمركز دلاليا ووظيفيا حول: الصياغة الدلالية - التخاطبية، والحذف والاستحداث في المباني والمعاني، والاستبدال اللفظي الدلالي.

في خطبة للسيدة زينب عليها السلام أمام حشد من أهل الكوفة اقتبست في خطبتها قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا** ﴾[2]، ومعنى النص القرآني النهي عن نقض العهود والعقود والاحلاف، وشبه النص كل من يبرم عهدا أو عقدا ثم لا يفي به بالمرأة الخرقاء التي كانت هي وجواريها تغزل غزلها وتبرمه وتحكمه ثم تحله وتفكه ويرجع كما لم يكن، ويقال أنَّ هذه المرأة اسمها ريطة من بني تميم من تيم...وضرب بهذا المثل لكل من ينقض عهده مع الآخر والعودة إلى الكفر[3]، استعارت السيدة زينب عليها السلام هذا النص القرآني وضمنته خطبتها في الكوفة، لكنها أحدثت تحويلا في بنيته الشكلية وبنيته الدلالية، فقالت «**إنَّما مثلكم كمثل التي انقضت غزلها من بعد قوة انكاثا**»[4]، وهذا التحول أو الانحراف حصل في بنيتي الحذف والاستحداث، حذف عبارة ﴿ **وَلَا تَكُونُوا** ﴾، واستحداث عبارة «**إنما مثلكم كمثل**» وهذا الحذف والاستحداث أصاب الشكل والدلالة، فتحول:

-الأسلوب من الطلب (النهي) المراد به الكف عن نقض العهود والانتهاء منه إلى أسلوب الإخبار والتقرير، أسلوب التوكيد بالحروف بـ (إنما) والتوكيد باللفظ المكرر (مثلكم) (مثل)، وكأنها تريد التقرير على نقضهم العقود، فهي تخبر عن واقعة حدثت وانتهت وتوكدها، وفي هذا التأكيد أنّ المخاطَبين كانوا ممن نقض العهد والعقد مع سبق الاصرار والعمد، فهذا الخطاب وجهته عقيلة الطالبين عليها السلام بُعيد واقعة الطف إلى مجتمع الكوفة، لا سيما اللعين ابن زياد وحاشيته وجيشه، وكل الحشد الجماهيري الذين نكثوا بيعة الإمام الحسين عليه السلام بعد الاقبال الشديد عليه، وزعمهم وافتراؤهم كذبا أنَّهم معه، فإذا بهم ينكثون عهود النصرة والتأييد له، مما أدى إلى احتدام القوتين إلى الحرب، ثم آلت ما آلت إليه الأمور، واستشهاد الإمام وأهل بيته وسبي نسائه عليهم السلام.

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي: ص١٩٣.
(٢) سورة النحل: الآية٩٢.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي، القرطبي: ج١ ص١٥٦، وبحار الأنوار: ج٣٦ ص١٧٠.
(٤) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢ ص١١٠.

-تحويل مصداق الخطاب من الخطاب العام الشامل لكل من ينقض العهود والعقود إلى خطاب خاص موجه إلى مجتمع أهل الكوفة آنذاك.

-حسب الواقعة التي نوهت الخطبة إليها جاء التنصيص بالآية القرآنية والإبانة عن دلالة قطع الرجاء مما قاموا به، فلا تنفع بعد توبة ولا حسرة، فالأمر قد وقع، وجرى ما جرى، والندم والحسرة غير مفيدين الآن، وكما صورت الآية القرآنية حال الكافرين والمنافقين وشبهتهم بصورتين (أثناء الغزل) و(بعد الغزل)، ففي الصورة الأولى يتكامل الغزل مما يقابل شبها بإبرام العهود والعقود، وفي الصورة الثانية ينحل الغزل وينتهي كما لو لم يكن، كما تنحل العهود والعقود، لكن النص المتناص الذي ورد في خطبة السيدة عليها السلام لم تكن هكذا الحال، بل صورت حالهم ما بعد انعدام الغزل، الذي يقابله انتقاض العهود والعقود، وهي تعرض بهذه الدلالة أنهم كانوا السبب المباشر في استشهاد الإمام الحسين وأهله عليهم السلام، فلا فائدة من البكاء والندم، وبهذا التناص والاقتباس تم تصوير مشهد درامي بيّن طبيعة هؤلاء المنافقين من أهل الكوفة الذين نكثوا العهود بعد إبرامها وتوكيدها، ثم راحوا يتباكون على حال أهل البيت عليهم السلام.

ونحو هذا التنصيص على قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِين أَساءوا السّوأى أَن كَذَّبُوا بِآياتِ الله وَكَانُوا بِها يَسْتَهزِءونَ** ﴾[1]، النص القرآني غايته بيان لما انتهى إليه أمر الظالمين، ولذلك عبر بـ (ثم) التي تتعلق بأولئك الذين عملوا السوء ثم لم ينتهوا فكان مصيرهم سوء العذاب؛ لأنَّهم استهزءوا بآيات الله وبرسله، ولا سيما النبي (محمد) صلى الله عليه وآله، فضلا عن ارتكاب المعاصي، ويدل مقام النص على الاعتبار والعظة والإنذار[2]، أما في خطبة السيدة زينب فقد ورد النص في قولها: «صدق الله ورسوله يايزيد ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوء إن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون»[3]، فحدث انحراف دلالي على النحو الآتي:

-تغير أسلوب الخطاب ونمطه، من الخطاب العام إلى الخاص، موجه إلى يزيد (لعنه الله) وزمره.

-انحراف مصداق الآية، من مصداقها الكلي المنطبق على مَنْ استهزأ بالكتب السماوية والرسل والأنبياء، إلى خصوصية الاستهزاء بقضية آل البيت عليهم السلام لا سيما أنَّ خطبة السيدة عليها السلام كانت في محفل من محافل يزيد (لعنه الله)، والحدث أنَّه كان ينكث ثنايا الحسين عليه السلام ويستهزأ به.

(١) سورة الروم: الآية١٠.
(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ج١٦ ص١٥٩.
(٣) بلاغات النساء: ص٢٥-٢٦.

-كما تغاير مصداق الذين أساؤا السوأى، من الكافرين والمشركين، إلى يزيد وزمرته، وفي هذا تعريض بأنَّهم أيضا المقصودون بالكافرين المسهزئين بآيات الله، فمصداق الاستهزاء والسوء ينطبق على يزيد ومن والاه (لعنهم الله).

-مصداق الآية أيضا الإمام الحسين عليه السلام، إذ إنَّ آيات الله تعالى لا تنحصر بالقرآن الكريم ونحوه، بل تنطبق وتنسحب أيضا على الإمام الحسين عليه السلام، فالخطبة في هذا الموضع فيها دلالة التعريض إلى الإمام الحسين عليه السلام ضمنيا، ومن ثم التأكيد على أنَّ المستهزئين من الكافرين يكون المصداق الأول فيهم يزيد (لعنه الله)، بدليل السياق الروائي الذي يُذكر أنَّ السيدة زينب في الشام «حين رأت يزيد يسخر بكل شيء ويتكلم بكلمات الكفر، وأنشد أشعارا من ضمنها:

لَيتَ أَشْياخِي ببدرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الخوارِجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ
لَعِبَتْ هاشِمُ بِالمُلْكِ فَلَا خَبَرٌ جَاءَ وَلَا وَحِيٌ نَزَلْ

وهذه الكلمات تكشف عن عدم إيمانه بأساس الإسلام، فحمدت زينب الله تعالى وصلت وسلمت على النبي صلى الله عليه وآله وقالت «**صدق الله كذلك يقول: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِين أَساءوا السّوأى أَن كَذَّبُوا بِآياتِ الله وَكَانُوا بِها يَسْتَهزِءونَ ﴾**»، أي إذا انكرت الإسلام والإيمان هذا اليوم بأشعارك المشوبة بالكفر، وتقول لأسلافك المشركين الذين قتلوا على أيدي المسلمين في معركة بدر: ليتكم تشهدون انتقامي من بني هاشم، فلا مجال للتعجب، فذلك ما قاله الله سبحانه ﴿ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِين أَساءوا السّوأى أَن كَذَّبُوا بِآياتِ الله وَكَانُوا بِها يَسْتَهزِءونَ** ﴾»[1]، وتبلورت المقاربة الدلالية المتحولة هنا بتحول دلالة النص القرآني من الضيق إلى السعة، فبعد أنْ كان يدل النص على المستهزئين من الذين كفروا بآيات الله وكتبه ورسله، دل على من يستهزئ بأهل البيت من المعصومين وغير المعصومين، وأكد هذا التناص والاقتباس أنَّ من آيات الله المعصومين، لا سيما الإمام الحسين عليه السلام.

وجاء قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَاد** ﴾[2]، متناصا في خطبة السيدة أم كلثوم عليها السلام في محفل الكوفة فترة السبي في قولها الشريف «فلا يستخفنكم المهل فإنه لا تحفزه المبادرة ولا يخاف عليه فوت الثأر كلا إنَّ ربك لنا ولهم بالمرصاد ثم ولت عنهم»[3]، يدل النص القرآني قبل التناص والتضمين أنَّ الله تعالى يرصد أعمال العباد ويرقبها ويحفظها، فهو رقيب يعذب من يطغى من عباده، فليس من ملجأ

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ١٢ج ص٤٨٠-٤٨١.
(٢) سورة الفجر: الآية١٤.
(٣) بلاغات النساء: ص ٢٤.

ولا مهرب من رقابة الله تعالى وقبضته، فمتى شاء أخذ المذنبين والجبابرة والطغاة والمجرمين بالعقاب والعذاب ولا استثناء في الأمر، وبما أنّه تعالى بعيد عن التجسيم فليس له مكانا يأخذ الطغاة إليه، فخرج الخطاب إلى دلالة الكناية، أي دلالة النص كناية عن إحاطة القدرة الإلهية بالمذنبين من الأولين والآخرين، فضلا عن ذلك الآية فيها تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وتطمينا لقلوب المؤمنين، إذ يؤكد الوعد الإلهي عدم انفلات أعداء الله والرسول من قبضة العذاب، وفيه تحذير عن ممارسة الظلم والطغيان(١).

المقاربة الدلالية: في خطبة السيدة أم كلثوم عليها السلام تمت إضافة تركيبين (لنا ولكم) ليتخذ الخطاب منحى التخصيص بيزيد (لعنه الله) وأهل البيت في فترة السبي عليهم السلام، فتحول الخطاب من العموم إلى الخصوص، فأبرز النص أنَّ الله تعالى بالمرصاد لاسيما بمن آذى أهل البيت، والقصد أنَّ الله تعالى يرصد الظالمين أمثالك يا يزيد ومن معك ويرقبكم ويعذبكم، وفي الوقت نفسه سيحكم بالعدل وينصفنا أهل البيت وينتقم منكم لنا، ولن تمر عليك هذه المظالم دون عذابات شديدة، وفي ذلك أيضا تسلية لأهل البيت ممن ظلموا وتعذبوا على أيدي الطاغية يزيد وزمرته.

كما تناص قوله تعالى: ﴿ **وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ** ﴾(٢)، ويتحدث النص عن مآل الذين عصوا الله من الكافرين الأولين من قوم عاد وثمود وغيرهم، إذ كانوا مترفين متنعمين بأنعم الحياة، ولكنهم لم يحافظوا على هذه النعم، بل عتوا وكفروا، فأرسل الله عليهم صنوف العذاب، وكان عقابهم من جنس عملهم، فقد اغتروا بقواهم، فأرسل تعالى عليهم ريح صرصر بصوت مزعج، فاتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة الذي سوف يكون أشد وأخزى(٣).

المقاربة الدلالية: اقتطعت السيدة أم كلثوم عليها السلام هذا الجزء من النص القرآني، لغرض توظيفه لدلالة الوعيد والتهديد على سوء المآل والحال، فاستبدلت قوله تعالى ﴿ **لَا يُنْصَرُونَ** ﴾ بـ «**لا ينظرون**» فقالت «**ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينظرون**»(٤)، وهي تريد بذلك أنَّ الله تعالى لا ينصرهم ولا ينظر إليهم، وخصت بكلامها هذا كل من ظلم آل محمد عليهم السلام سواء في كربلاء أم في الكوفة أم في الشام، وربما المعنى: لا ينظرون العذاب والخزي، وكأنه يحمل سرعته ومباغتته بين طياته.

وجاء النص القرآني ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ**

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٣٠ ص١٨٤، والتحرير والتنوير، ابن أبي الأصبع المصري: ج٣١ ص٣١٨.
(٢) سورة فصلت: الآية ١٦.
(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ج٤ ص١٣٣٩.
(٤) بلاغات النساء: ص٢٩.

عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾[1]، وفيه إخبار عن أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله حامل رسالة سماوية أسوة بمن تقدمه من الرسل الذي خلوا ومضوا، فالرسول يمضي، ولكن الرسالة يجب أنْ تبقى حية في نفوس المؤمنين، محافظين عليها متمسكين بها، وفي الآية دلالة الحث والتمسك بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله، لأنَّ الغرض من إرسال الرسل وبعثهم تبليغ الرسالة وإلزام الحجة وليس الأمر مرهونا فقط بوجودهم بين أقوامهم[2] ثم تناص هذا النص القرآني في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام، ولم يرد فقط لغرض الإخبار بأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كحال الرسل الذين مضوا وخلوا من قبله، بل أرادت السيدة الزهراء أنْ يكون هذا النص حجة على مَنْ تخاطبهم، وحجة على مَنْ أنكرَ عليها ورثها من أبيها، فأرادت القول أنَّه بمجرد أنْ استشهد الرسول صلى الله عليه وآله انقلبتم على أعقابكم وحصلت منكم ردة عن الإسلام، فلم تطبقوا ما جاء به الرسول والإسلام من احقاق الحق والعدل وإرجاع الحقوق المسلوبة لخاصتها.

-المقاربة الدلالية: حدث تغاير في توظيف النص القرآني في الخطبة في الآتي:

أ-إنَّ مصداق الآية يشير إلى أنَّ فعل الانقلاب أو حدث الانقلاب لا ينحصر في الارتداد عن دين الإسلام ومخالفة أوامره ونواهيه، بل يصدق ذلك أيضا على أنه يشمل سلب حقوق الإرث الخاص بالزهراء عليها السلام وانكار أحقيتها بفدك وسلب الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام.

ب-كما حدد هذا المصداق مَنْ يصدق عليه حدث الانقلاب على الأعقاب، فمن مصاديق الآية انطباقه كل من أبي بكر وعمر ومن طاوعهما وارتضى فعلهما.

ج-لم تقتصر دلالة النص القرآني المتناص به على الإخبار فحسب، بل تعدى ذلك ليكون حجة ومن مسوغات الاقناع والاحتجاج، فيه دلالة التعريض في المروق من دين الإسلام، وهذا المروق حدث بمجرد انكار حق الزهراء في فدك، وانكار حق الإمام علي في الخلافة، فتوظيف النص القرآني في النص الفدكي قد فضح انقلاب أبي بكر وعمر ومن والاهما وأكد مروقهم وخروجهم عن دين الإسلام، وفي الوقت نفسه حقق هذا التناص إضاءة النص الفدكي، إذ عزز من الاشتغال التواصلي مع المتلقي حول قضية فدك وقضية الخلافة.

المطلب الثالث: التحول الوظيفي- الدلالي في بنية الاستفهام

يُقصد بالتحول الوظيفي الدلالي كل من الانحراف والعدول والخروج عن مثالية اللغة وقوانينها

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ج١ ص٣٩٩.

المتجردة، وهذا التحول يفترض وجود أصل يقاس عليه كل انحراف وعدول في اللغة[١]، ويحدث التحول الوظيفي كثيرا في الاستفهام الذي عادة ما يؤتى به «لطلب الفهم لما ليس مفهوما أو لما غُمض أو لطلب حصول الصورة الذهنية بوساطة أدوات محددة لكن الاستعمال الخاص للاستفهام يفرغ هذه الأدوات من دلالة الاستفهام إلى دلالات بديلة يعكسها السياق الذي ترد فيه»[٢]، أي أنَّ التحول في بنية الاستفهام يحقق انزياحا وعدولا في وظيفته الأساسية وهي طلب الإفهام، وهذا مؤداه إلى حصول تبدل دلالي من دلالة الفهم وتحصيل الجواب إلى دلالات أخر تفهم من السياق، فضلا عن ذلك تحقق هذه الانزياحات والخروقات «مفاجأة ذهن المتلقي بالتشابه نطقا والتباين مغزى»[٣] وهذا التحول أو التغاير يعتمد على مرونة النصوص في استحضار التأويل باتجاه العدول الدلالي، مما يعني أنَّ «الحافز الدلالي له القدرة على توجيه الصياغة التركيبية لكل عبارة منغلقة، باتجاه يضمن لها تأدية ما تريد إيصاله»[٤]، لذا يصبح القول بالتحول الوظيفي ضرورة «عندما لا تفي قدرات الدلالة الحقيقة باستيعاب المعاني المراد التعبير عنها في مجال الإبداع الأدبي خاصة»[٥] فضلا عن أنَّ اللغة «تفتح أمام المستعمل آفاق الإبداع والاختراع وإمكانية التصرف في المواضعات بما يلاءم أغراضه في التعبير»[٦] إذ يولد ذلك دلالات إيحائية، والتعددية في مستجدات المعاني، واقتناص لوازم المعنى بالاستجابة مع عناصر التركيب.

يستمر البحث في اماطة اللثام عن المهيمنات الدلالية المرتبطة بالأشكال التعبيرية الممزوجة بالمضمر السياقي، فقد يؤتى بالنص القرآني في أروقة النص الفدكي لاستكناه مشروعية قضية برزت بوصفها إشكالية عقائدية وثقافية وحضارية جاء فيها النص القرآني بأسلوب الاستفهام المتحول وظيفيا من دلالة الفهم إلى دلالات أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿ **أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[٧]، تشترط الآية أنَّ المؤمن الصادق الإيمان يجب أن يوجه خشيته إلى الله تعالى حصرا ولا يوجهها إلى الناس مهما علا مقامهم وشأنهم، ويستند هذا النص في دلالاته على التحضيض والإغراء والتهييج على قتال المشركين والناكثين، وهو خطاب لعموم الناس في كل العصور والأزمان

(١) ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب: ص ٦٩.
(٢) جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، د. محمد عبد المطلب: ص ١٩٤.
(٣) البناء في شعر الهذليين، د. إياد عبد الودود عثمان: ص٣٣٣.
(٤) المستويات الجمالية في نهج البلاغة دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف: ص١٥٤.
(٥) اللغة في الدرس البلاغي: ص ١٠٤.
(٦) التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي حمود: ص ٥٧٦.
(٧) سورة التوبة: الآية١٣.

والاستفهام فيه انكاري، يدل على النهي أي لا تخشوهم واخشوا الله تعالى، فهو أهل للخشية لسطوته وعظيم عقوبته على الظالمين ناكثي العهود[1].

ورد هذا النص القرآني في خطبة فدك للسيدة الزهراء عليها السلام، إذ تقول مخاطبة الأنصار «**ونكصتم بعد الإقدام وأسررتم بعد الإعلان لقوم نكثوا إيمانهم ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ألا قد أرى أنْ قد أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة**»[2]، وهذا خطاب مباشر وصريح صادر من السيدة الزهراء عليها السلام إلى جمهور الأنصار، تذكرهم وتستعبر وضعهم وتوضح أنَّ مسلكهم على خطأ؛ لأنّهم قد خشوا غير الله وطاعوهم في ظلامتها وغصب حقها وشرعية إرثها، فتقاطعت هذه الدلالات مع دلالات النص القرآني، فالاستفهام أيضا لم يرد على حقيقته من طلب الإفهام، بل هو متحول وظيفيا إلى دلالة الانكار، ولكنه لم يدل على النهي أو النفي بل على الإخبار والإقرار، ويعضد ذلك السياق بنوعيه اللغوي والمقامي:

-السياق اللغوي، قولها الشريف «**ألا قد أرى أنْ قد أخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة...**» هنا تنبه السيدة الزهراء عليها السلام بأداة التنبيه (ألا) وتؤكد بأداة التحقيق (قد) المكررة في موضعين، أنّ الأنصار قد مضوا بخشيتهم من دون الله، أي أنهم خشوا أبا بكر وعمر ومَنْ لفَّ لفهم، فضلا عن الألفاظ والكلمات (أخلدتم-ركنتم) التي تعبر مباشرة عن خشيتهم الناس.

-السياق المقامي، إنَّ هذا التناص مع القرآن الكريم قد ورد في كلام السيدة الزهراء عليها السلام في خطبة فدك، والخطاب كان موجه بصورة مباشرة إلى جمهور الأنصار خاصة، كما أشارت بنفسها الشريفة في قولها «...**وأنتم الألى نخبة الله التي انتخبت لدينه وأنصار رسوله...**»[3]، وبما أنّ السياق الاجتماعي والثقافي والتاريخي لم يثبت أنهم استنصروا الزهراء في ظلامتها، فهم إذن مضوا يخشون الظالم من الناس، وعدلوا عن خشية الله تعالى الذي هو أهل الخشية، ومن الأمثلة الدلالية الأخرى اقتباس السيدة الزهراء عليها السلام قوله تعالى: ﴿ **أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾[4]، ويدل النص القرآني على دلالة نفي الإجبار على دخول الإسلام، والاستفهام تحول من دلالته على الفهم إلى الانكار والنفي، والمعنى لا نلزمكم بالدخول في الإسلام ما لم تكونوا مقتنعين من ذات أنفسكم، والأمر موكول إلى الله

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص٩١٨.
(٢) بلاغات النساء: ص ٢٢.
(٣) المصدر نفسه: ص٢٢.
(٤) سورة هود: الآية ٢٨.

تعالى، فهو الذي يقضي في أمركم[1].

المقاربة الدلالية: في النص القرآني كان الخطاب موجه من المتكلم النبي نوح عليه السلام إلى عامة الناس من قومه لغرض هدايتهم إلى دين الإسلام، وفي خطبة فدك الخطاب موجه من السيدة الزهراء عليها السلام إلى نساء المهاجرين والأنصار[2]، لقد اتخذ موضوع الخطاب نهجا خلافيا في النص القرآني بنفي إلزام المخاطَبين وإجبارهم للدخول في الإسلام، وكما سبق القول خرج الاستفهام من حقيقته إلى دلالة النفي، وكذلك في الخطبة خرج الاستفهام ليدل على النفي، بيد أنَّ موضوع نفي الإجبار والإلزام ليس الدخول في الإسلام، بل نفي الإجبار بالالتزام بولاية أهل البيت عليهم السلام وخلافتهم ونصرة ظلامية الزهراء عليها السلام.

هنا حدثت مقايسة دلالية بين المتكلم الأول نوح عليه السلام ومخاطبته لقومه الذين كانوا على الكفر والإشراك بالله، كما تشير الآيات قبل هذا النص وبعده، وهؤلاء القوم لم يؤمنوا بالله تعالى، وعاندوا واستكبروا عن عبادة الواحد الأحد، وبقوا على الكفر والشرك إلى أنْ أغرقهم الله بالطوفان، أما في الخطبة الفدكية فقد دلّ النص القرآني المضمن فيها أنَّ المتكلمة الزهراء عليها السلام خاطبت لفيف من نساء المهاجرين والأنصار، متسائلة بغرض النفي أنَّ معشر المهاجرين والأنصار لن ينفع معهم الخطاب ووسائل الإقناع وتقديم الحجج المنطقية والعقلية، إذ يثبت السياق التاريخي أنَّهم لم ينصروا الزهراء عليها السلام وكذلك لم ينصروا الإمام علي عليه السلام، إذن كانت حالهم كحال قوم نوح الذين تخلوا عنه، فبقوا على الشرك والكفر، كما بقي الأنصار والمهاجرون في التواطؤ على العناد والتكبر، هذه الثنائية الدلالية المضمرة تكشف عن الاقتباس أو التضمين للنصوص القرآنية في بعض خطب نساء أهل البيت عليهم السلام، لتعزيز أُطر التواصل مع المتلقي العام.

(١) ينظر: فتح القدير: ج١ ص٦٧٥.

(٢) ينظر: بلاغات النساء: ص٢٥.

الخاتمة ونتائج البحث

سعى البحث إلى الكشف عن جهود نساء أهل البيت عليهم السلام في خطبهنَّ بتضمينها نصوصا قرآنية مع استجلاء أهم المقاربات الدلالية الحادثة بين النص القرآني ونصوص هذه الخطب، فتوصل البحث إلى نتائج، أهمها:

-إنّ أنساق التناص والتضمين والاقتباس -مع اختلاف المسميات- هو نسق واحد، وقد كان له حضورا كثيفا في خطب نساء أهل البيت عليهم السلام، وإن دلّ هذا الأمر على دالة، فإنما هي التصاق كلام المعصوم مع كلام الخالق، وتشعبه في أفكاره وصوره وانعكاسه جليا في كلماته وتراكيبه، كما يدل على استيعابه له مفهوما ودلالة، وقد جاء هذا الاشتغال التناصي عاكسا لمقتضيات دلالية متوافقة تارة مع النص القرآني ومتغايرة معه تارة أخرى.

-عرض البحث بعض المقاربات الدلالية بين النص القرآني ونصوص خطب نساء أهل البيت عليهم السلام، واستنتج أنَّ توظيف النص القرآني في هذه الخطب يعرض لدلالات جديدة في بعض المسافات الخطابية، فعلى سبيل التمثيل تغاير الخطاب بين هذه النصوص بين العموم والخصوص أو العكس أو توظيفه لدلالات انجازية، اختصت بالسياقات الثقافية والاجتماعية والعقدية، والدينية المقدسة والحضارية.

-اتخذ توجيه الخطاب منحا خلافيا بين النص القرآني وخطب نساء أهل البيت عليهم السلام، وأعني بذلك أنَّ النصوص القرآنية المتناصة في هذه الخطب وظفت برؤية دلالية لغرض توجيهها لمخاطبين غير المخاطبين الذين سبق أنْ خاطبهم النص القرآني، على سبيل التمثيل في قوله تعالى: ﴿ **أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾[1]، الخطاب فيها موجه من النبي نوح عليه السلام إلى قومه المعاندين والكافرين والمتكبرين من هم على شاكلة أبي بكر وعمر وأزلامهم، لكن في خطب نساء أهل البيت اتخذ منحى الخطاب وجها آخر.

-انبرى نسق التحول الدلالي في أسلوب الاستفهام في التناص مع النص القرآني في خطب نساء

(١) سورة هود: الآية ٢٨.

أهل البيت عليهم السلام إلى العدول أو الانحراف من أسلوب إلى أسلوب مغاير له، مثل العدول من أسلوب الإخبار إلى أسلوب النهي أو النفي أو العكس، أو من الاستفهام الحقيقي إلى الاستفهام غير الحقيقي (الانكاري).

وأخيرا آمل أنْ يأخذ هذا البحث صداه، ليكون حافزا لباحث آخر على مواصلة دراسة الأبعاد الدلالية في نتاجات أهل البيت عليهم السلام من منظور لساني حديث. والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الاحتجاج، الطبرسي، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان، مطابع النعمان، النجف الأشرف-العراق، ١٣٨٦هـ١٩٦٦م.
- أساسيات المنهج والخطاب في درس القرآن وتفسيره، محمد المصطفوي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٩١م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- أني فاطمة وأبي محمد، تأملات في خطبة الزهراء عليها السلام وبعض شؤونها، فوزي آل سيف، ط١، دار الوارث للطباعة والنشر، العراق- كربلاء المقدسة٢٠٢١م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت-لبنان، ط٢ن ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- البحث الدلالي عند ابن سينا، دراسة أسلوبية في ضوء اللسانيات، د. كاظم مشكور العوادي، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٤-٢٠٠٣م.
- بلاغات النساء وطرائق كلامهن وملح نوادرهن، الامام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر، مطبعة مدرشية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الهيأة العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
- البناء في شعر الهذليين، دراسة تحليلية، د. إياد عبد الودود إبراهيم، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد-العراق، ط١، (د..).
- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط٤، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ ه)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د.ت.
- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤ ه)، تحقيق: حنفي محمد شرف، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، د. ط، ١٩٦٣.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، دار التنوير، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٥م.
- التحليل الدلالي، اجراءاته ومناهجه، د. كريم زكي حسام الدين، دار غريب القاهرة، ٢٠٠٥م.
- تداعيات (التناص الواعي) في النص المعصوم، الخطبة الفدكية أنموذجا، د.عماد صالح جوهر التميمي، مجلة العقيدة، تُعنى بمآل العقيدة وعلم الكلام القديم والجديد، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ع ٢٠، السنة ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.
- التعريفات، الشريف الجرجاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن الجوزي، السعودية، ط ١، ٢٠٠٠ م.
- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي حمود، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.
- التناص في شعر الرواد، أحمد فاهم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق-بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- جدلية الإفراد والتركيب في النقد القديم، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٥م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد-العراق، ط٤، ١٩٩٠م.
- الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية) قراءة نقدية، د. عبد الله الغذامي، دار البلاد، جدة، ط١، ١٩٨٥م.
- دراسات في علم الأصول، تقريرات أبحاث السيد الخوئي، السيد علي الهاشمي الشاهرودي، مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٩٨م.
- دلالة التناص في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية)، (بحث) د. عرابي أحمد، مجلة اللغة العربية، ع

٢٣، مج ٤، ٢٠٠٦، الاردن.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش، دار السياب، ٢٠٠٧.
- الدلالة القرآنية في تفسير مجمع البيان للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، د. خليل خلف بشير العامري، دار الولاء للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- الدلالة الوظيفية في بنية اللغة الشعرية، رؤية لسانية في تحليل الخطاب الشعري، د. عامر السعد، تموز طباعة، نشر، توزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٤م.
- سايكلوجية الذاكرة الدلالية والأحداث الشخصية في ضوء نظرية معالجة المعلومات، د. أمثال هادي الحويلة، الاشراق للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م
- الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
- الصوت الآخر الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق -بغداد، ط١، ١٩٩٢م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- علم النص، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٢١م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، قدم له واعتنى به، محمد بن رياض الاثري، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: حسين عودة هاشم، دار العلم والثقافة، (د. ط)، (د.ت).
- فهم الخطاب القرآني بين الإمامية والأشعرية، دراسة مقارنة في ضوء ركائز الأسلوبية، د.صباح عيدان حمود العبادي، دار الفيحاء، البصرة، العراق، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- في أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفتان تودوروف ورولان بارت ومارك انجينو، ترجمة أحمد المدني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.
- القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي، تعريف أحمد الحسيني (د. ط)، (د.ت).

- كتاب العبارة، ابن سينا، قم المقدسة، ايران، ١٤٠٥هـ ق (د. ط).
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الدار للثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ١٩٩٤ م.
- اللغة في الدرس البلاغي، د. عدنان عبد الكريم جمعة، دار السياب، لندن، ط١ ٢٠٠٨م
- مبادئ النقد الأدبي، أ، ريتشاردز، ترجمة مصطفى بدوي، مطبعة مصر، ١٩٦٣م.
- مدخل لجامع النص، جيرار جينيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار لشؤون الثقافة العامة، بغداد- العراق (د.ت).
- المرايا المحدبة من البنيوية الى التفكيك، د. عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة، نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-العراق، ط١، ٢٠٠٨م.
- المعجم الوسيط، د. إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- معجم علوم التربية، محمد حمدان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٣، ٢٠٠١م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، تحقيق: إياد باقر سلمان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساندريس، ترجمة د. خالد محمود جمعة، المطبعة العلمية، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م.
- النص الديني في الإسلام من التفسير إلى التلقي، د. وجيه قانصوة، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١١م.
- النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، طيب تيزيني، دار الينابيع، ط١، ١٩٩٧م.
- النظرية الدلالية، حسام بهنساوي، مكتبة دار الزهراء الشرق، القاهرة -مصر، ط١، ٢٠٠٩م.

• نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح مطبعة خورشيد، دار الكتب العربية، طهران، ط١، (د.ت).
o البحوث المنشورة
• علم الدلالة مقاربة وتطبيق (بحث) د. محمود خليف خضير الحياني، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، مج١، ع١، ٢٠٢٠م.
• المعنى بين الوحدة والتعدد، مقاربة دلالية (بحث)، صابر الحباشة، مجلة دراسات في الإنسانيات، ع٤، ٢٠١٨م.
• نحو مقاربة في وصف دلالة النص (بحث)، د. لبوخ بوحملين، الأثر مجلة الآداب واللغات، الجزائر، ع٨، ٢٠٠٩م.

العفة والحياء في مدرسة القران الكريم

والعترة الطاهرة

السيدة الزهراء عليها السلام النموذج الامثل

الباحثة: دنيا حميد عواد كاظم الخزعلي

الملخص

تُعدّ العفة والحياء من القيم الإنسانية الكبرى التي أكّد عليها الإسلام، وبرزت هذه المفاهيم في القرآن الكريم والسنة النبوية كوسيلة للحفاظ على نقاء الفرد والمجتمع. ويُعتبر أهل البيت عليهم السلام المصدر الأصيل لفهم وتطبيق هذه القيم، حيث جسدت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام النموذج الأكمل لهذه الفضائل.

يركز البحث على دراسة العفة والحياء كما عُرضت في القرآن الكريم، مع تحليل الآيات التي تحث على الطهر، الحشمة، والالتزام الأخلاقي، مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا** ﴾[1] وقوله: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾[2].

بعد ذلك، يُبرز البحث دور العترة الطاهرة في تعزيز هذه القيم، مع التركيز على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كنموذج عملي. يستعرض البحث مواقفها الحياتية وكلماتها المضيئة التي تجسد أسمى معاني العفة والحياء، مثل خطبتها في المسجد حينما دافعت عن حقها بكل وقار وحشمة، ودورها كزوجة وأم مثالية، ملتزمة بتعاليم الإسلام في مختلف الظروف.

يعتمد البحث على مصادر شيعية موثوقة مثل نهج البلاغة، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، لإبراز الجوانب العملية للعفة والحياء في حياتها.

ويخلص البحث إلى أن السيدة الزهراء عليها السلام تمثل نموذجًا خالدًا يُحتذى به في كل زمان ومكان، وأن اتباعها يُسهم في تعزيز الأخلاق الفردية والاجتماعية وفق المنهج الإلهي.

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

المقدمة

لقد أولى القران الكريم والعترة الطاهرة فضية العفة والحياء لما لها من أهمية كبيرة في حفظ الأنسان والمرأة بالخصوص من ضعاف النفوس وجعل لها الكرامة والعزة وحفظها من كل ما هو يكون مساسا في كرامتها وجعل العفة والحياء للمرأة بالخصوص لما لها من الوقار والهيبة وكذلك الرجل جعل له العفة والحياء لأنه يكون مصان في المجتمع والأسرة عندما يكون صاحب عفة وحياء، اليوم ليس فقط المرأة من هي مطالبة بالعفة والحياء لا بل الرجل كذلك نعم المرأة جعلها الإسلام ذات أهم من تتوسم بالعفة والحياء لأنه يكون لها السبب في حفظها من النفوس المريضة لأن المرأة في الإسلام ذات أهمية أكبر وأيدتُ البحث العلمي بالآيات والروايات أهل البيت عليهم السلام لأنهم عدل القرآن الكريم الذي لا تشوبهم شائبة، فكانوا النموذج الأمثل والأسوة الحسنة في التعفف والحياء، وتجلت سمات العفة والحياء والحجاب في سليلة بيت النبوة ومنبع الطهر والعفاف والحياء السيدة الزهراء عليها السلام، وقد أرودت في البحثي العفة والحياء والحجاب الفاطمي من مصاديقها في القران الكريم والسيدة الزهراء عليها السلام، ومن المصاعب التي واجهتها هي قلت المصادر بهذا الخصوص ويتكون البحث من ثلاث مباحث تناولت في هذه المباحث العفة والحياء في القران الكريم والحجاب الفاطمي السيدة الزهراء عليها السلام لما لها من قدوة ومصداق العفة والحياء، وخير اليوم من نقتدي بها هي السيدة الزهراء عليها السلام مثال الحر للعفة والحياء والحجاب الفاطمي

المبحث الأول: كليات البحث ومفاهيمه الاساسية

١- تعريف العفة والحياء:

١-١- تعريف العفة لغة: الكفّ عمالا يحلّ ويجمل، عفّ عن المحارم والأطماع الدنية يعِفُّ عفّة وعفا وعفافاً فهو عفيف، وعفّ، أي كفّ وتعفف واستعفف وأعفه الله وفي التنزيل: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا** ﴾[١]، فسره الثعلب فقال ليضبط نفسه بمثل الصوم فإنه وجاء، وفي حديث: من يستعفف يُعفه الله، والأستعفاف: طلب العفاف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس، أي طلب العفة وتكلفها أعطاه الله إياها، وقيل: الأستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء، ومنه الحديث: «**اللهم إني أسألك العفة والغنى**»، وجمع العفيف أعفة وأعفاء، ولم يكسروا العف، وقيل العفيفة من النساء السيدة الخيرة، وأمرة عفيفة[٢].

١-٢- تعريف العفة اصطلاحا: فقد عرفها الشيخ النراقي وهو انقياد قوة الشهوة للعقل في الإقدام على ما يأمرها به من المأكل والمنكح كماً وكيفاً، والأجتناب عما ينهاها عنه، وهو الاعتدال عقلاً وشرعاً[٣].

١-٣- تعريف اخر للعفة: بأنها عبارة عن ملكة انقياد القوة الشهوية للعقل حتى يكون تصرفها مقصوراً على أمره ونهيه، فيقدم على ما فيه المصلحة وينزجر عمَّا يتضمن المفسرة بتجويزه، ولا يخلف في أوامره ونواهيه[٤].

١- تعريف الحياء لغة واصطلاحاً

١-١- تعريف الحياء لغة: أصل الحياء من الحياة اشتقاقاً ومعنى، وهذا من محاسن التوافقات أن تكون أصل كلمة الحياء مشتقة من عمق معناه فكلمة الحياء مشتقة لغة من مادة الحياة، والغيث يسمى

(١) سورة النور: الآية٣٣.

(٢) لسان العرب، ج٩ المؤلف، للأمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري: ص ٢٣٥.

(٣) جامع السعادات، ج١، المؤلف الشيخ الجليل أحد أعلام المجتهدين المولى محمد مهدي النراقي، الناشر اسماعيليات، الطبعة السابعة: ص٣٦٣.

(٤) المصدر: العفة والحياء، أعداد ومركز نون للتأليف والترجمة، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية: ص١٢.

حيا بالقصر لأن به الحياة الأرض، ولذلك قال العلماء: الحياء من الحياة فشدة الحياء في الأنسان دليل على شدة حياة قلبه، وضعف الحياء دليل على ضعف حياة قلبه، وانعدام الحياء عند الإنسان دليل على موت قلبه[1].

ومعناه في اللغة: التوبة والحشمة وانقباض النفس عن القبائح، يقال: حيي منه حياء واستحياء واستحى يستحي ويستحى، يتعديان بحرف وبغير حرف، تقول: استحيا منك واستحياك، واستحى منك واستحاك.

٢- الحياء في الاصطلاح: فله تعريفات كثيره متقاربة منها:

قال: الراغب: الأصفهاني: الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها،

قال: الزمخشري: تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم

قال الجرجاني: انقباض النفس من شيء وتركه حذراً من اللوم فيه

(١) المصدر: فقه الحياء في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف د. أحمد عبد السلام ابو الفضل مدرس الدراسات الإسلامية قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية كلية التربية جامعة المنصورة: ص، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠.

المبحث الثاني: قيمة العفة في القرآن وقصص الانبياء عليهم السلام

٢-١- مثال مستوفٍ لكامل الشروط:

لما كانت عفة يوسف عليه السلام مستوفيه كل شروطها وأركانها كانت من أعظم أمثلة العفة في تاريخ الأنسان، ففي يوسف الرجولة والشباب، والدوافع والقوي، وفي امرأة العزيز الأثارة بكل قواها، الجمال ومنصب، وأغراء كامل دعوة ملتهبة، وخلوه تامة، وتهديد إن لم يستجب، مع استيفاء كل هذه العوامل القوية تبرز فضيلة العفة في يوسف عليه السلام، فيضبط نفسه بصبر منقطع النظير، يقاوم الدوافع والمغريات بإحرار وعزيمة قوية، ترفعاً عن الخيانة، وطلباً لمرضاة الله، وينتصر خُلقه العظيم في المعركة الدوافع والمغريات والتهديدات، والأمثلة كثيره في هذا المجال، ومنها كافل اليتيم الغني، مال اليتيم بين يديه، وشهوة المال قوية مع ضعف صاحب الحق، فلو غاب الشيء الذي يثير العفة وهو الخوف من العقاب، الوعيد الذي ذكره الله في كتابه لأمكن اكل أموال اليتامى بدون أي وجه حق، ولامانع يمنع من حدوث ذلك لهذا تكفل الله تعالى إيجاد ما يثير العفة في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾[1].

١-٢- تعريف جامع للعفة:

العفة هي ملكة يكتسبها المرء بالممارسة وقهر النفس تحمل صاحبها على مجانية كل مالا يجمل ولا يحل، قانعاً بالقليل الجاري مجرى العفافة، متنزها عن كل ما يمكن أن ينقص من مكانته، راجياً الأجر والثواب، والاحترام والمكانة الرفيعة بين الناس، والمتعفف: هو المتكلف للعفة، الذي استوفى كل الشروط من قدرة على الفعل، في وجود المغريات، وكل الدوافع النفسية المساعدة، ثم استشعار خلق العفة واستحضار ما يثيرها شرعاً وعقلاً[2].

---

(١) سورة النساء:الآية ص١٠.

(٢) المصدر: العفة في القرآن الكريم وموجباتها مظاهرها وأثارها دراسة في التفسير الموضوعي، جامعة الحاج لخضر باتنة كلية العلوم الأنسانية والأجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، شعبة كتاب وسنة، الأعداد فاطمة الزهراء مزوزي: ص٢٢، ص ٢٣.

١-٣- عفة النبي موسى وبنات شعيب عليهما السلام

وردت أحداث هذه القصة في سورة القصص وهي سورة مكية عنت بتقرير التوحيد، وبيان حقيقة الصراع بين الحق والباطل، مورده قصتين: قصة حياة النبي موسى عليه السلام وصراعه مع فرعون، يليها قصة قارون، ولقد جاءت قصته عليه السلام مع الفتاتين في سياق الحديث عن ماحصل معه لما بلغ سن الرشد قبيل بعثته لفرعون، قال تعالى ﴿ **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[1].

جرت هذه الأحداث معه عليه السلام عندما خرج من مدينة فرعون خائفاً من قتله النفس أن يُقتل بها، ﴿ **لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ** ﴾ وصل أليه، وهو بئر كانوا يسقون منها، ﴿ **وَجَدَ عَلَيْهِ** ﴾ فوق شفيرها جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم، ووجد في مكان أسفل منهم ﴿ **امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ** ﴾ والذواد: تنحية شيء عن شيء، أي تطردان مواشيهما عن الماء، للاختلاط بمواشي غيرهما، فسألهما عن سبب فعلهما، فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، فما أخطأت همته عليه السلام في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب والجوع ولكنه رحمهما فأغاثهما، بقوة قلبه وساعده، أنتهى به السفر الشاق الطويل إلى ماء لمدين وصل إليه وهو مجهود مكدود، واذا يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة السليمة الفطرة، كنفس موسى عليه السلام وجد الدعاة الرجال يوردون انعامهم لتشرب من الماء ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما من ورد الماء، والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة، أن تسقى المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولاً، وإن يفسح لهما الرجال ويعينوهما، ولم يقعد موسى الهارب المطارد، المسافر المكدود ليستريح، وهو يشهد هذا المنظر المنكر المخالف للمعروف بل تقدم للمرأتين يسألهما عن أمرهما الغريب ﴿ **قَالَ مَا خَطْبُكُمَا** ﴾ تتجلى لدى المتأمل في فعلهُ عليه السلام إشارات كريمة من شأنها تعزيز خلق العفة في النفوس، منها:

أ- لقد أوجز عليه السلام في سؤال الفتاتين عن تصرفهما الغريب فقال ﴿ **مَا خَطْبُكُمَا** ﴾ ولم يزد بعدها على ذلك كلمة في الحديث معهما، وهما فتاتان وحيدتان ضعيفتان، فتعفف عن كل قبيح في التعامل معهما، ولولا تصرفهما الغريب في الذود عن الماء ما سألهما هذا السؤال، وعندما أضطر لمعرفة السبب او جزء

(١) سورة القصص: الآية ٢٢- ٢٥.

العبارة ولم يسهب في الحديث معهما[1].

ب- قال تعالى ﴿ **فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ** ﴾ إن في فعله هذا عليه السلام إشارة إلى أن النفس العفيفة تأبى أن تستمرء مزاحمة النساء الرجال، فهذا يفتح السبل الشيطانية التي تدعوه للتخلي عن العفة، ولكنه سقى لهما ماشيتهما لما علم من تعففهما عن مزاحمة الرعاة ومخالطتهما حياءً، وعقب ذلك قال تعالى ﴿ **ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ** ﴾ فلم يعاود الحديث معهما، وإنما عاد إلى شأنه كأن شيئاً لم يحدث بينه وبينهما، فخلا بنفسه يدعو ربه فقال ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[2].

ج- وفي مشهد آخر ترك التحدث مع النساء بما لا ضروره له، قال تعالى ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾؛ بعد إن سقى موسى لهما وذهبتا؛ وحدثتا أباهما شعيباً عليه السلام بذلك، فأرسل إحدى ابنتيه تخبره بدعوة والدها له ليكافأه ويكرمه لحسن صنيعه، فجاءته تمشي غير متبخترة ولامتثنية ولا مظهرة زينة[3].

١-٤- عوامل سلب العفة تحت عنوان تحرير أو حرية المرأة

٢-٤-١- نظرة الغرب السلبية للمرأة المسلمة:

أ- يصور أنصار حقوق المرأة في الأعلام الخارجي صوراً فكاهية للمرأة وهي تكره العائلة، كما أنها تكره الرجل.

ب- أما الأعلام الشعبي فيصور المناصرون للمرأة وهم يحتقرون النساء اللاتي يجتهدن بكل وقتهن لممارسة أدوار الأمهات وربات المنازل.

ج- كما يصور الكاريكاتور الغربي المرأة المسلمة وهي ترتدي الحجاب على أنه وصمة عار.

(١) المصدر: أثر القصص القراني في تعزيز قيمة العفاف لدى المسلم دراسة سياقية، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة في الجامعات الأردنية مستجدات العلوم الشرعية، إعداد د. روان فواز مضفي الحديد أستاذ مساعد قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية والأداب جامعة الحدود الشمالية عرعر السعودية: ص٢٢، ٢١.

(٢) المصدر: أثر القصص القراني في تعزيز قيمة العفاف لدى المسلم دراسة سياقية، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة في الجامعات الأردنية مستجدات العلوم الشرعية، إعداد د.روان فواز مضفي الحديد أستاذ مساعد قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية والأداب جامعة الحدود الشمالية عرعر السعودية: ص٢١، ٢٢.

(٣) المصدر: العفة في ضوء القران الكريم دراسة موضوعية، أعداد الطالبة فدوى فؤاد محمد الزربتلي، قدمت هذه الدراسة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القران، جامعة الإسلامية غزة عمادة الدراسات العليا كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القران/ ص/ ١٦١.

د- كما يصور الكاريكاتور الغربي المرأة المسلمة وهي ترتدي الحجاب على أنها كائنة مضطهدة، لا تملك أي وسيلة للتعبير عن نفسها بحرية.

هـ- أن الغرب يفهم من قوامية الرجل على زوجته، التقليل من شأن المرأة واتخاذها مادة هزيلة لأغراض الرجل.

و- إظهار المرأة السافرة الرأس والصدر والقدمين والساقين مع إظهار الزينة والمكياج والعطور، على أنها امرأة متحررة متطورة عصرية، يجب الأقتداء بها[1].

إن اكتمال المخطط لا يحتاج المرء إلى بذل المزيد من الجهد، لكي يكشف ملامح المخطط التغريبي، فمهمة الاستشراق، حول المرأة المسلمة، كانت تقصي نقاط القوة والضعف واكتشافها، لطمس الأول وتكريس الثاني، وتأتي مهمة التبشير المكملة لإخراج هذه المرأة المسلوبة الإرادة من دينها وقيمتها، لتكون لقمة سائغة لمخططات دوائر الأحتلال، ولتزج بها في أتون الأنحلال[2].

١-٥- الحياء والتحديات المعاصرة

إن كانت قضية المرأة في مقدمة القضايا التي أنصبت عليها جهود أولئك المجددين، أغلب التيارات التي تسعى إلى تحديث المرأة أو إلى تحديث المجتمع بصفة عامة، في المجتمعات العربية الإسلامية[3] وان أبرز شعارات القضية في الغرب هي الحرية التي هي الشعار المرفوع بالدرجة الأولى هو حرية المرأة، قد يقصد بها من العبودية، وقد يراد به التحرر الأخلاق، ولربما يراد بها الأنعتاق من القوانين التي تكبل أرادة المرأة أمام الزوج كلمة الحرية قد تشمل كل هذه المعاني، ومن دوافع الغرب في طرح القضية:

أ- أستغلال المرأة في العمل في أوربا حتى حينما شرعوا للمرأة حق الملكية، فقد كان الدوافع إليها وفقاً للدراسات التي أجراها علماء الأجتماع الأوربيون أنفسهم، هو حاجة المصانع إلى المزيد من الأيدي العاملة، في وقت كانت في التقنية الحديثة والصناعات قد اتسع مداها وتطورات، ولذا رفعوا ضجة حرية المرأة من أجل سحب المرأة من الأسرة إلى المصانع والأستفادة منها باعتبارها عاملا زهيد الأجر فيملؤون جيوبهم، ويسقطونها من كرامتها ونزلتها، لقرنٍ من الزمان والثقافة الغربية تسعى مدعومة بالمال والقوة والسلاح والدبلوماسية من أجل فرض الثقافة الغربية وأسلوب الحياة الغربية

(١) أوضاع المرأة المسلمة ودورها الأجتماعي من منظور إسلامي: المؤلف، الشيخ حسن الجواهي: ص١٠٧، ١٤٤.
(٢) المرأة المسلمة هموم وتحديات: المؤلف حسن السعيد، النشر والطباعة والتوزيع دار الهادي: ص٤٥.
(٣) المرأة المسلمة هموم وتحديات: المؤلف، حسن السعيد: ص ٤٧.

على المجتمعات الإسلامية بين النساء، لمئة سنة كان السعي من أجل أن تفقد المرأة المسلمة هويتها، فقد استخدمت جميع العوامل المؤثرة وعناصر القوة: المال، والإعلام، والسلاح، والخدع المادية المختلفة، كل هذه استخدمت من أجل إبعاد المرأة المسلمة عن هويتها الإسلامية.

ب- نزع حياء المرأة وكرامتها: لقد قاموا بأمر جعلوا فيه إحدى أهم وظائف المرأة، إن لم نقل الأهم على الأطلاق، التبرج وإبراز جمالها بهدف تلذذ الرجل، حتى أصبحت هذه من الخصائص الحتمية واللازمة للمرأة، ؛وممن ساهم في الترويج للسفور، تحت غطاء (تحرير المرأة) طبقة من العملاء الفكر بين الذين انبهروا بحضارة الغرب وحاولوا اتباعها إلى حد التقليد الأعمى، والغريب أن هؤلاء قد أطلقوا على أنفسهم أسم المتنورين أو المثقفين، وهكذا نجد أن الدعوة إلى السفور جاءت في غمرة الخضوع للحضارة الغربية، والأحتلال الأجنبي، لقد تضافرت ركائز المشروع لتنفيذه بتنسيق دقيق، وتوزيع أدوار محبك ولا غرابة إذا ما شاعت الفاحشة، ونتشر وباء الزنا سراً وعلانية، وصار في ديار المسلمين مراقص وكباريهات قائمة لتسهيل العبث والفجور، وعملت المؤسسات المشبوهة عملها في التهوين من فضيلة العفاف[1]؛ إن اليوم ما يخطط له العدو هو السفور الكامل، وإفساد المجتمع الإسلامي، والتسلط على بلاد المسلمين، يقول (مستر همفر) الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية، بكل وقاحة يجب أن نخرج النساء المسلمات من أسر الحجاب ونحرك الشباب وراءهن للمغازلة والملاحقة، لكي ينتشر الفساد بين المسلمين[2].

١-٦- العوامل التي تؤدي إلى سلب العفة:

مثلما أن هناك شروط وأسساً لتحقيق العفة ففي المقابل توجد هناك عوامل تهتك العفة وتسلبها منها، بذريعة التحرر والحرية المرأة وهم لهم أهداف بهذه الشعارات الرنانة الهدف منها سلب عفة المرأة وهتك كرامتها وجعلها وسيلة لأهدافهم وأطماعهم، السم بالعسل لشدت طيبة ومذاق العسل لا يُحسَ بالسم إلا بعد فوات الأوان، وهكذا هم بهذه الأفكار يخرجون المرأة من عز وكرامة العفة وماهي عليها من العز إلى الذل والأستغلال لأطماعهم الشيطانية، ومن هذه العوامل منها:

٢-٦-١- وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي:

حيث تسهم في تحقيق هذه الغاية خاصة بين أوساط الشباب لأنهم الفنية الأكثر استخداماً لها

(١) المرأة المسلمة هموم وتحديات: المؤلف حسن السعيد: ص٥١، ٥٦.

(٢) الحجاب عزٌ لا أسر: جمع وإعداد محمد صادق ذبيحي، تعريب وتحقيق جواد سجاد ضوي، الطبعة الخامسة عشرة: ص٢٤٩.

مع الأخذ بالحسبان أن أعداء الإسلام قد وظفوا هذه الأدوات في هجمتهم الثقافية عليه واستهدفوا بشكل خاص فئة من النساء والشباب لأن المرأة عماد الأسرة لأن صلحت أصلحت الأسرة وأن أفسدت أفسدتها فأخذو يبثون سمومهم من خلال طرح المفاهيم الاجتماعية الغربية التي لا علاقة للأسلام بها بل تتناقض معه العلاقات المحرمة من خلال هذه الوسائل، أو طرح نماذج لشخصيات أو مشاهير ولترويج لهم حتى يتخذوا أسوه وقدوة فيقلدوهم في كل شؤونهم في مظاهرهم وأفعالهم وسلوكهم.

٢-٦-٢- التأثر بالأفكار الغربية والأعجاب بما يطرحونه من أطروحات ومعتقدات:

حيث تأخذ في ظاهرها طابع الحرية او التحرر وكسر القيود وحقوق الأنسان والمساواة وغيرها لكنها في حقيقتها تستبطن سلب العفة وغياب القيم الأخلاقية السامية وتدعو إلى نشر التحلل والفساد الأخلاقي وانهيار النظام الأسري الذي سينعكس بدوره على المجتمع كله[1].

٢-٦-٣- الاختلاط بين الجنسين مع عدم المراعات للضوابط الشرعية في المجالات الدراسية والعمل:

حيث ان وجود التساهل في الألتزام عند بعض الأسر المسلمة خاصة ما بين الأقارب من الرجال والنساء فيشيع بينهم الكلام والممازحة وغيرها مما تجر إلى مالا يحمد عقباه؛ تضعيف أمن وعفاف وحياء المرأة بسبب تعرضها لأنظار الرجال الأجانب وأختلاطها بهم، سلب الأمن الاجتماعي بسبب فقدان الحُجُب وضعف الحياء بين الرجال والنساء، والاختلاط المحرم، وظهور المفاسد الأخلاقية، وعدم المبالاة، وهي الأمور التي تعرض للخطر، أمن الجميع وتسبب في تفكيك البناء الحصين للأسرة.

٢-٦-٤- عزوف الشباب عن الزواج بسبب الظروف الاقتصادية:

أن المغالاة في المهور والتكاليف الباهظة أو الشروط المعرقلة له كالمؤهل العلمي أو المكانة الأجتماعية وغيرها فيلجأ بعضهم لأتباع شهواته بطرق غير مشروعة تكون سبباً في هتك العفة وسهلا، وللأسف الشديد اليوم صارت الثقافة بتقليد الغير من الغرب وصارت قدوة يُقتدى بها وصار التشبه بهم في كل شيء ولأسف صار المسلم يقتدى بمن يُراد أن يخرجه عن دينه بأمور أسمها الحرية والثقافة وعندما ننظر إلى أهل البيت عليهم السلام في التشبه بالغير إن هذا التقليد ليس فيه أي مصلحة وأنما هو يكون مخالف

(١) يُنظر إلى: العفة في مدرسة القران والعترة السيدة زينب عليها السلام نموذج الأمثل، أعداد أ.م.د إقبال وافي نجم، جامعة كربلاء، كلية العلوم الإسلامية: ص٨٨، ٨٩.

للدين الإسلامي وتعاليمه وضوابطه إن هذا التقليد هو الخروج عن الدين بالأفعال ويكون بقاء المسلم فقط بالاسم مسلم قال الرسول صلى الله عليه وآله في تقليد ثقافة الأجانب، «**ليس منا من تشبه بغيرنا**» ليس من عمل بسنة غيرنا، إن تقليد الأجانب والتشبه بهم واتباع ثقافتهم في التسمية، والملبس، والمأكل، وطريقة الكلام، ومكياج الوجه، وفي بواقي جوانب الحياة، نوع من أنواع الانهزام والتفاخر المذموم، والحرية غير المفيدة، وسيؤدي بالضرورة إلى الانحراف عن صراط الدين القويم، ولأننا من اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنه يتحتم علينا أن نُعيد عادات وتقاليد الغرب إليهم، وإن نتعلم الآداب الأجتماعية والفضائل الإسلامية من سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام، لنحيا حياة سعيدة، ولندخل السرور في قلب الإمام الحجة أرواحنا له الفداء[1].

(١) ينظر إلى الكتاب عزٌ لا أسر: جمع وإعداد محمد صادق ذبيحي تعريف وتحقيق جواد السيد سجاد الرضوي: ص١٢٠، ٢٣٠.

المبحث الثالث: منشأ العفة والحياء

تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة والعفة أي: البقية من الشيء، وأغلب الأخبار والروايات تُشير إلى عفة البطن والفرج، وكفهما عن مشتهياتهما المحرمة، ويدل على أنهما من أفضل العبادات لكونهما أشتقهما على النفس، وملازمة النفس لهذه المشتهيات منذ الصغر حتى صارت جزءاً منه ولهذا يشق عليه مجاهدة نفسه، ورد عن «الإمام أبي جعفر عليه السلام: **إن أفضل عفة البطن والفرج**»، إن العفة والحياء لهما منشأين، هما:

٣-١- منشأ العفة:

٣-١-١- منشأ روائي:

حيث حفلت الروايات بذلك وأشارت إلى أنهما من الأمور الفطرية، ومن لوازم الفطرة لدى الإنسان وهما من جنود العقل، فالعفة والحياء والخجل من لوازم الفطرة البشرية، كما أن التهتك والفحش وعدم الحياء على خلاف ذلك وهي تظهر على الإنسان وحركاته بشكل جلي وواضح، إذ بمجرد تعرضه لحادث أو أمر حرج فإن العفة والحياء يظهر أن عليه تلقائياً من دون حاجة إلى التعلم والأكتساب.

٣-١-٢-: منشأ بيولوجي:

أشارت الدراسات إلى أن الحياء منشأ بيولوجياً يحصل إثر نشاط الغدد التناسلية على الصفات الجنسية للذكر والأنثى، وهذه الصفات تنقسم إلى قسمين أساسية وثانوية وتتمثل الصفات الأساسية في شكل ووظيفة الأعضاء التناسلية، وفي قدرة الشخص على التناسل، أما الصفات الثانوية فتتمثل في تمييز الرجل بضخامة تكوينه وقوة عضلاته والجرأة والغلظة، وفي تمييز المرأة بنمو صدرها وتركز الدهن في أماكن خاصة من جسمها وبالأستحياء والرقة، فالحديث عن وجود وبروز الأستحياء لدى الفتاة أثناء نشاط الغدد التناسلية وتغيير جسدها، إشارة إلى وعامل الإثارة والأغراء الذي يصدر عن الفتاة أمام الرجال، ولذا كان الأستحياء حاجزاً ومانعاً وحصناً لها من الوقوع في الفساد وحفظ نفسها

من ذلك[1].

«ففي الحديث عن العطار، عن أبيه، عن الحسين بن إسحاق، عن أبن مهزيار عن أبن أبي عمير عن منصور بن يونس، عن الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: **إن الله عز وجل يقول: وعزتي وعظمتي وجلالي وبهائي وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت همه في أخرته، وغناه في قلبه، وكففت عليه ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[2].

٣-٢- العلاقة بين العفة والحياء:

رغم إن العفة تشكل إحدى الفضائل والأخلاقية وتُعد واحدة من أمهات الفضائل الأربع «العفة، الشجاعة، الحكمة، والعدالة» ويمثل الحياء فرعاً من فروع الحياء، فإن العلاقة بينهما وثيقة جداً تكاد تخفى على بعضهم لدرجة أنه يظن أنهما بمعنى واحد، ولكن يظهر للتمعن أن الحياء، وأن كان فرعاً من فروع العفة، إلا أن له دوراً كبيراً في ثبات العفة وشدتها لدى الإنسان، إذ كلما اشتد حياء المرء كلما زادت عفته، فعن الإمام علي عليه السلام «**على قدر الحياء تكون العفة**» وذلك لأن الحياء هو ترك القبيح وكلما أشتدت وازداد حياء المرء، كلما ابتعد عن القبيح والمعاصي، فهو كف وابتعاد عنها وهذا هو معنى العفة ولا يعني ذلك غيابا لاستعمال إرادة الإنسان، بل لأرادة دور مهم من أجل الوصول إلى حالة تمتنع بها النفس وتتحصن من عليه غريزة الشهوة والوقوع في الملذات فقد جاء في الحديث عن الإمام علي عليه السلام «**سبب العفة الحياء**»، إن حياء الإنسان من فعل القبيح ينبغي أن يكون نابعاً من ذاته، لكن أحياناً قد يحصل الحياء ويكون من الناس، حتى إذا ما أختلى بنفسه قام بما يزيده، إلا أن الحياء ويكون هنا درجات ومراتب، وكل مرتبة تمهد للأخرى ولهذا فإن الحياء من الناس، وترك القبيح استحياءً منهم وإن لم يكن مندرجاً تحت عنوان الفعل الأخلاقي إلا أن. الأستمرار به ومداومة القيام به يؤدي شيئاً فشيئاً إلى الأنتقال للمراتب العليا للحياء، ليصل به إلى مرتبة أعلى وهي الحياء من النفس، ثم الحياء من الله تعالى وهذا هو الإيمان، وقد اعتبرت العفة إحدى ثمرات الحياء، ولهذا أشار الإمام علي عليه السلام «**أصل المروءة الحياء وثمرته العفة**»[3].

---

(١) العفة والحياء: إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، النشر، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية: ص ١٣- ١٤.

(٢) بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: تأليف، العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره، المجلد٦٧، الناشر دار أحياء التراث العربي، بيروت لبنان: ص

(٣)العفة والحياء: أعداد مركز نون للتأليف والترجمة، نشر جمعة المعارف الإسلامية الثقافية:ص ١٥- ١٦.

٣-٣- العفة والحياء وارتباطهما بالمرأة والرجل:

هناك صفات تختص بالرجال دوت النساء، وهناك صفات تختص بالنساء دون الرجال، وهناك صفات مشتركة بينهما فهناك صفات تكون لائقة بالرجل وإذا تصفت بها المرأة تكون غير لائقة بها، وهناك بعكس ذلك قال أمير البلاغة والبيان أمير المؤمنين عليه السلام خيار خِصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوةً لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مال بعلها، وأذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها، وهناك صفات تكون لائقة بالأثنين معاً، وسيحكي عدم الاتصاف بها من الاثنين معاً عن نقص أخلاقي وما أكثر هذه الصفات، كالصدق وبر بالوالدين وأداء حقوق، يعتقد كثير من سواد الناس أنها صفة خاصة بالنساء.

فالنساء هن من يجب أن يكن عفيفات، وربما ينكرون هذا الادعاء بألسنتهم ولكن السلوك العلمي شاهد صدق على اعتقادهم ذاك وهذا له شواهد كثيرة ربما يكون ذكر بعضها مؤلماً للقلب، لو أن امرأة ضحكت بصوت عالٍ وبقهقة ملفتة للنظر في سوق عام، سينتقدها الكثير من الناس، وسيعتبرونها قد تعدت وتجاوزت حدود العفة ولا يرون ذلك من الرجال أبداً، انظر لو أن امرأة خرجت من دون حجاب وقد برز بعض شعرها سيعتبرها المجتمع المسلم مخترقة لحجاب العفة بينما لو خرج رجل بملابس قصيرة بحيث يظهر أكثر ظهره لو انحنى قليلاً وبحيث تظهر سيقانه إلى الركب، أنه لا بأس بذلك لأنه رجل، ولكن الشواهد من هذا القبيل كثيرة، ولكن الحقيقة في الإسلام غير ذلك، إن العفاف صفة مشتركة بين الرجال والنساء فكما هو مطلوب من النساء أن يكن عفيفات، كذلك مطلوب من الرجال أن يكونوا متصفين بصفة العفة، إن العفاف يعني الشرف، والشرف مطلوب من الاثنين معاً، ولذلك لم يفرق القرآن الكريم بينهما من هذه الناحية، نعم، لا ننكر أن متطلبات العفة في المرأة أشد من في الرجل، ولكن بالتالي فإن العفاف مطلوب من الأثنين بالحدود التي رسمها الشارع المقدس وكلاهما محاسبان أمام الله سبحانه وتعالى، لا يختص الحكم بالمرأة دون الرجل فكلاهما أختص بهما الحكم.

٣-٤- العلاقة بين العفة والحياء:

رغم إن العفة تشكل إحدى الفضائل والأخلاقية وتُعد واحدة من أمهات الفضائل الأربع «العفة، الشجاعة، الحكمة، والعدالة» ويمثل الحياء فرعاً من فروع الحياء، فإن العلاقة بينهما وثيقة جداً تكاد تخفى على بعضهم لدرجة أنه يظن أنهما بمعنى واحد، ولكن يظهر للتمعن أن الحياء، وأن كان فرعاً من فروع العفة، إلا أن له دوراً كبيراً في ثبات العفة وشدتها لدى الإنسان، إذ كلما اشتد حياء المرء كلما

زادت عفته، فعن الإمام علي عليه السلام «**على قدر الحياء تكون العفة**» وذلك لأن الحياء هو ترك القبيح وكلما أشتدت وازداد حياء المرء، كلما ابتعد عن القبيح والمعاصي، فهو كف وابتعاد عنها وهذا هو معنى العفة ولا يعني ذلك غيابا لأستعمال إرادة الإنسان، بل لأرادة دور مهم من أجل الوصول إلى حالة تمتنع بها النفس وتتحصن من عليه غريزة الشهوة والوقوع في الملذات فقد جاء في الحديث عن الإمام علي عليه السلام «**سبب العفة الحياء**»، إن حياء الإنسان من فعل القبيح ينبغي أن يكون نابعاً من ذاته، لكن أحياناً قد يحصل الحياء ويكون من الناس، حتى إذا ما أختلى بنفسه قام بما يزيده، إلا أن الحياء ويكون هنا درجات ومراتب، وكل مرتبة تمهد للأخرى ولهذا فإن الحياء من الناس، وترك القبيح استحياءً منهم وإن لم يكن مندرجاً تحت عنوان الفعل الأخلاقي إلا أن. الأستمرار به ومداومة القيام به يؤدي شيئاً فشيئاً إلى الأنتقال للمراتب العليا للحياء، ليصل به إلى مرتبة أعلى وهي الحياء من النفس، ثم الحياء من الله تعالى وهذا هو الإيمان، وقد اعتبرت العفة إحدى ثمرات الحياء، ولهذا أشار الإمام علي عليه السلام «**أصل المروءة الحياء وثمرته العفة**»[1].

٣-٥-جهات العفة

تتوزع العفة في كل من الرجل والمرأة على جهات:

٣-٥-١-: عفة اليد ويقصد منها أن يكون المسلم وسنعبر بالمسلم ليعم المرأة والرجل عفيفاً في مايقع تحت يده من أموال وأمانات وودائع وغيرها، فلا يأخذ شيئاً إلا من أحله، ويحافظ على الودائع والأمانات بقدر طاقتة، ويتعامل مع شيء استعاره كما يتعامل مع أمواله من دون تعد ولا تفريط، ولا يسرق مالاً قل أو أكثر، ولكن اليوم نجد خرقاً لهذه العفة بشكل مريع! فأخ أكبر متسلط يمنع أخواته وربما حتى إخوته من إرث أبيهم أخ مجرم يمنع زوجة أخيه من إرثها من زوجها، موظف يحتال في سرقة وقت العمل وغيرها كثير، إنها العفة الميتة، والقلب المنكوس، وراء الأبتعاد عن عفة اليد.

٣-٥-٢-: عفة اللسان: راعني يوماً طفل اشتكى لأبيه أن أخر ضربه، وهو ينزل الشتائم والفحش من الكلام كالوابل على هشيم في يوم عاصف على أهل ذلك الطفل، أذا كان هذا الرجل بهذا السقط من الألفاظ في الشارع، فكيف يكون وهو في بيته؟ كيف سيكون ولده وزوجته وأبنته في ألسنتهم؟!، كثير من الناس تناسوا هذه الجهة من العفة، فتجد شاباً ومن أجل أن يضحك يعضهم بعضاً يأتون بطرائف مملوءة بالفحش من القول، وقد تصل بهم الجرأة على الخالق جل وعلا أو على أنبيائه والعلماء،

(١) العفة والحياء: أعداد مركز نون للتأليف والترجمة، نشر جمعة المعارف الإسلامية الثقافية / ص/ ١٥/ ١٦/

بعضاً من أصناف إلقاء الفحش على الأخت أو العرض عموماً من الفاظهم المستملحة، ربما نجد بعض الأباء وهم يستمتعون بكلام الفحش يصدر من أطفالهم، معتبرين ذلك لا ضير فيه مادام قد صدر من طفل، ليس هذا فقط نجد كثيراً من الناس يتقبلون الغيبة والنميمة بقبول حسن!، والحال أن الكلمة لها أثر خطير جداً، فالإسلام الذي به يخصن الدم والمال والفرج هي الكلمة، والكفر الذي يبيح تلك الأمور كلمة أيضاً إن الكلمة هي التي تكشف عن حجم الإنسان «تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه»، والكلمة تجعل صاحبها أميراً على قومه، ولكن في الوقت نفسه فالكلمة ربما أهلكت إنساناً، من عفة اللسان هو عدم العميم في الحكم، فكثيراً ماجد أناساً يعممون الأحكام على بعض الأصناف من الناس أو على بعض الشعوب، فتجد شخصاً يقول «كل أعضاء البرلمان سارقون»، أو آخر يقول «الشعب الفلاني كلهم أغبياء» والثالث يقول «العشيرة الفلانية كلهم همج رعاع»[1].

٣-٥-٣- عفة الفرج: كثيرة وهي غرائز الإنسان التي عاش بها على هذه الأرض، وهي مختلفة من حيث القوة والضعف، وكونها ضرورية جداً أو بين بين ولكن ليس هناك أهم ولا أخطر ولا أقوى من الغريزة الجنسية لديه، فهي عنده ما تبدأ بالظهور عند الإنسان فإنها تجر معها الكثير من التغيرات الفسيولوجية والنفسية، بل العقلية عليه لولم تقيد من البداية وتُكبل فإنها ستكون أشبه بسيارة بلا مكابح تنزل من جبل وسائقها يضغط دواسة البنزين بكل قوته!، قد تساهل بعض الناس في تقييدها وكبحها، إن في أنفسهم أو في من هم مسؤولون عنهم، فتجد الأب يسمح لولده بالخروج إلى أماكن الريبة، ولا يعارض أن تلبس ابنته ملابس زاهية وملفتة للأنظار، وحتى تكون على بينة من أمرنا، نلفت النظر إلى أن هذه التهيئة المطلوبة في هذه الجهة من العفة تكون على التالي:

أ- الابتعاد عن الفاحشة الممقوتة قال تعالى ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا** ﴾[2].

ب-الابتعاد عن المهيجات تلك الفاحشة، والمهيجات والدواعي، لها عديدة نذكر منها:

أولاً: النظرة المحرمة: لا يغرك ما تسمع من أن النظرة الأولى لك والثانية عليك، فليس هكذا تُؤكل الكتف، فإن معنى النظرة الأولى هي النظرة غير مقصودة أو التي قصد منها شيء غير الريبة والتلذذ، والإ فهي محرمة قال الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام «**النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة**» وينبغي الالتفات إلى عدم جواز نظر المرأة إلى مالا يتعارف كشفه

(١) الأستخفاف بالدين قراءة في بعض المفردات الدينية والأجتماعية التي استخف الناس تطبيقها: المؤلف الشيخ حسين عبدالله الرضا الأسدي، تقديم معهد تراث الأنبياء عليهم السلام للدراسات الحوزوية الألكترونية:ص٢١٤، ٢١٥، ٢١٧.

(٢) سورة النساء: الآية٣٢.

عند الرجال «على الأحوط وجوباً» فننبه على حرمة مشاهدة المرأة لما يسمى بالمصارعة الحرة، حيث يظهر كل جسم الرجل إلا العورة بالمعنى الأخص، ومن هذا المنطلق ينبغي تنبيه الرجال أن يحترموا مشاعر المرأة وحرمتها، فلا يمشي أخو الزوج أمام زوجة أخيه بالسروال الداخلي أو بقميص يظهر صدره وكتفيه؛[1] يحرم على المرأة النظر إلى بدن الرجل الأجنبي بتلذذ شهوي أو مع الريبة، بل على الأحوط لزوماً إن لا ينظر إلى غير ماجرت السيرة على عدم الالتزام بستره كالرأس واليدين والقدمين ونحوها وإن كان بلا تلذذ شهوي ولا ريبة، وأما ناظرها إلى هذه المواضع من بدنه من دون ريبة ولا تلذذ شهوي فهو جائز، وإن كان الأحوط استحباباً تركه أيضاً[2].

ثانياً: المصافحة المحرمة: بعض المجتمعات والأفراد اعتبروا مصافحة المرأة علامة على التحضر والانفتاح الثقافي وعدم التعقيد النفسي، والحال أن اي أمر فيه تجاوز على الحدود الشرعية فهو في قعر التخلف وعند نهاية ركب الثقافة، عن سماعة بن مهران، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مصافحة الرجل المرأة، قال: «**لا يحل للرجل أن يصافح المرأة إلا امرأة يحرم عليه أن يتزوجها اختاً أو عمة أو خالة أو ابنة اخت أو نحوها، فأما المرأة التي يحل له أن يتزوجها فلا يصافحها إلا من وراء الثوب، ولا يغمر كفها**».

ثالثاً: المزاح الحرم: وهذا المثير، كثيراً ما يقع بين الذّكر والأنثى ويقوم باستثارة دفائن النفس الأمارة بالسوء من حيث لا يشعران، وهو أمر متعارف عند كثير من شرائح المجتمع، سواء في السوق أو في دائرة العمل بين الموظفين أو في الجامعات المختلفة وغيرها، فبنت لا تمازح رجلاً تعتبر معقدة، ورجل يرنو بعفته عن مزاح أنثى خارج عن طبيعة البشر، هكذا صارت الأحكام مقلوبة والموازين مختلفة.

رابعاً: تزين المرأة لغير زوجها بعطر وما شابه: كثيراً ما تقع النساء في هذا الخطأ، وكثيراً ما يسمح الأب أو الأخ أو حتى الزوج به لنسائهم، بحجة أنه من التجمل أو النظافة أو الثقافة، والحال أن هذا الأمر من شأنه أن يوقع الشباب في الريبة المحرمة، وقد يستثير فيه ما كان كامناً من غرائز فتاكة، فضلاً عن أنه يكشف عن ضعف في شخصية تلك المرأة التي تريد أن تبرز جمالها أو تبث عطرها بين الرجال لا تعرف سوى أنهم يسترقون النظرات المريبة منها قال: أبو عبدالله عليه السلام «**وأيما امرأة تطيبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها**».

(١) المصدر السابق: ص٢١٧- ٢١٩.

(٢) منهاج الصالحين المعاملات: سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)، ج، الثالث، مسألة١٥، ص١٢.

خامساً: بعض السلوكيات التي يمكن أن تهيج الرجل أو المرأة: كالسلام على الشابات ابتداءً، والمبيت قريبا من المرأة ليست محرمة، أو تقبيل الولد الصغير المرأة، وغيرها عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسلم على النساء ويرددن عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسلم على النساء، وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن، ويقول اتخوف إن تعجبني صوتها فيدخل على أكثر مما طلب من الأجر**»، وعن أبي جميلة، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قالا: «**ما من أحد إلا وهو يصيب حظاً من الزنا، فزنا العين النظر، وزنا الفم القبلة، وزنا اليدين اللمس، صدق الفرج ذلك أم كذب، يدخل تحت هذه الجهة من العفة عفة المظهر الخارجي عموماً، فقضية الشعر لا بد أن تكون بكيفية موافقة للمروءة، وليس فيها تشبيه بالغرب، ولا غربية بحيث تكون ملفتة للنظر، وعلى الرجال أن لا يضع على وجهه المساحيق الخاصة بالنساء! والمرأة لا تضع تلك المساحيق لأجل أن تظهر جميلة أمام الرجال الأجانب، فإن المفروض أن يكون الهدف الرئيسي لتجمل المرأة هو تجملها لزوجها فقط ولا تكون كسيارة الأجرة يقلها كل من هب ودب، وايضا يدخل تحته عفة الملابس، فينبغي أن تكون الملابس لائقة ومتناسبة مع العرف الإسلامي ولا تكون بحيث يكون لابسها متشبها بالغرب الكافر، ولا تكون منافية للمروءة، ولا تكون ملابس شهرة**»،[1] ولذلك حكم الفقهاء بأنه يحرم لباس الشهرة، وهو اللباس الذي يظهر المؤمن في شنعة وقباحة وفظاعة عند الناس، لحركة هتك المؤمن نفسه وإذلاله إياها[2].

٣-٦- فوائد العفة:

١ – النجاة من الفواحش: ذلك أن العفيف لا يستعفف عن فعل الفاحشة فقط، بل إنه يتعفف عن مقدماتها ومداخلها وأسبابها، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا** ﴾[3]، كما أن العفة تهدئ وتلطف الشهوة وتلقي برعاية التقوى على العقل فينعم العفيف بحياة هنيئة طاهرة.

٢ – النجاة من أضرار الفواحش، فهناك العقوبات الربانية لمرتكب الفواحش من سخط الله عليه وإبتعاد من رحمته وعقابه في الأخرة، وإقامة الحد الشرعي عليه هناك الأضرار الاجتماعية والنفسية والمرضية، ولا سبيل للنجاة من تلك الأضرار إلَّا بالعفة.

---

(١) الأستخفاف بالدين قراءة في بعض المفردات الدينية والأجتماعية التي استخف الناس بتطبيقها: المؤلف الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي: ص٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤

(2) htts: //www. sistani.org/arabic/02169.

(٣) سورة الأسراء: الآية٣٢.

٣- طهارة الفرد ونقاء المجتمع: فالعفيف سيعيش في دنياه في ضلال الرحمة الإلهية، والدعاء الملائكي، كما إنه سيحيا حياة اجتماعية ومستقرة بالسمعة الطيبة والذكر الحسن والمجتمع المتماسك المحصن، ويهنأ بنفسية مستقرة مطمئنة بأنس الطاعة وبهجة التقرب من الله تعالى ولذة العبادة وحلاوة الإيمان، وسيكون في مأمن من تلك الأمراض الخبيثة، كنا أنه سيسعد ويسعد مجتمعه بأخلاقه.

٤- قوة الإرادة: ذلك أن الاستخفاف يتطلب قدراً كثيراً من الإرادة القوية والعزيمة الصادقة ليقهر سلطان التقوى سلطان الهوى ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴾، وقوة الإرادة من الأساس الهامة لبناء الشخصية الإسلامية فهي التي تمكن المسلم من التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل،

٥- العفيف في ظل الله: فكما أنه استظل بتقوى الله ومخافته في الدنيا فا جزاءه في الأخرة من جنس عمله قال ﷺ «**سبعة يضلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله..... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال أخاف الله رب العالمين**».

٦-العفيف مضاعفة الثواب: فكلما تضاعفت دواعي الفتنة والفجور دواعي الفتنة والفجور استلم ذلك قدراً من التقوى والصبر عن المعاصي مما يجعل صاحبه في ميزان أعدل الحاكمين أوفر جزاءً وأجزل ثواباً.

٧- في العفة تتحقق الإيمان: قال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴾[1].

٨- الاستعفاف سبيل الزواج المثالي: فإن الشاب الذي أرخى العنان لشهواته ويتعود على تدنيس الأعراض وإشباع رغباته بألوان متعددة من المفاسد لن يطيق صبراً عنها وإن تزوج إلا أن يتوب ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته،

٩- الاستعفاف برهان على الصبر: فالعفة في حقيقتها هي الصبر عن معصية، الله وهومن أنواع الصبر فإن جزاء الصابرين ينال ذوي العفة ولا سيما الشاب الذي صاحب شهوة والذي لا يحافظ على عفته الأبصر عظيم تصبر عيناه عن النظر الحرام، وأذناه عن السمع الحرام، ولا رجلاه عن الجسد الحرام وفرجه عن الفرج الحرام.

(١) سورة الأعراف: الآية٢٠١.

١٠- العفة صون للأسرة: فهي الجزاء العادل لمن حفظ أعراض الناس أن يحفظ الله عرضه، أما من عبث بعرض غيره فإن جزاءه من جنس عمله حيث سيجد من يعبث بعرضه وشرفه كما جاء في قصة المثل القائل «دقة بدقه وإن زادت زاد السقا»، ومن جميل ما قيل قديما من كان يحرص على عرضه فليحرص على أعراض الناس، وكل دين لا بد له من وفاء ودين الأعراض وفاؤه بالأعراض، والمرء يهتك عرضه حين يهتك اعراض الناس، وما تهدم الكيان الأسرة للمجتمعات الغربية إلا قرينة لتفشي الخيانات الزوجية، لذا فالعفة هي الأمان وهي الصون الذي يحفظ كيان الأسرة[١].

إنني عند التأمل أنظر إلى العديد من تعاليم العفاف والأسرة في الفطرة والدين والابتعاد التي تنطوي عليها والآفاق التي تنظر إليها اجد أنها رغم أن بعضها يمثل قيوداً على المرأة إلا تكون في صالح المرأة العفيفة[٢]؛ لا ريب أن العفة، وهي من أنبل السجايا، وأرفع الفضائل، المعربة عن سمو الإيمان، وشرف النفس، والباعثة على سعادة المجتمع والفرد، وهي الخلة المشرفة التي تزين الإنسان، وتسمو به عن مزريات الشره والجشع، وتصونه عن التملق اللئام، استدراراً لعطفهم ونوالهم، وتحفزه على كسب وسائل العيش ورغائب الحياة، بطرقها المشرعة وأساليبها العفيفة؛[٣] من أثار الحياء على أفعال الإنسان إما الحياء فيتشعب منه اللين، والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية، والسلامة، واجتناب الشر، والبشاشة والسماحة، والظفر وحسن الثناء على المرء في الناس، فهذا ما اصاب العاقل بالحياء، فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته، قال الإمام علي عليه السلام «**الحياء يصد عن الفعل القبيح**»[٤].

(١) العفة ومنهج الأستعفاف: المؤلف، يحيى سليمان العقيلي، دار الدعوة ١٤ الكويت: ص٩٨، ٩٩، ١٠١.

(٢) سلسة محاضرات تربوية رسالةالمرأة في الحياة: للسيد محمد باقر السيستاني (أدامه الله): ص٧٩.

(٣) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: المؤلف، السيد مهدي الصدر: ص٦٤.

(٤) التفسير المعين للواعظين والمتعظين: للمؤلف، الشيخ محمد هويدي، النشر دار البلاغة: ص ٣٨٩.

المبحث الرابع: السيدة الزهراء النموذج الأمثل

٤-١-حياء السيدة الزهراء عليها السلام

روى الفريقان عليها السلام «**أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار**» وفي بعض الروايات أنها جعلت مستودعاً للحسن والحسين ورحما لهما ولنسل الإمامة، فهو نظيرة ماورد في مريم عليها السلام من قوله تعالى ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا** ﴾[1] حيث إن ظاهر الآية أن سبب إعطاء عيسى لمريم هو إحصان فرطها، وبضمية ماورد مستفيظا أن فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها، تتأتي نفس العلة فيها عليها السلام فحرم الله ذريتها على النار اي ذريتها عصموا من الضلال والردى، فليس المراد فيه صرف مجرد العفة عن الفاحشة الكبيرة، فإن هذا أمر تتحلى به كثير من المؤمنات، ومع ذلك لم يصلن إلى مقام (مستودع العصمة والطهارة)، فلابد أن يكون المعنى أكبر من ذلك واستعمل عنوان (الفرج) عناية عن مطلق الشهوة الجنسية، وعلى ذلك يكون مراد من الإحصان هو العفاف بدلاً عن استعمال الشهوة الجنسية في تمام إعطاء البدن، سواء العين أو اليد أو الأذن بل الظاهر أن معنى إحصان الفرج بمقتضى ما ورد من الأيات الواردة في عفة الحجاب وهو أن تحصن المرأة نفسها ولا تظهر زينتها للأجنبي، فيلتذ بالنظر إليها، تقع في معرض ولو برمق العين، أو تلذذ السماع كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾[2] بل قد يصل الحجاب والأحتجاب إلى درجة أن يكون الإحصان مانع عن أن تقع في مخيلة الطرف الأخر كي لا يلتذ بها حتياله[3].

إن فاطمة عليها السلام حياؤها في درجة قالت: «**واسوأتاه**» لما سمعت من أبيها إن أهل الدنيا يوم القيامة عراة، هذا حياؤها يوم القيامة، وأما حياؤها في الدنيا، أنه لما طلبها ابوها في عرسها، تعثر في ثوبها حياءاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وأما حياؤها بعد موتها في تشيعها، أنه أمرت اسماء أن تصنع له سريراً مثل ما رأتها في الحبشة ؛ إن من جملة التعاليم الإسلامية -التي كانت السيدة الزهراء عليها السلام تهتم بها غاية الاهتمام

---

(١) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

(٣) المصدر: مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب والسنة، المؤلف، تقرير الأبحاث، المحقق الشيخ محمد السند: بقلم السيد محمد علي الحلو، وبقلم، السيد محمد صالح الموسوي التبريزي، للطباعة والنشر والتوزيع الأميرة/ ص/ ٣٧٩/ ٣٨٠/ ٣٨١

- هي المحافظة على شرف المرأة وحفظ كيانها، عن طريق الحجاب والتستر، فالزهراء عليها السلام تعلم - حسب علم الاجتماع - إن ملايين الفضائح والجرائم والمآسي تأتي عن طريق السفور والتبرج والخلاعة والاختلاط، المسمى في زماننا هذا بالحرية والتقدم !!فإن كنت لا تصدق فأقرأ الجرائد والمجلات التي تصدر يومياً واسبوعيا في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية كي تعرف عدد الضحايا التي تقدمها الحضارة ! والتقدم! والحرية! فمن حوادث الأغتصاب، إلى جرائم الأجهاض والسقاط الجنين، إلى قضايا الخيانة الزوجية، إلى انهدام الأسرة وتتشت العائلة.... وأخيراً إلى الفساد والميوعة... كل هذا من مساوئ السفور وأثاره السيئة ولا تنسى أن عشر معشار هذه الفجائج والمآسي ما كانت تحدث للمرأة المسلمة يوم كانت تؤمن بالحجاب والعفاف والحياء! يوم كانت تؤمن بالحلال والحرام! يوم كانت تأبى وترفض أن ينظر إليها رجل أجنبي واحد![1].

فكيف أن تجعل جسمها ورأسها ووجهها محلاً لأنظار المئات بل الألوف من الرجال الأجانب، على أختلاف اديانهم وأهوائهم، ولما ضاعت المفاهيم والقيم سقطت المرأة إلى حيث سقطت، وبلغ بها الأمر إلى ما بلغ، إليك الذي تضمن إعجاب الرسول صلى الله عليه وآله بكلام ابنته الطاهرة العفيفة فاطمة الزهراء حول المرأة، وتصديق لها، وتقديره لرأيها: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله **ما خير للنساء؟** فلم ندرِ ما نقول، فسار علي إلى فاطمة فأخبرها بذلك، فقالت **فهلا قلت له: خير لهن إن لا يرين الرجال ولا يرونهن**، فرجع علي إلى رسول الله فأخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وآله **صدقت أنها بضعة مني**[2]؛ المقصود بالحديث بطبيعة الحال الرؤية للجسم، أو الرؤية التي نهى عنها الشرع وأما الرؤية من وراء الحجاب مع رعاية الموازين الشرعية فلا بأس به، ويدل على ذلك ذهاب فاطمة عليها السلام إلى أخذ، وذهابها إلى الحج مع الرسول الله صلى الله عليه وآله وما أشبه[3].

٤-٢- الحجاب والحياء

٤-٢-١-الحياء: هو السلوك الذي يسلكه المؤمن في تعاملاته مع غيره بما يتلائم مع وظيفته خصوصاً المرأة فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**الحياء والإيمان في قرن واحد فإذا سليب أحدهما اتبعه**

(١) موسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام تنظم موضوعي لكافة الأحاديث والنصوص في سيرة سيدة النساء عليها السلام ومكانتها ومع المصادر والأسانيد: المؤلف، إسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئي: الفصل الخامس، ص٤٨١.

(٢) فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد الى اللحد: تأليف السيد محمد كاظم القزويني، الناشر، المؤلف، طبع المطبعة العلمية: ص٢٣١-٢٣٢.

(٣) فاطمة الزهراء عليها السلام افضل أسوة للنساء: المؤلف السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره، مؤسسة التبليغ العالمية قسم التحقيق والطباعة والنشر: ص٨٥.

الأخر»، وعن الإمام الصادق عليه السلام «**لا إيمان لمن لا حياء له**»، وقد ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى في سلوك ابنتي نبي الله شعيب مع النبي موسى عليه السلام ولهذا فإن الحياء يدفع المرأة نحو الحجاب والحشمة والستر والوقار، والحياء الناشئ من الإيمان والتقوى يدفع المرأة إلى أخفاء مظاهر جمالها، وتجنب كل ما يجلب إنتباه الرجال إليها فما أعظم الحياء، وما أعظم دوره؟!! ولنتفق ليس أن ليس الحكم الشرعي فقط يحدد تصرفاتنا وإن الحياء يمثل الركيزة الأساسية للحجاب وهو الدافع الداخلي في نفسية المرأة الشريفة وأيضاً فإن الحياء يقود المرأة إلى الخير ويوفر لها الكرامة والمكانة السامية عند الله وعباده، قال الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام «**الحياء سبب إلى جميل**»، وكل ما كانت درجة الحياء في المرأة أكثر كان إلتزامها بالعفة والطهارة والحجاب، إن الحياء يمنع المرأة من التبرج والفسفور[1].

٤-٢-٢-الحجاب

للحجاب كانت في أغلبها مسوغات وضعها مخالفو الحجاب الذين سعوا إلى إظهاره حتى في صيغته الإسلامية على أنه شيء مخالف للمنطق والعقل، ومن الطبيعي أن المرء إذا أفترض امراً ما منذ البداية أنه أمر خرافي، فإن مسوغاته التي ينحتها تتناسب مع تلك الخرافة ولو أن الباحثين كانوا محايدين في بحثهم هذه المسألة، لأدركوا أن فلسفة الإسلام في الحجاب لا تدخل ضمن اي من تلك المسوغات الفارغة التي قالوا بها، إننا فيما يتعلق بحجاب المرأة في الإسلام نقول بفلسفة خاصة، تؤيدها النظرة العقلية، وإذا حللناها نجد أنها أساس الحجاب في الإسلام والمعنى لكلمة الحجاب: التي تستعمل في عصرنا هذا لتدل على الستر الذي تلبسه المرأة كهنة الحجاب تعني اللبس والأرتداء، كما تعني الستارة والحاجب، وأكثر استعمال لها للستارة، وهو ما يجب شيئاً عن شيء ويحول بينهما أن كل ما يرتديه الأنسان ليس حجاباً، إنما الحجاب هو ما يخفي الإنسان كما لو كان وراء ستارة، جاء في قصة سليمان في القران الكريم وصف لغروب الشمس كهذا ﴿ **حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** ﴾[2]، كما أن الحاجز الذي يفصل القلب عن المعدة يمسى الحجاب وفي العهد الذي كتبه أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر قال: «**فلا تطولن احتجابك عن رعيتك**»[3].

---

(١) مواطن العفاف سيدة مواطن العفاف والملك والملكوت عليها السلام، المؤلف محمد باقر الموسوي: ص٢٦.

(٢) سورة ص: الآية ٣٢.

(٣) مسألة الحجاب محاضرات في الدين والأجتماع: المؤلف، الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري، ترجمة جعفر صادق الخليلي، الناشر قسم الأعلام الخارجية، الطبعة: الأولى: ص ٧٩-٨١.

٤-٣-قيمة المرأة وأحترامها:

سبق أن قلنا أن الرجل متفوق على المرأة من حيث قواه البدنية أما من حيث قواه العقلية فإن تفوق الرجل قابل، في الأقل أن المرأة لا تستطيع أن تقارع الرجل في هذين الميدانين، الا أن المرأة في ميدان القلب والعاطفة قد أثبتت تفوقها على الرجل، إن احتفاظ المرأة بحاجز الحريم بينهما وبين الرجل كان على الدوام من الوسائل الغامضة التي ما فتئت المرأة تستخدمها لتوطيد مركزها ومقامها عند الرجل، إن الإسلام يحث المرأة على أستخدام هذه الوسيلة دائماً، بل يقول أن المرأة كلما كانت أعف وأكثر تحفظا وأشد وقاراً في حركاتها وسكناتها وتجنبت استعراض مفاتنها على الرجل، ازدادت في نظره قيمتها وكبر عنده مقامها

٤-٤-الحجاب والمنطق

أول نقد يوجه إلى حجاب المرأة هو أنه لا يستند إلى دليل معقول، لذلك ينبغي ألا ندافع عن أمر غير منطقي يقولون إن منشأ الحجاب إما أن يكون التهجم وفقدان الأمن وهذا غير موجود في هذا الزمان وإما أن يكون الرغبة في الترهب والزهد وترك اللذة، وهي فكرة باطلة وغير صحيحة، وإما أن يكون أنانية الرجل وحبه التسلط والأستحواذ، وهذه بالطبع من الرذائل التي تجب مكافتحها، وإما أن يكون الأعتقاد نجاسة المرأة ايام حيض، وهذه مجرد خرافة ليس إلا، الجواب على هذه الأنتقادات: أن للحجاب الإسلامي دليله المنطقي العقول من جوانب مختلفة، كالجوانب النفسية، والعائلية، والأجتماعية، وحتى من حيث الارتفاع بقيمة المرأة ومقامها، إن الحجاب في الإسلام واجب ملقى على عاتق المرأة يطلب منها بموجبه أن تكون متسترة بصورة خاصة عند تعاملها مع الرجل، إن الرجل ليس هو الذي يفرض عليها هذا الواجب، ولا هو مما يتعارض وكرامة المرأة، ولا هو اعتداء على حقوقها الطبيعة التي أقرها الله لها، إذا اقتضت رعاية بعض الشؤون الأجتماعية الخاصة وضع بعض القيود على الرجل أو المرأة بحيث يلزمهما أن يسلكا سلوكاً معيناً للحفاظ على هدوء الأخرين وراحة أعصابهم وعدم الأخلاص باتزانهم الأخلاقي، فإننا لا يمكن أن نطلق على تلك القيود أسم (الحبس) أو (الحجر)، أو (الاستعباد)، ولا أن نعتبرها مناقضة لكرامة الأنسان ولا لحقه في الحرية، إن أمثال هذه القيود مفروضة في بعض الدول المتحضرة في العالم على الرجل إذا خرج رجل عارياً إلى الشارع، أو خروج بلباس النوم أو البجامة، فإن الشرطة تقبض عليه بتهمة أهانة كرامة المجتمع، فإننا لا يمكن أن نسمي هذا «سجناً» أو أستعبادا أو أنه ضد الحرية وكرامة الإنسان، أو أنه ظلم يتنافى مع العقل

والمنطق، إنما الأمر على العكس من ذلك، أذا إن حجاب المرأة ضمن الحدود التي حددها الإسلام يرفع من مقامها ويزيد في كرامتها ويوجب أحترامها، إن شرف المرأة يقتضيها أن تكون عند خروجها من الدار على وقار واحتشام وإن لا تكون في ملبسها ومنظرها ما يبعث على التهيج والإثارة عن تقصد، بحيث تكون وكأنها تدعو الرجل إليها، فلا ترتدي لباساً ينطق، ولا تمشي مشية تنطق، ولا تتفوه بكلمة أو بلهجة ذات إيحاءات مغرية، وذلك لأن الزي والهيئة ينطقان احيانا، انك لو سألت أي فقيه: يحرم على المرأة الخروج من الدار؟ لأجابك بالنفي، ولو سألته: يحرم عليها أن تبتاع شيئاً من السوق حتى إذا كان البائع رجلاً ؟اي هل قيام المرأة بالبيع والشراء مع الرجل حرام ؟ لقال لك: لا أحرم عليها، الأشتراك في المجالس والمحافل والأجتماعات ؟ لقال أيضاً لا فهن يحضرن في المساجد ويستمعن إلى الواعظ في المجالس الدينية، ولم يقل أحد أن مجرد حضور المرأة والرجل في مجلس واحد حرام، هناك مسألتان فقط بهذا الخصوص:

الأولى: أنها يجب أن تكون مستورة وان لا يكون خروجها بقصد عرض مفاتنها لأستثارة الرجل.

الثانية: هي أن خروج المرأة من بيتها يجب أن يكون مقروناً بموافقة زوجها حسب معرفته بالمصلحة المشتركة لهما[1].

٤-٥- عفة وحجاب السيدة الزهراء عليها السلام

عن موسى بن جعفر، عن ابائه عليهم السلام قال: **قال الإمام علي عليه السلام: استأذن اعمى على فاطمة الزهراء عليها السلام فحجبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لها: لم حجبته وهو لا يراكِ ؟ فقالت: إن لم يكن يراني فإني أراه وهو يشم الريح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أشهد أنك بضعة مني**، يرسم هذا الحديث زاوية عظيمة لعفة وطهارة فاطمة عليها السلام وهو يشمل على نقطتين ورعايتهما ضرورية جداً للنساء، لأنهما يؤديان إلى حفظهن من مضايقة الرجال الذين لا يعيرون أهمية لشرف المسلمين، وذلك بنظراتهم الفاسدة لهن.

٤-٥-١: غض البصر وأثاره:

كما أن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية حرام يؤدي إلى فساد، كذلك نظر المرأة للرجل الأجنبي حرام أيضا خصوصاً لو صاحب النظرة شهوة ولذة، فعندما يأمر الله تعالى إلى الرجال بغض النظر، يقول

(١) مسألة الحجاب: المؤلف، الشهيد مرتضى مطهري، ترجمة، جعفر صادق الخليلي، الناشر، قسم الأعلام الخارجية، الطبعة الأولى: ص ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.

﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** ﴾[1] يقول بعدها مباشرة: ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾ لأن النظر سهام الشيطان المسمومة يرمي بها كل من يريد أن يضله ويجره للفساد، ولهذا لما يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أبنته لم حجبته وهو لا يراكِ؟ تقول في جوابه «**إن لم يكن يراني فإني أراه وهو يشم الربح**» هو درس كبير لجميع النساء اللاتي لهن أرتباط بالزهراء عليها السلام وأولادها المعصومين عليهم السلام، خصوصاً أبنها صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف، نعم، الزهراء (سلام الله عليها) حجبت نظرها عن الرجل الأجنبي، حتى تبتعد عن الذنب، وتعطي بعملها هذا درسا كبيرا لكل شيعتها ومحبيها.

٤-٥-٢- الطيب في مذهب أهل البيت عليهم السلام:

إن استعمال الطيب للرجال في الإسلام مستحب وقيمة، خاصة حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**حبب إلي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء، وقرة عيني الصلاة**»، أستعمال الطيب للنساء!، إن هذه السنة مؤكد عليها، حتى من يصرف عليها كثيراً في شراء الطيب لا يُعد مسرفاً ولكن هذا المعنى للنساء يكون معكوساً، مع إن تطيب المرأة المسلمة لزوجها من متطلبات الحياة الزوجية، أما لوصل طيب المرأة إلى مشام الرجل الأجنبي، إضافة إلى أنها تكون مورد غضب الله تعالى، فبعملها عذا تؤدي إلى هيجان الشهوة عند الرجال وشباب المجتمع، قالت الزهراء عليها السلام لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله «**إن لم يكن يراني فإني أراه وهو يشم الريح**»، فمعنى جواب الزهراء عليها السلام هو: حتى لو كنت في البيت بلا حجاب ورجل ضرير، لكن لديه حاسة الشم فبأمكانه إن يشم رائحتي، ولا أرضى للمسلمين ان يغفلوا عن ذكر الله تعالى إلى هذا الحد ويُساقون إلى غير طريقة، إن النساء اللاتي يطلبن شفاعة الزهراء عليها السلام من لحظة الموت إلى قيام الساعة، ووقوفهن في محكمة العدل الإلهية، يجب عليهن مراعاة هذه الأمور الصادرة عن أهل البيت النبوة عليهم السلام، وتهيئة أنفسهن للعمل بتلك الأوامر.

هناك أعمال كثيرة ومهمة للمرأة ومفيدة لها، نسلط الضوء على واحدة من هذه الأعمال، هي رعاية الحجاب، إن الذي يعين المرأة المسلمة قبل كل شيء في هذه الرواية، ويعتبر أفضل عمل لها هو رعاية الحجاب وستر نفسها من عيون الأجانب، فالنظر له الأثر الكبير في الفساد والأنحراف الأخلاقي، فرعايته تؤدي إلى تهيئة أرضية العيش الطاهر، والبقاء على الطهارة، والعلاقة مع الطاهرين، أشير إلى هذا الأمر المهم في الأيات والروايات، يقول الله تعالى في القران الكريم خطاباً لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿ **يَاأَيُّهَا**

(١) سورة النور: الآية: ٣٠، ٣١.

النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[1] ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ لو دقق في رموز إشارات هاتين الأيتين، لتعلمنا منهما دروساً عميقة في خصوص الحجاب وحدوده، منها:

أولاً: أن يكون حجاب المرأة المؤمنة بحيث تعرف في المجتمع بالعفاف والطهارة، وبالنتيجة تحفظ من وساوس رجال وشباب ذلك المجتمع ولا يعترضون لها.

ثانياً: ذهاب وإياب المرأة المؤمنة في ظل الحجاب ينبغي أن يكون بشكل يؤدي إلى طهارة القلوب، وحفظ العيون من النظرات المسمومة لها، من الواضح أن الحجاب الذي يعين المرأة أو الفتاة الشيعية في البلوغ إلى هذا الهدف، هو العبادة التي ليس فيها سوى لطهارة والعفاف، يغطي كل أجزاء بدنها، ويهبها الوقار المتانة، بحيث كل من ينظر إليها فيها التقوى والطهارة والعفاف، معنى(الجلباب) في الأية الشريفة، وتبين المقصود من الحجاب الكامل في الأيات القرانية الأخرى، فلا يصدق الحجاب على غير العباءة واللباس الذي يستر كل بدن المرأة وما يعتبر جمالاً وزينة لها[2].

٤-٦-أحتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام على القوم في مسألة ارض فدك:

في فدك روي عن بن الحسن بأسناده عن أبائه عليهم السلام أنه لما اجمع أبو بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك وبلغها ذلك، لاثت خِمارها على رأسها، يقول العلامة المجلسي قدس سره في البحار ولنوضح تلك الخطبة الغراء الساطعة عن سيدة النساء عليها السلام لاثت خِمارها على رأسها، أي عصبته وجمعته، يقال: لاثت العِمامة على رأسه- يلوثها لوثا أي شدها وربطاها، واشتملت بجلبابها،

الجلباب - بالكسر- يطلق على الملحفة والرداء والإزار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة، والثوب كالمقنعة تغطي بها المرأة رأسها وصدرها وظهرها، فلتستر المرأة المسلمة ثلاث مراتب:

الأول: ليس الخمار والثوب الساترين للرأس والبدن، وهذا أقل مايتجزئ به، وهو ستر الإماء، وهو المسمى في زماننا (حجاب شرعي).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٩، ٥٣.

(٢) اسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام: المؤلف، الشيخ محمد حسين اليوسفي، ترجمة وتخريج، حامد رحمان الطائي، أصدار شعبة التحقيق في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ص، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٠.

الثاني: ادناء الجلباب الساتر بسعته كل البدن فوق الأول وهو ستر الحرائر،

الثالث: الأحتجاب بستر ملاءة أو نحوها حتى ينفصل مكان المرأة عن مكان الرجل، وقد أشير إليه بقوله تعالى ﴿ .... **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾، والخبر يحكي رعاية سيدة النساء عليها السلام جميع المراتب المذكورة فلاحظ، وليعلم إن مجيء فاطمة الزهراء الطاهرة إلى المسجد والقائها الخطابة فيه بتشديد وتأكيد بليغ كان للدفاع عن حقها وحق زوجها ولابطال إمارة من تصدر لإمرة المسلمين غصباً وظلماً، فهو مما دعت الضرورة فيه إلى التكلم ومخاطبة الرجال وإلا لم يكن من شأنها عليها السلام إن تخاطب الرجال وتكلمهم من غير ضرورة، وقد قالت في جواب السؤال رسول الله صلى الله عليه وآله عما هو خير للنساء: **أن لا يرين الرجال ولا يرونهن**، فلا يتخذ هذا ذريعة إلى تبرير خطابات النساء تبرزهن في مجالس الرجال من غير ضرورة داعية إليها، والجلباب كسرداب والجلباب كسنمار مثل به سيبويه ولم يفسره أحد، يعني الجلباب المشتمل على البدن كله، وفسره الجواهري بالملحفة قاله شيخنا والذي في لسان العرب: الجلباب ثوب أوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها وقال تعالى﴿ **يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ** ﴾ وقيل هو ماتغطي به المرأة وهو ماتغطي به ثيابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، في حديث فاطمة عليها السلام أنها خرجت في لمة من نسائها تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته أي في جماعة من نسائها قيل: هي مابين الثلاثة إلى العشرة، وقيل في اللمة المثل في السن والترب، والحفدة، -بالتحريك – الأعوان والخدم، تطأذيولها، ماتخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرهم، أي كانت أثوابها طويلة تستر قدمها وتضع عليها عند المشي، وجمع الذيل بأعتبار الأجزاء أو تعدد الثياب.

مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، أي لم تنقص مشيها من مشيه صلى الله عليه وآله شيئاً كأنه هو بعينه؛[1] نيطت بها بينها وبين القوم ملاءة.

تنيطت أي وضعت بينها وبين القوم قطعة من قماش كالستار، فعجباً من المرأة المؤمنة التي تستلهم مواقفها من سيدة نساء العالمين عليها السلام، كيف يتسنى لها أن تتهاون في سترها وحجابها في مجتمعات الرجال، وهي تقرأ في سيرة سيدتها الزهراء عليها السلام أنها لما أضطرها الظالمون للخروج من بيتها المقدس

(١) الزهراء عليها السلام وخطبة فدك شرح الخطبة الفدكية: للعلامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره علق عليه وأكمله آية الله الشيخ محمد تقي شريعتمدري: ص ٢٣-٢٧.

دفاعاً من حُرَيم الإمامة الإلهية[1].

اليوم نشهد حرباً ضروسا على الحجاب وعفة وحياء المرأة، اليوم المراة ويا للأسف الشديد باتت منقادة إلى هذه المنظمات التي تدعي حرية المرأة، والوقوف بجانبها ولكن لها مأرب أخرى وهي تجرد المرأة من كامل حشمتها ووقارها وحيائها وحجابها، الذي جملها وزينها وصلنها بها الله سبحانه وتعالى، وعندما يقولون نحن نريد نحرر المرأة من العبودية ونعطي حريتها، وهل كان الإسلام ظالما ومقيداً لحرية المرأة؟ حتى تأتي منظمات تدعي الحرية والتحرر تساند وتطالب بالحرية للمرأة، اليوم من تريد أن تقتي بسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وهي أم العلم والحرية هي ان نتحرر من قيودهم هم وليس التحرر من الإسلام وشريعة محمد وآل محمد هذه ليس تحرراً وأنما عبودية ولكن لسلب عفة وحياء المرأة وحجابها وجعلها رخيصة ومبتذلة ومهانة، وعندما ننظر إلى الإسلام وأهل البيت عليهم السلام لابل جعل كامل الحرية للمرأة ولم يفرض عليها القيود التي تثقل كاهلها بل جعلها ذات عز وهيبة ووقار.

(١) المصدر مواطن العفاف اضاءات على سيدة العفاف والملك والملكوت عليها السلام: ص ١٤.

الخاتمة

وفي نهاية هذا البحث فإننا تمكننا من خلال هذا البحث، إن نسلط الضوء على كل الجوانب المتعلقة بموضوع البحث (العفة والحياء في مدرسة القران والعترة والحجاب الفاطمي السيدة الزهراء عليها السلام النموذج الأمثل) ونحن وضعنا كل جوانب النظرية والعلمية بهذا البحث، عرضنا كل المفاهيم والعلاقات بالجانب النظري من وهو حول (العفة والحياء في مدرسة القران والعترة والحجاب الفاطمي السيدة الزهراء عليها السلام النموذج الأمثل)وهذا الموضوع تطلب منا دراسة متعمقة في ذلك الموضوع، النتائج التي توصلنا إليها في نهاية البحث في خصم ما يمر به المجتمع في عصرنا هذا من أشكال المغريات ومضلات الفتن وتعطيل العقول وتفعيل الشهوات والغرائز نلاحظ أن هناك انجرار وانقياد كامل إلى تلك الصيحات وكأنما تم تنويم مغناطيسي لعقول البشر رجلا ونساء إلا ما رحم الله وأصبح أعداء الدين والقيم والأخلاق هم من يفكرون ويقررون إن يقدموا فرض الطاعة لهذه الأفكار من خلال الأنقياد الأعمى لصيحات الموضة والتقليد الأعمى في التصرفات والسلوكيات السيئة متناسين هل هذا هو مرضي لما جاء به الشارع المقدس أم في تعارض معه فترى الشباب بصورة عامة والنساء بصورة خاصة يتعرضون لهجمة شرسة طالت جميع مفاصل الحياة وتغلغلت تلك الهجمات إلى قعر البيوت وصار الشغل الشاغل لأغلب النساء وبمختلف الفئات العمرية كيف يمكهنا إن تتجمل وتتباهى بلبس أخر صيحات الموضة والتجمل بالحجاب الستر بالحجاب، من خلال اللفات العصرية كما يسمونها والنزول بها إلى الشارع وتلاحقها نظرات القاصي والداني بلا خجل ولا حياء، بدعوى التحضر والتمدن كما يزعمون والسبب هو الأبتعاد عن الله تعالى وما نصه من قوانين كفيلة في بناء مجتمع فاضل والتي وصلت إلينا بشقيها النظري والعلمي من خلال الرسول وأهل بيته عليهم السلام وخير ما نقتدي به هي مولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام هي القدوة لكل فرد في عبادتها وتنسكها وعفتها وعلمها وفصاحتها وشجاعتها وإرادتها للمواقف الصعبة وقدمه إلى النساء خاصة في حجابها وادارتها لحياتها الأسرية فقد كانت السيدة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين نموذجاً يحتذى به للمرأة المسلمة الكاملة وتجسيد ايما وجه مشرف لكيان المرأة المؤمنة.

المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- الأستخفاف بالدين قراءة في بعض المفردات الدينية والأجتماعية التي استخف الناس بتطبيقها المؤلف الشيخ حسين عبد الله الرضا الأسدي تقديم معهد تراث الأنبياء عليهم السلام للدراسات الحوزوية الإلكترونية الطبعة الأولى .
- أخلاق أهل البيت عليهم السلام المؤلف السيد مهدي الصدر/ الناشر دار البذرة المطبعة الكلمة الطيبة.
- أثر القصص القراني في تعزيز قيمة العفاف لدى المسلم دراسة سياقية إعداد روان فوازان مضي الحديد أستاذ مساعد قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية والأداب جامعة الحدود الشمالية عرعر المملكة العربية السعودية .
- أوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي من منظور أسلامي المؤلف الشيخ حسن الجواهي الطبعة الأولى .
- اسرار فضائل فاطمة التأليف الشيخ محمد حسين اليوسفي ترجمة وتخريج حامد رحمان الطائي أصدار شعبة التحقيق في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة .
- بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام تأليف العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره جزء السابع والستون النشر دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة.
- التفسير المعين للواعظين والمتعظين للمؤلف الشيخ محمد هويدي الطبعة الأولى / للطباعة والنشر والتوزيع دار البلاغة.
- جامع السعادات / جزء الأول المؤلف الشيخ الجليل محمد مهدي النراقي / الناشر اسماعيليان الطبعة السابعة .
- الحجاب عز لا أسر / جمع وإعداد محمد صادق ذبيحي تعريب وتحقيق جواد السيد سجاد الرضوي/ الطبعة الأولى .
- الزهراء خطبة فدك شرح الخطبة الفدكية للعلامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

علق عليه وأكمله آية الله الشيخ محمد تقي شريعت مدراري.
- سلسلة محاضرات تربوية رسالة المرأة في الحياة للسيد محمد باقر السيستاني دام ظله .
- العفة والحياء أعداد مركز نون للتأليف والترجمة نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية .
- العفة والحياء في القران الكريم وموجباتها ومظاهرها وأثرها دراسة في التفسير الموضوعي مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اصول الدين تخصص كتاب وسنة أعداد لطالبة فاطمة الزهراء مزوزي كلية العلوم الأنسانية والأجتماعية والعلوم الإسلامية قسم العلوم الإسلامية .
- العفة في ضوء القران الكريم دراسة موضوعية أعداد الطالبة فدوى فؤاد الزربتلي جامعة الإسلامية غزة عمادة الدراسات العليا اصول الدين قسم التفسير وعلوم القران .
- العفة في مدرسة القران الكريم والعترة السيدة زينب عليها السلام النموذج الأمثل أعداد أقبال وافي نجم جامعة كربلاء كلية الإسلامية .
- العفة ومنهج الأستعفاف تأليف يحيى بن سيلمان العقيلي الطبعة الأولى دار الدعوة – ١٤ – الكويت.
- فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد الى اللحد تأليف السيد محمد كاظم القزويني .
- فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل أسوة للنساء المؤلف آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره مؤسسة التبليغ العالمية قسم التحقيق والطباعة والنشر .
- فقه الحياء في ضوء الكتاب والسنه إعداد أحمد عبد السلام ابو الفضل الدراسات الإسلامية قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية كلية التربية جامعة المنصورة .
- كتاب منهاج الصالحين المعاملات الجزء الثالث / طبقاً لفتاى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله .
- لسان العرب المجلد التاسع المؤلف للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري الناشر اداب الحوزة .
- المرأة المسلمة هموم وتحديات المؤلف حسن السعيد/ للنشر والتوزيع دار الهادي/ الطبعة الأولى .
- المرأة والأسرة في فكر الإمام الخامنئي أعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق اصدار المعارف الإسلامية الثقافية الطبعة الأولى .
- مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب والسنة تقرير الأبحاث المحقق آية الله الشيخ محمد السند بقلم السيد محمد علي الحلو للطباعة والنشر والتوزيع الأميرة الطبعة الأولى .
- الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام تنظيم موضوعي لكافة الأحاديث والنصوص في

سيرة سيدة النساء ومكانتها مع المصادر والأسانيد المجلد العشرون محبوها وأعداؤها تأليف اسماعيل الأنصاري الزنجاني الخوئني الطبعة الثانية المطبعة تگارش.

- مواطن العفاف اضاءات على سيدة العفاف والملك والملكوت عليها السلام المؤلف محمد باقر الموسوي.
- مسألة الحجاب المؤلف الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري المترجم جعفر صادق الخليلي الناشر قسم الأعلام الخارجية الطبعة الأولى .

نساء النبوة في ضوء الوحي والنسوية الحديثة

الباحثة : سندس سعدون مهدي علي الشمري

المُلَخص

يعد موضوع المرأة المسلمة المعاصرة من المواضيع التي يُثار الجدل فيها ما بين الدعوة إلى تحريرها بما يطرحه الفكر المعاصر، وبين انسجام وتطابق قضايا المرأة وفق المبادئ الإسلامية الأصيلة.

ونحن نعيش في ظل عالم اشتهرت فيه العولمة، ومحاولة طمس الطابع الإسلامي، فلو راجعنا واقع المرأة في مجتمع الجاهلية، فأنه يحكي عمق التخلف والانحطاط، إذ عاشت في تلك الفترة حياة الذلة والانكسار والجهل فبان أثر ذلك، وانعكس على المجتمع.

إنَّ النظرية الإسلامية ترى أن اللبنة الأساسية التي تشكل الوحدة المركزية في المجتمع هي (الأسرة) على خلاف رؤية المجتمعات الأخرى والحياة الحديثة.

ولا شك أن المرأة تمثل الركن الأساسي في الأسرة، ويمكن لها أن تتحمل المسؤولية وفق الموازين الشرعية، فمن النساء غيرن الرأي العام بخطبة أو مبدأ ولا يزال التاريخ يشير إليهن بالبنان، فهناك نساء ارتقين سنام المجد وخلدن بعملهن الصالح بحيث أصبحن سيدات نساء الجنة، فالقرآن الكريم والنصوص في السنة المطهرة تؤكد أن المرأة من حيث هويتها الإنسانية تحظى وتتصف بهويه كاملة في إنسانيتها، ولا يوجد فيها أي نقص في الهوية بحيث يعيق حركتها التكاملية.

لذا وقع الاختيار على المحور (الاجتماعي والتربوي والأخلاقي) ووسمنا البحث بعنوان (نساء النبوة في ضوء الوحي والنسوية الحديثة)، واشتمل على مبحثين الأول جاء ليكشف عن (لمحة من سيرة سيدات نساء أهل الجنة)، وأما المبحث الثاني تحدث عن (الرؤية الإسلامية في تكامل المجتمع الإنساني)، ثم خاتمة البحث اشتملت على مجموعة من النتائج والتوصيات.

ومن أهم النتائج:

برزت على طول التاريخ نماذج من النساء الرائدات اللاتي استطعن أن يعطين صور مشرفه عن المرأة المثالية في دنيا الوجود منهن (سيدات نساء أهل الجنة) اللاتي جسدن تفوق في مجتمعهن فيما يملكن قدرات ومواهب وقوة إيمانية وأخلاق وعفة وطهارة وفاقتهن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

الكلمات المفتاحية: سيدات نساء أهل الجنة، الزهراء عليها السلام، المرأة، الحضارة، النظرية الإسلامية، النسوية الحديثة.

المقدمة

إن من أهم سنن الله تعالى هو إحياء العدل ونبذ الفرقة: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1]، ويعد الشرف الحقيقي والكرامة هو تقوى الله تعالى وهي الوسيلة الوحيدة إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة.

فلقد كانت الخطابات القرآنية موجهة لكل من الرجل والمرأة من دون تميز، إلا إذ ميز الله كل جنس بخصوصيات وقابليات مختلفة ليكون تعدد في الأدوار وتكامل في العمل، ولا يوجد تقاطع البتة بينهما، بل كل واحد منهما يدعم الآخر.

تعتبر أحكام المرأة في الإسلام موضوعًا مثيرًا للجدل والدراسة على مر العصور، وقد شهدت السنوات الأخيرة اهتمامًا متزايدًا من الباحثين والعلماء، فقد تناولت هذه الدراسات مجموعة واسعة من القضايا، بما في ذلك الحجاب حيث تركز العديد من الدراسات على تطور فهم الحجاب عبر التاريخ، وأسس الشرعية له، وتأثيره على هوية المرأة ودورها في المجتمع، كما تناولت أيضًا النقاشات المعاصرة حول الحجاب في سياق حقوق المرأة وحرياتها، وهناك فارق ما بين الدعوة إلى تحريرها بما يطرحه الفكر المعاصر، وبين انسجام وتطابق قضايا المرأة وفق المبادئ الإسلامية الأصيلة.

ونحن نعيش في ظل عالم اشتهرت فيه العولمة، ومحاولة طمس الطابع الإسلامي، فلو راجعنا واقع المرأة في مجتمع الجاهلية، فأنه يحكي عمق التخلف والانحطاط، إذ عاشت في تلك الحقبة حياة الذلة والانكسار والجهل فبان أثر ذلك، وانعكس على المجتمع.

إن الإسلام جعل الأسرة لبنة المجتمع الإسلامي، ولا شك أن المرأة تمثل الركن الأساسي في الأسرة، ويمكن لها أن تتحمل المسؤولية وفق الموازين الشرعية، فهناك من النساء غيرن الرأي العام وارتقين سنام المجد وخلدن بعملهن الصالح بحيث أصبحن سيدات نساء الجنة، ولا يزال التاريخ يشير إليهن بالبنان، فالقرآن الكريم والنصوص في السنة المطهرة يؤكدان أن المرأة من حيث هويتها الإنسانية تحظى وتتصف بهويه كاملة في إنسانيتها، ولا يوجد فيها أي نقص في الهوية بحيث يعيق

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

حركتها التكاملية، وإن الوضع الحالي للمرأة في مجتمعنا الإسلامي متأثر ببعض أفكار المجتمعات غير الإسلامية وبالذات من النساء المعاصرات، فينبغي علينا أن ننظم العلاقات الوشيجة بين الرجل والمرأة وفق الموازين الشرعية، وكذلك أن نصحح النظرة الحديثة للمرأة المسلمة من خلال الموازين الشرعية الذي جاء بها القرآن الكريم.

فلقد جاء في الأثر إنَّ سيدات أهل الجنة أربع وهن: آسية بنت مزاحم، مريم بنت عمران، خديجة الكبرى، فاطمة الزهراء عليهن السلام، وان العناية الإلهية أولت هذه السيدات الجليلات عناية خاصة باصطفائهن.

ولقد تميزن على سائر نساء الأرض بما تمتعن بخواص وفضائل مشتركة، فإن عظمة السيدات الجليلات الأربعة لا تنحصر في قدسيتهن وعبادتهن ومزاياهن، فلم يكن مجرد نساء مؤمنات صالحات تبوئهن مكانة عالية عظيمة عند الله تعالى تجعلهن موضع إكبار وإجلال ومحبة وتعظيم عند البشر على اختلاف مذاهبهن واتجاهاتهن الفكرية والمذهبية، فحسب وإنما للأدوار الإصلاحية التي أبدعن فيها، والصعاب التي تصدين لها سبيل إعلاء صوت الحق.

إن التميز والارتقاء تعني وجود مواصفات نفسية عالية، وامتلاك كفاءات ذهنية علمية وعملية متقدمة، وإحداث تأثير فعلي هام على ساحة الحياة، وبهذا المعنى للتميز لا شيء يقصر بالمرأة عن بلوغ درجتها، والتاريخ يخلد لنا ذكرى العديد من النساء اللاتي ارتقين سنام المجد وبلغن ذروته، وتأتي السيدات الجليلات الزهراء وأمها السيدة خديجة وبنتها السيدة زينب (عليهن السلام)، في طليعة النساء المتميزات في تاريخ الإنسانية، وليس كما يدعيه المعاصرين والجدلية القائمة في هذا العصر بأن الإسلام يحجب المرأة عن المجتمع ويقوض حركتها، ويسعي الآخر إلى تحريرها من القيود، بل إن الإسلام رفعها وصان حرمتها...

أهمية البحث: من خلال معرفة من هن سيدات نساء أهل الجنة تتضح أهمية مكانة المرأة في الإسلام والمجتمع فهي تمثل الركن الأساسي في الأسرة، ويمكن لها أن تتحمل المسؤولية وفق الموازين الشرعية، فهناك من النساء غيرن الرأي العام ارتقين سنام المجد وخلدن بعملهن الصالح بحيث أصبحن سيدات نساء الجنة، ولا يزال التاريخ يشير إليهن بالبنان، ولم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة؛ إلا من الناحية التكوينية، بل إن المرأة من حيث هويتها الإنسانية تحظى وتتصف بهويه كاملة في إنسانيتها ولا يوجد فيها أي نقص في الهوية بحيث يعيق حركتها التكاملية.

أهداف البحث: يسعى البحث الحالي في:

١ ـ التعريف بسيدات نساء الجنة أهل الجنة.

٢ ـ مميزات وخصائص سيدات نساء أهل الجنة الواردة في الكتاب والسنة المطهرة.

٣ ـ توضيح المفاهيم الإسلامية المتعلقة بالمرأة في مواجهة الادعاءات الحديثة وما جاءت به من أفكار سلبية بزعم أن الإسلام اضطهد المرأة من ناحية (الحجاب) مثلاً، وبغية تحريرها من القيود التي وضعتها النظرية الإسلامية وشل حركة المرأة في المجتمع في حين باستطاعة المرأة أن تواجه كل ميادين الحياة بصورة متوازنة.

مشكلة البحث: أهم مشكلة تواجهنا في البحث هي:

اختلاف الرؤى والأفكار بين النظرية الإسلامية والأفكار الحديثة في تأثير بعض فئات من المجتمع الإسلامي والنساء على وجه الخصوص بالأفكار التي يدعونها المعاصرين والجدلية القائمة في العصر الحاضر والتعلق بمبادئهم المنحرفة وتنطلق منه عدة أسئلة.

١. ما هو أثر سيدات أهل الجنة بالنظرية الإسلامية والأفكار التي يدعونها المعاصرين؟

٢. هل أن الإسلام اضطهد المرأة وشل حركتها في المجتمع؟

٣. كيف يقلل الحجاب من شأن المرأة ويحجب حريتها؟

٤. هل يُعد التشريع الإسلامي في تعدد الزوجات اضطهاد وتعسف للمرأة؟

٥. لماذا بخس الشارع الإسلامي حق المرأة في الميراث وجعل نصيب الأنثى نصف حق الذكر؟

هيكلية البحث: تتألف خطة البحث (نساء النبوة في ضوء الوحي والنسوية الحديثة ـ دراسة مقارنة) من مقدمة يعقبها تمهيد ومبحثين أسهم التمهيد للتعريف بمفاهيم العنوان وما أسند عليه البحث من مفاهيم وأما المبحث الأول تناول (لمحة من سيرة سيدات نساء أهل الجنة)، وقد احتوى على مطلبين، جاء الأول ليكشف عن هوية سيدات نساء الجنة، وأما الثاني انعقد لبيان (مميزات وخصائص سيدات نساء أهل الجنة)، وانبرى المبحث الثاني (الرؤية الإسلامية في تكامل المجتمع الإنساني) هو الآخر اشتمل على مطلبين حيث تناول الأول (الهوية الإنسانية المتكاملة)، وأما الثاني أوعز في توضيح جانب من (قضايا المرأة ما بين النظرية الإسلامية ورؤى النسوية المعاصرة)، ثم ختم البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات.

التمهيد

الغاية من هذا التمهيد الذي نحسب أنَّ له الحاجة للتعريف بالمفردات التي جاءت في العنوان الذي وقع عليه البحث وللتعريف بالمفاهيم الأساسية التي سيستند عليها البحث، كالنبوة والوحي وسيد.

أولاً: مفهوم النبوة في اللغة والاصطلاح

النبوة في اللغة: اسم من (نبا) أي ارتفع، وتسمى البقعة المرتفعة من الأرض (نبوة) وقد تكون اسماً من (نبأ) وهو الخبر، فتكون النبوة بمعنى الإخبار عن الله عز وجل[١]. والنبوة: (النبأ) الخَبرَ يُقَالُ (نبا) و(نبأ) و(أَنْبَأَ) أي أَخْبَرَ ومنه (النَّبيُّ)؛ لأَنه أَنْبَأَ عن الله وهو فعيل بمعنى فاعل ترَكُوا همزه كالذرية والبرية والخابية إِلَّا أَهْلَ مَكَّةَ فَإِنَّهُم يَهْمَزُونَ الأَربعة قلت: وتَمامُ الكَلام في النبي مَذْكُور في ـ ن ب ا ـ من المعتل[٢](٢).

النبوة في الاصطلاح:

النبوة: سفارة بين الله وبين ذي العقول من عباده؛ لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم. والنبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بإحدى الطرق المعروفة[٣].

وقد عرّفه أهل الكلام: «بأنّه كون الإنسان مبعوثاً من الله تعالى إلى البشرية، بهدف ارشادهم وتوجيههم إلى ما يصلح دنياهم وآخرتهم؛ كي لا يكون للناس حجة بعد الرسل»[٤].

ثانياً: مفهوم الوحي في اللغة والاصطلاح

الوحي في اللغة: هو: (الإعلام في خفاء)[٥]، وعُرِّف أيضاً إن أصل الوحي: الإشارة السرّيعة، ولتضمُّن السّرعة قيل: «أمر وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرّمز والتّعريض، وقد يكون

(١) نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، عبد الرزاق فرج الله: ص٧٧.
(٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي: ص ٦٤٢.
(٣) محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني: ج٣، ص٢٠.
(٤) نظرات في عقيدة الإنسان المسلم، عبد الرزاق فرج الله: ص٧٧.
(٥) لسان العرب، ابن منظور: ج ١٥، ٣٨١، مادة (وحي).

بصوت مجرّد عن التّركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة»[1].

الوحي في الاصطلاح: اختلف التعاريف لمفردة (الوحي)، ويمكن لنا أن نأخذ التعريف الأرجح باعتقادنا وهو تعريف السيد الشهيد الصدر كما في قوله: «الوحي عبارة عن فكرة يدركها الإنسان، مصحوبة بالشعور الواضح، بأنها ملقاة من طرف أعلى منفصل عن الذات الإنسانية، وشعور آخر واضح بالطريقة التي تم فيها الإلقاء، مع وجود عنصر الغيب والخفاء في هذه العملية، ولذا تسمى بالوحي»[2].

ثالثاً: تعريف النظرية الإسلامية:

يقول السيد محمد باقر الحكيم: «نرى أن النظرية الإسلامية ترى أن المرأة والرجل متساويان في الهوية والشخصية، فشخصية الرجل والمرأة من حيث الهوية والشخصية الإنسانية على حد سواء، فكما يمكن للرجل أن يتكامل إلى أعلى درجات التكامل، وكما يتحمل الرجل المسؤوليات الأساسية الرئيسة في المجتمع، وكما يكون الرجل مسؤولاً أمام الله سبحانه وتعالى مسؤولية كاملة عن أعماله وتصرفاته ويحاسب ويثاب ويعاقب في يوم القيامة باعتبار المسؤولية الكاملة، كذلك فإن المرأة شخصية كاملة ومسؤولة عن فعلها وتصرفاتها وأعمالها مسؤولية كاملة، وتؤاخذ بها يوم القيامة كما يؤاخذ الرجل، وتعاقب كما يعاقب الرجل أيضاً، وهذا في نفسه يدل على وجود المسؤولية والشخصية الكاملة للمرأة»[3].

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ص ٨٥٨ – ٨٥٩.
(٢) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ص١٧٥.
(٣) فاطمة الزهراء عليها السلام، السيد محمد باقر الحكيم: ص٧٧.

المبحث الأول: لمحة من سيرة سيدات نساء الجنة

هناك شخصيات نسائية محورية بالإسلام بشرن بالجنة وتوجن بلقب (سيدات نساء أهل الجنة) هذه المكانة العظيمة التي حصلن عليها ووصلن إلى أعلى درجات التكامل في حركة العبودية والتقوى والارتباط بالله تعالى؛ بسبب إخلاصهن وانقطاعهن إلى الله عز وجل، ومن خلال هذا سنتعرف على هؤلاء السيدات ومميزاتهن وخصائصهن التي جعلتهن في هذه المكانة العظيمة.

المطلب الأول: هوية سيدات نساء أهل الجنة

ربما يتبادر إلى الذهن سؤالين: من هن سيدات نساء أهل الجنة؟

- كيف وصلن تلك النساء إلى درجة من الكمال بحيث أصبحن سيدات نساء أهل الجنة وبشرن بالجنة في الدنيا قبل الآخرة؟

من خلال الدليل النقلي الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام يمكن لنا أن نتعرف عليهن ونثبت بأنهن حقاً خير النساء وأفضلهن، وذلك سوف أُتوجه بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وأسيا بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد**»(١)، وقد روى ابن عباس عنه، قال خط رسول الله في الأرض أربع خطوط قال: «**أتدرون ما هذا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»(٢)، وقال صلى الله عليه وآله: «**أربعُ نسوةٍ ساداتُ عالمهنَّ: مريمُ بنتُ عمران، وآسية بنتُ مزاحم آل فرعون، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنتُ محمّد، وأفضلهنّ عالماً فاطمة..**»(٣).

عن الإمام الكاظم عليه السلام قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ اللهَ تباركَ وتعالى اختارَ مِن كلّ شيءٍ أربعة.. واختارَ منَ النساءِ أربعاً: مريمُ، وآسية، وخديجةُ، وفاطمة**»(٤).

سوف نبدأ بتعريف هوية تلك السيدات على أساس السبق الزماني لولادتهن والفترة التي عشنها:

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني، ص١٧٩.
(٢) بحار الأنوار: المجلسي، ج١٦، ص٢.
(٣) تاريخ دمشق: ج٧٠، ص١٠٧.
(٤) الخصال: ص ٢٢٥.

أولاً السيدة آسية بنت مزاحم: لقد كانت آسية بنت مزاحم، زوجة فرعون ـ كما يقول المجلسي: «امرأة من بني إسرائيل، استنكحها فرعون، وهي من خيار النساء، ومن بنات الأنبياء»[1]، تلك المجاهدة التي جاهدت أعظم طاغوت في زمانها، وهو زوجها فرعون ومن أصعب ما يواجه المصلح عندما يكون أعدائه هم أقرب الناس إليه، كناها القرآن الكريم بامرأة فرعون وأختلف في اسمها ذكرت في قول رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام باسم آسية بنت مزاحم.

ومعنى آسية الدعامة والبناء المحكم أساسه. لم يصل لنا عنها الكثير، ذكر ابن كثير بأنها: آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن الريان الذي كان فرعون مصر في زمن النبي يوسف عليه السلام، وقيل إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى، وقيل بل كانت عمته»[2].

عكفت بعد زواجها من فرعون في بيتها عابدة موحدة، مؤمنة بالله عز وجل وبشريعة موسى الله، عرفت بالصلاح والتقوى والترحم على ضعفاء المؤمنين، وكانت تقضي أكثر أوقاتها بالعبادة بذكر الله وتسبيحه وتقديسه وكانت تخفي إيمانها بالله، وبشريعة موسى عليه السلام، خوفاً من زوجها الذي تجبر، وكفر بالله وادعى الألوهية.

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم وضرب بها الله تعالى مثلاً بالإيمان وهي في منزل الكفر، فكانت خير قدوة للمرأة المؤمنة التي ترفض أن تخضع لمغريات ومكاسب الدنيا الفانية، ولم يغريها ملك فرعون الذي بلغ حداً ليس له مثيل أن يثنها عن إيمانها بالله تعالى.

اختلفت الروايات كيفية موتها عليها السلام هل ماتت مقتولة أم لا، وإذا قتلت كيف قتلت؟ منها أن فرعون أمر أن ترمى عليها صخرة عظيمة حتى ترضخ تحتها ففعل بها ذلك، ومنها كما جاء في تفسير الميزان أن فرعون وتد لها أربعة أوتاد وأضجعها على صدرها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس، ثم لا زالت تعذب حتى ماتت، كما قال الله سبحانه: ﴿ **وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ** ﴾[3].

ودعت الله تعالى لخلاصها من ظلم فرعون، وأن ينجيها من القوم الظالمين الذين سلطهم فرعون لتعذيبها.

عن ابن عباس: «قال: أخذ فرعون امرأته آسية، حين تبين له إسلامها يعذبها لتدخل في دينه، فمر

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج١٣، ص١٦.
(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ج١ ص٢٧٦.
(٣) سورة الفجر: الآية ١٠.

بها موسى عليه السلام وهو يعذبها، فشكت إليه بإصبعها، فدعا الله موسى أن يخفف عنها، فلم تجد للعذاب مساً، وإنها ماتت من عذاب فرعون لها.

فقالت وهي في العذاب: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾.

فأوحي إليها: أن ارفعي رأسك، ففعلت، فأُريت البيت في الجنة بني لها من درّ، فضحكت.

فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها، تضحك وهي في العذاب»[1]، وهزمت فرعون المدعي للربوبية.

ثانياً: السيدة مريم بنت نبي الله عمران أم نبي الله عيسى عليه السلام

جاء في التواريخ والأخبار الإسلامية وأقوال المفسرين أن حنة واشياع كانتا أختين تزوجت الأولى عمران أحد زعماء بني إسرائيل، وتزوجت الأخرى زكريا النبي.

مضت سنوات لم ترزق السيدة حنة مولوداً، وورد في الحديث أن الله قد أوحى إلى (عمران) أنه سيهبه ولداً مباركاً يشفي المرضى الميؤوس من شفائهم، ويحيي الموتى بإذن الله، وسوف يرسله نبياً إلى بني إسرائيل، فأخبر عمران زوجته (حنة) بذلك، لذلك عندما حملت ظنت أن ما تحمله في بطنها هو الابن الموعود، من دون أن تعلم أن ما في بطنها أم الابن الموعود (مريم)، فنذرت ما في بطنها للخدمة في بيت الله (بيت المقدس)، ولكنها إذ رأتها أنثى ارتبكت ولم تدر ما تعمل، إذ إن الخدمة في بيت الله كانت مقصورة على الذكور من دون الاناث، ولم يسبق أن خدمت فيه انثى، ومع شدة شوق السيدة حنة الى ذلك المولود الذي كانت منتظرة سنين طوال ومع ايمانها بصدق البشرى سارعت الى تحرير هذا الولد من كل التزاماته التي أوجبها الله على الأبناء، ويرى البعض أن إقدام امرأة عمران على النذر دليل على أن عمران الله توفي أيام حمل زوجته، جاءت بها أمها الى بيت المقدس بعد ولادتها وقدمتها لعلماء اليهود، وقالت هذه البنت هدية لبيت المقدس، فليتعهدها احدكم، فكثر الكلام بين علماء اليهود، وكان كل واحد يريد ان يحظى بهذا الفخر[2].

لكن مشيئة الله (عز وجل) اختار لها أن يكفلها نبي، وهو زكريا الله، فأصبحت تحت رعايته غارقة في العبادة، عن ابن عباس: عندما بلغت التاسعة من عمرها كانت تصوم النهار وتقوم الليل بالعبادة»[3]،

(١) قصص الأنبياء والمرسلين، السيد نعمة الله الشيرازي: ص٢٣٦.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي: ج٢، ص٢٢٠.
(٣) المصدر السابق: ص٤٨٣.

وكانت على درجة كبيرة من التقوى ومعرفة الله حتى أنها فاقت الأحبار، والعلماء في زمانها.

واسم مريم يعني العابدة حسب لغتهم بالاسم الذي يناسب نذرها وتحريرها لله، ووصفها القرآن بأنها من المصطفين وهي السيدة الثانية التي ضرب بها القرآن مثلاً للذين آمنوا بعد السيدة آسية، ففي قوله تعالى: ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾[1]، فلقد عطف على امرأة فرعون، إذ أثنى عليها وعلى عفتها، ولقد تكرر في القرآن ذكر ذلك، ولعل ذلك مقابل ما افتعله اليهود من البهتان عليها، حيث أكد الله عز وجل ذلك في أكثر من موضع[2].

كانت السيدة مريم القمة في مجتمعها من حيث الإيمان، إذ آمنت بجميع الكتب السماوية والتعاليم الإلهية فقد أخضعت قلبها الله عز وجل وحملت قلبها على كفها، وهي على أتم الاستعداد لتنفيذ أوامر الباري جل شأنه[3].

ولقد بينت الآيات القرآنية أنها المصدقة لشرائع الأنبياء وما جاءوا به من عند الله، ومن القانتات المطيعات لله سبحانه وتعالى الخاضعة له دائماً.

ثالثاً: السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام

ولدت السيدة خديجة عليها السلام في أفضل بقعة من بقاع الأرض وهي مكة المكرمة وأختلف في سنة ولادتها بروايات عدة منها قبل عام الفيل بثلاث سنوات وقيل أكثر وقيل أقل، ونشأت في بيت من أفضل بيوت مكة بيت مجد وسؤدد ورئاسة، وقد كانت من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً، وكانت في الجاهلية يقال لها (سيدة قريش)، ترجع في نسبها إلى بني زهرة الذي هو ابن كلاب بن كعب بن لؤي، أنها تلتقي في نسبها مع نسب رسول الله صلى الله عليه وآله في قصي الجد الرابع للنبي وهو الجد الثالث لها فهي ترجع إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام وتلتقي به في الجد الثامن لها من ناحية لؤي بن غالب.

أبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، فهو من وجهاء قومها ومن أعلامه، أما أم السيدة خديجة عليها السلام هي فاطمة بنت زائدة بن الأصم (واسمه جندب) بن رواحة الهرم بن حجر بن

(١) سورة التحريم: الآية١٢.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، ج١٩، ص٣٦٠.
(٣) الأمثل في تفسير الكتاب المنزل: الشيرازي: ج١٤، ص٢٢٥.

عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن فهر بن غالب»[1].

لقد كانت السيّدة خديجة عليها السلام على دين أبيها إبراهيم عليه السلام وذلك قبل أن يُبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانوا يُعرفون بالحنفاء، وقد آمنت في اليوم الأول من بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما جاء في الحديث الشريف: «أوّل من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله من الرجال علي عليه السلام ومن النساء خديجة عليها السلام»[2].

عندما رجع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من غار حراء وهو ينوء بثقل الرسالة العظيمة، كانت السيّدة خديجة عليها السلام في استقباله حيث قالت له: أيّ نور أرى في جبينك؟ فأجابها: إنّه نور النبوّة، ومن ثمّ شرح لها أركان الإسلام، فقالت له: «آمنت وصدّقت ورضيت وسلّمت»[3]. كما كانت السيّدة خديجة أول سيّدة في الإسلام تصلّي، انحصر الإيمان بالدين الإسلامي بخديجة عليها السلام والإمام علي عليه السلام، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**كنتُ أولَ من أسلَم، فمكَثْنا بِذلِكَ ثلاث حجَج وما عَلى الأَرض خَلْقٌ يُصلّي ويشهَد لرسول اللّه صلى الله عليه وآله بما أتاهُ غيْري، وغير ابنة خويلد رحمها اللّه وقد فعل**»[4]، وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يذهب إلى المسجد الحرام ويستقبل الكعبة وعلي عليه السلام إلى يمينه وخديجة خلفه، وكان هؤلاء الثلاثة هم النواة الأولى لأمّة الإسلام، وكانوا يعبدون معبودهم الواحد إلى جانب كعبة التوحيد[5].

أوّل مؤمنة بالولاية: كان الإمام علي عليه السلام في بيت النبي صلى الله عليه وآله ورعاية السيدة خديجة عليها السلام وعندما شرح الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لزوجه مفهوم الولاية وموقعها السامي، وطلب إليها أن تؤمن بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، استجابت فوراً حيث قالت بصراحة ووضوح: آمنت بولاية علي وبايعته[6].

رابعاً: السيدة الرابعة والتي تفوقهن نسباً وشرفاً ومقاماً وهي السيدة الزهراء

هي الحوراء الإنسية كما جاء في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام، وخير دليل ما رواه الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُلق نور فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) قبل أن تخلق الأرض والسماء، فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست**

(١) أم المؤمنين خديجة الطاهرة عليها السلام: الحاج حسين الشاكري، ص١٤٢.
(٢) الأمالي: الصدوق، ص٢٥٩.
(٣) بحار الأنوار: المجلسي، ج١٨، ص ٢٣٢
(٤) المصدر السابق: ج١٦، ص٢.
(٥) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: النسائي، ص٤٥.
(٦) بحار الأنوار: المجلسي: ج١٨، ص٢٣٢.

هي إنسية؟ فقالﷺ: **فاطمة حوراء إنسية، قال: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح، فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم..**»[1].

وعندما أراد الله سبحانه إظهار هذا النور لعالم الوجود، فالمروي في روايات أهل البيت عليهم السلام، وكان ذلك بعد بعثة النبيﷺ بنحو أربع سنوات وأشهر، أنه أمر أن يعتزل خديجة وأن يكون صائماً النهار قائماً الليل حتى يأتيه الأمر الإلهي بمقاربة زوجته لتلد تلك المرأة التي سيقدر لها أن تكون سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين[2].

ويشهد التاريخ وعند جميع طوائف المسلمين أن المقام الأرفع للمرأة في تاريخ البشرية قد تصدرت السيدة الزهراء عليها السلام، فهي سيدة نساء العالمين عند الفريقين، الصديقة الكبرى الحوراء الأنسية، إذ جاء في صحيح مسلم، باب فضائل بنت النبي، ان رسول اللهﷺ قال لابنته فاطمة: «**أما ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة**»[3].

ولدت الزهراء سيدة النساء في العشرين من جمادي الآخرة بعد البعثة بخمس سنين، كما ذهب إليه الكليني حيث قال: «ولدت بعد النبوة بخمس سنين وبعد الإسراء بثلاث سنين، وقبض النبيﷺ ولفاطمة يومئذٍ ثماني عشرة سنة»[4].

ومن الدلائل التي تشير إلى صحة هذا الرأي حديث معاتبة عائشة كثيراً للنبيﷺ لكثرة تقبيله ابنته فاطمة، حيث يردّ عليها النبيﷺ بقوله: «**إن فاطمة قد انعقدت نطفتها من طعام الجنة عندما أُسري إلى السماء**» والمعلوم أن الإسراء كان بعد البعثة وليس قبل البعثة.

نشأت السيدة الزهراء الزاهدة في الدنيا، شديدة الشجاعة، شهدت مأساة الرسول الله في مواطن عدة في مكة أول البعثة واستمرت في مساندته إلى أن شهدت رزية الخميس، ثم فجع قلبها برسول اللهﷺ، وكان لها دور أساسي لازال تأثيره ليومنا هذا.

---

(١) أنظر: إني فاطمة وأبي محمد، فوزي آل سيف: ص٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٨.

(٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري: ج٤، ص١٩٠٥، المكتبة الإسلامية.

(٤) دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار، الشيخ خليل رزق: ص٩٧.

المطلب الثاني: مميزاتهن وخصائصهن (عليهن السلام)

إن النساء المصطفات بالرغم من اشتراكهن بجميع مقومات الكمال والفضيلة إلا إنهن تميزن بالمقامات والرتب الإلهية ومن الخصائص المشتركة نوجزها: (البيئة الصالحة، الإيمان الوثيق بالله تعالى، والإيثار والكرم، والتبشير بالجنة في حياتهن، والصبر وتحمل الشدائد والمحن، العفة والحياء، والوقوف بكل صلابة وجلد بوجه طواغيت عصرهن، ومؤازرتهن لحجة الله في عصرهن).

المقامات والرتب الإلهية: فإن السيدة آسية من خلال استقراء النصوص القرآنية قربها من فرعون جعلها تتميز بالشجاعة في الوقوف بوجهه، والحضن الذي ربى نبي الله موسى عليه السلام وتمكنت من الحفاظ عليه من فرعون بعدم قتله واتخاذه ولداً، وهذا عقلاً يجعلها تكون على قدر من القدسية.

وقد تميزت السيدة مريم جاء اسمها صريحاً بالقرآن، وفي بعض المواضع مقترناً اسمها بكنيتها، بل سمي سورة كاملة باسمها، وسيكون على يدها معجزة لم ولن تكون لغيرها، إذ تحملت ما تعجز الجبال على حمله بالرغم من رقتها، وبقوة ايمانها تكون تمهيداً لمعجزة عظيمة وصبرها وتحملها لأخطر مسؤولية ألا وهي مسؤولية ولادة نبي الله ومن أنبياء أولي العزم ومن غير أب.

جاء في عيون أخبار الرضا عليه السلام: «**أن الله عز وجل أوحى إلى عمران عليه السلام أني واهب لك ذكرا، فوهب له مريم، ووهب لمريم عيسى عليه السلام فعيسى من مريم ومريم من عيسى، وعيسى ومريم عليهما السلام شيء واحد وأنا من أبي وأبي مني وأنا وأبي شيء واحد**»[1]، فكانت السند والملجأ لنبي الله صلى الله عليه وآله.

وتميزت السيدة خديجة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وأعظم خلقه وهو القائل: «**فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله جل ثناؤه ولا فخر**»[2]، ورزق منها الذرية الطاهرة وحرمها من غيرها، وشيد دين الإسلام بمالها.

وكان لها عليها السلام دور ريادي قيادي مساند لقيادة الرسول صلى الله عليه وآله، فقد كانت لها القدرة بالغة وفكر نير في تحقيق إدارة ناجحة لمشاركة الرسول صلى الله عليه وآله ومؤازرته لحظات العناء والتعب في بداية الدعوة الإسلامية، لما تمتلك من فكر اقتصادي تجاري، استطاعت أن تؤسس لنفسها ثروةً ضخمة من المال الحلال بعيد عن استغلال الناس، فقد ذكرت المصادرُ التاريخية بأنها كانت تملك ثروة طائلة، وقد شيد الله دينه بمال خديجة كما قال صلى الله عليه وآله: «**ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب**»[3].

(١) بحار الأنوار: المجلسي، ج٤٩، ص٨١.
(٢) معاني الأخبار: ص٦٤١.
(٣) شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري: ج٢ ص٢٣٣.

ومن مميزاتها: الله (عز وجل) والملائكة المقربين يسلمون عليها: قال رسول الله ﷺ: قال: «**إن جبرئيل عليه السلام قال لي ليلة أسري بي حين رجعت وقلت: يا جبرئيل هل لك من حاجة؟ قال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام، وحدثنا عند ذلك أنها قالت حين لقاها نبي الله ﷺ فقال لها: الذي قال جبرئيل، فقالت: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه السلام، وعلى جبرائيل السلام**»[1] ولهذه السيدة الجليلة مكانة خاصة في نفوس آل البيت عليهم السلام. ولقد ورد لنا الكثير في وصف أخلاقها الحميدة، واعتزاز الأسرة الهاشمية والمحمدية بها فمن هنا: قال أبو طالب عند خطبتها لرسول الله ﷺ: «**امرأة كاملة، ميمونة فاضلة، تخشى العار، وتحذر الشنار**»[2]، ومن المعتزين بخديجة الامام المجتبى عليها السلام حينما رد على خطبة معاوية في الكوفة، ونال من الإمام علي عليه السلام، فرد عليه قائلاً: «**أيها الذاكر علياً، أنا الحسن بن علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً**»[3]، وافتخر الإمام الحسين عليه السلام بجدته خديجة أمام أهل الكوفة في صعيد كربلاء، قائلاً: «**هل تعلمون أن جدتي خديجة أول نساء هذه الأمة إسلاماً**»[4]...إلخ.

وفاقتهن سمواً ورفعة السيدة الزهراء عليها السلام سواء في أصل خلقتها وولادتها، وزواجها وفي ولادة أبنائها الأربعة، فلقد نبتت نباتاً حسناً وتعلمت على يد خير البشر من علومه اللدنية الإلهية، ففاض عليها المعارف الربانية واطلعت على حقائق الايمان، فصعدت أعلى مستويات الكمال، فهي التي لم يخلق مثلها في عفافها وطهارتها وزهدها ورفضها لمتع الحياة، وهي قبس من نور الله تعالى، ونفحة من روح أبيها سيد الأنبياء الذي أقام لها في مكنونات نفسه خالص المودّة، فأفاض الله عليها جميع ألوان القداسة والتعظيم، فقرن الله تعالى رضاه برضاها، وسخطه بسخطها، وهذه أسمى منزلة ميّزها بها سبحانه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يا فاطمة إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك**»[5].

وقد تحدث عنها (سلام الله عليها) في نص قرآني يمثل سوره كاملة، بحيث إن هذه السورة في نفسها هي معجزه لأن القرآن الكريم تحدى في مقام الاعجاز بكل القرآن وإحدى هذه السور سورة

(١) شجرة طوبى: ج٢، ص ٢٣٣.
(٢) بحار الأنوار: ج١٦، ص٥٦.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ج٤٤، ص٤٩.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ج٤٤، ص٥٠.
(٥) المصدر السابق: ج ٤٣، ص ٢٢.

(الكوثر) فهذه السورة هي نفسها تمثل الاعجاز، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾[1].

لقد ورد في الروايات العديدة أن المقصود من الكوثر مصداقاً وتسديداً خارجياً هو فاطمة الزهراء عليها السلام المرأة التي تمثل الخير الكثير وهي أحد معاني الكوثر[2] وهذه الخصيصة لها مماثلة مع السيدة مريم بنت عمران عليهن السلام.

ومن الأدوار المهمة التي يمكن ان نستقرأها من حياة نساء الجنة الجليلات دورهن الأسري والاجتماعي، فلقد كان بيت السيدتين خديجة والزهراء عليهما السلام اسعد بيوت الأرض، وأما من حيث التربية فجميع سيداتنا ربن في كنفهن معصوم، وهذا يشير على مستوى تفوقهن في الكمالات لهذه الرسالة العظيمة.

أما دورهن الاجتماعي فلقد قدمن رسالتهن الإنسانية وحبهن لهداية البشرية وحرصهن على إسعاد الآخرين وأعمالهن التطوعية، لخدمة الفقراء والمحتاجين، وكثرة إحسانها للآخرين، وشدة عطفهن وحبهن لرفع المعاناة عن المحرومين والبؤساء، وليس هذا ادعاء بل هو حقيقة تؤكدها القصص الكثيرة جدا خصوصا السيدة الزهراء فلم ترد سائل على باب دارها قط، فهل يعرف العالم امرأة تملك أرضاً زراعية كثيرة الخيرات وتنفق كل وارداته لمساعدة الفقراء والمحتاجين وتكتفي بأقل قدر من الطعام بل تعاني الجوع حباً للآخرين؟!. وهل عرف تاريخ الإسلام امرأة تنفق الكثير من مالها ووقتها وتقوم بتعليم النساء وكل ما يهمهن وتجيب عن عشرات الأسئلة بدون كلل أو ملل دون أن تطلب جزاء ولا شكور؟!. لقد أسهمت السيدة عليها السلام بتغير قيم اجتماعية فاسدة، فكان لها دوراً اصلاحياً فريداً، ويطول الكلام ولا نفي قدر أنملة من سيرتها الغراء وسوف ندعم ذلك بالأدلة القطعية لاحقاً تحسباً من التكرار.

فعلينا أن نقتفي من أثر السيدات الكاملات دروساً من سيرتهن التي جعلتهن مثلاً وقدوة يحتذى بهن، وفي جميع مجالات الحياة لأعداد جيل من النساء المتميزات، الصالحات يساندن الرجل في معركته ضد الفساد للحفاظ على القيم الإسلامية، وبناء مجتمع إسلامي متحضر، يؤمن بدولة العدل الإلهي ويوطن السبل لتحقيقها.

إن النسب وحده لا يمكن أن يكون سبباً لعظمة تلك النساء الخالدات، وإلا فأن هناك الكثير من

(١) سورة الكوثر: الآية ١.

(٢) أنظر: مجمع البيان، الطبرسي: ج٥، ص٥٤٨ ـ ٥٤٩.

بنات وأمهات وأخوات الأنبياء والرسل والائمة، لم تصل إحداهن لمكانتهن العظيمة (عليهن السلام)، إنما كانت عظمتهن، فضلاً على ذلك لموقفهن ومساندتهن للرسل والأئمة عليهم السلام، ولشخصيتهن الفريدة، ووعيهن لخطورة المرحلة التي كن فيها، ونوع المساندة التي يحتاج اليها المعصوم سواء كان أباً أو زوجاً أو ابناً أو بدونها، حيث تصرفن بما يناسب كل موقف، ونجد أجلى الصور وأعظمها في موقف الزهراء فنجدها متعددة المواقف بين صمت وترفع، وبين تصدي ومواجهة، وبين إعلامية وخطيبة في مجالس الظالمين، وبين حامية عن قضية أمير طوال حياتها المباركة جل التضحية، وتحمل مسؤولية، وأعباء الرسالة، وقد شاركت الحسن والحسين في الدفاع عن حق البيت العلوي، لإعدادهم وتنشئتهم مستقبلاً لدور بطولي عظيم، وكانت في خطبتها قد اصطحبت السيدة زينب ذات الخمس سنوات وهي من نقلت خطب أمها الزهراء، فزرعت في ذات زينب تلك القوة والبطولة في نصرة الحق وكانت انموذج من الصلابة والإيمان والشجاعة تقتدي به.

المبحث الثاني: الرؤية الإسلامية في تكامل المجتمع الإنساني

من أهم سنن الله في الأرض هو أحياء العدل ونبذ التفرقة: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾، فإن القرآن الكريم لم يفرق بين الذكر والأنثى في تحمل المسؤوليات الملقاة على عاتق كل منهما، ولكن بما يتناسب مع طبيعة تكوينهما ومع حكمته سبحانه وتعالى، لأن القضايا العامة في الإسلام مشتركة بين الاثنين (المرأة والرجل) في العمل الرسالي وحركة المسؤولية التي يمتلكها الفرد إلا ما نص عليه الإسلام، ومن خلال بينان الهوية الإنسانية ومقارنة المواقف الإسلامية مع الأفكار النسوية الحديثة سوف نحقق الهدف المنشود.

المطلب الأول: الهوية الإنسانية المتكاملة

إن الإسلام قائم على أساس تنظيم الحياة البشرية بمختلف ميادينها التربوية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد بني الدين الإسلامي كله على النظام، فالنظام محور حياة المسلم، وإن الإسلام يوضح حقيقة من الحقائق الإنسانية ذات العلاقة بالوجود الإنساني وهي ان المرأة في إنسانيتها كامله كما هو الحال الرجل في الإنسانية.

فالنظرة الشمولية التي يمكن أن نستوحيها من دور الإنسان في الحياة فيما أراد الله تعالى له أن يقوم بناء الحياة على أساس الخلافة العامة التي تأخذ من كل إنسان طاقته في المجال الذي يستطيع التحرك فيه.

وللمرأة ميادين واسعة يمكنها أن تقوم فيها بمسؤولياتها ضمن ما تحمله من مسؤولية في نطاق ثقافاتها وطاقاتها الاجتماعية التي تملكها بحيث يمكنها أن تصل إلى نتائج كبيرة كما هو دور الرجل خارج نطاق مسؤوليته العامة، وهي بحد ذاتها تحاول أن تجعل من نفسها امرأة رسالية يمكنها تغير الرأي العام من خلال خطبة بليغة ومؤثرة في النفوس كما فعلت السيدة الزهراء وابنتها زينب (عليهن السلام).

فلقد برزت على طول التاريخ نماذج من النساء الرائدات اللاتي استطعن أن يعطين صور مشرفه عن المرأة المثالية في دنيا الوجود، وقد ذكرنا سابقاً بعض النماذج القرآنية كآسيا بنت مزاحم ومريم بنت

عمران وخديجه بنت خويلد وفاطمة الزهراء (عليهن السلام) الاتي جسدن تفوق في مجتمعهن فيما يملكون من قدرات ومواهب ومواقف قويه على صعيد الايمان والاخلاق والتضحية والفداء والعفة والطهارة بأرقى مستوياتها.

وقد أشار السيد محمد باقر قدس سره في كتابه فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أن الهوية الإنسانية التكاملية تمر في أربعة أدوار، وهذه الأدوار لا توجد جميعها إلا في شخصية السيدة الزهراء عليها السلام، فعندما يصفها رسول الله صلى الله عليه وآله بأنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين يراد من ذلك إعطاء هذه الأدوار المتعددة في شخصية المرأة وحركتها في المجتمع والتأريخ؛ لأن (سلام الله عليها) هي المثال الصالح لذلك ويمكن لنا أن نوجز تلك الأدوار في الآتي:

الدور الأول: وهو ما يمكن أن نستنبطه من نصوص القرآن والأحاديث الشريفة التي وردت عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بخصوص فاطمة عليها السلام هو جانب الكمال في الهوية الإنسانية.

والله تعالى أراد للإنسان في هذه الحياة أن يقوم بواجبات ومسؤوليات وأعطاه حقوقاً في هذه الحياة من أجل أن يصل بمسيره إلى الله (عز وجل) ﴿ **يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** ﴾[1]، ويبلغ في هذا المسير درجات الكمال الإنساني القريب من الله تعالى.

هذه الصورة التي يتحدث عنها القرآن الكريم في هوية الإنسان وشخصيته ومسيرته وأهداف هذه المسيرة، أريد لها أن تكون واضحة في شخصية المرأة، كما هي واضحة في شخصية الرجل، فكما أن الرجل في هويته الإنسانية وشخصيته كذلك المرأة متساوية للرجل في الهوية...

ولقد كان التأكيد البالغ من القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وآله على شخصية الزهراء عليها السلام لتوضيح هذا الجانب؛ لأن نظرة الجاهلية قبل الإسلام كانت تعتبر المرأة ناقصة الهوية وتعيش في ظل الرجل، وتابعة له في الشخصية والهوية الإنسانية.

فقد من أراد الله (سبحانه وتعالى) الاستمرار في وجود النبي محمد صلى الله عليه وآله من خلال ذريته وقدر أن تكون هذه الذرية متمثلة في امرأة، هي ابنته الزهراء عليها السلام وكان يمكن أن يكون استمرار الرسول صلى الله عليه وآله من خلال أولاد ذكور.

يمكن أن نفهم هذا المعنى الذي جسدته الأحاديث الشريفة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما

(١) سورة الانشقاق: الآية ٦.

يقول: «**فاطمة سيدة نساء العالمين**»[1]، أو كما تحدث عن الحسنين لأنهما سيدا شباب أهل الجنة «**الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة**»[2]، وعن الزهراء في: «**أن الله تعالى بغضب لغضها ويرضى لرضاها**»[3].

فالمرأة إذن في شخصيتها وفي هويتها هي شخصية كاملة، وتتحمل المسؤوليات العامة في المجتمع الإنساني كما يتحملها الرجل على حد سواء.

وقد يختلف الحال في تقسيم الأدوار، فيكون لشخص ما دور معين ولشخص آخر دور آخر وهكذا، لكن من حيث الأساس في حركة المجتمع تكون الواجبات مشتركة، ولذلك كانت الواجبات العامة كالصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها من الواجبات العامة، أنها أركان الإسلام، التي يتساوى فيها كل من الرجل والمرأة وتجب على المرأة كما تجب على الرجل.

الدور الثاني: حركة التكامل الفردي وهو من الأدوار المهمة يمكن أن نجد معالمه في شخصية الزهراء عليها السلام بصورتها الكاملة في حركة المرأة نحو الله تعالى.

في الحقيقة لا يمكن للإنسان أن يصل إلى الكمال المطلق لأنه مختص بالله تعالى، وإنما أُريد له أن يتحرك نحو ذلك الكمال وبكل ما يوصله نحو الكمالات الإلهية من خلال الإخلاص في العبودية لله تعالى كما في قول سبحانه: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾[4].

وعندما نأتي إلى الزهراء عليها السلام نجد من صفاتها هذه الخصيصة وهذا الأمر أكدته الآيات المباركة في سورة الدهر الآية (٥ – ٩): ﴿ **... وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴾[5] فقد وصلوا إلى أعلى درجات التكامل في حركة العبودية والتقوى والارتباط بالله تعالى.

أما السيدة خديجة فقد كانت السر المكنون الذي أكتشفه رسول الله صلى الله عليه وآله، فأفاض على الحياة الإنسانية معاني كبيرة وسامية كما وأثرى حياة الإسلام بمفردات غنية بالمضامين العالية، وإحدى المفردات التي

(١) السنن الكبرى، النسائي: ج٤، ص٢٥١.
(٢) سنن الترمذي، الترمذي: ج٦، ص ٦٥٦.
(٣) كنز العمال: ج ١٢، ص١١١.
(٤) سورة البينة: الآية ٥.
(٥) سورة الدهر: الآية ٨-٩.

امتازت بها السيدة الجليلة قوة أيمانها بالرسول الأعظم وصدقها اللامتناهي بعقيدته، وكان التصديق برسالته ليس بالأمر الهين فقد نكص عنه الكثير، وسخت بأموالها وبسطت يديها لكل ما تملك فجعلته للإسلام والمسلمين فقال رسول الله «**ما قام الإسلام إلا بسيف علي وأموال خديجة**»[1].

وكذلك بالنسبة إلى السيدة مريم بنت عمران عندما خاطبها القرآن بقوله ﴿ **يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾[2]، رغم أنها عليها السلام كانت من القانتات والساجدات والراكعات.

وكذلك الحال مع السيدة آسيا بنت مزاحم ورد ذكرها في القرآن الكريم وضرب بها الله تعالى مثلاً بالإيمان وهي في منزل الكفر كما في قوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[3]، وفي عبارة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين تضرب مثلا رائعا للمرأة المؤمنة التي ترفض أن تخضع لضغوط الحياة، أو تتخلى عن إيمانها مقابل مكاسب زائلة في هذه الدنيا.

لم تستطع بهارج الدنيا وزخارفها التي كانت تنعم بها في ظل فرعون، والتي بلغت حداً ليس له مثيل، لم تستطع كل تلك المغريات أن تثنيها عن نهج الحق، كما لم تخضع أمام الضغوط وألوان العذاب التي مارسها فرعون، وقد واصلت هذه المرأة المؤمنة طريقها الذي اختارته رغم كل الصعاب واتجهت نحو الله معشوقها الحقيقي[4].

ولا شك في إن هذه الآيات بما ضربته من الأمثال تنسف الفلسفات الضالة القائمة على أساس الايمان بالحتميات اقتصاديه واجتماعيه أو وراثية فيما يتصل بقرار الإيمان والكفر في حياة الإنسان، فهذه آسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران تحدتا الظروف والضغوط وآمنتا بالله بينما كفرت زوجه نوح ولوط رغم العوامل الإيجابية والمساعدة على الإيمان، واذ كانت هذه البصيرة صادقه في المرأة فإن صدقها بالنسبة إلى الرجل أوضح وأجل، وباعتقادنا إن امرأة لوط هي أول من أسس للنسوية المنحرفة.

لقد أعطى القرآن الكريم هذا الدور للمرأة من الاهتمام بهذا الجانب في حركتها الإنسانية، إذ إن المرأة يمكنها كما يمكن الرجل أن تأخذ من شهوات هذه الدنيا وزينتها ما تشاء في الحدود الشرعية:

(١) بحار الأنوار: المجلسي، ج٤٣، ص١٦٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٣.
(٣) سورة التحريم: الآية ١١.
(٤) أنظر: الأمثل في تفسير الكتاب المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج١٨، ص٤٦٧.

﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ..** ﴾[1]، وهو أمر أحله الله (عز وجل) لعباده من الرجال والنساء، ولكن مع عدم الاستغراق في هذه اللذات والشهوات، وفي زينة الحياة الدنيا بحيث تتحول إلى حالة السقوط، وإلى هموم في أوساطنا الاجتماعية والفردية والوسط النسوي بصورة خاصة.

وللأسف نجد في مجتمعاتنا الحاضرة الكثير من الرجال الذين وقعوا في هذا المستنقع كما وقعت فيه الكثير من النساء بحيث صارت قضية (الموديل) والجري لأطباء التجميل، علاوةً على الصالونات ومراكز التجميل التي هي من أوليات اهتمام بعض النساء.

والجدير بالذكر إن من أهم القضايا التي لا بد أن تنتبه إليه المرأة، في ما يخص دورها هو تتبع أثر السيدات الكاملات وما ورد في حقهن من نصوص وبالخصوص السيدة الزهراء عليها السلام في حياتها الخاصة الفردية، وترك متع الحياة، وملذاتها الزائفة، فتلك النصوص يراد منها إعطاء هذا التوجيه الخاص في حركة المرأة ودورها في الحياة عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة، وهي تطحن بالرّحى، وعليها كساء من جلد الإبل، فلما نظر إليها قال:«**يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة**» فأنزل الله: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾[2].[3]

الدور الثالث: الدور السياسي للمرأة: يمكن أن تقوم به المرأة في المجتمع الإسلامي، فقد أريد للمرأة أن تدخل العمل السياسي وتمارس هذا الدور المهم في الأعمال السياسية وفي المجتمعات الإنسانية، المرأة في هذا المجال كالرجل، تتحمل المسؤوليات الخاصة في خدمة المجتمع والتضحية من أجله والجهاد والبذل والعطاء إلى حد الاستشهاد في سبيل الله تعالى، فلا بد للمرأة أن تقوم بهذا الدور أداءً للواجب والتكليف وحسب القانون الإلهي والأحكام الشرعية التي وضعها الشارع المقدس.

وهذا ما جسدته الزهراء عليها السلام في تضحيها ونصرتها لإمام زمانها حتى الشهادة؛ لأجل ترسيخ مبدأ الولاية، فنجدها عليها السلام تبادر لهذا الدور وتنهض به على أفضل ما يمكن أن يؤديه الإنسان، بخطابها التاريخي مستنكرة على القوم سلب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام ووضعها في غير موضعها ولا سبب إلَّا نقمتهم على الإمام علي عليه السلام؛ لأنه من الذين لا تأخذه في دين الله لومة لائم.

فعندما مرضت جاءت نساء المسلمين لعيادتها فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٢) سورة الضحى: الآية ٥.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية: الشوكاني: ج٥، ص٤٦٠.

الله؟

فأجابتهن بلوعة وأسى قائلة: «أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكم... ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطئه، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل»[1].

خيم من جراء تلك الخطبة العظيمة ببلاغتها ودقة وصفها صمت وحزن شديد ونقلن لأزواجهن مدى لوعة الزهراء عليها السلام وتأثرها منهم فكانت أشد من ضربات السيف وقعاً عليهم، فقد عرفوا مدى تقصريهم تجاه وديعة النبي صلى الله عليه وآله.

وألمحت سيدة النساء الى بعض الأسباب التي أدت الى نقمت القوم على الإمام عليه السلام هو تنمره في ذات الله تعالى فقد وهب نفسه لإحياء دين الله[2].

الدور الرابع: دور المرأة في الأسرة: إن الإسلام يرى أن قوة الأسرة وصلاحها وتماسكها، هي التي تمكنها أن تحوّل المجتمع إلى مجتمع صالح متكامل، ولا ريب أن الزوجة والأم تمثل الركن الرئيس في الأسرة وبنائها للمجتمع، فالإسلام يؤكد على أهمية دور الأسرة في بناء المجتمع على خلاف رؤية المجتمعات الأخرى والحضارة الغربية التي لا ترى للأسرة مثل هذا الدور في بناء المجتمع وقوته وتكامله.

هناك نقطة مهمة جداً في شخصية الزهراء عليها السلام، لم تتوفر في غيرها من النساء الصالحات اللاتي وصفن بسيدات أهل الجنة، فإن آسية بنت مزاحم أو مريم بنت عمران عليهما السلام لم تتوفر لهما ظروف أسرة كاملة، وصالحة، فآسيا وإن كانت زوجة، لكن لم يكن لها أولاد، وكانت زوجة طاغية مستبد، ولم تكن قادرة على أن تعبر عن تلك العلاقة القوية في إحكام الأسرة وعلاقات الأسرة وبنائها، أما خديجة عليها السلام، فلقد كان لها دور في الجانب الأسري، فهي زوجة رسول لله صلى الله عليه وآله وأم ذريته؛ لأنها أم الزهراء عليها السلام فهي تشبهها من هذه الناحية، ولكن الزهراء عليها السلام امتازت عن أمها خديجة في الأدوار الأخرى التي مارستها في حياتها، والتي استطاعت أن تحفظ في شخصيتها قضية (الموازنة) بين هذه الأدوار. و(الموازنة) غاية في الأهمية لحركة المرأة.

(١) أنظر: فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني: ٣٦٢ – ٣٦٤.

(٢) أنظر: حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القريشي: ٣٦٨ – ٣٦٩.

إن دور الأسرة ربما لا يتهيأ لكل امرأة؛ لأن لا يكون دائماً في اختيارها، فربما لا تتزوج المرأة، أو تتزوج ولا تنجب، أو يكون الزواج غير ناجحاً، وغيرها من هذه الأمور.

فعندما تكون الفرصة مهيأة للمرأة في دور الأسرة سوف يكون أمامها فرص أخرى مهيأة، كما بالنسبة للزهراء عليها السلام فهي ربة بيت تطحن وتنظف البيت، والعالمة الفاضلة على تعليم الناس كل هذا كانت توازن بين إدارة البيت والعلم، وكذلك في عبادتها وزهدها وتواضعها ومساهماتها في العمل الاجتماعي والسياسي العام.

فينبغي على المرأة السعي لاستثمار الفرص المتوفرة، ومن خلال الإمكانيات الموجودة، وأن تواكب في حركتها التكاملية هذه الفرص، وتوازن بين الأدوار الأربعة التي مرت؛ لأجل أن تكون امرأة كاملة.

المطلب الثاني: قضايا المرأة ما بين النظرية الإسلامية ورؤى النسوية الحديثة

هناك من يقول إن الإسلام دين الرجال وإنه لا يعد المرأة إنساناً كاملاً ولم يضع لها حقوق كما يجب للإنسان إذ لو عدها إنسانا كاملاً لما قيدها بالحجاب، ولما أجاز تعدد الزوجات ولما أعطى حق الطلاق للرجل، ولما عد شهادة امرأتين بمثابة شهادة رجل واحد وجعل سهم المرأة في من الميراث نصف سهم الرجل، بالمقابل نرى القرآن الكريم يكرم المرأة فيذكر إن النساء قد خلقن من جنس الرجال كما قال (سبحانه وتعالى): ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً** ﴾[1]، ففي الوقت الذي تحتقر فيه المرأة عند الكثير من المجتمعات، فلا تعدها أهلاً للاشتراك مع الرجل في الحياة.

جاء الإسلام فثبت حقوقها وواجباتها وعدها الأساس في بناء الأسرة الإنسانية مشاركة مع الرجل قال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾[2] لقد كرم الإسلام المرأة فقد بلغ في ذلك ما لم يبلغه أي تشريع اجتماعي في القديم والحديث، إذاً اعترف بأهليتها في جميع الحقوق، ولم يفرق بينها وبين الرجل على المستويين الإنساني والاجتماعي، وحارب التشاؤم منها في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾[3]، وهذا تصريح لإدانة الإسلام لما كان

(١) سورة النساء: الآية ١.
(٢) سورة التوبة: الآية ٧١.
(٣) سورة النحل: الآية ٥٨ – ٥٩.

يحدث للمرأة[1].

ومن خلال ما سبق سوف نأخذ عينة مما نراه أكثر جدلاً في الأوساط الاجتماعية وبما يسع لنا المجال المخصص ومنه: (الحجاب، تعدد الزوجات، الإرث)، ولسنا بصدد البحث في المجال الفقهي لهذه المواضيع، وإنما من الجانب التربوي والأخلاقي وأثره على الفرد بالذات وما يعكسه على المجتمع.

ففي ضوء النقاشات الحديثة حول حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين، تبرز قضية الحجاب كموضوع حساس ومثار للجدل، حيث يرى الكثير من النسويات المعاصرة أنه شكل من أشكال السيطرة على المرأة وفرض قيود على حريتها في التعبير عن نفسها، وقيدًا ثقافيًا يُستخدم لقمع النساء وإجبارهن على الامتثال لقواعد اجتماعية معينة.

بينما يعتبر الإسلام الحجاب رمزًا للعفة والكرامة، وهو جزء من هوية المرأة المسلمة التي تعبر عن التزامها الديني.

فقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة على وجوب الحجاب منها قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[2].

من خلال الخطاب القرآني وهو أمر بالوجوب لكلمة (قل) أعطى قاعدة عامة للحجاب سواء كان رجل أو امرأة؛ لأمر غض البصر عن النظر إلى ما حرمه الله بكل أنواعه والغض عن عورات النساء بالنسبة للرجال، وللرجال بالنسبة للنساء، لما في ذلك من المصلحة ودرئ المفسدة.

ولا شك ان الحجاب له دوراً فاعلًا ومهما فهو يقوي شخصيه المرأة ويزيد في قيمة شخصيتها ويرفع مكانتها في المجتمع.

وليس للحجاب دور سلبي يؤثر على شخصية المرأة، بل هو تكريم رفعة حتى ينظر إليها كإنسانة

(١) النظم الإسلامية: د. صبحي الصالح، ص٤٤١ – ٤٤٢، ط٤، دار الكب للملايين، بيروت، ١٩٧٨ م.

(٢) سورة النور: الآية ٣٠- ٣١.

تامة الإنسانة وليست وسيلة لأتباع الغرائز على أنه في ميادينه المختلفة ولا يمنع من الثقافة وطلب العلم ولا يمنع عن إبداء الرأي والتعبير أبدا. ولا يكون مانعا في السعي.

وكذلك لا يقف سداً منيعاً عن العمل لطلب الرزق إذا توفر في العمل الطرق الإسلامية الصحيحة فلا مانع في التعامل بين المرأة والرجل والستر يتعلق بحشمة المرأة وعفتها وكرامتها وطهارة مع من حولها في المجتمع.

من هنا فإن الإسلام لم يجعل الحجاب سجناً لأنوثة المرأة أو سجناً لغرائزها أو تقييد لحريتها، بل جعلها في الدائرة التي توازن فيها المسألة الذاتية والأخلاقية والاجتماعية في نطاق الحالة الخاصة والعامة للإنسان الفرد والمجتمع في حدود الإيمان بالله تعالى التي تصب في حدود المصلحة الإنسانية العليا، ليس من الطبيعي أن يفرض الإسلام على الرجل التستر كما تستر المرأة؛ لأنه لا يملك خصوصية الإثارة عكس هذه الخصوصية الطبيعية في المرأة، وبالتالي فإن الحجاب ليس قيدًا، ولكنه يعبر عن حرية الهوية الدينية ويهدف إلى حماية المرأة من التمييز والاستغلال بناءً على مظهرها، ويُعد الدرع الواقي للمرأة من الاستغلال والاستدراج نحو السقوط في الرذيلة وتكون سبب في تدمير المجتمع.

وخير درس نستلهمه من مولاتنا الزهراء عليها السلام قولها عندما سألها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أي شيء خير للمرأة**»؟ قالت عليها السلام: «**أن لا ترى رجل ولا يراها**»[1]، وكانت تفكر كثيرا كيف تستر نفسها حتى بعد مماتها فقالت لها امرأه بما تفكرين؟ قالت عليها السلام «**أفكر بنفسي عندما أوضع في التابوت أخاف أن تقع أعين أحدهم على بدني فقالت المرأة لها عندما كنا في الحبشة كانوا يضعون الميت داخل التابوت مع سور مرتفع من جوانبه فتبسمت الزهراء ورضيت**»[2].

إن الزهراء عليها السلام تقدم الوهج المضيء في طريق المرأة التي تنشد الجمال الحقيقي وهو الذي يتمثل في عفتها وحجابها هذا هو السر في قوة شخصيتها في الإسلام، حيث أن الزهراء عليها السلام ركزت على ما يزين المرأة، فعندما اقتضت الضرورة أن تخرج إلى الساحة الاجتماعية لتقول كلمتها وهي كالسيف القاطع، فقد تقتضي على غيرها من النساء المؤمنات أن تخرج إلى كل مكان يقتضي ذلك.

أما في قضية تعدد الزوجات: ففي ضوء النقاشات الحديثة ورؤية النسوية المعاصرة، حول حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين، تبرز قضية تعدد الزوجات في الإسلام كموضوع حساس ومثار جدل

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج٤٢، ص٨٤.

(٢) الأخلاق والآداب الإسلامية، عبد الله الهاشمي: ص٤١٥ ـ ٤١٦.

بين المفكرين.

من منظور إسلامي: يُعد تعدد الزوجات من الأحكام الشرعية التي تحمل في طياتها حكمة وأسسًا أخلاقية واجتماعية تهدف إلى تحقيق العدل والرحمة، لكن هذه القضية تُواجه بانتقادات من التيارات النسوية المعاصرة التي ترى في تعدد الزوجات تعديًا على حقوق المرأة ومساواتها بالرجل.

وعلى الرغم من اختلاف الرؤى، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يمكن للإسلام أن يوازن بين حقوق المرأة في إطار تعدد الزوجات وما تدعو إليه التيارات النسوية المعاصرة من مساواة شاملة؟

يمكن بيان الجواب من ناحيتين: الناحية الأخلاقية والناحية الحقوقية.

أولاً: الناحية الأخلاقية

يقولون: إن السماح بتعدد الزوجات يعني السماح للشهوة، إذ يبيح للرجل أن يعبث، بينما الأخلاق توجب على الإنسان أن يقلل من اتباع شهواته إلى أقل حد ممكن، وذلك بمقتضى طبيعة الإنسان.

إن الإسلام يخالف هذا المبدأ، إن الحدود والقيود التي وضعها الإسلام لتعدد الزوجات تسلب الرجل الثابت حرية التحرك تماماً.

فلا تعد زوجات خلاف الأخلاق والاستقرار الزوجي والطهارة النفسية ولا القناعة بالزوجة أو الزوجات الشرعيات مما يخالف الاخلاق، قال تعالى: ﴿ **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**... ﴾[1]؛ لأن في الجاهلية كان الرجال ينكحون العشر من النساء والأكثر والأقل، فإذا صار معدماً مالَ إلى مالِ اليتيم الذي في عنده وتزوج به، فنهوا عن ذلك فحلل لهم الإسلام النكاح إلى الأربع، ففي البداية جاء الحكم على نحو الأطلاق ثم على نحو الخصيص بشرط العدالة وليس كل على هواه.

ثانياً: الناحية الحقوقية

بديهي عندما يكون الزواج – من الناحية القانونية – تبادل منفعة وتكون الزوجة قادرة على تأمين متطلبات الزوج من جميع النواحي، فلن تسمح للرجل بالزواج ثانية، أما إذا لم يكن الزواج الثاني بقصد التنوع والتلذذ، بل كان يملك المبررات، فلن يبقى مجالاً لهذا الاعتراض، فمثلا إذا كانت الزوجة عاقراً

(١) سورة النساء: الآية ٣.

والرجل بحاجة إلى الولد، أو مريضة عاجزة عن إداء حقه الشرعي، في مثل هذه الحالات لن يكون من حق المرأة أن تعترض على الزواج الثاني.

أما إذا كان هناك أمر يخص المجتمع ككل يقتضي تعدد الزوجات بسبب زيادة عدد النساء على الرجال أو حاجة المجتمع إلى التنمية البشرية عند ذلك يتخذ الاعتراض صورة أخرى حيث يصبح العمل واجباً كفائياً، من أجل إنقاذ المجتمع من الفساد أو من أجل زيادة عدد المجتمع، فعند هذا التكليف يصبح رضاها واجازتها أمرين غير واردين، ويصبح من واجب النساء أن يعملن بمبدأ التضحية والايثار من أجل إنقاذ المجتمع، تماماً كواجب الدفاع عن البلد حينما تتخلى العوائل عن أبنائهم من أجل الدفاع عن البلاد ويرسلونهم إلى ساحات القتال فلا إجازة أو رضا الأشخاص ذوي العلاقة أو المنفعة.

إن تعدد الزوجات يعود بالفوائد والمصالح العظيمة على المرأة والمجتمع أكثر من الرجل وليس هو حط من كرامتها كما يدعي المعترضون على مبدأ للتعدد بقولهم: «إن التعدد حط من كرامة المرأة ويضعها موضع المهانة هذا من جهة ومن جهة أخرى عندما أجيز تعدد الزوجات في زمن نزول القرآن الكريم كانت الظروف تستوجب التعدد بالزوجات وذلك لكون المرأة في ذلك الوقت لم تكن مستقلة اقتصاديا؛ لذا تحتاج من يعيلها وإذا كانت أرملة ولها أولاد فتحتاج من يعيل أولادها، أما المرأة اليوم فهي تعمل وتنتج وهي مستقلة اقتصاديا وتستطيع ان تعيل نفسها واولادها وكذلك من واجب الدولة ضمان الافراد اجتماعياً وصحياً»[1].

وإن التعدد ليس لمجرد التلذذ والشهوة، ولا لأجل الاكتفاء وعدم الحاجة إلى الرجال وخير مثلاً على ذلك النبي صلى الله عليه وآله لم يتزوج في حياة السيدة خديجة عليها السلام حتى ماتت كرامة منه لها؛ لأنها تعد أمة جمعت في امرأة، فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وآله بها وليس له حاجة بغيرها، فهي أول من آمنت به وصدقته وبذلت كل ما تملك لأجل الدين، فكانت له نعم الزوج الصالحة لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان راضياً عنها، عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يكاد يخرج من البيت حتّى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها فذكرها يوماً من الأيام فادركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها فغضب حتّى أهتز مقدَمُ شعره من الغضب ثم قال: **لا واللّه ما أبْدلَني اللّه خيراً منها آمنَتْ بي إذْ كَفَر الناسُ وصدَّقتني**

(١) أنظر: الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن تعدد الزوجات: مدين نوري طلاك الشمري، جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية.

Median-nory@yahoo.com.

وكذَّبني الناسُ وواستني في مالها إذ حرمني الناسُ ورزقني اللّه منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء قالت عائشة فقلت في نفسي: لا أذكرها بسيئة ابداً»[1]، وهكذا الزهراء البتول كانت كفئ للإمام علي عليه السلام وصنع معها كما فعل الرسول مع أمها خديجة (صوات الله عليهم أجمعين) «عوتب النبي صلى الله عليه وآله في أمر فاطمة فقال: **لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب ما كان لفاطمة كفو، وفي خبر لولاك لما كان لها كفو على وجه الأرض»**[2].

وأما الاعتراضات النسوية بخصوص الإرث:

ترى النسويات المعاصرة أن نظام الإرث في الإسلام الذي يمنح الرجل ضعف ما ترثه المرأة في حالات معينة، يُعد تمييزًا ضد المرأة ويعكس نظامًا أبويًا يفضل الرجل على المرأة في الموارد المالية.

الاعتراض: لماذا جعل الله نصيب الرجل من الإرث ضعف نصيب المرأة كما في قوله تعالى: ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** ﴾[3]؟

ليتضح الجواب، لابد من مراجعة أحكام الإسلام المالية فيما يخص الرجل والمرأة، فلقد بينت الشريعة الإسلامية بأن نظام الإرث يُعتبر جزءًا من نظام متكامل للعلاقات المالية بين الجنسين، فإن الرجل في كثير من الأحيان يكون مسؤولًا عن توفير النفقة للأسرة، بينما تُعفى المرأة من هذا العبء، مما يبرر في بعض الحالات أن يرث الرجل أكثر.

هناك أيضًا حالات ترث فيها المرأة نفس مقدار الرجل أو حتى أكثر، وذلك حسب درجة القربى والظروف المحددة.

فإن الإسلام جعل نفقات المرأة على الرجل بنتاً كانت أم زوجة أم أماً. فحتى أدوات التجميل ـ يحق لها تقاضي ثمنها من الزوج بما يتناسب وشأنها، ناهيك عن الغذاء والمسكن والملبس والدواء والترفيه وحتى كفنها وماء غسلها وثمن الأرض التي تدفن فيها وأجور الدفن وغيرها، كل ذلك على الزوج والمرأة لا تنفق على الرجل حتى إذا كانت الزوجة ثرية تملك الملايين والزوج معسراً، ولكن في حدود المعروف، كما قيدت الآية ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ....** ﴾[4].

---

(١) أنظر: سيد المرسلين، الشيخ جعفر السبحاني: ج١ ص٢٦١ – ٢٦٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٢، ص٢٩.

(٣) سورة النساء: الآية ١١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

إذاً لو مات أب وخلف أولاداً فيتحملون مصارف أنفسهم ومصارف النساء التي تعود نفقتهن عليهم كالزوجة وهكذا الأخت والأم المعسرتين! حقاً لولا لطف الإسلام ورفقه بالمرأة لاقتضى أن يجعل كله للرجل كما كان الأمر في الجاهلية ـ قبل الإسلام ـ وكما هو موجود في بعض الجاهليات الحديثة. ولو تركنا وعقولنا ولم نستضئ بهدي الإسلام لبدا لنا اختصاص الرجل بالإرث كله معقولاً، فلماذا نعطي مالاً للمرأة والرجل يصرف عليها كل ما تحتاجه؟ ولكن الإسلام لم يغفل أن المرأة قد تحتاج ولا تطلب من الرجل حياءً ولا يريد الإسلام للمرأة أن تبذل ماء وجهها، ولذلك فرض لها حصة من الإرث، هذا بالإضافة إلى أن في منحها حصة من الإرث نوعاً من تطييب نفسها.

أفيعد حكم الإسلام في إرث المرأة بعد هذا ظلماً في حقها وحطاً من كرامتها؟ أم أنّ الأمر ببساطة ووضوح يتناسب مع الأحكام المالية الأخرى للمرأة في الإسلام مع أخذ عاطفة المرأة، بنظر الاعتبار، لأن الإسلام يلاحظ العواطف أيضاً؟![1].

ومن قبيل ذلك احتجاج فاطمة الزهراء عليها السلام عندما منعت من الإرث وطالبت بحقها من الإرث ليس لطمع الدنيا وملذاتها، وإنما لبيان حكم شرعي نازل من الله تعالى في قولها عليها السلام: «**وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أ فخصّكم الله بآية أخرج أبي** صلى الله عليه وآله **منها؟ أم هل تقولون إنّ أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي**»[2].

إن الفرق بين المجتمع الإسلامي الذي يريد أن يصنعه للإنسان المتكامل الرجل والمرأة وبين الانحراف في المجتمع غير الإسلامي دعاة الحضارة والمساواة، فالإسلام يريد النهوض والرقي للرجل والمرأة ليعيش كل منهما إنسان مستقلاً بنفسه وله كيانه الذي أودعه الله فيه كل ملكات الإنسانية القويمة، بينما المجتمع الآخر والمنظمات النسوية لسوء فهم النصوص القرآنية أو لأغراض ومصالح ذاتية يعمل على تحويل المرأة إلى سلعة للاستهلاك والابتذال بدعوى التحرير والمساواة ومن أجل التخلص من النظرة التقليدية بالقرآن الكريم والتاريخ الإسلامي وهذا اعتراض على السنة النبوية والدين الإسلامي الذي أرادها تعالى بشريعته الغراء، ولم يكن هناك نظام أو عقيدة رفعت عن المرأة الظلم والمعاناة غير المبادئ الإلهية التي تجسدت بأرقى صورها في الرسالة الإسلامية فأعطت المرأة قيمتها ورفعت شأنها ومكانتها وحددت حقوقها، وأما من نادى بحقوقها فهو أول من اضطهدها

(١) سنة الزواج وتيسير الأمور: السيد صادق الحسيني الشيرازي، ص٥٢ – ٥٣.

(٢) فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني.

عبر أساليب براقة للنفوذ والتغلغل السياسي والثقافي إلى مجتمعاتنا الإسلامية واتخذوا من مكانة المرأة خديعة لإشاعة ثقافة الانفتاح والانحلال الخلقي تحت لافتة الحرية والاستقلال.

وقد كشف القناع عن من نادين بالتحرر كمثل الكاتبة (ماري ولستونكرافت) في كتابها «دفاعاً عن حقوق المرأة»، كان الدافع وراء تأليف ولستونكرافت لـ قراءتها بيان تشارلز موريس تاليران – بيريجورد إلى الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٧٩١، والذي قال فيه أنَّ المرأة يجب أن تحصل على تعليم منزلي فقط، وقد استخدمت موقفها وتعليقها على هذا الحدث لتشنّ هجوماً واسعاً ضد التمييز الجنسي، ولتَتهم الرجال بأنهم هم من يدفع المرأة لتضعف أمام عواطفها.

الخاتمة

بحمد الله تعالى ومنه تمكنا من إتمام البحث ونسأله سبحانه أن نكون قد وفقنا في كشف الحقائق في بيان (نساء النبوة في ضوء الوحي والنسوية الحديثة) من خلال بيان هوية نساء الجنة وإظهار الرؤية الإسلامية مقارنة برؤى النسوية المعاصرة توصلنا إلى النتائج الآتية:

١. يعتبر موضوع تحرير المرأة من الموضوعات التي ثار الجدل فيها، وقد بلغ الضعف الإيماني والتزعزع في المبدأ لدى بعض النساء والرجال أن ينساقوا وراء التيارات المعاصرة الداعية إلى الابتعاد عن القِيَّم والقيود الإسلامية.

٢. حقوق المرأة والمساواة بين الجنسين تقتضي الاشتراك في الأوامر والنواهي الإلهية، واختلاف الجنسين في طبيعة الخلقة والتكوين يقتضي الاختلاف في الحقوق والواجبات.

٣. تساوي المرأة مع الرجل في الإنسانية والحقوق المشتركة للإنسان وليس في القوامة وبعض الحقوق الشرعية التي تخص كل جنس.

٤. اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالأسرة، لأنها تعد اللبنة الأولى في المجتمع وفي صلاحها صلاح المجتمع، وإن نظام الأسرة في الإسلام هو أفضل نظام.

٥. ينبغي على المرأة السعي لاستثمار الفرص من خلال الإمكانيات المتوفرة، وأن تواكب هذه الفرص، وتوازن في حركتها التكاملية؛ لأجل أن تكون امرأة كاملة.

٦. برزت على طول التاريخ نماذج من النساء الرائدات اللاتي استطعن أن يعطين صور مشرفه عن المرأة المثالية في دنيا الوجود منهن (سيدات نساء أهل الجنة) اللاتي جسدن تفوق في مجتمعهن فيما يملكن قدرات ومواهب وقوة إيمانية وأخلاق وعفة وطهارة وفاقتهن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

٧. يُعدّ الحجاب رمزًا كبيرًا للجدل بين التيارات النسوية، حيث يرى الكثير من النسويات أنه شكل من أشكال السيطرة على المرأة وفرض قيود على حريتها في التعبير عن نفسها.

٨. يُعد نظام تعدد الزوجات من الأحكام الشرعية التي تحمل في طياتها حكمة وأسسًا أخلاقية

واجتماعية تهدف إلى تحقيق العدل والرحمة.

٩. إن صيحة تحرير المرأة شعارات مزيفة، والواقع الذي تعيشه المرأة المعاصرة تكشف عن ابتذال المرأة وإذلالها وليس حريتها كما يعتقدون.

التوصيات

١. الاهتمام بشريحة الشباب والمحاولة في عدم انجرار فتياتنا العزيزات إلى تقليد الغرب، فإن الجمال الحقيقي بالخلق الرفيع والآداب الإسلامية متوجة بتاج العلم والحشمة.

٢. إن الأسرة المسلمة هي أساس التربية فلا تتجرد الفتاة عنها وتبتعد عن أخلاقها والالتزام بوصاياها وعدم التعالي على أصل أسرتك بظنك وصلتي إلى التكامل العلمي والثقافي، فليس كل ما في الحضارة العلمية مقبولاً، والتكامل لا يعني حصولك على الشهادة مهما كانت، بل الشهادة حسن السير والسلوك في المجتمع وفق الضوابط الإسلامية.

٣. حث الفتيات على تطبيق نهج سيدات نساء أهل الجنة وعلى رأسهم مولاتنا السيدة الزهراء عليها السلام أسوة وقدوة في السلوك في كل جانب من جوانب حياتها في الحفاظ على عفتها وطهارتها وبناء شخصية قوية ذات إرادة لها رؤية مستقبلية واضحة.

٤. دعوى إلى أهمية تفعيل الفقه الجعفري والالتزام بما جاءت به الرسالة الإلهية والقضاء على الفكر المتطرف لحماية الأسرة والمجتمع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأخلاق والآداب الإسلامية: عبد الله الهاشمي، دار الأثر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٣٣ ه ـ ٢٠١٢ م.
- الأمالي: الصدوق، ابن موسى بن بابويه، مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- الأمثل في تفسير الكتاب المنزل: الشيرازي، ناصر مكارم، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٣ م.
- الإلهيات على هدى القرآن والسنة والعمل: محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، بلا هوية.
- أم المؤمنين خديجة الطاهرة عليها السلام: الحاج حسين الشاكري، المكتبة الشيعية.
- إني فاطمة وأبي محمد: فوزي آل سيف، دار الوارث، كربلاء ـ العراق، ط١، ١٤٤٤هـ ـ ٢٠٢٢م.
- بحار الأنوار: المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م.
- البداية والنهاية: ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م.
- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.
- حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة وتحليل: باقر شريف القريشي، دار جواد الأئمة عليهم السلام، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦ م.
- الجامع الصحيح أو سنن الترمذي: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠١١ م.
- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: النسائي، مكتبة نينوى الحديثة.
- الخصال: الشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٠ ه.
- دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار: الشيخ خليل رزق.
- سنة الزواج وتيسير الأمور: السيد صادق الحسيني الشيرازي، ط١، دار العلقمي، كربلاء المقدسة ـ العراق، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧ م.
- السنن الكبرى: البيهقي، دار الفكر، بيروت.

- سيد المرسلين: الشيخ جعفر السبحاني، موقع إلكتروني.
- شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري، المكتبة الشيعية.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحاج القشيري النيسابوري، المكتبة الإسلامية.
- علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، مؤسسة شهيد المحراب قدس سره للتبليغ الإسلامي، ط١ النجف الأشرف، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥ م.
- فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، عالم الكتب، بيروت.
- فاطمة الزهراء عليها السلام: السيد محمد باقر الحكيم، الشريعة، ط٢، قم، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م.
- فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني، الغدير، كربلاء ـ العراق، ١٣٩٢هـ.
- قصص الأنبياء والمرسلين: السيد نعمة الله الشيرازي، مؤسسة الأمير، النجف الأشرف ـ العراق، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (٧١١ هـ)، أدب الحوزة، ١٤٠٥ ه.
- مختار الصحاح: الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر ت (٦٦٦ هـ)، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: فضل بن حسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، المكتبة الشيعية.
- مقاتل الطالبين: الاصفهاني، أبو فرج، ط١، دار المعرفة، ٢٠٠٥م.
- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٧٩هـ.
- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، أبي جعفر محمد بن علي السروي المازندراني، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩ م.
- الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، محمد حسين، مؤسسة الأعلمي، ط١، بيروت ـ لبنان، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- نظرات في عقيدة الإنسان المسلم: عبد الرزاق فرج الله، مركز إحياء التراث الإسلامي، ط١، العراق ـ النجف الأشرف، ١٤٢٧هـ.

• ماري وولستونكرافت، كاتبة بريطانية
https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%8A-%D9%88%D9%88%D9%84%D8%B3%D8%AA%D9%88%D9%86%D9%83%D8%B1%D8%A7%D9%81%D8%AA

• الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن تعدد الزوجات: مدين نوري طلاك الشمري، جامعة بابل / كليـة التربيـة للعلوم الإنسانية،
Median-nory@yahoo.com.

• المرأة المسلمة والتحديات العالمية من خلال بعض الاتفاقات الدولية: محمد علي التسخيري.
http://iranarab.com/Default.asp?Page=ViewArticle&ArticleID=828

المرأة المسلمة المعاصرة بين فكر
السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
والحركة النسوية (دراسة مقارنة)

الباحثة: نور طلال شياع معله

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين ابا القاسم محمد وعلى ال بيته الطيبين الطاهرين إلى قيام يوم الدين.. .. ..

جاء الإسلام للمطالبة بحقوق المرأة والمحافظة على المرأة والدفاع عنها وعن حقوقها والمرأة في المجتمعات الإسلامية المحافظة هم اكثر نساء يتمتعن بحقوق اعطاها لهن الإسلام، وجاء الغرب تحت غطاء حقوق المرأة وحقوق الإنسان التي يطالب بها من خلال المنهج العلماني للعمل على اختراق الفكر والثقافي والحضارة والمجتمع من خلال المرأة ومن خلال القراءة الدقيقة والمنطقية في النظريات التي جاءت من الغرب لأجل تطبيقها على واقع المرأة المسلمة نجد ان هذه النظريات قد فشلت فشلا ذريعا في الجانب الغربي، فهناك الكثير من المشاكل والمظاهر السلبية التي يعاني منها الغرب في ظل هذه النظريات في المجال الاجتماعي والمجال الاسري والمجال الاقتصادي والصحي والاخلاقي وهذه تشكل ازمه من الازمات التي قد تؤثر في المستقبل القريب على الحضارة الغربية لكن المؤسف ان حكوماتنا العربية والإسلامية قد صرعت للاستجابة للكثير من هذه الدعوات تحت غطاء المطالبة بحقوق المرأة وحقوق الإنسان في الكثير من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وضرورة طلب المساعدة من الجانب الغربي بسبب التقدم والتطور الذي يتمتع به الجانب الغربي في كافه المستويات من خلال تخطيط والتنظيم والإدارة والاشراف، من خلال هذه الحركات والمنظمات الغربية التي تطالب بحقوق المرأة نجد ان هنالك هجمات وهناك طعنات يتعرض لها الدين الإسلامي والمجتمع الإسلامي وخصوصا المرأة حتى دخلت هذه المنظمات في الدين والتشريعات وكذلك في الاحكام الاحوال الشخصية للأسرة وللمرأة فنجد ان الغرب صدر لنا نظريات لحل المشاكل المتعلقة بالمرأة في المجتمعات العربية والإسلامية حيث يحاولون رسم صوره وواقع للمرأة المسلمة على غرار المرأة الأوروبية النصرانية واليهودية وبهذا ظهرت الحركة النسوية كحركة جديده تطالب بحقوق المرأة واعطائها حقوقها وصياغه المرأة المسلمة او المرأة العربية بحسب المرأة الأوروبية من خلال هدم القيم والاخلاق والسلوك الذي تتمتع به المرأة المسلمة وبذلك هدم كيان المجتمع وزعزع استقراره.

الهدف من الدراسة

ان الهدف من هذه الدراسة هو تتبع نشوء حركه النظرية النسوية ودراسة اهدافها واساليبها التي تعتمدها مقارنه مع الدين الإسلامي، والمقارنة النموذج الإسلامي السيدة فاطمه الزهراءعليها السلام وبين النظرية النسوية.

الفرضيات

١-تقديم رؤية واضحة عن فكر الحركة النسوية في العالم الغربي بصورة عامة والعالم العربي الإسلامي بصورة خاصة.

٢-بيان الاهداف والاساليب التي تتبعها الحركة النسوية.

٣-بيان المنهج الذي قدمته السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام قدوة المرأة المسلمة في قبال المنهج الغربي المتمثل بالحركة النسوية.

المصادر

أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها، كتاب النسوية والقومية في العالم الثالث، النسوية مفاهيم وقضايا، سخافة النسوية، النسوية وما بعد النسوية.

الخطة

تم تقسيم البحث إلى ثلاث مباحث، المبحث الاول: الحركة النسوية اما المبحث الثاني: اهداف الحركة النسوية، المبحث الثالث: الحركة النسوية في المجتمع العربي، اما المبحث الرابع: المرأة المسلمة المعاصرة بين فكر السيدة فاطمة الزهراء والحركة النسوية وتم تقسيمة إلى ثلاث مطالب وبعدها الخاتمة واهم المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث.

المبحث الأول: الحركة النسوية

جاء في تعريف الحركة النسوية عدة تعاريف اهمها:

الحركة النسوية: هي النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وتسعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها والى ازالة التميز الجنسي الذي تعاني منه المرأة[١].

هي حركية سياسية تهدف إلى غايات اجتماعية تتمثل في حقوق المرأة واثبات ذاتها ودورها[٢].

هي مجموعة من التصورات الفلسفية والفكرية التي تسعى لفهم جذور واسباب الفرق بين النساء والرجال وذلك بهدف تحسين اوضاع النساء وزيادة فرصهن في كافة المجالات[٣].

هي نظرية ثقافية معاصرة تزامنت مع بزوغ نجم الشيوعية وهي من بنات افكار كبار الحزب الماركسي حيث حكموا بالمساواة بين الجنسين وذلك لفرض تحقيق الاتحاد في الانتاج بين الاناث والذكور[٤].

واتضح لنا من خلال التعاريف السابقة ان النسوية حركة غربية نشأت في بادئ الامر بسبب الاضطهاد الديني والاجتماعي للمرأة من قبل الكنيسة ولكن بمرور الوقت وفي موجتها اللاحقة تغيره إلى حركة سياسية اقتصادية، اجتماعية، راس مالية الهدف منها استعمال المرأة في جميع المجالات كيد عاملة تكون اقل تكلفة من الرجل بالإضافة إلى هدم العلاقة الزوجية والعلاقة الاسرية بين الرجل والمرأة.

ان عله ظهور نظريات النسوية واعمالها كان سببه التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وعلى مدى تاريخ العالم الغربي حيث له تأثير مباشر على حياه المرأة الفردية والاجتماعية والأسرية ايضا وان دراسة تاريخ هذه الاختلافات والتغيرات في المجتمع الغربي وبالتتبع في حياه المرأة يعطينا صوره

---

(١) الرحبي، النسوية مفاهيم وقضايا: ص١٤.

(٢) الخولي، النسوية وفلسفة العلم: ص ١١.

(٣) طنطاوي، دليل النسوية النسائية: ص١٣.

(٤) القرشي، حيدر مهدي، سخافة النسوية: ص١١.

واقعيه للجذور على ظهور النظرية النسوية[١].

ان ظهور النظرية النسوية تعود جذورها الى العصور اليونانية (القرن الثالث عشر) وما عانته النساء في ذلك الوقت حيث كان يتم تزويج النساء دون مشاورتهن وليس لهن حريه ماليه في استخدام او استعمال اموالها بدون اذن الاب او الاخ او الزوج وكانت الام والبنات وسائر الابناء ملكا للزوج وكان دور المرأة يقتصر على حمل الجنين فقط ولا يحق للمرأة رفع دعوه امام المحكمة او ابرام العقود او المطالبة بحقوقها او ان ترث المرأة زوجها بعد وفاته، اما في الزمن الاقطاعي(القرن الرابع عشر) فكان له تأثير كبير على المرأة فعندما وضعت الكنيسة والاصلاحات التي حدثت من قبل البابا في تلك الفترة تم عزل النساء عن ادوارهن الأساسية حيث استبدلت المراكز الثقافية بالمدارس والجامعات وكانت تحت اشراف الكنيسة ومن ضمن الشروط كان تحصيل العلم ممنوع على النساء في هذه المدارس الراقية وبهذا حصلت فجوة ثقافيه بين النساء والرجال فقد حرمت النساء من الاعمال التي تحتاج اليها من خلال تحصيل بعض العلوم في تلك المدارس كطبابة مثلا، اما في نهاية القرن السادس عشر تناقصت سلطه الإقطاعيين وظهرت سلطه اصحاب المهن وتشكلت الطبقات البورجوازية وبهذا اصبحت المهن حكرا على الرجال اكثر من النساء حيث كانت المهن التي تشغلها النساء قليله جدا مقارنه بالمهن التي يزاولها الرجال وكذلك بعض المهن كانت حكرا في يد الرجال وتمنع منعا باتا ان تشغل هذه المهن النساء، انتشر التعلم والتعليم لكن كان حكرا على الابناء اما تعليم المرأة فقد كان في المنزل وحرمت الكثير من النساء من الحكم والتصويت، كانت تعامل معامله الاطفال والعبيد والغرباء، اما في القرنين السابع عشر والثامن عشر(ثم السابع والثامن عشر) في اثناء ظهور الثورة الصناعية فقد ظهر تغيير واضح في نمط حياه المرأة ووجدت الأرضية الخصبة لظهور النظرية النسوية في هذا الوقت[٢].

وبسبب الوضع الذي كانت تعاني منه المرأة والتميز بين الجنسين الذي كان تخضع المرأة ان تكون مدبره المنزل فقط وتحرم من التعليم والعمل في المهن التي تناسب شخصيتها كامرأة وكان الرجل هو المعيل وهو المسؤول على الاعمال المنتجة جميعها، ومن خلال ظهور الثورة الصناعية وازدياد عدد المصانع وقله اليد العاملة وكثره اجور الرجال مقارنه بالنساء فوظف اصحاب المعامل النساء للعمل في مصانعهم لان المرأة مقارنه بالرجل تكون اجورها اقل وقد جذب العديد من النساء الفقيرات والعازبات والارامل للعمل في المصانع وهذا المسالة كانت لها تأثير الكبير في ظهور الحركات النسائية

(١) المصدر نفسه.

(٢) طنطاوي، دليل النسوية النسائية: ص ١٥.

وبالخصوص النظرية النسوية يقول ويل ديورا انت «ان الافراد الذين عملوا على تخريب البيوت من دون ان يشعروا هم اصحاب المصانع بالدرجة الاولى الذين اخرجوا النساء من منازلهن من اجل ان يزيدوا ارباح مصانعهم»[1].

وبسبب ظهور الثورة الصناعية ظهرت العديد من الموجات النسوية وهي ثلاث موجات:

الموجه الاولى، الاشتراكية التي ظهرت في القرن التاسع عشر حيث اقترن ظهور هذه الحركة ضد الحركة الرأسمالية اما الموجه الثانية وهي الموجه الليبرالية وقد كانت هذه الموجه هي وليده الحداثة وقد سرعت في حركه عجله التغييرات بقضايا المرأة وخصوصا الحركة النسوية حيث شكلت حريه الفرد واستقلاله وحقوقه وقد كثر الخطاب النسوي في هذه الفترة.

اما الموجه الثالثة هي النسوية الراديكالية وهي تميل إلى نزعه متطرفة، لديها انحياز مفرط للمرأة دون النظر إلى الوضع الاجتماعي ودون اعتبارات مصلحه الرجل والمرأة حيث تضع مصلحه المرأة فوق مصلحه الرجل وتعادي السلطة الأبوية والسلطة الذكورية وتعادي اي سلطة للرجل سواء كانت دينيه او تقليديه او قانونيه وتعمل على استئصال هذه السلطة وتعمل على تغيير جذور العلاقات الاجتماعية بين الجنسين سواء كان بين الزوج والزوجة في العلاقة الأسرية او العلاقة العائلية بين الام والابناء او الاب والابناء وفي المجتمع بصوره عامه[2].

(١) الخضري، انور قاسم، الحركة النسوية في اليمن: ص ٣٣.

(٢) الخضري، الحركة النسوية في اليمن: ص ٣٧.

المبحث الثاني: اهداف الحركة النسوية

ان الحركة النسوية تهدف إلى المساواة بين الرجل والمرأة ولكنها تنطلق من مفاهيم تحرير المرأة في سبيل القفز بالمرأة بواقع لا يمت إلى التاريخ البشري ولا إلى الإنسانية والا الاعراف ولا التقاليد الوضعية ولا الديانات السماوية حيث انها حركه ثوريه تهدف إلى تحطيم المسلمات الفطرية والبديهيات العقلية في جانب المرأة بما يخدم الانحلال الاخلاقي والاستغلال الاقتصادي والجنسي للمرأة تحت ظل الثقافة والعولمة[1].

وتتبنى الصراع بين الجنسين والعداوة فيما بينهما وتهدف إلى تقديم قراءه جديده عن اللغة والدين والتاريخ والثقافة والعلاقات الجنسية وقد اخذت بالانتشار في الآونة الأخيرة في المجتمعات الغربية خصوصا في القرن العشرين والقرن والواحد والعشرين، ان هذه الحركة تختلف عن باقي الحركات القديمة التي تدعو او تصدر عن الرؤية الإنسانية لكن هذه الحركة تدعو إلى سقوط كل الثوابت والكليات والتمركز حول الإنسان نفسه وترك إنسانيته واخلاقه وترك القداسة والعلاقة مع الله ورد الإنسان إلى الطبيعة وانه كائن مادي طبيعي يمكن تسويته باقي الكائنات الطبيعية حيث تم تسويه الإنسان بالنباتات والحيوان والاشياء وتسويته بكل شيء طبيعي موجود لهذا سقط وتهاوى وتهاوت الاخلاق والقيم والدين، ان الحركة النسوية تجاوزت على مفهوم الأسرة باعتبارها هي المؤسسة الإنسانية التي تحمي الإنسان وداخل هذا المؤسسة يكتسب اخلاقه وحضارته وهويته وغيرت مفهوم ان المرأة هي العمود الفقري لهذه المؤسسة من خلال تحرير المرأة وتغيير ثوابتها واخلاقها ومبادئها وقيمها فكانت هذه هي أهم الاسس لحركات التحرير في الغرب[2].

اهداف الحركة النسبية لم يكن جميع دعواه إلى تمكين المرأة من خلال اعطائها حقوقها بل كان الهدف من الحركة النسوية هي الرغبة الجامحة في الاستمتاع من غير اي قيود كذلك المناداة بحق المرأة انها تطلق رغباتها الجنسية ومن خلال الحب الحر والممارسات اللا اخلاقية والخارجة عن ما أراده الباري عز وجل بكافه انواعها واشكالها وصورها وما تبعها من رفض الرضاعة والحضانة والتربية

(١) الخضري، الحركة النسوية في اليمن: ص ١٦.

(٢) رودكر، نرجس، الحركة النسوية مفهومها واصولها: ص ٢٠.

وحقوق الاجهاض كان هذا جميعا الهدف منها هو تحقيق مآرب شخصية او تحقيق اغراض مشبوهة وقد تمثلت في الغرب حيث كانت هي المظهر العام والغالب في مجتمعاتها من خلال الحركات النسوية فكانت هذه هي اهداف الحركة النسوية الأساسية[1].

وشيء فشيئا مع تطور هذه الحركة النسوية في العالم الغربي قد انتقلت واصبحت الحركة النسوية في العالم العربي والإسلامي تواكب الحركة النسوية العالمية حيث ظهرت الكثير من الكتاب الداعين إلى هذه الحركة مثل (نوال السعداوي ونصر حامد ابو زيد وابو علي ياسين وقاسم امين) وغيرهم من كثير من الكتب والمؤلفات التي تدعو الساحة الثقافية إلى تقبل الحركة النسوية وهناك الكثير من الدعاة إلى هذه الحركة وكانت مصر لها الريادي الاولى في التأسيس وتنشئ لهذه الحركة فقد تأسس الاتحاد النساء العربي في القاهرة بزعامة هدى شعراوي عام ١٩٤٤ وبعد ذلك انعقدت مؤتمرات لنساء العربيات في بيروت لمطالبه بحقوق المرأة النسوية[2].

(١) الخضري، الحركة النسوية في اليمن: ص ٢٨.

(٢) رودكر، نرجس، الحركة النسوية مفهومها واصولها: ص ٣٣.

المبحث الثالث: الحركة النسوية في المجتمع العربي

ان الكثير من المجتمعات الغربية التي تعد مهد النسوية، التي اسست الفكر النسوي، هي ليست ببعيد عن المجتمع العربي، في ظل تعارض الكثير من آراء النسوية مع قيم وثقافة المجتمعات العربية، حيث ان المرأة العربية تتمتع بالكثير من الحقوق التي لم تجدها المرأة الغربية بحق التصرف في الاموال وحقها في حضانة اولادها حيث ان المرأة الغربية تفقد الصلة بينها وبين اولادها اذا ارد الاب ذلك، اما في الشرق تكنى المرأة باسم ابنها واموالها تكون ملك لها لا يحق للرجل التقرب من اموال الزوجة اما المرأة الغربية اموالها تعود إلى زوجها ولا تمتلك حق التصرف بها[1].

ما الذي قدمته النسوية للعالم؟ الاجور المتساوية، حق الاقتراع حق التعليم حق الزواج بمن تشاء كل هذه الامور سبق الإسلام اليها قبل الف واربعمائة سنة ولكن الانحراف النصراني واليهودي سلب حقوق المرأة مما بعث في النفوس ثورة على الظلم اللاعقلاني الممارس بحق المرأة رغم ذلك لم تتوقف الحركة النسوية واتجهت نحو المغالاة واللاعقلانية وعندما تمكنت من عقول الحكام بدأت بالسلب هي ايضا فسلبت حق الامومة وحق الطفولة بالإجهاض وحق الحب وحق بناء اسرة سليمة.[2]

حيث ظهر فكرة رفض الأنوثة، ان فكرة الانوثة فكرة يجب التخلص منها لأنها فكرة تنتهي إلى الزواج ومن بعدها الامومة وبحسب الفكر الغربي تصبح المرأة تابعة إلى الرجل وهذا الراي خطير جدا ويصطدم مع فكر ودين وعادات وتقاليد الفكر العربي، ان رفض فكرة الزواج والامومة تهدد مستقبل البشر من حيث التوالد والموقع الديمغرافي العربي على المدى الطويل حيث ان نسبة المواليد تتراجع، ويفقد المجتمع شبابة وبدون الشباب فان اي دولة عربية او غير عربية لا تستمر كدولة فتية، وان اراء النسوية تقود إلى زيادة العلاقات غير المشروعة وحالة العنوسة وبالتالي فان المجتمع يصبح غريب عن نفسه بسبب رفض المرأة انوثتها اتصالها بالرجل خوفًا من فكرة الامومة.

ان هذه الافكار تتعارض مع ديننا الإسلامي ومع النص القرآني حيث ان رفض الانوثة يخالف

(١) الخولي، النسوية وفلسفة العلم: ص ٢٥.

(٢) القرشي، سخافة النسوية: ص ٨.

الدين الإسلامي والنص القرآني قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى** ﴾[1] وينص أيضا في قولة تعالى: ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ** ﴾[2].

وقد كان هنالك تركيز من بعض الدول الإسلامية على نسخ ما جاء من الغرب من الحركات النسوية في لباس النساء الغربيات ونبذ اللباس التقليدي واعتبار الحجاب هو دليل على تخلف المرأة واقصائها، وقد اولى خلع الحجاب اهتمام كبير في المناسبات التي ظهرت فيها نساء سافرات[3].

ان اردت ان تحول قوم ما عن هويتهم وتعمل على تغيير افكارهم وثقافتهم عليك البدء بأزيائهم انها من الخطوات المهمة في الغزو الثقافي والنسوية تعلم حقيقة واهمية هذا الامر لذا هي تمتلك اوامر صارمة في هجرة النساء الازياء التي فيها دلالة انثوية والعمل على اتخاذ ملابس الرجال، تقول بيتي فريدان عن النسوية «كن بالطبع يحسدن الرجال وقد قصت بعض اوائل ناشطات النسويات شعرهن قصيرا وارتدين السراويل وحاولن ان يكن مثل الرجال»[4].

اما في فكر السيدة الزهراء عليها السلام كانت تحافظ على عفة المرأة وانوثتها وكيانها عن طريق الستر والحجاب فان فاطمة الزهراء تعلم ان ملايين الجرائم والفضائح والماسي تأتي عن طريق التبرج والسفور والاختلاط والخلاعة المسمى في وقتنا الحالي بالتقدم والحرية[5].

جاء عن الإمام علي بن الحسين بن علي عليهما السلام «**ان فاطمة بنت رسول الله استأذن عليها اعمى فحجبته فقال لها النبي صلى الله عليه وآله لم حجبتية وهو لا يراك؟**

فقالت: يا رسول الله ان لم يكن يراني فانا اراه وهو يشم الريح فقال النبي صلى الله عليه وآله اشهد إنك بضعة مني[6]».

جاء عن رفعه حسن «استاذه الدراسات الدينية بجامعة لويفيل بأمريكا وهي من أصل باكستاني» حاولت اعادة قراءة تفسيرات سابقة لأثبات ان القران الكريم قد جاء بالمساواة بين الرجل والمرأة ولا

(١) سورة النحل: الآية ٩٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية١٩٥.
(٣) كوماري جايا، النسوية والقومية في العالم الثالث: ص ٨٤.
(٤) فريدان،اللغز الانثوي: ص ٨٧.
(٥) القزويني، فاطمة من المهد الى اللحد: ص ٢٣١.
(٦) القزويني، فاطمة من المهد الى اللحد: ص ٢٣٢.

يتعارض مع الانصاف والعادات وحقوق الإنسان وواجهة الروايات الدينية عن دور حواء في انها اخرجت ادم من الجنة وانها خلقت من ضلع ادم هذه الروايات قد بررت اعتقادات ثقافية وممارسات اجتماعية عن دونية المرأة وانها موجودة ثانوي وهي مشتقة من الرجل، واوضحت انه هنالك تناقض بين هذه الروايات والآيات القرآنية كما اكدت على ان النساء والرجال قد خلقوا متساوين وهذا ما جاء به القران الكريم قال تعالى ﴿ **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ** ﴾»[1].

ان الموجة الاولى للنسوية تنادي بالمساواة بين الرجل والمرأة في القانون، وان هذه المطالب التي تطالب بها المرأة هي منصوص عليها في الدساتير الإسلامية والعربية، حيث انه لا تمايز بين المرأة والرجل على حسب الجنس، وبحسب الدستور الإسلامي والعربي فان المرأة والرجل سواء في الحقوق والواجبات تجاه الدولة والمجتمع.

ان التطرف الذي وقعت النسوية فيه، خصوصا في الموجه الثالثة، حيث طالبت النسوية بصورة عامة والنسوية العربية خصوصا بضرورة المساواة بين المرأة والرجل في طبيعتهما حيث أنكره النسوية الاختلاف البيولوجي والطبيعي فيما بينهما[2].

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٢) رودكر، الحركة النسوية ومفهومها واصولها: ص ٢٩٠.

المبحث الرابع: المرأة المسلمة المعاصرة بين فكر السيدة فاطمة الزهراء والنظرية النسوية

المطلب الاول: العلاقة الاسرية بين الرجل والمرأة

ان النسوية ترتكز على احداث تغيير شامل للمجتمع لا على الفرد فقط فعندما تتحول وسائل الانتاج إلى ملكية عامة فان الاسرة لا تبقى فردية ووحدة تابعة إلى المجتمع الاقتصادي بل ان الاقتصاد البيتي فرع من فروع النشاط الاجتماعي وان العناية بالأطفال وتربيتهم هي من اهتمامات المجتمع وهذا سيحرر المرأة من عملها في المنزل وخروجها إلى العمل وذلك حتى يؤمن لها الاستقلال المادي والاقتصادي اسوتنا بالرجل وهذا الامر كفيل في تحقيق المساواة بين المرأة والرجل من خلال زوال تشكيل الاسرة القائمة على السيطرة الاقتصادية والاجتماعية للرجل وبالتالي بقاء العلاقة الإنسانية فقط القائمة على الحب المتبادل فقط[1].

ان الموجه النسوية قد تولدت لتغيير الظروف القائمة، فان كاتبات هذه الفترة حاولت ان تتحدى الفكرة القائلة «ان النساء هن صنف أدني من الرجال، وهي صنف قد لوثة عصيان حواء في الجنة» (سفر التكوين ٣) وان تفكيرها العقلاني وسلوكها الاخلاقي يكون اقل من الرجل[2].

ان اول قانون في النسوية هو امتناع الزواج من الرجل، لان النسوية تحاول ان تصور الرجل بانه وحش وكارة للنساء وهي بهذا تخلق فجوة بينها وبين الرجل، حتى لو تساوت المرأة مع الرجل فأن النسوية لاتزال تكره الرجل فهي لا تقبل ان تنجب الاطفال او تحض بزواج مستقر[3].

تقول دوبوفوا ايضا بصورة علانية (انه ليس هنالك غريزة امومة في النساء) ومن خلال انكار غريزة الامومة تتقدم النسوية خطوة كبيرة لتحقيق المساواة مع الذكر الفاقد لغريزة الامومة وان تربية الطفل والاسرة تحتل مركزا مهما في عاطفة المرأة وما فعلته النسوية هو تحويل اتجاه اهتمامات المرأة إلى ذكورية[4].

---

(١) الرحبي، النسوية مفاهيم وقضايا: ص ٢٤.
(٢) جامبل، النسوية وما بعد النسوية: ص ٢٣.
(٣) القرشي، سخافة النسوية: ص ١٠٦.
(٤) المصدر نفسه: ص ٩١.

ان النسوية انتحلت هيئة بريئة وكاذبة حتى تهدئ من روع ضحاياها اي النساء وتقربت منهن باسم المساواة والحرية، وعندما اطمأنت الضحايا لهن لدغن بصورة موجعة حيث جعلن يواجهن الحياة ومصاعبها بمفردهن مع اطفالهن ووفرت للرجل البيئة المناسبة للتمتع بالملذات الدنيا والفرار من المسؤولية حيث حولت حياة النساء إلى حياة فارغة من الحب والاهتمام بعدما دفعتهن إلى كرة الزواج وكرة الرجل[١].

بحسب راي النسوية: ان لا يوجد لدى ربات المنازل اللواتي يعشن اي هدف شخصي للمستقبل حيث لا يوجد لديهن هدف يحرض قدراتهن ولا يستطعن النمو نحو تحقيق الذات وبمرور الوقت يفقدن الاحساس بحقيقتهن لان الهدف بحسب راي الكاتبة هو ما يعطي ايام المرء طابعها الإنساني، حيث ان قدرات المرأة تصرخ وتطالب باستخدامها ولا تتوقف هذه الصرخات الا ان تم استخدامها بشكل جيد وهذا يعني ان القدرات هي حاجات ايضا فان استخدام قدرات المرأة ليست تسلية بل هي حاجة وضرورة ويمكن ان تصبح القدرة غير المستخدمة مركزا للمرض والا فانة بمرور الوقت يضمر وبالتالي يعمل على تقليص الشخص[٢].

ان الخيارات المودعة في المرأة تتفاوت جذريا عن الرجل وان الامر هذا تعترف به كبار النسوية ففي حوار اجرى مع سيمون دوبوفوا قالت: «ما من امرأة يجب ان تبقى في البيت لتربي اطفالها، فالمجتمع يجب ان يكون مختلفا كليا، يجب ان لامتلك النساء ذلك الخيار لأنه ان وجد ذلك الخيار فسوف تختاره نسوة كثيرات»[٣].

لما اشربت قلوب النسويات حب دنيا الالحاد صارت الاسرة لا مضى لها ومجرد لغوا، ومن تتزوج منهن تعاني من اعياء الاسرة فهي حمل ثقيل لا طاقة لهن به، لان الاسرة تعني التضحية بالنفس لأجل اسعاد الاطفال وتعني ضبط النفس وبذل المال والوقت في سبيل تربية الابناء فان اساس الاسرة هو الايثار[٤].

ان تحدثنا عن الاسرة من المنظور الإسلامي ومن خلال النموذج المشرف للعلاقة الزوجية الصحية بين الرجل والمرأة في الإسلام فنجد خير نموذج هي علاقة فاطمة الزهراء عليها السلام وعلي بن أبي

(١) القرشي، سخافة النسوية: ص ١١٥.
(٢) الرحبي، النسوية مفاهيم وقضايا: ص ٢٠.
(٣) القرشي، سخافة النسوية: ص ٦٩.
(٤) المصدر نفسه: ص ١٠٩.

طالب عليه السلام في تكوين الاسرة وفي تطبيق دور الزوجة والزوج في الحياة الزوجية بحسب الشريعة الالهية، قال الامام علي عليه السلام: «**الا احدثك عني وعن فاطمة.. .. .. . انها كانت عندي وكانت من أحب اهله الية وانها استقت بالقربة حتى اثر في صدرها، وطحنت بالحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها واوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها فاصابها من ذلك ضرر شديد**»[1].

قال الإمام علي عليه السلام: «**ولقد كنت انظر اليها فتنكشف عني الهموم والاحزان**»[2].

ان السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تسند زوجها وتعمل على تشجيعه وتخفف عنه همومه وإحزانه، ومن حسن التبعل طاعة الزوج وعدم مخالفته او عصيانه ومعاملته بالصدق والامانة فالسيدة فاطمة الزهراء ما خرجت من بيتها من دون اذن زوجها، وما أسخطته يوما، لأنها تعلم ان الله لا يقبل عمل امرأة اسخطت زوجها حتى ترضية، وما عصيت له امرا حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام «**فو الله ما اغضبتها، ولا اكرهتها على امر حتى قبضها الله عز وجل، ولا اغضبتني ولا عصت لي امرا**»[3].

لقد كانت فاطمة عليها السلام، الزوجة الوفية، كأوفى ما تكون الزوجات، وهي التي خاطبت زوجها علي عليه السلام، في آخر لحظات حياتها: «هل عهدتني خائنة أو خالفتك منذ عرفتك وهو ذا الأمير عليه السلام يقول عنها: **فو اللَّه ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها اللَّه عزّ وجلّ إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان**».

في الرواية عن أبي سعيد الخدري قال: اصبح علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ساغبا، فقال: «**يا فاطمة هل عندك شيء تغذينية؟** قالت: **لا والذي اكرم أبي بالنبوة واكرمك بالوصية ما اصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء اطعمناه منذ يومين الا شيء كنت اؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين الحسن والحسين**، فقال علي: **يا فاطمة الا كنت اعلمتني فابغيكم شيئا.**

فقالت: **يا ابا الحسن اني لا ستحيي من الهي ان اكلف نفسك ما لا تقدر عليه**»[4].

ان السيدة فاطمة الزهراء صبرت على فقر زوجها حيث كانت حياتها مثل حياة ابسط الناس من حيث العيش، قال علي بن أبي طالب عليه السلام يوما لفاطمة: «**يا فاطمة هل عندك شيء؟**

---

(١) المجلسي، بحار الانوار: ج٤٣ ص ٨٢.
(٢) المصدر نفسه: ج٤٣ ص ١٣٤.
(٣) اصدارات العتبة الكاظمية المقدسة، فاطمة الزهراء انموذج المرأة: ص ١٣.
(٤) المجلسي، بحار الانوار: ج٤٣ ص ٥١.

قالت: **والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء**»[1].

وكانت تلتزم بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله: «**جهاد المرأة حسن التبعل**»[2].

كانت السيدة فاطمة الزهراء صابرة فقد صبرت على الجوع، فعندما تصدقت على اليتيم والاسير والمسكين، دخل رسول الله عليها وهي قائمة في محرابها، وقد التصق بطنها بظهرها وقد غارت عيناها من شدة الجوع فقال لها النبي صلى الله عليه وآله «**و اغوثاة ياالله، ال محمد يموتون جوعا**، فهبط جبرائيل عليه السلام وهو يقرأ ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ** ﴾»[3].

ان السيدة فاطمة الزهراء قد تعرضت إلى الكثير من الازمات والمصاعب في حياتها وذلك لان الحكمة الالهية تقتضي من فاطمة عليها السلام ان تكون رمزا لفضيلة المرأة وقدوة لها في مجتمع يسود فيه انواع الظلم والقهر والكبت على المرأة وان القدوة التي خلقها الله تعالى يجب ان تكون محاطة بالمحن والمصائب والمعاناة حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله عن فاطمة عليها السلام: «**ان جبرائيل اخبرني انه ليس امرأة من نساء المسلمين اعظم رزية منك، فلا تكوني ادنى امرأة منهن صبرا**»[4] روى عن الامام الباقر عليه السلام: «**ان فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز، وقم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب وان يجيئ بالطعام، فقال لها يوما: يا فاطمة هل عندك شيء؟**

قالت: والذي عظم حقك، ما كان عندنا منذ ثلاثة ايام شيء نقربك به، قال: افلا اخبرتني؟

قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله نهاني ان اسالك شيئا. فقال: لا تسالي ابن عمك شيئا، ان جاءك بشيء والا فلا تساليه»[5].

المطلب الثاني: الحقوق السياسية للمرأة

من ضمن الحقوق النسوية الديمقراطية كانت حقوق الاقتراع فهي واحدة من المعارك الكبرى التي خاضتها النسوية وبحلول اواخر القرن التاسع عشر اصبح للمرأة حق الاقتراع وقد تم استخدام الاساليب القتالية والعنيفة التي تم استخدامها من قبل المستقرعات البريطانيات ضد اجهزة الدولة اما

(١) المجلسي، بحار الانوار: ج١٤ ص ١٩٧.
(٢) الكليني، الكافي: ج٥ ص ٩٥.
(٣) سورة الإنسان: الآية ٧.
(٤) القزويني، فاطمة من المهد الى اللحد، ص ٤٤
(٥) المجلسي، بحار الانوار: ج٤٣ ص ٣١

في بلدان العالم الثالث فقد تم طرح قضية التصويت كحق من حقوق المرأة خاصة في مراحل النضال القومي عندما تضمنت القضايا التي تم طرحها للنقاش المساواة والحكم الذاتي حيث جاءت بعض المحاولات الاولى بالفشل وفي بعض الحالات كانت المطالبة سلمية وحالات اخرى أقل سلمية حيث نظمت النساء المظاهرات وقد هاجمن السلطات التشريعية عندما فشلت الهيئات في منح النساء حقهن في التصويت[1].

ان المرأة المسلمة قد سبقت المرأة الغربية في المطالبة في حقها السياسي وخير نموذج للمرأة السياسية والثورية هي السيدة فاطمة الزهراء، استمرت فاطمة الزهراء عليها السلام في مساندة زوجها علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله والمطالبة في حقة في الخلافة، فقد جاء عن أبي عبد الله عليه السلام وعن سلمان الفارسي: **انه لما استخرج أمير المؤمنين من منزلة خرجت فاطمة حتى انتهت إلى القبر فقالت: خلوا عن ابن عمي فو الذي بعث محمدا بالحق لئن لم تخلوا فدخلت في خياشيمنا»**[2].

ماهي الاسباب التي تؤدي بالسيدة فاطمة بهذا الاصرار والمتابعة بالمطالبة بفدك وهي التي تتمتع بعلو النفس وسمو المقام؟

ان مصادرة السلطة فدك وجعلها في ميزان الدولة لهدف منها تضعيف جانب أهل البيت عليهم السلام حيث انهم حاربوا عليا حرب اقتصادية وارادو منه ان يكون فقيرا حتى لا يلتف الناس حولة، وهذه سياسة المنافقين حيث أرادوا تنفيذها بحق رسول الله صلى الله عليه وآله حين قالوا ﴿ **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا** ﴾[3].

اما الامر الاخر ان مطالبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بفدك كان ورائها المطالبة بالخلافة والسلطة لزوجها، تلك الولاية الكبرى والسلطة العامة التي كانت لأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله[4].

روى عن الإمام الصادق عليه السلام ان السيدة فاطمة جاءت إلى أبي بكر بأمر من الامام أمير المؤمنين عليه السلام وقالت له: «**ادعيت مجلس أبي وإنك خليفته، وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك واستوهبتها منك لوجب عليك ردها علي، فقال: صدقت، ودعا بكتاب فكتب فيه بإرجاع فدك، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟ قالت له كتاب كتب لي ابو بكر برد**

(١) كوماري جايا، النسوية والقومية في العالم الثالث: ص ٩٥.
(٢) المجلسي، بحار الانوار: ج٤٣ ص ٤٧.
(٣) سورة المنافقون: الآية ٧.
(٤) القزويني، فاطمة من المهد للحد: ص ٢٩٠.

فدك، فقال: هلميه الي فأبت ان تدفعه الية، فرفسها برجلة.. .. .. ثم لطمها ثم اخذ الكتاب فخرقة، فقالت: بقرت كتابي بقر الله بطنك»[1].

بالإضافة إلى خطبة عليها السلام في نساء المهاجرين والانصار، لما مرضت السيدة فاطمة الزهراء اجتمع اليها نساء الانصار والمهاجرين يعدنها، ان السيدة فاطمة انتهزت الفرصة واستغلت اجتماعهن عندها لتضع النقاط على الحروف وتكتب في التاريخ الاعمال الشنيعة التي قام بها المسلمين اتجاه نبيهم وذريته حيث ان النساء يشكلن نصف المجتمع او أكثر من نصف المجتمع وان كل امرأة مرتبطة برجل اب او زوج او ابن او اخ فيمكن لها ان تقوم بدور فعال في المجتمع وخصوصا في الاعلام والنشر والدعاية.

قلن لها: كيف اصبحت من علتك يا ابنة رسول الله؟

هكذا هي العادة ان يسال المريض عن علته وصحته ويجيب المريض عن الالم والمرض الذي يشعر به، ولكن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم تجب عن تدهور صحتها ومرضها، بل اجابتهن عن مصائبها الشخصية وآلامها النفسية، فالتحدث عن هذه الامور اوجب واولى من التحدث عن الصحة واحوالها لان تلك المصائب هي التي جرت المرض والعلة على السيدة فاطمة الزهراء وسلبتها الصحة والعافية فان التحدث عن السبب يكون اولى من التحدث عن المسبب وان الاخبار عن العلة هو افضل من الاخبار عن المعلول[2].

المطلب الثالث: حق التعليم للمرأة

جاء في كتاب (تعليم المرأة المسيحية) للكاتب جوان لوي نقلا عن كتاب النسوية وما بعد النسوية (لا يلق بالمرأة ان تعمل على ادارة مدرسة ويجب ان لا تعيش في وسط الرجال ويجب عليها ان لا تتحدث في الخارج وان لا تنقض عنها صدقها وحياءها سواء بصورة جزئية او كلية، فان المرأة الصالحة يجب عليها ان تبقى في البيت، وان لا يعرفها الاخرون، وان كانت بين الناس يجب عليها مسك لسانها حياء، وان لا يراها ولا يسمعها الا قليلون، لان ادم هو اول من خلق وبعدة حواء وان ادم لم يقع في الخطيئة واما المرأة هي التي خالفت الوصية الالهية ووقعت في الخديعة، وان المرأة كائن هش قليلة الحصافة ويسهل خداعها، وهذا هو ما ظهر على حواء ام البشر عندما اغواها الشيطان بحجة واهية، لهذا السبب يجب على المرأة ان لا تكون معلمة لأنها لو امنت او اعتقدت بشيء خاطئ تنشره بين

(١) المقرم، وفاة الصديقة الزهراء: ص ٧٨، نقلا عن كتاب فاطمة الزهراء مهجة قلب الرسول، الرحمن الهمداني: ج١ ص ٥٢٧.

(٢) القزويني، فاطمة من المهد الى اللحد: ص ٤٤٢.

السامعين[1].

ان فاطمة الزهراء عليها السلام كانت سباقة في هذا المجال وهي العالمة كانت مهمتها تعليم وارشاد الناس وهذه من اولويات اعمالها، وبالرغم من قصر المدة الزمنية التي عشتها الا انها قد تركت موروثات قد انتفع بها المسلمين ولم يكن اسلوب تبليغها على نمط واحد بل اختلف عدد الانماط والطريق في تبليغها، حيث انها كانت علاقتها مباشرة مع النساء من خلال تعليمهن امور دينهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وآله ان ارد ان يبلغ حكما معين يختص بالنساء فانه يامر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ببيان وتوضيح الامر لهن عن علي عن ابيه عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن زرارة قال: سألت ابا جعفر عليه السلام عن قضاء الصلاة بالنسبة للحائض قضاء الصوم قال عليه السلام: «**لَيْسَ عَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ الصَّلاةَ وَعَلَيْهَا أَنْ تَقْضِيَ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ** ثم قال وقال: **ان رسول الله كان يأمر فاطمة الزهراء بذلك وكانت تامر بذلك المؤمنات**»[2].

وكانت عليها السلام مرجع للنساء في الاجابة عن اسلتهن وفض خصومتهن عن أبي محمد العسكري قال: «**قَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام وَقَدِ اخْتَصَمَ إِلَيْهَا امْرَأَتَانِ فَتَنَازَعَتَا فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ إِحْدَاهُمَا مُعَانِدَةٌ وَالأُخْرَى مُؤْمِنَةٌ فَفَتَحَتْ عَلَى الْمُؤْمِنَةِ حُجَّتَهَا فَاسْتَظْهَرَتْ عَلَى الْمُعَانِدَةِ فَفَرِحَتْ فَرَحاً شَدِيداً فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام إِنَّ فَرَحَ الْمَلائِكَةِ بِاسْتِظْهَارِكِ عَلَيْهَا أَشَدُّ مِنْ فَرَحِكِ وَإِنَّ حُزْنَ الشَّيْطَانِ وَمَرَدَتِهِ بِحُزْنِهَا أَشَدُّ مِنْ حُزْنِهَا**»[3].

عن أبو محمد العسكري عليه السلام: **حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، فثنت فأجابت ثم ثلثت إلى أن عشرت فأجابت ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله، قالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكترى يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه ما وكراؤه مائة ألف دينار، أيثقل عليه؟ فقالت: لا.**

فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا فأحرى أن لا يثقل علي، سمعت أبي رسول الله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم، وجدهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة

(١) جامبل، النسوية وما بعد النسوية: ص ٢٧.
(٢) الكليني، الكافي: ج٣ ص ١٠٤.
(٣) المجلسي، بحار الانوار: ج٢ ص ٨.

من نور[1].

نجد ان نشاط السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كان فعالاً في داخل مجتمعها اذ كانت في تماس مباشر مع افراده، وانشات علاقات طيبة ومتواصلة فيما بينها وبين من حولها. اذ كانت (يغشاها نساء المدينة وجيرانها في بيتها) واصبحت دارها المدرسة الاولى لتعليم النساء المؤمنات اللواتي كن يقصدنها في حل ما يشكل عليهن من الاحكام الشرعية والمعارف الالهية، فتستقبلهن بصدر رحب لا يعرف الملامة ولا السأم، ان السيدة فاطمة الزهراء كانت المربية والمعلمة للنساء والرجال ايضا من خلال نسائهم فقد جاء عن الامام الحسن العسكري قال: **قال رجل لأمراته: اذهبي إلى فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فسليها عني: انا من شيعتكم او لست من شيعتكم؟**

فسالتها، فقالت عليها السلام: قولي له «ان كنت تعمل بما امرناك وتنتهي عما زجرناك عنه، فانت من شيعتنا والا فلا».

فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلتي ومن ينفك من الذنوب والخطايا، فانا اذن خالد في النار، فان من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار، فرجعت المرأة فقالت لفاطمة عليها السلام ما قال زوجها...

فقالت فاطمة عليها السلام قولي له: «**ليس هكذا فان شيعتنا من خيار اهل الجنة، وكل محبينا وموالي اوليائنا ومعادي اعدائنا، والمسلم بقلبة ولسانه لنا ليسوا من شيعتنا اذا خالفوا اوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعد ما يطهرون من ذنوبهم بالبلايا والرزايا او في عرصات القيامة بأنواع شدائدها، او في الطيف الاعلى من جهنم بعذابها، إلى ان تستنقذهم بحبنا منها وننقلهم إلى حضرتنا**»[2].

ولقد جاءها من يسألها علماً، فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عندك شيء تطرفينيه (تعطيني إياه)، فقالت: «**يا جارية** (تقصد فضَّة) **هاتي تلك الحريرة أو** (الجريدة التي كانت تكتب عليها)، فطلبتها فلم تجدها، فقالت: **ويلكِ اطلبيها، فإنَّها تعدل عندي حسناً وحسيناً، هذا تراث رسول اللَّه صلى الله عليه وآله**، فطلبتها فإذا هي قد قممتها في قمامتها، فإذا فيها، قال النبي صلى الله عليه وآله: «**ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه (أذاه..) ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيراً، أو يسكت**»[3].

---

(١) المصدر نفسه: ج٢ ص ٣.

(٢) تفسير الامام الحسن العسكري: ص ٣٠٨.

(٣) المجلسي، بحار الانوار: ج٦٧ص ٢٥٩ .

إنَّ اللهَ تعالى يحبّ الخيِّر الحليم المتعفِّف، ويبغض الفاحش الظِّنِّين البذَّاء السئَّال الملحف (الذي يلحف في السؤال) إنَّ الحياء من الإيمان والإيمان في الجنَّة، إنَّ الفحش من البذاء، والبذاء في النار[1].

(١) العاملي، مأساة الزهراء: ج١ ص ١١٤.

الخاتمة

١- ان النسوية ظهرت للمطالبة بحقوق النساء في الزواج وتربية الابناء والتعليم وحق الاقتراع والمشاركة في العمل والامور السياسية وان جميع هذه الامور قد جاء بها الإسلام قبل ألف واربعمائة سنة.

٢- ان فكرة النسوية تتمحور حول رفض فكرة الانوثة للمرأة ووجوب التخلص منها والتشبه بالرجل وبالتالي التخلص من الرغبة في الزواج والامومة وبهذا تكون المرأة مجردة من الانوثة وهذه الفكرة تتعارض مع غريزة المرأة فطرتها ومع ما جاء به الإسلام.

٣- تطالب النسوية في المساواة بين الرجل والمرأة في العمل وبحسب راي النسوية ان ربات البيوت لا هدف شخصي لديهن بسبب تكريس حياتهن لتربية ابنائهن والاهتمام بأزواجهن.

٤- قد ناقشت النسوية الحقوق السياسية للمرأة ومنها حق الاقتراع والترشيح وقد سبقت فاطمة الزهراء عليها السلام الحركة النسوية من خلال مواجهة السلطة الغاصبة للمطالبة بحق زوجها في السلطة وحقها في الارث من خلال تقديم الحجج والبراهين باستخدام الاسلوب العقلي والمنطق.

٥- كانت تعاني المرأة في ظل حكم الكنيسة للقمع والظلم من خلال منعها في التعليم وطلب العلم ولكن في الإسلام نجد ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حث على طلب العلم والتعلم وان نشاط السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في تعليم نساء المسلمين وايضا رجالهم عن طريق النساء كان له دور مهم حيث أصبح دار فاطمة عليها السلام المدرسة الاولى لتعليم النساء المعارف الالهية والاحكام الشرعية.

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، مقايس اللغة، تحقيق: عبد السلام أحمد هارون (دار الفكر – بيروت، ١٩٧٩م).
- الامام الحسن العسكري عليه السلام، تفسير الامام الحسن العسكري، تحقيق: مؤسسة الامام المهدي (مؤسسة الامام المهدي – بلا، ط ١ ١٤٠٩هـ).
- الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة دراسات ومناقشات (مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت، ط ١ ١٩٩١م).
- جامبل، سارة، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة: أحمد الشامي (المجلس الاعلى للثقافة – القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م).
- الخضري، انور قاسم، الحركة النسوية في اليمن تاريخها وواقعها، سلسله أصدر من مجله البيان.
- الخولي، يمنى طريف، النسوية وفلسفة العلم (مؤسسة هنداوي سي اي سي– المملكة المتحدة، ٢٠١٧م).
- الرحبي، مية، النسوية مفاهيم وقضايا (دمشق – الرحبة، ٢٠١٤م، ط ١).
- رودكر، نرجس، الحركة النسوية: مفهومها اصولها النظرية وتياراتها الاجتماعية، ترجمة: هبة ظافر (المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية – دمشق، ٢٠١٩م).
- الصفار، حسن، شخصية المرأة (المركز الثقافي العربي – المغرب، ط ١، ٢٠٠٣م)
- طنطاوي، هند محمود – شيماء طنطاوي، دليل النسوية النسائية (نظرة للدراسات النسوية – بلا، ط١، ٢٠١٦م.
- العاملي، جعفر مرتضى، مأساة الزهراء (دار السيرة – بيروت، ١٩٩٧م).
- العتبة الكاظمية المقدسة، فاطمة الزهراء انموذج المرأة المسلمة (قسم الشؤون الفكرية والثقافية –شعبة البحوث والدراسات الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة –١٤٣٥هـ).
- الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، العين (دار مكتبة الهلال – بيروت، ط ٢).

- فريدان، بيتي، اللغز الانثوي، ترجمة: عبد الله بديع فاضل (دار الرحبة – سوريا، بلا).
- القريشي، حيدر مهدي، سخافة النسوية (لا توجد معلومات طبع كتاب الالكتروني – ٢٠١٣)
- القزويني، محمد كاظم، فاطمة من المهد الى اللحد (قم –المطبعة العلمية، ١٤١٤ه).
- الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري (دار الكتب الإسلامية – طهران، بلا).
- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، (مؤسسة الوفاء – بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م).
- مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (مكتبة الشروق – القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م).
- المدرسي، محمد تقي، المرأة في المجتمع الإسلامي (دار صادق –الكويت، ط ١، ١٣٧٩ه)
- الهمداني، الرحمن، فاطمة الزهراء مهجة الرسول (مؤسسة البدر – بلا، ١٩٩٠م).
- واردينا، كوماري جايا، النسوية والقومية في العالم الثالث، ترجمة: ضحوك رقية – عبد الله فاضل (دمشق – الرحبة، ٢٠١٦م، ط ١).

الاستدلال بمواقف فاطمة (عليها السلام)

في ابطال نظرية عدالة الصحابة

(دراسة تاريخية)

الباحثة: رؤى محمد عبد العزيز

المقدمة

الحمد لله وصلى الله على محمد وأهل بيته الغر الميامين، شكلت حياة أهل البيت النبوة اعظم نموذج نقلته كتب السير وخصوصا انهم قد اوصت السماء بهم فكانت حياتهم منار يُحتذى لمن يريد الله والنجاة في اليوم الأخر ومن هذه المنارات سيدتنا فاطمة عليها السلام كونها مثلت النموذج الالهي للمرأة في الارض والحجة على النساء فضلا عن الرجال لذا اتخذتُ مواقف من سيرتها ليس للسرد التاريخي، وان كان له أهمية لكني وطنت هذا السرد لإثبات ان سيرة المعصوم تكون هي حجة في المسائل العقائدية والخلافية بما اتفق عليه الفريقان ومن هذا الخلاف هو نظرية عدالة الصحابة التي شغل الفكر الإسلامي بين الاثبات والنقض واتخذ اهل السنة والجماعة من اثبات العدالة ذريعة لرد اي قدح او نقد للرعيل الاول من المسلمين، وإنبرى الشيعة للرد والنقض بكل مسألة يطرحها مُتبني هذه الفكرة ومنذ قدم نشوئها اما في هذا الوقت ألفوا كتب اذكر منها كتاب (عدالة الصحابة للشيخ محمد السند)[1] وكتاب (نظرية عدالة الصحابة للمستبصر الاردني المحامي أحمد حسين يعقوب)[2]، وأما هذا البحث فقد وظفتُ سيرة فاطمة عليها السلام بمواقف لها تُثبت انها غير راضية على مواقف بعض الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وبما انها ميزان من موازين الحق بما سنثبته لاحقا ثبت الدعوى بوهن هذه النظرية ان الصحابة جميعهم عدول، حيث كانت خطه البحث من اربع مباحث الاول في تعريفات العنوان والثاني في اثبات انها ميزان من موازين الحق الذي يقاس عليه الحق من الباطل والثالث بينا مواقف بعض الصحابة بعد الرسول وتأتي اهمية هذا المبحث لما بعده لبيان سبب مواقفها عليها السلام من الصحابة وجعلنا مواقفها هو

(١) الشيخ محمد السند من اساتذة البحث الخارج حاصل على الاجتهاد، بحراني ولد ١٣٨٢هـ المنامة بالبحرين. وبعد إكماله الدراسة الثانوية سافر للدراسة في لندن، فأتم الدراسة التأهيلية للهندسة، في عام ١٤٠٠هـ توجه للدراسة الدينية في قم. ومؤخراً يسكن النجف، ويمارس التدريس في جامع عمران بن شاهين. مكتب المرجع الديني الشيخ السند، السيرة الذاتية،

https: //m-sanad.com/?page_id=57-15/7/2024

(٢) أحمد حسين يعقوب من الأساتذة والشخصيات الشيعية البارزة في الأردن، تأثر بنهضة الإمام الحسين عليه السلام ضد الحكم الأموي الجائر، فرغب إلى مذهب التشيع الحق، وبعد الكثير من البحث والدراسة، وخاصة بعد مطالعة كتاب «المراجعات» القيّم من تأليف العلامة شرف الدين، وجد ضالته، واعتنق المذهب الشيعي الحق توفي سنة ٢٠٠٧م.

https://www.islam4u.com/ar/authors/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D9%8A%D8%B9%D9%82%D9%88%D8%A8-16/7/2024

المبحث الرابع وانهينا هذا البحث بالخاتمة وقد تعمدت على الاستشهاد بمراجع ومصادر ابناء العامة ما استطعت للإلزام والاثبات.

خاتمة كلامي برجاء القبول والعفو عن التقصير الذي هو من سنن الطبع الإنساني وإذا اصاب سهم بحثي من كبد الحقيقة شي فهو من توفيقه ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾[1].

(١) سورة هود: الآية ٨٨.

المبحث الأول: في التعريف بمفردات العنوان ومفهوم عدالة الصحابة

المطلب الاول: الموقف لغة واصطلاحاً

تعريف الموقف لغة

قال الراغب: «وموقف الإنسان حيث يقف»[1]، وقال الفيروز آبادي «وقف يقف وقوفاً: دام قائماً، والموقف محل الوقوف»[2].

تعريف الموقف اصطلاحاً

افضل تعريف بما يناسب هذا البحث هو ما جاء عن علم النفس الاجتماعي في تعريف هذه المفردة «الموقف هو مجموعة من العواطف والقيم والتصرفات نحو شيء أو شخص أو فعل أو حدث معين، وغالبًا ما تكون المواقف ناتجة عن التجارب المتكررة للشخص أو التنشئة التي يعيش بها الشخص، ويمكن أن يكون لها تأثير قوي على السلوك الإنساني، وبينما تستمر هذه المواقف فإنها يمكن أن تتغير أيضًا»[3].

المطلب الثاني: العدالة لغة واصطلاحاً

تعريف العدالة لغة

ذكر الرازي قوله: «العدل ضد الجور، يقال: عدل عليه في القضية من باب ضرب فهو عادل وبسط الوالي عدله ومعدلته بكسر الدال وفتحها وفلان من أهل المعدلة بفتح الدال أي من أهل العدل ورجل عدل أي رضا ومقنع في الشهادة وهو في الأصل مصدر وقوم عدل وعدول أيضا وهو جمع عدل وقد عدل الرجل من باب ظرف»[4]، أما الفيروز آبادي قال: «العدل: ضد الجور وما قام في النفوس أنه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة. عدل يعدل فهو عادل من عدول وعدل بلفظ الواحد

(١) مفردات القرآن: ص٥٣٠.
(٢) القاموس المحيط: ص١١١٢.
(٣) انظر علم النفس الاجتماعي، وليم لامبرت، دار الشروق القاهرة.
(٤) مختار الصحاح: ص٢٢٠.

وهذا اسم للجمع. رجل عدل وامرأة عدل وعدلة. وعدل الحكم تعديلا: أقامه وفلانا: زكاه والميزان: سواه. والعدلة محركة وكهمزة: المزكون أو كهمزة للواحد وبالتحريك للجمع. وعدله يعدله وعادله: وازنه»[1].

تعريف العدالة اصطلاحاً

عرفها ابن الحاجب[2] بقوله: «العدالة: هي محافظة دينية تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ليس معها بدعة، وتتحقق باجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر وبعض المباح كاللعب بالحمام والاجتماع مع الأراذل والحرف الدنية مما لا يليق به ولا ضرورة»[3]، وعرفها الحافظ ابن حجر[4] بقوله: «المراد بالعدل من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة»[5]، اما السيد محمد كاظم اليزدي[6] قال: «العدالة عبارة عن ملكة إتيان الواجبات وترك المحرمات وتعرف بحسن الظاهر الكاشف عنها علماً أو ظناً وتثبت بشهادة العدلين وبالشياع المفيد للعلم»[7].

(١) القاموس المحيط، ج٤، ص١٣.

(٢) جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر المالكي بن يونس الدويني الأسنائي المعروف باسم ابن الحاجب هو فقيه مالكي كردي من إسنا، درس العلوم الإسلامية في القاهرة وكان أيضًا مقرئًا وأصوليًا نحويًا توفي سنة ٦٤٦هـ.سيرة اعلام النبلاء، الذهبي، ج٢٣، ص٣٦٤.

(٣) مختصر منتهى الأصول، ج٢ ص٦٣.

(٤) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني المُكنى بابن حجر االعسقلاني مُحدِّث وعالم توفي سنة٨٥٢هـ.

https: //islamonline.net/%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%AD%D8%AC%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%8A/20/7/2024

(٥) نزهة النظر شرح نخبة الفكر: ص٢٩.

(٦) السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، من فقهاء الشيعة والذي ألّف كتاب العروة الوثقى، وتصدّى لمرجعية الشيعة، وذلك بعد وفاة الميرزا الشيرازي. كان فقيها أصولياً ومحققا مدققاَ. انصرف إلى التدريس والتأليف وكان لغوياً متقناً فصيحا قيماً بالعربية والفارسية ينظم وينثر فيهما جيد النقد قوي التمييز توفي سنة ١٣٣٧هـ. العروة الوثقى والتعليقات عليها، مؤسسة السيد اليزدي: ص٩.

(٧) العروة الوثقى: ج١ ص٢٧٠.

المطلب الثالث: الصحابي لغة واصطلاحاً

تعريف الصحابي لغة

ذكر ابن فارس[١] في كتابه في معجم مقاييس اللغة قوله: «(صحب) الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شئ ومقاربته من ذلك الصاحب والجمع الصحب كما يقال راكب وركب ومن الباب أصحب فلان إذا انقاد وأصحب الرجل إذا بلغ ابنه وكل شيء لاءم شيئا فقد استصحبه»[٢]، اما الرازي في كتابه مختار الصحاح في باب (صحب) قال: «وأصحبه الشيء جعله له صاحبا واستصحبه الكتاب وغيره وكل شيء لاءم شيئا فقد استصحبه»[٣]. لذا عرف ابن الاثير[٤] في كتابه جامع الاصول الصحابي بما هو مأخوذ من اللغة بقوله: «وعرفاً: هو من طالت صحبته وكثرت ملازمته على سبيل الإتباع»[٥].

تعريف الصحابي اصطلاحاً

عرف البخاري[٦] في كتابه الصحيح للصحابي بقوله: «من صحب النبيﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»[٧]، وقال ابن الصلاح[٨] في كتابه علوم الحديث: «وبلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي[٩] أنه قال: «أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثا أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبيﷺ أعطوا كل من رآه حكم الصحبة»[١٠]. وهذا ما غلب على تعريف المحدثين أما تعريف الاصوليين فقد زادو شروط كما

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي لُغَوِيّ وإمام في اللغة والأدب توفي سنة ٣٩٥هـ.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا: ج ٣، ص٣٣٥.

(٣) مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر: ص١٨٩.

(٤) ابن الاثير عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري، من أبرز المؤرخين المسلمين توفي ٦٣٠هـ.

(٥) جامع الأصول، ابن الأثير: ج١، ص٧٤.

(٦) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري هو أحد كبار الحفّاظ الفقهاء من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل عند أهل السنة والجماعة توفي سنة ٢٥٦هـ.

(٧) صحيح البخاري، البخاري: ج ٧، ص٣ (كتاب: فضائل الصحابة).

(٨) الحافظ العلامة تقي الدين أبو عمرو عثمان بن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي، توفي سنة ٦٤٣هـ.

(٩) هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، الحنفي كان، ثم الشافعي، الف في الفقه والحديث والتفسير والاصول توفي سنة٤٨٩هـ.

(١٠) مقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري: ص٢٩٣.

نقل الزركشي[١] في كتابه البحر المحيط في اصول الفقه للسمعاني قوله: «وقال ابن السمعاني: هو من حيث اللغة والظاهر من طالت صحبته مع النبي صلى الله عليه وآله، وكثرت مجالسته له، وينبغي أن يطيل المكث معه على طريق التبع له، والأخذ عنه، ولهذا يوصف من أطال مجالسة أهل العلم بأنه من أصحابه ثم قال: هذه طريقة الأصوليين»[٢].

المطلب الرابع: نظرية عدالة الصحابة

عرّفوا هذا المفهوم بأن الصحابة لا يتعمدون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، لما اتصفوا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى، والمروءة، وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور. وليس معنى عدالتهم أنهم معصومون من المعاصي أو من السهو أو الغلط فإن ذلك لم يقل به أحد من أهل العلم[٣]. وهذا عند اهل السنة والجماعة بأجماع ذكر ابن عبد البر[٤] قائلًا: «قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحقّ من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلَّهم عدول»[٥]، تكلم عبد الملك الجويني[٦] قائلًا: «أما التوقف في تعديل كل نفر من الذين لابسوا الفتن، وخاضوا المحن، ومتضمن هذا، الإنكفاف عن الرواية عنهم، فهذا باطل من دين الأمة، وإجماع العلماء على تحسين الظن بهم، وردهم إلى ما تمهد لهم من المآثر بالسبل السابقة، وهذا من نفائس الكلام»[٧]، وقال الغزالي[٨]: «والذي عليه سلف الأمة وجماهير الخلف أن عدالتهم معلومة بتعديل الله عز وجل إياهم وثنائه عليهم في كتابه، فهو معتقدنا فيهم، إلا أن يثبت بطريق قاطع ارتكاب واحد لفسق مع علمه به، وذلك مما لا يثبت فلا حاجة لهم إلى التعديل»[٩]، اما عثمان الشهرزوري قال: «للصحابة بأسرهم خصيصة وهي انه لا يسأل عن عدالة أحد منهم بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم علي الاطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من

(١) بدر الدين الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بَهَادُر بن عبد الله الزَّرْكَشِيِّ المصري، هو فقيه شافعي، أصولي ومحُدث، له مؤلفات في علوم كثيرة توفي سنة ٧٩٤هـ.

(٢) البحر المحيط في اصول الفقه، الزركشي: ج١ ص١٩١.

(٣) انظر كتاب: عدالة الصحابة رضى الله عنهم ودفع الشبهات، عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني: ص١٧.

(٤) ابو عمر يوسف بن عبد الله النمري المعروف بأبن عبد البرإمام وفقيه مالكي ومحدث ومؤرخ أندلسي، له العديد من التصانيف توفي سنة ٤٦٣هـ.

(٥) الاستيعاب، ابن عبد البر: ج١ ص٢٣.

(٦) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين توفي سنة ٤٧٨هـ.

(٧) البرهان فى أصول الفقه، ابو المعالي الجويني: ج١ ص٢٤٢.

(٨) ابو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري: صوفي شافعي اشعري أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في وكان فقيهاً وأصولياً توفي سنة ٥٠٥هـ.

(٩) المستصفى، الغزالي: ص١٣٠.

يعتد به في الاجماع من الأمة»[١]، وذكر ابن أبي العز الحنفي قول الطحاوي[٢]: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم. ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم. ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان»[٣]، وفي ذلك تكلم الذهبي[٤] في كتابه الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم قائلًا: «فأما الصحابة فبساطهم مطوي، وإن جرى ما جرى، وإن غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات، فما يكاد يسلم أحد من الغلط. لكنه غلط نادر لا يضر أبداً، إذ على عدالتهم، وقبول ما نقلوه، العمل، وبه ندين الله تعالى»[٥]، وكذا الشيخ عبد الرحيم العراقي[٦] في كتابه شرح التبصرة والتذكرة قال: «ثمَّ إنَّ جميعَ الأمةِ مُجْمِعَةٌ على تعديلِ مَنْ لم يلابسِ الفتنَ منهم. وأما مَنْ لابسَ الفتنَ منهم – وذلك من حينِ مقتلِ عثمانَ – فأجمعَ مَنْ يُعتدُّ بهِ أيضاً في الإجماعِ على تعديلِهم إحساناً للظنِّ بهم، وحملاً لهم في ذلكَ على الاجتهاد»[٧]، ايضاً ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه الاصابة قائلاً: «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة»[٨]، ونختم هذا المطلب بقول الآلوسي[٩] في كتابه بقوله: «اعلم ان اهل السنة الا من شذ اجمعوا على ان جميع الصحابة عدول يجب على الامة تعظيمهم»[١٠].

(١) مقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري: ص١٧٦.
(٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ الطحاوي، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر توفي سنة ٣٢١هـ.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي: ص٤٦٧.
(٤) أبو عبد الله شمس الدّين مُحَمَّد بن أحمد بن عُثمان الذَّهَبِيّ هو مُحدث وإمام حافظ ومؤرخ مسلم توفي سنة٧٤٨هـ.
(٥) الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم، الذهبي: ص٢٤.
(٦) الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي الشافعي شيخ الحديث في مصر توفي سنة ٨٠٦هـ.
(٧) شرح التبصرة والتذكرة، عبد الرحيم العراقي: ج٢ ص١٣٠.
(٨) الإصابة، ابن حجر العسقلاني: ج١ ص١٦٢.
(٩) محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي مفسر، ومحدث، وفقيه، وأديب، وشاعر توفي سنة ١٢٧٠هـ.
(١٠) كتاب الأجوبة العراقية على الاسئلة اللاهورية: ص١١.

المبحث الثاني: فاطمة عليها السلام ميزان الحق

يعتبر هذا المبحث من عماد البحث حيث بأثباته تثبت الباحثة بطلان نظرية عدالة الصحابة بما سيأتي لاحقا ويحتوي على ثلاث مطالب يُأصل فيه هذا المفهوم.

المطلب الاول: فاطمة عليها السلام في القران

الفقرة الاولى: آية التطهير

قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾[1]

حيث تواترت نزول هذه الآية في ال بيت النبي وهي تدل على العصمة لان الله ابعد عنهم الرجس وفعل القبيح روى الحاكم[2] في كتابه المستدرك بسنده عن عبدالله بن جعفر أبي طالب عن أبيه قال: «لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة قال: **ادعوا لي ادعوا لي**، فقالت صفية: من يا رسول الله؟ قال: **أهل بيتي عليا وفاطمة والحسن والحسين**، فجيئ بهم فألقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله كساءه ثم رفع يديه ثم قال اللهم هؤلاء آلى فصل على محمد وعلى آل محمد وانزل الله عز وجل ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾»[3]، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد وذكر الترمذي[4] في سننه عن أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وآله جلل على الحسن والحسين وعلى وفاطمة كساء ثم قال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: **إنك على خير**»[5]. وقال هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٣.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري من كبار المحدّثين. اشتهر بكتابه «المستدرك على الصحيحين» تولى السفارة بين ملوك بني بويه وبين السامانيين فأحسن السفارة توفي سنة ٤٠٥هـ.

(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٤٨.

(٤) أبو عيسى التِّرْمِذِي هو محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي، أبو عيسى. مصنّف كتاب الجامع المعروف بسنن الترمذي، حافظ للحديث، توفي سنة ٢٧٩هـ.

(٥) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٣٦١.

الفقرة الثانية: آية المباهلة

قال تعالى: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾[1]

اخرج مسلم[2] في صحيحه بسنده عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسب أبا التراب فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي **يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان** فقال له رسول الله ﷺ **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي.**

وسمعته يقول يوم خيبر **لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.** قال فتطاولنا لها فقال: **ادعوا لي عليا.** فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال **اللهم هؤلاء أهلي**»[3].

وقد ذكر الترمذي في سننه هذا الحديث[4]، اما الطبراني[5] في كتابه التفسير الكبير في تفسير هذه الآية قال: «وقد خرج بنفر من أهله محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن؛ وفاطمة تمشي على إثرهم وعليّ بعدها وهو يقول لهم: **إذا أنا دعوت فأمّنوا.** فقال واحد من النّصارى: واللهّ إنّي لأرى وجوها لو سألوا اللهّ أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله»[6].

---

(١) سورة آل عمران: الآية٦١.

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَرْدٍ بن كوشاذ القشيري النيسابوري، هو من أهم علماء الحديث النبوي عند أهل السنة والجماعة، وهو مصنف كتاب صحيح مسلم الذي يعتبر ثاني أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري وهو أحد كبار الحفّاظ توفي سنة ٢٦١هـ.

(٣) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٧ ص١٢٠.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٣٠١.

(٥) أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشامي الطبراني، وسمي الطبراني نسبة إلى طبرية الشام قصبة كورة الأردن هو أحد رواة الحديث المشهورين وعلمائه توفي سنة٣٦٠ هـ.

(٦) التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم)، الطبراني: ج٢ ص٦٤.

الفقرة الثالثة: آية دعوة ادم للتوبة

قال تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾[1].

ذكر الحاكم في كتابه شواهد التنزيل في تفسير هذه الآية بسنده قال: «عن سعيد بن جبير: عن عبد الله بن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: **سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي. فتاب عليه**»[2]. وفي هذا السند ذكره المغازلي[3] الشافعي في كتابه مناقب أهل البيت عليهم السلام[4].

المطلب الثاني: فاطمة عليها السلام في حديث الرسول صلى الله عليه وآله

الفقرة الاولى: أن فاطمة سلام الله عليها بضعة من النبي.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**فاطمة بضعة منى يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها**»

ذكر هذا الحديث أحمد بن حنبل[5] في مسنده[6] اما البخاري في صحيحه بسنده عن رسول الله قال: «**فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني**»[7]. وفي هذا السياق ذكره مثله مسلم في صحيحه[8] والبلاذري[9] في كتابه انساب الاشراف[10] والترمذي في سننه[11] وكذا النسائي[12] في كتابه السنن

(١) سورة البقرة: الآية٣٧.

(٢) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص١٠٢.

(٣) أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن الطيب الجُلاّبي، المعروف بابن المغازلي، الحافظ الشافعي، واسطي المولد والوفاة، فقيه ومؤرخ وشاعر، صنّف في التاريخ والحديث وغيرها توفي سنة٥٣٤هـ.

(٤) ينظر مناقب أهل البيت عليهم السلام، ابن المغازلي: ص١٢٦.

(٥) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني فقيه ومحدِّث مسلم، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي توفي سنة ٢٤١هـ.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل: ج٤ ص٥.

(٧) صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص٢١٠.

(٨) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٧ ص١٤١.

(٩) العلامة، الأديب، المصنف أبو بكر، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري، الكاتب، صاحب كتاب التاريخ الكبير توفي سنة ٢٧٩هـ.

(١٠) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري): ج١ ص٤٣٦.

(١١) سنن الترمذي، الترمذي: ج٥ ص٣٦٠.

(١٢) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار النَّسائي محدِث وقاضٍ، وأحد أئمة الحديث النبوي الشريف، صاحب السنن الصغرى والكبرى، المعروف بسنن النسائي توفي سنة ٣٠٣هـ.

الكبرى[1].

الفقرة الثانية: أن فاطمة سلام الله عليها رضاها وغضبها من رضى الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك**».

روى هذا الحديث المغازلي مسنداً الى الامام علي في كتابة مناقب امير المؤمنين[2] وكذا الحاكم في المستدرك[3] والمتقي الهندي[4] في كتابه كنز العمال[5].

المطلب الثالث: فاطمة عليها السلام والرتبة الوجودية

في هذا المطلب تبين الباحثة بعض مقام فاطمة عليها السلام في دائرة القاعدة المشهور عند المناطقة في قولهم: (حكم الامثال فيما يجوز اولا يجوز واحد) فأذا ثبت حكم في موجود وكان هناك موجود أخر اشترك معه في علته وفصله جرى عليه هذه الحكم والغاية اثبات ذلك بثلاث مقامات لفاطمة عليها السلام يُسري عليها ما ثبت للإمام علي عليه السلام في قول رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**علي مع الحق والحق مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض يوم القيامة**»[6] بفقرات ثلاث وهي (التكافوء، التشابة، والتقابل).

الفقرة الاولى: التكافؤ

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب ما كان لفاطمة كفوء**».

نقل هذا الحديث ابن شهر آشوب[7] في كتابه مناقب آل ابي طالب ونقل نص آخر «**لولاك لما**

(١) السنن الكبرى، النسائي: ج٥ ص٩٧.

(٢) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن المغازلي (تحقيق الرادعي): ص٤١٦.

(٣) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٥٤.

(٤) علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، فقيه حنفي ومحدث توفي سنة ٩٧٥هـ.

(٥) كنز العمال، المتقي الهندي: ج١٢ ص١١١.

(٦)ذكر هذا الحديث ابو جعفر الاسكافي أحد المتكلّمين من المعتزلة البغداديّين، كان من كبار شيوخ الاعتزال توفي سنة ٢٤٠هـ في كتابه المعيار والموازنة: ص١١٩، وكذا أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ، ويُعرَف بابن قتيبة، وهو أحد أعلام القرن الثالث الهجريّ، فهو عالم، وفقيه، وناقد، وأديب لغويّ توفي سنة ٢٧٦هـ في كتابه الامامة والسياسية: ج١، (تحقيق الشيري) ص٩٨، وايضا أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الإمام والعلامة الحافظ الكبير محدث الشام.المتوفي سنة ٥٧١هـ في كتابه تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٢ ص٤٤٩، وذكره الكنجي الشافعي محمّد بن يوسف بن محمّد الگنجيّ الشافعيّ، من أكابر علماء الشافعيّة في أواسط القرن السابع الهجريّ، ذكره أصحاب المعاجم بتعابير تُنْبئ عن علوّ مرتبته عندهم والملقب بالحافظ توفي سنة ٦٥٩هـ في كتابه كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص١١.

(٧) محُمّد بن علي بن شَهر آشوب السرَّوي المازندرانِي المعروف بابن شهر آشوب من فقهاء الشيعة ومحدثيهم في أواخر القرن

كان لها كفو على وجه الأرض»، وروى عن الامام الصادق عليه السلام قال: «**لولا أن الله تعالى خلق أمير المؤمنين لم يكن لفاطمة كفو في وجه الأرض آدم فمن دون**»[1] ونقله الموفق الخوارزمي[2] في كتابه مقتل الحسين عليه السلام[3] وكذا الإربلي[4] في كتابه كشف الغمة في معرفة الأئمة[5].

الفقرة الثانية: التشابه

نقل الراوندي[6] في كتابه مكارم أخلاق النبي والائمة عليهم السلام حادثة زواج الامام علي من فاطمة عليهما السلام ونقل قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**هبط عليّ يقول: يا محمّد، يقول اللّه: زوّج النور من النور، فاطمة من عليّ**»[7]، ونقل مثل ذلك ابن شهر اشهوب في كتابه مناقب آل آبي طالب[8]، وكذا الشيخ حسين بن جبر[9] في كتابه نخب المطالب لآل أبي طالب[10].

الفقرة الثالثة: التقابل

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ** ﴾[11] نقل ابن عقدة الكوفي[12] بسنده الى سلمان الفارسي في كتابه فضائل أمير المؤمنين عليه السلام «عن سلمان في قوله تعالى: ﴿ **مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ** ﴾ قال: علي وفاطمة، ﴿ **بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ** ﴾ قال: النبي صلى الله عليه وآله»[13]، وكذا

الخامس وأوائل القرن السادس للهجرة. له مصنفات كثيرة توفي سنة٥٨٨هـ.

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج ٢ ص٢٩.

(٢) الموفق بن أحمد المكيّ الخوارزمي أديب ومؤلف وفقيه، له شعر وأدب توفي سنة ٥٦٨هـ.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام، الموفق الخوارزمي: ج١ ص١٠٧.

(٤) علي بن عيسى الإربلي، هو مُحدّث ومُؤرّخ وأديب، ومن أعلام الشيعة في القرن السابع الهجري له كتب منها: كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة جامع حسن، استعرض فيه حياة النبي والأئمة توفي سنة٦٩٣هـ.

(٥) كشف الغمة في معرفة الائمة عليهم السلام (المجمع العالمي)، علي بن أبي الفتح الإربلي، ج٢ ص١٩٠.

(٦) قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله الراوندي المعروف «بالقطب الروانديّ» من محدثي ومفسري ومتكلمي وفقهاء وفلاسفة ومؤرخي الشيعة في القرن السادس الهجري توفي سنة ٥٧٣هـ.

(٧) مكارم أخلاق النبي والائمة عليهم السلام، قطب الدين الراوندي: ص١٣٨.

(٨) المناقب، ابن شهر آشوب: ج٣ ص٣٤٦.

(٩) الشيخ ابو عبد اللّه حسين بن جبير و يقال جبر المعروف بابن جبر فاضل عالم كامل جليل، و يروي عن ابن شهرآشوب «قده» بواسطة واحدة، لم تُأرخ وفاته لكنه من العلام القرن السابع.

(١٠) نخب المناقب لآل أبي طالب عليهم السلام، الشيخ حسين بن جبر: ج٢ ص٥٧٠.

(١١) سورة الرحمن: الآية١٩- ٢٠.

(١٢) أحمد بن محمد بن سعيد راوي شيعي المعروف بابن عقدة وكان كوفيا، زيديا، جارورديا وهو ثقة جليل القدر، وهو من مشايخ الكليني. ومات بالكوفة توفي سنة ٣٣٣هـ.

(١٣) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ابن عقدة الكوفي: ص٢١٦.

الخركوشي النيسابوري[١] في كتابه مناحل الشفا ومناهل الصفا[٢]، ومثله ابن مردويه الاصفهاني[٣] في كتابه مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام[٤]، وايضا الحسكاني في كتابه شواهد التنزيل[٥]. قد تبين من هذا المبحث وما ذكرنا من النزر اليسير من فضائل ومقامات فاطمة عليها السلام في هذه المطالب الثلاث انها ميزان للحق بها لا يقبل الشك وان كلامها او افعالها يكون مقياس لذلك.

(١) عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، يكنى بأبي سعد، هو واعظ من فقهاء الشافعية بنيسابور. نسبته إلى «خركوش» سكّة فيها. قال ياقوت: «رحل إلى العراق والحجاز ومصر، وجالس العلماء، وصنف التصانيف المفيدة وجاور مكة عدة سنين، وعاد إلى نيسابور توفي سنة٤٠٧هـ.

(٢) مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى صلى الله عليه وآله: ص٥، عبد الملك الخركوشي النيسابوري: ص٣٠٩.

(٣) أبو بكر أحمد بن موسى بن مَرْدُوَيْه بن فورك بن موسى بن جعفر الأصبهاني محدث أصبهان، وصاحب التفسير الكبير والتاريخ وكتاب الأمالي، وأحد رواة الحديث النبوي، توفي سنة٤١٠هـ.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام، أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني: ص٣٢٨.

(٥) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، ج ٢ ص٢٨٥.

المبحث الثالث: موقف بعض الصحابة من فاطمة عليها السلام

نبين في هذا المبحث ما وقع من الاحداث عليها من الصحابة وفي حضورهم بعد وفاة ابيها صلوات الله عليه وعلى آله حيث بهذا الموقف يتبين سبب المواقف المُتخذ منها اتجاههم بما يثبت دعوانا ونذكر اهم حدثيّن هو كشف دارها وغصب حقها

المطلب الاول: كشف دارها والهجوم عليها

ذكر الدينوري في كتابه الامامة والسياسة فيمن تخلف عن بيعة ابو بكر والذين هم مع الامام علي عليه السلام قال: «فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفسه عمر بيده. لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلا عليا فإنه زعم أنه قال: **حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن**، فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: **لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقا**. فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة»[1]. وذكر البلاذري في كتابه انساب الاشراف قوله: «ان أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر، ومعه فتيلة. فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: **يا ابن الخطاب، أتراك محرّقا عليّ بابى؟** قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك»[2]، ايضا ذكر هذه الرواية ابن عطية في كتابه أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد[3]، روى ابن ابي الحديد[4] المعتزلي عن المسعودي[5] ما يؤكد ذلك وكأنه اصبحت سنة تُحتذا قال: «قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وان يدخلوا في الطاعة،

(١) الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (تحقيق الشيري): ج١ ص٣٠.

(٢) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري): ج١ ص٦١٩.

(٣) كتابه أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، مقاتل ابن عطية: ج٢ ص٣٩٥.

(٤) ابن ابي الحديد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد هو أحد أبرز علماء وكتاب المعتزلة في عصره توفي سنة ٦٥٦هـ.

(٥) ابو الحسن المسعودي هو مؤرخ وجغرافي عراقي عباسي الف المسعودي كتب كتيره عن العلوم والجغرافيه والتاريخ توفي سنة ٣٤٦هـ.

فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبى بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار»[1]. قال سليم بن قيس الهلالي[2] في ذكر امتناع الامام علي عن بيعة ابو بكر قوله: «فوثب عمر غضبان، فنادى خالد بن الوليد وقنفذا فأمرهما أن يحملا حطبًا ونارًا. ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي عليه السلام، وفاطمة عليها السلام قاعدة خلف الباب، قد عصبت رأسها ونحل جسمها في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى: «يا بن أبي طالب، افتح الباب». فقالت فاطمة عليها السلام: «**يا عمر، ما لنا ولك؟ لا تدعنا وما نحن فيه**» قال: «افتحي الباب وإلا أحرقناه عليكم» فقال: «**يا عمر، أما تتقي الله عز وجل، تدخل على بيتي وتهجم على داري**»؟ فأبى أن ينصرف. ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثم دفعه عمر. ضرب الصديقة الطاهرة عليها السلام فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: «**يا أبتاه يا رسول الله**» فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت. فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت: «**يا أبتاه**» فوثب علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بتلابيب عمر ثم هزه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصى به من الصبر والطاعة، فقال: «**والذي كرم محمدا بالنبوة يا بن صهاك، لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي**». فأرسل عمر يستغيث. فأقبل الناس حتى دخلوا الدار. وسل خالد بن الوليد السيف ليضرب فاطمة عليها السلام فحمل عليه بسيفه، فأقسم على علي عليه السلام فكف»[3]. ذكر القاضي عبد الجبار الهمذاني[4] في كتابه المنية والامل قال: «إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: «أحرقوا دارها بمن فيها». وما كان في الدار غير علي، وفاطمة، والحسن، والحسين»[5]، ونقل هذا النص بعينه الشهرستاني[6] في كتابه الملل والنحل[7]. ذكر الجوهري في كتابه السقيفة قول ابو بكر حين وفاته قوله: «أما إني لا آسي إلا على ثلاث فعلتهن، وددت أني لم أفعلهن...،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج٢٠ ص١٤٧.

(٢) ولد في الكوفة قبل الهجرة النبوية بسنتين، وذكر أبان بن أبي عياش أنَّه كان شيخًا صالحًا مشرق الوجه، وكان في حكومة الإمام علي من شرطة الخميس، وشارك في معركة النهروان، وصحب أئمة الشيعة إلى الإمام الباقر توفي سنة٧٦هـ.

(٣) كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي الكوفي: ص٣٨٦.

(٤) القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله المعتزلي الأسدآبادي المولود في أسد آباد- أفغانستان والراجح أنه عربي النسب من همدان. يلقبه المعتزلة بـ«قاضي القضاة» ولا يطلقون هذا اللقب على سواه توفي سنة ٤١٥هـ.

(٥) المنية والأمل، القاضي عبد الجبار الهمذاني: ص١٧٥.

(٦) أبو الفتح الشهرستاني هو أحد علماء أهل السنة والجماعة من الأشاعرة. وله عدد مؤلفات مشهورة في التراث الإسلامي اهمها كتاب الملل والنحل توفي سنة ٥٤٨هـ.

(٧)انظر الملل والنحل الشهرستاني: ج١ ص٥٧.

فوددت أني لم أكن كشفت عن بيت فاطمة وتركته»[1]، وذكر الطبراني في كتابه المعجم الكبير هذا النص بعينه[2].

المطلب الثاني: في غصب ارثها

عن أبي سعيد الخدري[3]، أن الله عز وجل لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** ﴾[4] دعا فاطمة فأعطاها فدكا[5]. روى هذا الحديث القاضي النعمان المغربي[6] في كتابه شرح الاخبار[7]، وكذا الحاكم الحسكاني بسنده في كتابه شواهد التنزيل[8]، والآلوسي في كتابه روح المعاني[9].روى البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة قالت: «ان فاطمة عليها السلام والعباس اتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما ارضه من فدك وسهمه من خيبر فقال أبو بكر سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: **لا نورث ما تركنا صدقة**»[10]، واعاد الحديث في باب المغازي مُضيفاً ان فاطمة عليها السلام هجرته ولم تكلمه بعدها[11]، ونقل هذه الحديث مسلم في صحيحه[12]، وفي ذلك ذكر رد ابو بكر لفاطمة عليها السلام أحمد بن حنبل في مسنده[13] روى عبد الرزاق الصنعاني[14] في كتابه المصنف رد عمر بن الخطاب للإمام علي والعباس واغلظ لهما القول بعد ان

(١) السقيفة وفدك، الجوهري: ص٤٣.

(٢) انظر المعجم الكبير، الطبراني: ج١ ص٦٢.

(٣) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري ولد في السنة العاشرة قبل الهجرة صحابي وأحد المكثرين لرواية الحديث النبوي توفي سنة ٧٤هـ.

(٤) سورة الاسراء: الآية ٢٦.

(٥) هي قرية في الحجاز فيها مزارع وبساتين من نخيل، وأصبحت للمسلمين بعد غزوة خيبر، تعدّ فدك ممّا أفاء الله على رسوله، وذلك أنّ النبي لمّا نزل خيبر فتح حصونها، فأرسل أهل فدك إلى رسول اللهّ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك. فأرض فدك مما لم يُوجَف عليه بخيل ولا ركاب، بل هي خالصة لرسول اللهّ يفعل بها ما يشاء، وكانت تنفق موارد فدك على فقراء بني هاشم وغيرهم من الفقراء كابن السبيل.

(٦) النعمان بن محمد، المعروف باسم القاضي النعمان هو أكبر فقيه إسماعيلي، شغل مناصباً كثيرة في الحكومة الفاطمية مثل قاضي القضاة. كان القاضي مع الفاطميين من أول دعوتهم، وعاصر أربعة من الخلفاء الفاطميين توفي سنة ٣٦٣هـ.

(٧) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ج٣ ص٢٧.

(٨) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني: ج١ ص٤٣٩.

(٩) تفسير الآلوسي، الآلوسي: ج١٥ ص٦١.

(١٠) صحيح البخاري، البخاري: ج٥ ص٢٥.

(١١) انظر كتاب صحيح البخاري، البخاري: ج٥ ص٨٢.

(١٢) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري: ج٥ ص١٥٢.

(١٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل: ج١ ص٦.

(١٤) محمد بن إسماعيل الصنعاني مؤرخ وشاعر ومصنف من أهل صنعاء. هو أحد أئمة اليمن المتأخرين، والذين يعدون من المجتهدين القلائل المتحررين المتبعين للدليل من الكتاب والسنة جنبا إلى صالح المقبلي والحسن الجلال والشوكاني توفي سنة ١١٨٢هـ.

طالبوا بفدك كونها من أرث فاطمة[١]. اما ابن حزم[٢] فقد ذكر في كتابه المحلى ان ابو بكر رد شهادة الامام علي وام أيمن[٣] في فدك[٤]. وذكر السجستاني[٥] في كتابه سنن ابي داود الحديث المروي عن عائشة في رد ابو بكر لميراثها صلوات الله عليها[٦].

ولو أردنا ان نستقصي المصادر كانت بالعشرات مما يدل على ان هذه الحادث هي من المسلمات وأحاديثها متواترات عند طوائف المسلمين جميعا وان برروا للأول موقفه بحجج واهية ليس لها محل ان نبينها في هذا البحث[٧] قال المولى امير المؤمنين عليه السلام في كتاب نهج البلاغة: «**بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين فنعم الحكم الله**»[٨].

(١) انظر كتاب المصنف، عبد الرزاق الصنعاني: ج٥ ص٤٦٩.

(٢) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي القرطبي يعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، وهو إمام حافظ. فقيه توفي سنة ٤٥٦هـ.

(٣) أم أيمن، بركة بنت ثعلبة، من الصحابيات وأم أسامة بن زيد، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنها من أهل الجنة كانت أم أيمن من أوائل المسلمين وشاركت في معركتي أحد وخيبر فكانت تسقي الجرحى وتداويهم. رويت عنها أحاديث في المصادر الروائية.

(٤) انظركتاب المحلى، ابن حزم، ج ٩ ص٤١٥.

(٥) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني المشهور بأبي داود إمام أهل الحديث في زمانه، محدث البصرة توفي سنة ٢٧٥هـ.

(٦) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني: ج٢ ص٢٣.

(٧) نقل الشيخ القمي في تفسيره: ج٢ ص١٥٦، والشيخ الطبرسي في الاحتجاج: ج١ ص١٣٢، «فلما كان بعد ذلك جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: **يا أبا بكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله** فقال أبو بكر: هذا فيئ للمسلمين، فإن أقامت شهودا أن رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين**. قال: لا. قال: **فإن كان في يد المسلمين شئ يملكونه، ثم ادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟** قال: إياك أسأل البينة، قال: **فما بال فاطمة سئلتها البينة على ما في يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده، ولم تسئل المسلمين بينة على ما ادعوها شهودا، كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟** فسكت أبو بكر فقال عمر: يا علي دعنا من كلامك... الى أخر الحديث».

(٨) نهج البلاغة: ص٤١٦ (ما جمعه الشريف الرضي من كلام المولى أمير المؤمنين).

المبحث الرابع: موقف فاطمة عليها السلام في كلامها وافعالها

تضع الباحثة في هذا المبحث الخطوات التى اتخذتها صلوات الله عليها بما لا يدع مجال للشك انها غير راضية عن الصحابة وان موقفها هذا يبطل ما أسسه الخلف لهم في انهم عدول وان نظريتهم هذه انما بُنيت على شفا جرف هار وذلك من خلال مطلبين:

المطلب الاول: موقفها من خلال كلامها

الفقرة الاولى: الخطبة الفدكية

وهي خطبة مشهورة نقلها علماء السير والتاريخ في كتبهم[1] خطبتها في مسجد النبي وبعد وفاته صلى الله عليه وآله على مسامع الصحابة وهي طويله نأخذ منها ما نثبت به الحجة والمدعى.

قالت عليها السلام في مقطع منها: «**فَلَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أَنْبِيائِهِ وَمَأْوى أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين. فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ،**

(١) ترجع هذه الخطبة الى مصدرين اساسيين الاول في كتاب (السقيفة) لأبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري المحدث و الأديب المتوفي سنة ٣٢٣هـ، وكتاب (بلاغات النساء) لأبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الماروزي الكاتب الملقب بإبن طيفور، وهو مؤرخ وأديب وجغرافي مسلم توفي سنة ٢٨٠هـ، ونقل بعض فصولها الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، من أعاظم علماء القرن الرابع الهجري، ومن أشهر المحدثين والفقهاء الشيعة توفي ٣٨١هـ، في كتابه علل الشرائع: ج١ ص٤٨٤، وكذا وكذا أبو سعد بن منصور بن الحسين الأبي من العلماء بالأدب والتاريخ امامي المذهب توفي سنة٤٢٢هـ في كتابه (نثر الدر)، وقد اورد من الخطبة الفصل الثاني والثالث، ونقلها الطبري الشيعي أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الآملي المتوفي ٤١١هـ، في كتابه (دلائل الامامة: ص١١١)، ونقلها السيد المرتضى المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي الملقب ذي المجدين علم الهدي المتوفي ٤٣٦هـ في كتابه (الشافي)، كذانقل الشيخ الطوسي محمد بن الحسن بن علي بن الحسن المعروف بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي. مؤلف كتابين من الكتب الأربعة ومن كبار المتكلمين والمحدثين والمفسّرين والفقهاء الشيعة في كتابه(تلخيص الشافي)، وكذا مقاتل بن عطية من أمراء مغراوة، تزعم مع أخيه زيري بن عطية رئاسة بني خزر في البداوة بالمغرب الأوسط. توفي ٣٧٨هـ في كتابه (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: ج ١ ص٢٨٠)، ووردت عن ابن الاثير في كتابه (منال الطالب) وقد ضمّت الفصلين الاخيرين.وتوالت في ذكرها و الاستشهاد بها الكثير من بعدهم حتى عصرنا الحالي ومن اشهرهم عباس محمود العقاد الأديب والمفكر والصحفي والشاعر المصري توفي سنة ١٣٨٣هـ في كتابه (فاطمة بنت محمد)، ذاكراً الفصل الثاني من الخطبة، نقلاً عن كتاب بلاغات النساء لابن طيفور.

وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[1] فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ»[2].

ومما جاء في خطبتها قالت عليها السلام: «**أَلا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالْغَدْرَةِ التِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ**».[3]

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٩.

(٢) لبيان بعض معاني هذا المقطع من الخطبة ننقل ماشرحه الشيخ المجلسي في كتابه بحار الانوار في ج٢٩، ص٢٧٢ قال: «**ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين**.. الحسيكة: العداوة، قال الجوهري: الحسك: حسك السعدان، الواحدة حسكة، وقولهم في صدره علي حسيكة وحساكة.. أي ضغن وعداوة. وفي بعض الروايات: حسكة النفاق.. فهو على الاستعارة وسمل الثوب - كنصر - صار خلقا والجلباب - بالكسر - الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة وقيل: هو إزار ورداء. وقيل: هو كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها والكظوم: السكوت. ونبغ الشئ - كمنع ونصر - أي ظهر ونبغ الرجل: إذا لم يكن في إرث الشعر، ثم قال وأجاد والخامل: من خفي ذكره وصوته وكان ساقطا لا نباهة له والمراد بـ: الأقلين: الأذلون، وفي بعض الروايات: الأولين. وفي الكشف: فنطق كاظم ونبغ خامل، وهدر فنيق الكفر، يخطر في عرصاتكم.. والهدر: ترديد البعير صوته في حنجرته والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزها هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين.. يقال: خطر البعير بذنبه يخطر - بالكسر - خطرا وخطرانا إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه، ومنه قول الحجاج - لما نصب المنجنيق على الكعبة -.. خطارة كالجمل الفنيق، شبه رميها بخطران الفنيق ومغرز الرأس - بالكسر -: ما يختفي فيه، وقيل: لعل في الكلام تشبيها للشيطان بالقنفذ، فإنه إنما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر فإنه يمد عنقه إليه. والهتاف: الصياح والفاكم.. أي وجدكم والغرة - بالكسر - الاغترار والانخداع، والضمير المجرور راجع إلى الشيطان. وملاحظة الشئ: مراعاته، وأصله من اللحظ وهو النظر بمؤخر العين، وهو إنما يكون عند تعلق القلب بشئ، أي وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للانخداع كالذي كان مطمح نظره أن يغتر بأباطيله. ويحتمل أن يكون للعزة - بتقديم المهملة على المعجمة -. وفي الكشف: وللعزة ملاحظين.. أي وجدكم طالبين للعزة. ثم استنهضكم فوجدكم خفاقا، وأحمشكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم.. النهوض: القيام، واستنهضه لأمر.. أي أمره بالقيام إليه. فوجدكم خفافا.. أي مسرعين إليه. واحمشت الرجل: أغضبته، واحمشت النار ألهبتها، أي حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه أو من عند أنفسكم، وفي المناقب القديم: عطافا - بالعين المهملة والفاء - من العطف بمعنى الميل والشفقة، ولعله أظهر لفظا ومعنى. والوسم: اثر الكي، يقال وسمته - كوعدته - وسما والورود: حضور الماء للشرب، والايراد: الاحضار والشرب - بالكسر -: الحظ من الماء، وهما كنايتان عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة. وفي كشف: وأوردتموها شربا ليس لكم. هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر الكلم: الجرح والرحب - بالضم - السعة والجرح - بالضم - الاسم، وبالفتح: المصدر، ولما يندمل.. أي لم يصلح بعد. وقبرته: دفنته ابتدارا زعمتم خوف الفتنة ﴿ **أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾.. ابتدارا مفعول له للأفعال السابقة، ويحتمل المصدر بتقدير الفعل، وفي بعض الروايات: بدارا زعمتم خوف الفتنة.. أي ادعيتم وأظهرتم للناس كذبا وخديعة انا إنما اجتمعنا في السقيفة دفعا للفتنة مع أن الغرض كان غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة. والالتفات في - سقطوا - لموافقة الآية الكريمة».

(٣) لبيان بعض معاني هذا المقطع من الخطبة ننقل ماشرحه الشيخ المجلسي في كتابه بحار الانوار في ج٢٩، ص٢٩٨ قال: (الخذلة:

ومن الخطبة قولهاعليها السلام: «**مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها، كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلاً إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ**[1] **وَ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾**[2]»[3].

الفقرة الثانية: كلامها مع نساء المدينة

وهي خطبة مهمة عن فاطمةعليها السلام واني انقلها بنصها لأهمية ما فيها من اثبات مطلب البحث جاء

ترك النصر وخامرتكم.. أي خالطتكم والغدر: ضد الوفاء واستشعره: أي لبسه، والشعار: الثوب الملاصق للبدن والفيض – في الأصل – كثرة الماء وسيلانه، يقال: فاض الخبر.. أي شاع، وفاض صدره بالسر.. أي باح به واظهره، ويقال: فاضت نفسه.. أي خرجت روحه والمراد به هنا اظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهم وغلبة الحزن. والنفث بالفم شبيه بالنفخ، وقد يكون للمغتاظ تنفس عال تسكينا لحر القلب وإطفاء لنائرة الغضب. والخور – بالفتح والتحريك –: الضعف والقنا: جمع قناة وهي الرمح، وقيل كل عصا مستوية أو معوجة قناة، ولعل المراد بخور القنا ضعف النفس عن الصبر على الشدة وكتمان الضر، أو ضعف ما يعتمد عليه في النصر على العدو، والأول أنسب. والبث: النشر والاظهار، والهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه.. أي يفرقه وتقدمة الحجة: إعلام الرجل قبل وقت الحاجة قطعا لاعتذاره بالغفلة. والحاصل، أن استنصاري منكم، وتظلمي لديكم، وإقامة الحجة عليكم، لم يكن رجاء للعون والمظاهرة بل تسلية للنفس، وتسكينا للغضب، وإتماما للحجة، لئلا تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين.

(١) اقتباس من سورة الزمر: الآية٤٧.

(٢) سورة الغافر: الآية ٧٨.

(٣) لبيان بعض معاني هذا المقطع من الخطبة ننقل ماشرحه الشيخ المجلسي في كتابه بحار الانوار في ج٢٩، ص٣٠٥ قال: «قولها صلوات الله عليها: **معاشر الناس المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾، ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء به ما أشرتم، وشر ما منه اعتضتم**... القيل: بمعنى القول وكذا القال وقيل: القول في الخير، والقيل والقال في الشر. وقيل: القول مصدر والقيل والقال اسمان له والاغضاء: إدناء الجفون، وأغضى على الشئ أي سكت ورضى به، وروي عن الصادق والكاظمعليهما السلام في الآية أن المعنى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ **فيقضوا بما عليهم من الحق وتنكير القلوب لإرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم** والتأويل والتأويل: التصيير والارجاع ونقل الشئ عن موضعه، ومنه تأويل الألفاظ.. أي نقل اللفظ عن الظاهر. والإشارة: الامر بأحسن الوجوه في أمر وشر – كفر – بمعنى ساء والاعتياض: اخذ العوض والرضا به، والمعنى ساء ما أخذتم منه عوضا عما تركتم لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون... المحمل – كمجلس – مصدر. والغب – بالكسر –: العاقبة والوبال – في الأصل –: الثقل والمكروه، ويراد به في عرف الشرع: عذاب الآخرة، والعذاب الوبيل: الشديد والضراء – بالفتح والتخفيف –: الشجر الملتف – كما مر – يقال: توارى الصيد مني في ضراء والوراء: يكون بمعنى قدام كما يكون بمعنى خلف وبالأول فسر قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا** ﴾ ويحتمل أن تكون الهاء زيدت من النساخ أو الهمزة، فيكون على الأخير بتشديد الراء من قولهم: ورى الشئ تورية.. أي أخفاه، وعلى التقادير فالمعنى: وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء. وبذا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون..: أي ظهر لكم من صنوف العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه، ولا تظنونه واصلا إليكم، ولم يكن في حسبانكم. والمبطل: صاحب الباطل».

عن ابن عقده هذه الخطبة بسند متصل الى أبي عبد اللهّ جعفر بن محمّدعليه السلام، عن أبيه عن جدّه عليّ بن الحسينعليهم السلام، قال: «**لمّا رجعت فاطمة إلى منزلها فتشكّت وكان وفاتها في هذه المرضة، دخل إليها النساء المهاجرات والأنصاريات، فقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول اللّه؟ فقالت: أصبحت واللّه عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، شنأتهم بعد إذ عرفتهم، ولفظتهم بعد إذ سبرتهم، ورميتهم بعد أن عجمتهم، فقبحا لفلول الحدّ وخطل الرأي وعثور الجدّ، وخوف الفتن: لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ، لا جرم لقد قلدتهم ربقتها، وشننت عليهم عارها، فجدعا وعقرا وبعدا للقوم الظالمين، ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوّة ومهبط الروح الأمين بالوحي المبين، الطبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين! ما الذي نقموا من أبي حسن؟ نقموا - واللّه - منه شدّة وطأته ونكال وقعته، ونكير سيفه، وتبحّره في كتاب اللّه، وتنمّره في ذات اللّه. وأيم اللّه لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول اللّه لاعتلقه ثمّ لسار بهم سيرا سجحا، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلا رويّا صافيا فضفاضا تطفح ضفتاه، ثمّ لأصدرهم بطانا قد تخير لهم الري غير متحل منه بطائل إلّا بغمر الماء وردعه سورة الساغب، ولانفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، ولكنّهم بغوا فسيأخذهم اللّه بما كانوا يكسبون. ألا فاسمعن. ومن عاش أراه الدهر العجب، وإن تعجبن فانظرن إلى أيّ نحو اتّجهوا؟ وعلى أيّ سند استندوا؟ وبأيّ عروة تمسّكوا؟ ولمن اختاروا؟ ولمن تركوا؟ لبئس المولى، ولبئس العشير. استبدلوا واللّه الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1]**»[2].

---

(١) سورة يونس: الآيه٣٥.

(٢) فضائل أمير المؤمنينعليه السلام، ابن عقدة الكوفي: ص٦٢، وكذا الإمام أبو العباس الحسني أحمد بن إبراهيم بن الحسن واسع الشهرة في الزيدية توفي سنة ٣٦٦هـ في كتابه (المصابيح: ص٢٦٨)، ونقلها ابن طيفور في كتابه(بلاغات النساء: ص١٩)، ايضا الشيخ الصدوق في كتابه (معاني الاخبار،ص٤٨٨)،وكذا ابن جرير الطبري الشيعي في كتابه(دلائل الامامة: ص١٢٥)، وقطب الدين الراوندي في كتابه(مكارم أخلاق النبي والأئمةعليهم السلام ص١٤٧)، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني شمس الدين ابي البركات مُحَمَّد بن أَحْمد الباعوني الدِّمَشْقِي الشَّافِعِي وصف بالإمام الفاضل العالم توفي سنة ٨٧٠هـ في كتابه(جواهر المطالب في مناقب الإمام عليعليه السلام: ج١ ص١٦٥)،وكذا علي بن يونس العاملي النباطي البياضي رجل دين وفقيه ومتكلم شيعي عاملي، بالإضافة إلى كونه شاعراً وأديباً توفي سنة ٨٧٧هـ في كتابه(الصراط المستقيم: ج١ ص١٨١)، وايضا الشيخ المجلسي في كتابه (بحار الأنوار، ج٤٣ ص١٦٠).

وقد اورد الشيخ الطبرسي[١] في كتابه الاحتجاج في ذيل هذه الرواية بسنده: «قال سويد بن غفلة[٢] فأعادت النساء: قولها عليها السلام على رجالهن فجاء إليها: قوم من المهاجرين والأنصار متعذرين، وقالوا: يا سيدة النساء، لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا لأمر قبل أن يبرم العهد، ويحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره، فقالت عليها السلام: إليكم عني فلا عذر بعد تعذير كم، ولا أمر بعد تقصيركم»[٣].

الفقرة الثالثة: كلامها لام سلمة

نقل هذا الحديث ابن شهر اشوب في كتابه المناقب[٤] ومحمد بن الحسن القمي[٥] في كتابه العقد

(١) أحمد بن علي الطَبرسي، فقيه ومحدث ومتكلم شيعي في القرن السادس الهجري، صاحب كتاب الاحتجاج. وأستاذ ابن شهر آشوب المازندراني توفي سنة ٥٦٠هـ.

(٢) سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر أبو أمية الجعفي الكوفي، أدرك زمن النبي محمد، وأسلم في حياة النبي وسمع كتابه إليهم، لكن لم يلتقِ به، وقيل له صحبة. روى الحديث، وشهد اليرموك. توفي سنة ٨٠هـ.

(٣) الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي: ج١ ص١٥٩.

لبيان بعض المفردات لهذه الخطبة ننقل ما قاله الشيخ الصدوق في كتابه (معاني الاخبار،ص٤٨٨)، قال الشيخ الصدوق: «سألت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري عن معنى هذا الحديث فقال: أما قولها صلوات الله عليها: «**عائفة**» فالعائفة الكارهة يقال: «عفت الشيء» إذا كرهته «أعافه». و «القالية» المبغضة، يقال: «قليت فلانا» إذا أبغضته كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ﴾ وقولها عليها السلام: «**لفظتهم**» هو طرح الشيء من الفم كراهة له، تقول: «عضضت على الطعام ثم لفظته» إذا رميت به من فمك. وقولها: «**قبل أن عجمتهم**» يقال: «عجمت الشيء» إذا عضضت عليه، و«عود معجوم» إذا عض. و «شنأتهم» أبغضتهم، والاسم منه «**الشنآن**». وقولها: «**سبرتهم**» أي امتحنتهم، يقال: «سبرت الرجل» اختبرته وخبرته. وقولها: «**فقبحا لفلول الحد**» يقال: «سيف مفلول» إذا انثلم حده. و«الخور» الضعف. و«الخطل» الاضطراب. وقولها: «**لقد قلدتهم ربقتها**» الربقة ما يكون في عنق الغنم وغيرها من الخيوط والجمع الربق، و«شننت» صببت، يقال: «شننت الماء وشننته» إذا صببته «وجدعا» شتم من جدع الانف. و «عقرا» من قولك: «عقرت الشيء». و«سحقا» أي بعدا. و«زحزحوها» أي نحوها. و«الرواسي» الأصول الثابتة وكذلك «القواعد». و«الطبين» العالمين، و«ما نقموا من أبي حسن» أي ما الذي أنكروا عليه. و«تنمره» أي تغضبه يقال: «تنمر الرجل» إذا غضب وتشبه بالنمر. وقولها: «تكافوا» أي كفوا أيديهم عنه. و«الزمام» مثل في هذا. «لاعتلقه» لاخذه بيده. و«السجح» السير السهل. «لا يكلم» لا يجرح ولا يدمى. و«الخشاش» ما يكون في أنف البعير من الخشب. و«لا يتعتع» أي لا يكره ولا يقلق و«المنهل» مورد الماء. و«النمير» الماء النامي في الحشد. و«الفضفاض» الكثير. و«الضفتان» جانبا النهر. و«البطان» جمع «بطين» وهو الريان. غير متحل منه بطائل أي كان لا يأخذ من مالهم قليلا ولا كثيرا: «إلا بغمر الماء» كان يشرب بالغمر، و«الغمر» القدح الصغير. «وردعه سورة الساغب» أي كان يأكل من ذلك قدر ما يردع ثوران الجوع. و«الذنابى» ما يلي الذنب من الجناح. و«القوادم» ما تقدم منه و«العجز» معروف. و«المعاطس»: الأنوف. وقولها: «فنظرة» أي انتظروا «ريثما تنتجوا» تقول: حتى تلد. «ثم احتلبوا طلاع القعب» أي ملا القعب والعقب العس من الخشب. و«الدم العبيط» الطري. و«الزعاف» السم. و«الممقر» المر و«الهرج» القتل. و«الزهيد» القليل».

(٤) المناقب، ابن شهر آشوب: ج ٢ ص٢٠٥.

(٥) أبو جعفر محمد بن الحسن بن الوليد القمّي محدّث فقيه شيعي إمامي، في القرن الرابع الهجري توفي سنة ٣٤٣هـ.

النضيد والدر الفريد[١] والحسن بن محمد الدليمي[٢] في كتابه غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب أبى الأئمة الأطهار[٣] وكذا الشيخ المجلسي في كتابه البحار[٤] والشيخ عبد الله البحراني[٥] في كتابه العوالم (السيدة الزهراء)[٦]. وأني انقل نص الحديث الوارد في كتاب غرر الاحكام قال: «قالت أمّ سلمة رحمة اللهّ عليها ورضي اللهّ عنها: لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله دخلت على فاطمة عليها السلام فقلت: كيف أصبحت يا بنت رسول اللهّ؟ فقالت: «**أصبحت بين كمد وكرب، عرس بينهما فقد النبيّ وظلم الوصيّ**». ثمّ قالت: «**هتك واللّه الدّين من حجبه على الأمّة، فأصبحت إمامتها مبترة، وأحكامها مقتبضة على غير ما شرّعها اللّه في التنزيل وسنّها رسوله في التأويل وختمها اللّه في التنزيل، ولكنّها أحقاد بدر وثارات أحد، وكانت قلوب أهل النفاق مصيبة لإمكان الوشاة، فلمّا استهدف الأمر – عن كثب في**

(١) العقد النضيد والدر الفريد، محمد بن الحسن القمي: ص١٣٣.

(٢) لحسن أبو محمّد بن أبي الحسن علي بن محمّد الديلمي فاضلًا محدّثاً صالحاً صاحب كتاب ارشاد القلوب لم تحُدّد لنا المصادر تاريخ ولادته ووفاته ومكانهما.

(٣) غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب أبى الأئمة الأطهار عليهم السلام، الحسن بن محمد الديلمي: ص٣١٩.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٣ ص١٥٨.

(٥) الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني الأصفهاني. هو رجل دين ومحدث شيعي بحراني من تلامذة محمد باقر المجلسي توفي سنة ١١٣٠هـ.

(٦) العوالم، السيدة الزهراء عليها السلام، الشيخ عبد الله البحراني: ج٢ ص٢٩٣.

مخيلة الشقاق - أناس ما وعد اللّه على خلقه الرسالة وكفالة المؤمن، أحضر عائدة بدنيا بعد انتظار ممّن فتك بآبائهم في مواطن الكرب ومثال الشهادة». فقالت أمّ سلمة: لا عليك يا بنت الصفوة وبقيّة النبوّة، لهم ندم العاقبة يوم لا ينفع الندم ولا ينقل القدم من ورطات الموبقات؛ أما والله لا مونع دونها لما مونع أن يكون عندهم على المناقب الشريفة والأخلاق الطاهرة، ولكن أيّام المواقف للنبيّ صلى الله عليه وآله، ولله منهم الوغم المخنق فقالت فاطمة: «**أرشد اللّه أمرك، وشيّد ذكرك، للمعاد غدا مجاز عطبهم وتمام ندمهم، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾**[1]».

الفقرة الرابعة : فيما نقل من شعرها

لا يخفى مكانة الشعر عند العرب فكان الشعر ينتشر عندهم سريعاً لتذوقه عندهم ولسرعة حفظه يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي[2] في كتابه تاريخ آداب العرب قال: «والشعر هو عمود الرواية عليه مدارها وبه اعتبارها؛ وقد كانت منزلته من العرب ذا اهمية، إذ كان يتعلق بأنسابهم وأحسابهم وتاريخهم وما يجري مع ذلك، حتى كأنَّه الحياة المعنوية لأولئك القوم المعنويين، فلم يكن عجبًا أن يدور فيهم مع الشمس والريح، وأن تسخر له ألسنتهم فينصرفوا إلى قوله وروايته، حتى بلغ منهم مبلغه»[3]. وما القت عليها السلام من ابيات نُقلت عنها الا اتماماً للحجة ولها كثير من مانقل نستشهد منه ما يخص بحثنا.

اولا: نقل الشيخ المفيد[4] في كتابه الامالي بسنده قال: «عن زينب بنت علي ابن أبي طالب عليها السلام قالت: لما اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة عليهما السلام فدك والعوالي[5]، وأيست من إجابته لها

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) مصطفى صادق الرافعي أديب ومفكر مصري، لقِّب بمعجزة الأدب العربي، وبشيخ أدباء العربية، ينتمي إلى مدرسة المحافظين وهي مدرسة شعرية تابعة للشعر الكلاسيكي توفي سنة ١٣٥٦هـ.

(٣) كتابه تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: ج١ ص٢٢٨.

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المشهور باسم الشيخ المفيد.هو فقيه ومحدث ومتكلم من علماء الشيعة الاثني عشرية. وهو أحد أبرز العلماء المسلمين الشيعة خلال القرن الرابع و القرن الخامس الهجري، وقام بتدوين أصول الفقه الشيعي وتأسيس منهج فقهي جديد. وانتهت إليه رئاسة متكلّمي الشيعة في عصره توفي سنة٤١٣هـ.

(٥) قال السيّد ابن طاووس هو علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، من أحفاد الإمامين الحسنين ومن كبار علماء الشيعة، صاحب المصنفات. لقّب بجمال العارفين تتلمذ على يديه كبار العلماء منهم العلامة الحلي توفي سنة ٦٦٤هـ. في كتابه (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص٢٤٨) «لّما فتح النبيّ صلى الله عليه وآله خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** ﴾ فقال محمّد صلى الله عليه وآله: **ومن ذو القربى؟ وما حقّه؟** قال: **فاطمة تدفع إليها فدك**، فدفع إليها فدك، ثمّ أعطاها العوالي بعد ذلك، فاستغلّتها حتّى توفّي أبوها محمّد صلى الله عليه وآله».

عدلت إلى قبر أبيها رسول الله ﷺ فألقت نفسها عليها وشكت إليه ما فعله القوم بها وبكت حتى بلت تربته عليه السلام بدموعها وندبته، ثم قالت في آخر ندبتها:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فغبت عنا فكل الخير محتجب
فكنت بدرا ونورا يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزة الكتب
تجهمتنا رجال واستخف بنا ... بعد النبي وكل الخير مغتصب
سيعلم المتولي ظلم حامتنا ... يوم القيامة أنى سوف ينقلب
فقد لقينا الذي لم يلقه أحد ... من البرية لا عجم ولا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت ... لنا العيون بتهمال له سكب»[1]

ونقل الشيخ الكليني[2] بعض من هذه الابيات في كتابه الكافي[3]، وايضا علي بن إبراهيم القمي[4] في كتابه تفسير القمي[5]، والقاضي النعمان المغربي في كتابه شرح الاخبار[6]، وكذا الشريف المرتضى في كتابه الشافي في الامامة[7].

ثانياً: نقل ابن شهر اشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب[8] قولها عليها السلام

قل للمغيب تحت اطباق الثرى ... إن كنت تسمع صرختي ونداءيا
صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بظل محمد ... لا أخش من ضميم وكان جماليا
فاليوم أخشع للذليل واتقي ... ضيمي وادفع ظالمي بردائيا

---

(١) الأمالي، الشيخ المفيد: ص٧٣.

(٢) محمد بن يعقوب الكُلَيني الرازي المعروف بثقة الإسلام الكليني، من كبار محدثي الشيعة الإمامية ومؤلّف كتاب الكافي الذي يعدّ من أهم المصادر الحديثية الأربعة عند الشيعة. ولد في عصر الغيبة الصغرى ولقى بعض المحدثين الذين سمعوا الحديث مباشرة من الإمام الهادي أو الإمام العسكري. وصفه الرجاليون بالدقة والضبط في نقل الحديث. توفي سنة٣٢٩هـ.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج ٨ ص٤٠٠.

(٤) الشيخ علي بن إبراهيم بن هاشم القمي القرن الثالث الهجري هو راوٍ وفقيه ومُفسرّ شيعي. ويُعدّ من أشهر رواة الشيعة وأبرزهم، وقد رُويت عنه العديد من الروايات في مجموعات روائية شيعية كبيرة توفي٣٢٩هـ.

(٥) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ٢ ص١٥٧.

(٦) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ج٣ ص٣٩.

(٧) الشافي في الامامة، الشريف المرتضى: ج٤ ص٧٥.

(٨) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١ ص٢٠٨.

فـــإذا بـكـت قـمـريـة فـي ليلها شجنا عـلـى غـصـن بـكـيـت صباحيا
فلأجعلن الـحـزن بـعـدك مؤنسي ولأجـعـلـن الـدمـع فـيـك وشـاحـيـا
مـــاذا عـلـى مـن شـم تـربـة أحـمـد ان لا يـشـم مـدى الـزمـان غـوالـيـا

ونقل هذا الشعر الشيخ عبد الله البحراني في كتابه العوالم[1] وايضا السيد محسن الامين[2] في كتابه أعيان الشيعة[3].

المطلب الثاني: موقفها من خلال افعالها

الفقرة الاولى: التهديد

لما كان من أمر السقيفة[4] وأُخذ الامام علي عليه السلام لإجباره على البيعة خرجت عليها السلام مهددة لهم كما روى محمد بن جرير الطبري الشيعي في كتابه المسترشد بسنده عن الامام الصادق عليه السلام قال: «**لما خرج أمير المؤمنين علي عليه السلام من منزله، خرجت فاطمة عليها السلام والهة! فما بقيت امرأة هاشمية الا خرجت معها حتى انتهت من القبر فقالت: خلوا عن ابن عمي، فوالذي بعث محمدا بالحق لئن لم تخلوا عنه، لأنشرن شعري، ولأضعن قميص رسول الله الذي كان عليه حين خرجت نفسه على رأسي ولأخرجن إلى الله، فما صالح بأكرم على الله من ابن عمي، ولا الناقة بأكرم على الله مني، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي. قال: سلمان: وكنت قريب منها، فرأيت والله حيطان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله انقلعت من أسفلها، حتى لو أراد الرجل أن ينفذ من تحتها لنفذ! فقلت: يا سيدتي ومولاتي، إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة، فرجعت الحيطان! حتى سطعت**

(١) العوالم، السيدة الزهراء عليها السلام، الشيخ عبد الله البحراني، ج ٢ ص٢٦٩.

(٢) محسن الأمين العاملي الحسيني من علماء الشيعة، لبناني الأصل من جبل عامل، تعدَّدت منجزاته في مجالات شتى، وألف العديد من الكتب، وانتقل إلى مدينة دمشق مرجعًا للشيعة فيها توفي سنة ١٣٧١هـ.

(٣) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ج١ ص٣٢٣.

(٤) راجع تفاصيل أخبار السقيفة: ابن هشام: ابو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري المتوفى سنة٢١٨هـ في كتابه (سيرة ابن هشام ج٤، ص٣٣٤-٣٣٥)، والطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام الطَّبَري، المتوفي سنة ٣١٠هـ مفسّر ومؤرّخ وفقيه، ولُقِّبَ بإمام المفسرين بكتابه (تاريخ الطبري ج٢، ص٤٤٣)، و بلاذري في كتابه (انساب الاشراف ج١، ص٥٦٣-٥٦٧)، وابن سعد محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله مؤرخ، من حفاظ الحديث توفي٢٣٠هـ في كتابه (طبقات ابن سعد ج٢، ق٢، ص٥٣-٥٤). وابو الفداء عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الأيوبي مؤرخ جغرافي، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين توفي سنة٧٣٢هـ في كتابة (تاريخ أبي الفداء ج١، ص١٦٤)، وابن ابي الحديد في كتابه (شرح نهج البلاغة ج٢، ص٥١)، وقد الف الشيخ محمد رضا المظفر من علماء الشيعة في القرن الرابع عشر الهجري، والمعروف بالمجدِّد توفي سنة ١٣٨٣هـ كتاب سماه (السقيفة) فصل فيه هذه الحادث.

الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا»[١]. ونقل هذه الرواية ابن شهر اشوب في كتابه مناقب آل ابي طالب[٢] وكذا الشيخ الطبرسي في كتابه الاحتجاج[٣].

الفقرة الثانية: اثبات الحجة

ذكر الدينوري في كتابه الامامة والسياسة «وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله على دابة ليلا في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه: **أفكنت أدع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟** فقالت فاطمة: **ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم**»[٤]. وذكرها مقاتل بن عطيه في كتابه أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد[٥]، وايضا الشيخ المجلسي في كتابه بحار الانوار[٦] نقلها عن الدينوري.

الفقرة الثالثة: البكاء

نقل الشيخ الصدوق في كتابه الامالي عن الامام الصادق عليه السلام قال: «... **وأما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف**»[٧]، ونقل هذه الرواية الفتال النيسابوري[٨] في كتابه روضة الواعظين وبصيرة المتعظين[٩]. وجاء عن ابن شهر اشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب قوله: «وروي انها ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس ناحلة الجسم منهدة الركن باكية العين محترقة القلب يغشى عليها ساعة بعد ساعة»[١٠]. وما نقلناه عن الشيخ المفيد سابقا

(١) المسترشد، محمد بن جرير الطبري (الشيعي) ص٣٨١.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٣ ص١١٨.
(٣) الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي: ج١ ص١٢٣.
(٤) الامامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (تحقيق الشيري): ج١ ص٢٩.
(٥) أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، مقاتل ابن عطية، ج ٢ ص٤٣٦.
(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢٨ ص١٨٨.
(٧) الأمالي، الشيخ الصدوق: ص٢٠٤.
(٨) الشيخ محمّد أبو علي ابن الشيخ الحسن بن علي بن أحمد الفتّال النيسابوري، والفتّال من أسماء البلبل، ولعلّه لُقّب به لطلاقة في لسانه في الخطابة والوعظ، وعذوبة في لهجته، ورقّة في ألفاظه كان مدرّساً ومتكلّماً وفقيهاً وعالماً ومقرئاً ومفسّراً توفي سنة ٥٠٨هـ.
(٩) روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، الفتال النيسابوري: ج١ ص٣٨٩.
(١٠) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٣ ص١٣٧.

في فقرة شعرها عن رواية ابنتها زينب قالت: «عدلت إلى قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فألقت نفسها عليها وشكت إليه ما فعله القوم بها وبكت حتى بلت تربته صلى الله عليه وآله بدموعها»[1]. وكذلك روى علي بن إبراهيم القمي بسنده في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** ﴾[2]، حديثا مقاربا لما ذكره الشيخ المفيد، فقد روى عن أبو عبد الله الصادق عليه السلام إنه قال: «**لما بويع لأبي بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك فأخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها، فجاءت فاطمة عليها السلام الى أبي بكر... (إلى قوله) فخرجت فاطمة عليها السلام من عندهما باكية حزينة... ودخلت فاطمة الى المسجد وطافت بقبر أبيها عليه وآله السلام وهي تبكي**»[3].

الفقرة الرابعة: الهجر

نقل ابن حنبل في كتابه المسند في منع ابو بكر ارثها من ابيها صلى الله عليه وآله رواية بسنده عن عائشة زوج النبي قالت: «... فغضبت فاطمة عليها السلام فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت»[4]. ونقل هذه النص البخاري في صحيحه[5] بثلاث اسانيد، وكذا ابن المغازلي في كتابه مناقب أهل البيت عليهم السلام[6]، وابن عطية في كتابه أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد[7]. وذكر الصنعاني في كتابه المصنف في ذكر منع فاطمة حقها من فدك قال: «فهجرته فاطمة، فلم تكلمه في ذلك»[8]. اما الطبري الشيعي فقد نقل في كتابه دلائل الامامة بسنده عن الامام الصادق عليه السلام قال: «... **وكان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سألا أمير المؤمنين أن يشفع لهما إليها، فسألها أمير المؤمنين عليه السلام فأجابت، فلما دخلا عليها قالا لها: كيف أنت يا بنت رسول الله؟ قالت: بخير بحمد الله. ثم قالت لهما: ما سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول: «فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»؟ قالا: بلى. قالت: فوالله، لقد آذيتماني. قال: فخرجا من عندها وهي ساخطة عليهما**»[9]، ونقل هذه الرواية ايضا الشيخ المجلسي في

(١) راجع ص٢٢
(٢) سورة الاسراء: آية٢٦.
(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ٢ ص١٥٧.
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل: ج١ ص٦.
(٥) صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص٤٢.
(٦) مناقب أهل البيت عليهم السلام، ابن المغازلي: ص٤١٦.
(٧) أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، مقاتل ابن عطية: ج١ ص٢٦١.
(٨) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني: ج٥ ص٤٧٢
(٩) دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعي) ص١٣٥.

كتابه بحار الانوار[١]. ذكر الجوهري في كتابه السقيفة وفدك حين دخلوا الدار لاخراج الامام علي عليه السلام والزبير قال: «ورأت فاطمة ما صنع بهما، فقامت على باب الحجرة، وقالت: **يا أبا بكر أسرع ما أغرتم على أهل البيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله**»[٢].

الفقرة الخامسة: الوصية

قال الجاحظ[٣] في كتابه الرسائل: «وقد بلغ ذلك من فاطمة أنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر»[٤]، ونقل ذلك السيد الشريف المرتضى في كتابه الشافي في الامامة[٥].روى ابن شهر اشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب بسنده عن ابن عباس قال: «أوصت فاطمة ان لا يعلم إذا ماتت أبو بكر ولا عمر ولا يصليا عليها قال: فدفنها علي ليلا ولم يعلمهما بذلك»[٦].ذكر الشيخ الصدوق في كتابه معاني الاخبار بسنده الى الامام علي عليه السلام قال: «**لما حضرت فاطمة عليها السلام الوفاة دعتني فقالت: أمنفذ أنت وصيتي وعهدي؟ قال: قلت: بلى، أنفذها. فأوصت إلي وقالت: إذا أنا مت فادفني ليلا ولا تؤذنن رجلين ذكرتهما**»[٧].روى ابن شهر اشوب في كتابه مناقب آل أبي طالب عن الأصبغ بن نباتة[٨] انه سئل أمير المؤمنين عن دفنها ليلا فقال: «**انها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من يتولاهم ان يصلي على أحد من ولدها**»[٩]. قال ابو القاسم الكوفي[١٠] في كتابه الاستغاثة في بدع الثلاثة: «فلما حضرتها الوفاة أوصت عليا عليها السلام ان يدفنها ليلا لئلا يصلي عليها أحد منهم، ففعل ذلك فجاءوا من الغد يسألون عنها فعرفهم انه قد دفنها، فقالوا له: ما حملك على ما صنعت قال: **أوصتني بذلك فكرهت ان أخالف وصيتها**، وهم قد رووا جميعا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٣ ص١٧٣.

(٢) السقيفة وفدك، الجوهري: ص٥٣.

(٣) ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزاره الليثى الكنانى البصري اديب عربي كان من كبار أئمه الأدب في العصر العباسي، وُلد في البصرة و توفي فيها سنة ٢٥٥هـ.

(٤) رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)، الجاحظ: ص٤٦٧.

(٥) الشافي في الامامة، الشريف المرتضى: ج٤ ص٨٥.

(٦) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٣ ص١٣٧

(٧) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص٤٥٠.

(٨) هو ابن الحارث التميمي الحنظلي المجاشعي وكان من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وخُلَّص أصحابه، شهد معه صفين، وكان على شرطة الخميس توفي بعد المِائة من الهجرة.

(٩) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٣ ص١٣٨.

(١٠) أبو القاسم الكوفي علي بن أحمد بن موسى، كان فقهياً ومتكلمًا. ألّف عددا من الكتب ولكن لم يصل إلينا إلا البعض منها توفي سنة٣٥٢هـ.

«**فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللّه عز وجل ولم يجز ان أخالف رسول اللّه صلى الله عليه وآله في مخالفة وصيتها**. فقال عمر: اطلبوا قبرها حتى ننبشها ونصلي عليها، فطلبوه فلم يجدوه ولم يعرفوا لها قبرا إلى هذه الغاية»[1].

(١) الاستغاثة في بدع الثلاثة، ابو القاسم الكوفي: ص٣٨.

الخاتمة

تبين من البحث عدة امور:

١- ظهر للقارئ بعض فضائل فاطمة عليها السلام مما ثبت عند كلا الطرفين.

٢- تبوت مقامات لها عليها السلام ثبتت للمولى امير المؤمنين عليه السلام.

٣- انها ميزان يُقاس عليها رضى الله ورضى رسوله.

٤- ان المواقف التي اتخذتها صلوات الله عليها تثبت ما حصل بعد النبي من انحراف بعض اصحابه.

٥- ثبت من البحث ان مايسمى عدالة الصحابة هي نظرية مرفوضة وقامت على اسس واهيه لأنها تغطي ظُلامة فاطمة عليها السلام الذي أمر النبي برعاية حقها.

٦- ان سيرة أهل البيت النبي ومنهم فاطمة عليها السلام تُميز كثيرة من الخلاف العقائدي.

٧- تثبيت سيرة المعصوم كنموذج منهم فاطمة عليها السلام في تأسيس قواعد مهمة للفصل في المسائل الكلامية.

٨- اسست سيرتها عليها السلام الى جواز اتخاذ كافة الطرق والمواقف المشروعة في المطالبة بالحقوق.

٩- ان المرأة كالرجل تكون ملزمة في دفاعها عن الحق بما لا ينافي حشمتها وحجابها.

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- نهج البلاغة
- الأمالي، المؤلف: الشيخ المفيد، تحقيق: حسين الاستاد ولي، سنة النشر: ١٩٩٣، الطبعة: ٢.
- الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية، المؤلف: محمود الحسيني الآلوسي البغدادي، الناشر: مطبعة الحميدية – بغداد، سنة النشر: ١٣٠١.
- الاحتجاج، المؤلف: أحمد بن علي الطبرسي، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر – النجف الأشرف، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، سنة الطبع: ١٣٨٦ – ١٩٦٦ معد الاجزاء: ٢.
- الاستغاثة في بدع الثلاثة، المؤلف: علي بن محمد الكوفي، الناشر: مؤسسة الاعلمي، سنة النشر: ١٣٧٣هـ، الطبعة: الاولى.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤.
- أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، المؤلف: مقاتل بن عطية، ترجمة: محمد جميل حمود، الناشر: دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر: ٢٠٢١، عدد الأجزاء: ٢.
- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ٨.
- الأمالي، المؤلف: الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧.
- الامامة والسياسة، المؤلف: ابن قتيبة الدينوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، سنة النشر: ٢٠١٦، عدد الاجزاء: ٢.

- أعيان الشيعة، المؤلف: السيد محسن الامين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، سنة النشر: ١٩٩٨.
- البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨.
- بحار الأنوار، المؤلف: الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار احياء التراث العربي-بيروت، سنة النشر١٩٨٣، عدد الاجزاء١١٠.
- البرهان في أصول الفقه، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٢.
- بلاغات النساء، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، صححه وشرحه: أحمد الألفي، الناشر: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، عام النشر: ١٩٠٨ م.
- تاريخ الطبري، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار ومكتبة الهلال، سنة النشر: ٢٠٠٣.
- تاريخ آداب العرب، المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي، الناشر: دار الكتاب العربي، عدد الأجزاء: ٣.
- تاريخ ابي الفداء (المختصر في أخبار البشر)، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ٤.
- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠.
- تفسير القمي، المؤلف: علي بن ابراهيم القمي، الناشر: مؤسسة الاعلمي-بيروت، سنة النشر: ١٤١٢هـ.عدد الاجزاء: ١.
- التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، المؤلف: للإمام الطبراني، المحقق: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي، الناشر: دار الكتاب الثقافي الأردن – إربد، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٦.
- تلخيص الشافي، المؤلف: الشيخ ابو جعفر الطوسي، تحقيق: السيد حسين بحر العلوم، الناشر: مؤسسة انتشار المحبين، الطبعة: الاولى، المطبعة: معراج.عدد الاجزاء: ٢.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى، عدد الاجزاء: ١٢.
- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، التحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٦.
- جمل من أنساب الأشراف، المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، حققه وقدم له: سهيل زكار – رياض زركلي، الناشر: دار الفكر – بيروت، لطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ١٣.
- الرسائل السياسية (رسائل الجاحظ)، مرو بن بحر أبو عثمان الشهير بالجاحظ، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عدد الاجزاء: ١.
- الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم، المرلف: شمس الدين الذهبي، المحقق: محمد إبراهيم الموصلي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦.
- روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، المؤلف: محمد بن الفتال النيشابوري، تحقيق: غلام محسن المجيدي – مجتبى الفرجي، الناشر: منشورات دليل ما، الطبعة: الاولى، سنة الطبع ١٤٢٣هـ.
- السقيفة وفدك، المؤلف: ابو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، التحقيق: الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، الناشر: شركة الكتبي للطباعة والنشر بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، سنة النشر: ١٩٩٣م.
- السنن الكبرى، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١١.
- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد

الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وغيره، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٩٥٥م، عدد الأجزاء: ٢.
- الشافي في الإمامة، المؤلف: الشريف المرتضى، الناشر: مؤسسة الصادق – طهران، الطباعة والتجليد: مؤسسة إسماعيليان – قم، الطبعة: الثانية، سنة النشر: ١٤١٠.
- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، المؤلف: القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، المحقق: السيد محمد الحسيني الجلالي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبع: مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، عدد الاجزاء: ٤.
- شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي (، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي، المحقق: عبد اللطيف الهميم – ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.
- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: ابن أبي العز الحنفي، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: التاسعة، سنة الطبع: ١٩٨٨م.
- شرح نهج البلاغة، المؤلف: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي، لناشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٩٥٩م، عدد الأجزاء: ٢٠.
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، المؤلف: الحافظ الكبير عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الناشر: مجمع احياء الثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٩٩٠، عدد الأجزاء: ٢.
- صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤٢٢هـ، عبدد الاجزاء:٩.
- صحيح مسلم، المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، سنة النشر: ١٩٥٥ م، عدد الأجزاء: ٥.

- الطبقات الكبرى، المؤلف: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٩.
- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، المؤلف: رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى ابن طاووس الحلي، الناشر: مطبعة الخيام – قم، سنة النسر: ١٣٩٩هـ.
- عدالة الصحابة رضى الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات، المؤلف: عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى، الناشر: مكتبة الايمان، سنة النشر: ٢٠٠٦.
- العروة الوثقى محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧.
- العقد النضيد والدر الفريد، المؤلف: محمد بن الحسن القمي، تحقيق: علي أوسط الناطقي، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤٢٣، المطبعة: ستاره مؤسسة دار الحديث الثقافية دار الحديث الطباعة والنشر.
- علل الشرائع، المؤلف: الشيخ الصدوق، تحقيق: تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٩٦٦ م.
- عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال ج: ١١ / ١ في أحوال سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، المؤلف: العلامة الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه / قم المقدسة، الطبعة: الثالثة، تاريخ الطبع: ١٤١٦ هـ.، المطبعة: أمير / قم المقدسة، الناشر: المؤلف.
- غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب أبي الأئمة الأطهار عليهم السلام، المؤلف: الحسن بن محمد الديلمي، الناشر: دليل ما – قم، سنة الطبع: ١٤٢٧هـ، الطبعة: الأولى.
- فاطمة الزهراء والفاطميون، المؤلف: عباس محمود العقاد، الناشر: مؤسسة هنداوي، سنة النشر: ٢٠١٤.
- فضائل امير المؤمنين عليه السلام، المؤلف: الحافظ ابن عقدة الكوفي، الناشر: انتشارات دليل ما، الطبعة: الاولى، سنة الطبع ١٤٢٤هـ.
- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، سنة الطبع: ٢٠٠٥ م.

- الكافي، المؤلف: الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني تحقيق: علي أكبر غفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران- إيران، الطبعة: ٣، سنة الطبع: ١٣٦٧هـ.
- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، المؤلف: أبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، المحقق: محمد هادي الأميني، الناشر: طهران: دار أحياء تراث أهل البيت، الطبعة: الثالثة، تاريخ النشر: ١٤٠٤هـ.
- كتاب سليم بن قيس الهلالي، المؤلف: سليم الهلالي، تحقيق: محمد باقر الانصاري، الناشر: منشورات دليل ما، الطبعة: الخامسة، سنة النشر: ١٤٢٨هـ، المطبعة: نكارش، عدد الاجزاء: ٣.
- كشف الغمة في معرفة الأئمة، تأليف: أبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، الناشر: دار الأضواء بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع ١٩٨٥م، عدد الاجزاء: ٤.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الشهير بالمتقي الهندي، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، سنة النشر: ١٩٨١م.
- المُحلَّى بالآثار، المؤلف: أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: ١٢.
- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، سنة النشر: ١٩٩٩م.
- مختصر الن الحاجب، المؤلف: اين الحاجب، الناشر: دار المنهاج، تحقيق: عدي بن محمد، الطبعة: الاولى، سنة الطبع: ٢٠٢٣م، عدد الاجزاء: ١.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٤.
- المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، المؤلف: محمد بن جرير بن رستم الطبري الامامي، تحقيق: أحمد المحمودي، الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، المطبعة: سلمان الفارسي – قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ.

- المستصفى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٩٩٣م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٥٠.
- المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، توزيع المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٢.
- معاني الأخبار، المؤلف: الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، التصحيح: علي أكبر الغفاري، الناشر انتشارات إسلامي وابسته بجامعة مدرسين حوزه علميه قم، سنة النشر: ١٣٧٩ هـ.
- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥.
- معجم الغني الزاهر، المؤلف: عبد الغني أبو العزم، الناشر: الرباط مؤسسة الغني للنشر، سنة النشر: ٢٠١٣م، الطبعة: الاولى، عدد الاجزاء: ٤
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٩٧٩هـ، عدد الأجزاء: ٦.
- المعيار والموازنة، المؤلف: ابو جعفر الاسكافي المعنزلي، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٩٨١ م.
- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢هـ.
- مقتل الحسين للخوارزمي، المؤلف: الخوارزمي، الناشر: انتشارات أنوار الهدى، المطبعة: مهر، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٣هـ، عدد الاجزاء: ٢.
- مقدمة ابن الصلاح، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، المحقق:

نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر: ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

- مكارم أخلاق النبي والأئمة عليهم السلام، المؤلف: قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي؛ تحقيق: حسين الموسوي، الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، المطبعة: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / كربلاء المقدسة - العراق، . الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ٢٠٠٩ م.
- الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.
- مناحل الشفا ومناهل الصفا بتحقيق كتاب شرف المصطفى، المؤلف: أبي سعد الخركوشي النيسابوري، التحقيق: السيد أبو عاصم نبيل الغمري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ٢٠١٣م.
- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المؤلف: علي بن محمد المالكي المعروف بابن المغازلي، المحقق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، الناشر: دار الآثار - صنعاء، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ٢٠٠٣ م.
- مناقب أهل البيت، المؤلف: ابو الحسن علي بن محمد المشهور بابن المغازلي، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، الناشر: المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المطبعة: نكار-طهران، الطبعة: الاولى، سنة الطبع٢٠٠٦م.
- مناقب آل أبي طالب، المؤلف: لإمام الحافظ ابن شهرآشوب، قام بتصحيحه وشرحه ومقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة: المطبعة الحيدرية في النجف، سنة الطبع: ١٩٥٦م.
- مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي، المؤلف: أبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني، تحقيق: جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الناشر: دار الحديث، المطبعة: الطبعة: دار الحديث -قم الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٤.
- المنية والامل، المؤلف: القاضي عبد الجبار الهمذاني، جمعه: أحمد بن يحيى المرتضى، قدمه: عصام الدين محمد علي، الناشر: دار المعرفة الجامعية، سنة النشر: ١٩٨٥م.
- نثر الدر في المحاضرات، المؤلف: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى، المحقق: خالد

عبد الغني محفوط، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٧×٤.

- نخب المطالب لآل ابي طالب، المرلف: عبد الله الحسين بن جبر، التحقيق: السيد مهدي الرجائي، الناشر: مكتب السيد المرعشي، المطبعة: ستاره-قم، الطبعة: الاولى، سنة الطبع: ٢٠١٢م، عدد الاجزاء: ٤.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، حققه وعلق عليه: نور الدين عتر، الناشر: مطبعة الصباح، دمشق - سوريا، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ٢٠٠٠م.

اثر وتحديات العولمة الثقافية

على البناء الفكري للأسرة المسلمة

سيرة السيدة الزهراء عليها السلام انموذجاً

الباحثة : م.م الحان يوسف عبد الشمري

المقدمة

الدين الإسلامي له قوانين وتشريعات تشمل ادق التفاصيل، للحفاظ على الاسرة والاهتمام بها باعتبارها اللبنة التي تُكون مجتمع حضاري واعي، حيث يبدأ من وضع تفاصيل اختيار الشريك وتستمر على مدى الحياة المشتركة مع بيان الحقوق والواجبات للطرفين التي توجب عليهم الحفاظ على الاسرة والتصدي لكل التحديات التي تواجهها.

أهمية الموضوع: تأتي اهمية الموضوع من اهداف العولمة وما تحدثه من ضياع وتشتت وفجوة بين افراد الاسرة، حيث ان من اهدافها تشويه نظام القيم الاجتماعية التي اختصت به الشريعة الإسلامية، واشاعة النوع – الجندر–، والانحلال الاخلاقي.

سبب اختيار الموضوع: الوضع الراهن وحالة الارباك التي تعيشها الاسرة المسلمة بين تحديات تُعيق دورها التربوي وبين متطلبات العصر والانفتاح على العالم الغربي مما جعلها تتصف بالهشاشة والضعف والتفكك بين الآباء والابناء من حيث التفكير والسلوك.

اشكاليات البحث:

١ـ ما معنى العولمة في اللغة والاصطلاح؟

٢ـ متى نشأة العولمة؟

٣ـ ماهي أسباب انهيار النظام الاسري في الغرب؟

٤ـ كيف اهتم الإسلام بالأسرة المسلمة؟

٥ـ ما مدى تأثير العولمة على الاسرة المسلمة، وهل اوجد الإسلام انموذج للاقتداء بسيرته أمام تأثير وتحديات العولمة؟

هيكلية البحث:

يحتوي البحث على مبحثين، المبحث الاول: بيان معنى العولمة ونشأتها واسباب انهيار النظام الاسري في الغرب، وفيه مطلبين، المطلب الاول: بيان معنى العولمة والاسرة لغة واصطلاحاً، المطلب

الثاني: نشأة العولمة واسباب انهيار النظام الاسري في الغرب. المبحث الثاني: اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة مقابل إثر وتحديات العولمة الثقافية على الاسرة المسلمة سيرة الزهراء عليها السلام انموذجاً وفيه مطلبين، المطلب الاول: اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة، المطلب الثاني: اثر وتحديات العولمة الثقافية على الاسرة المسلمة سيرة الزهراء عليها السلام انموذجاً.

المبحث الاول: بيان معنى العولمة ونشأتها واسباب انهيار النظام الاسري في الغرب

يختص هذا المبحث ببيان المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردات البحث وبيان نشأة العولمة واسباب انهيار النظام الاسري في الغرب من خلال تقسيم المبحث إلى مطلبين.

المطلب الأول: بيان معنى العولمة والاسرة لغة واصطلاحاً

اولا: معنى العولمة لغة واصطلاحاً:

١ـ العولمة لغة: تعني تعميم الشيء وإكسابه الصيغة العالمية وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله والعولمة صيغتها فعلله وجاءت من كلمة عالم، وتستعمل العولمة للتعبير عن مفهوم الأحداث والإضافة[١].

٢ـ العولمة اصطلاحاً: لا يوجد تعريفاً جامعاً مانعاً للعولمة لغموض مفهومها. ولاختلافات وجهة الباحثين. الا انها في الأدبيات الإسلامية هي مرحلة من مراحل الصراع الحضاري يسعى فيها الغرب لسيطرة نموذجه عالمياً[٢]. او بتعبير اخر هي التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداء على الحدود السياسية للدول. أي انها مصطلح بدأ لينتهي بتفريغ المواطن من وطنيته وقوميته وانتمائه الديني والاجتماعي والسياسي، والعولمة بالمعنى الرائج هي درجة من درجات تطور النظام الرأسمالي العالمي[٣].

وتدخل العولمة في مجالات متعددة، وفي كل مجال لها معنى فنجدها عند علماء الاقتصاد لها معنى، وعند السياسيين لها معنى مختلف عما عليه علماء الاجتماع، وفي المجال الثقافي لها معنى اخر ويمكن تقسيم هذه المعاني والتعريفات حسب المجال التي تدخل فيه:

أـ المجال الثقافي: هو سعي دول الغرب وامريكا لتنميط الشعور والسلوك البشري بقالب الثقافة

---

(١) عبد الصبور شاهين «عضو مجمع اللغة العربية» العولمة جريمة تذويب الأصالة، مجلة المعرفة العدد (٤٨)، http://saaid.org/Doat/

(٢) الشيباني، الخضر بن عبد الملك، البعد الديني ومفهوم العولمة، (صنعاء: مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية، ٢٠٠٩م)، ص٨.

(٣) الشيرازي، محمد الحسيني، فقه العولمة دراسة إسلامية معاصرة، ط الثانية، (مكان الطبع: بلا، مؤسسة المجتبى عليه السلام، ٢٠٠٢م)، ص٩.

الغربية، أي انها تستهدف العالم الإسلامي والشعوب غير الغربية، وتسعى لأضعافها وتذويبها لتنخرط في النمط الليبرالي الغربي وخاصة الامريكي، وبهذا المعنى تكون العولمة سيطرة الثقافة الامريكية على سائر الثقافات(١).

ب ـ المجال السياسي:

هي هيمنة أمريكية والمراد من هذا النوع هو العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه وهو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العلم أجمع(٢).

ج ـ المجال الاجتماعي:

ثورة تكنلوجية واجتماعية، أي هي الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسبيا كرة اجتماعية بلا حدود حيث يصبح العالم أكثر اتصالا مما يجعل الحياة الاجتماعية متداخلة بين الأمم(٣).

د ـ المجال الاقتصادي:

هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل الغير متكافئ(٤).

ثانيا: معنى الأسرة لغة واصطلاحاً:

١ـ الاسرة لغة: هي الدرعُ الحصين، فلفظ الأسرة مشتق من الأسر وهو القيد أو الشد أي أنه يتضمن معنى الأحكام والقوة(٥).

٢ـ الاسرة اصطلاحاً: تُعرَّف الأسرة (Family) على أنّها رابطة اجتماعيّة تجمع بين شخصين أو أكثر بروابط القرابة، أو الزواج(٦)، قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ**

(١) السهلي، نبيل محمود، تأثير العولمة الثقافية على الاسرة المسلمة، مجلة البيان الرقمية، العدد ٣٨٧،
https://www.albayan.co.uk/

(٢) مبارك عامر بقنه، مفهوم العولمة ونشأتها،
/http://saaid.org/Doat/

(٣) المصدر السابق.

(٤) مبارك عامر بقنه، مفهوم العولمة ونشاتها،
http://saaid.org/Doat/

(٥) ابن منظور، جمال الدين(ت/ ٧١١هـ)، لسان العرب، (قم: نشر أداب الحوزة، ١٤٠٥هـ)، ١/ ١٠٤.

(٦) محمد عدنان القماز، تعريف الاسرة،
https://mawdoo3.com ، ١ أكتوبر ٢٠٢١

أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً... ﴾[1]، فكل شيء في هذا الكون يسير وفق نظام وضعه مشرع عظيم، ومن الاشياء الكونية الحياة الاسرية التي لا تستقيم الا بالنظام واتباع القوانين الدقيقة.

المطلب الثاني: نشأة العولمة واسباب انهيار النظام الاسري في الغرب

اولا: نشأة العولمة:

ذكر علماء التاريخ ان العولمة الغربية ليست ظاهرة جديدة بل ان بداياتها الاولى بدأت مع بدء عملية الاستعمار الغربي لآسيا وافريقيا والامريكيتين ثم اقترنت بالتطور التجاري الحديث لأوروبا، الامر الذي ادى إلى نظام عالمي متشابك[2].

وهذا ما ذهب اليه الباحثين من أن العولمة ليست وليدة اليوم بل هي عملية تاريخية قديمة مرت عبر الزمن بمراحل ترجع إلى بداية القرن الخامس عشر إلى زمن النهضة الأوربية الحديثة حيث نشأت المجتمعات القومية، وذهب بعض الباحثين إلى أن نشأة العولمة كان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ألا أنها في السنوات الأخيرة شهدت تناميا سريعا، فبعد تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط النظام الاشتراكي والذي كان يتقاسم الهيمنة مع الولايات المتحدة انتصاراً للنظام الرأسمالي الليبرالي والتي أظهرت ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي يدعو إلى النظام الرأسمالي وتبني أيدلوجية النظام العالمي الاستعماري تحت ستار العولمة. والتي تمثل مرحلة متطورة للهيمنة الرأسمالية الغربية على العالم[3].

فنشوة الانتصار في الحرب العالمية الثانية، وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عسكرية واقتصادية كبرى في العالم يدعوها إلى التفكير في السيطرة على العالم. ولكنها لا تريد حروباً وانما شعارات يتقبلها المجتمع الدولي، فإن شعار أمركة العالم يشعر الشعوب والأمم بالخضوع والمهانة، حيث رأت أمريكا أن بسط نفوذها في الخارج، ليس عن طريق الهيمنة العسكرية وإنما عن طريق القوة الاقتصادية والتقدم التكنولوجي[4]. فتكنولوجيا وسائل الاتصالات، التي أدت إلى تبادل الأفكار

(١) سورة النحل: الآية ٧٢.

(٢) الشيرازي، فقه العولمة دراسة إسلامية معاصرة: ص ١٠.

(٣) مبارك عامر بقنه، مفهوم العولمة ونشأتها،

http://saaid.org/Doat

(٤) موقع الدكتور مصطفى مسلم، نشأة العولمة وتعريفها،

https://mustafamuslim.net/

والمعتقدات والثقافة. الثقافة التي يُمكِن أن تكون أكثر الطُّرق مباشرَة في ممارستنا للعولمة، فلا يمكن ان تكون الثقافات مُحصَّنة ضد عمليات العولمة بل تقوم العولمة بتنشيط وتنمية الثقافة وتمزيقها في الوقت نفسه[١].

ثانيا: أسباب انهيار النظام الأسري في الغرب:

ان نظام الأسرة في أمريكا وأوروبا نظام خاطئ يفتقد للقاعدة والمضمون، فهم لا يصبون من خلال الزواج إلى هدفٍ مقدس وطاهرٍ، وانما الذي يأخذ بأيدي الرجل والمرأة عندهم هي الشهوة وارضاء الغرائز، ويندر لديهم الصالحون من الرجال والنساء، من هنا ينهمر الفساد على أمريكا وأوروبا. فغالباً ما يتزوج الغربيون بعد قضاء وطراً من الفساد والعلاقات غير المشروعة[٢].

اضافة إلى الخيانة الزوجية، مما ينطوي عليه فقدان الثقة واضمحلال الروابط العاطفية بينهما، فأخذ نظام الأُسرة في الغرب يضمحل وينحل، وينتهي إلى انفصام أواصر الأُسرة، قانونياً وعملياً[٣].

لذلك كل الدول الأوروبية تشهد معدلاتٍ مرتفعةً من التفكك الأسري، رغم انه تم الاعتراف بشكل عام بالتعايش على طريقة الأزواج أو الشراكة المنزلية بين رجل وامرأة مع أخذ كامل الحقوق المتعلقة بالملكية والميراث الا إن معدلات الزواج تراجعت، مما ادى هذا التراجع الديموغرافي من تقليل متوسط عدد أفراد الأسرة في جميع أنحاء أوروبا اضافة لوجود الطلاق في أوروبا وتأثيره على ثلث حالات الزواج، وقد وجه الأساقفة اتهامهم إلى السياسيين في البرلمان الأوروبي، لأنهم قاموا بفرض أجندة أيديولوجية عن طريق المطالبة بحق الإجهاض والاعتراف بالشواذ في جميع أنحاء أوروبا، وانتقدوا الأحكام الصادرة عن المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان والتي تظهر على أنها تقوض الروابط العائلية أو جعلها أمراً نسبياً[٤].

وأياً كانت التفسيرات، فإن المجتمعات الغربية اليوم تنتشر فيها مظاهر التفكك الأسري، بسبب تشريعات وقوانين تكفل ما سُمي «الأشكال المختلفة للأسر» أي أُسر الجنس الواحد والأسر بلا

(١) بول هوبر (Paul Hopper)، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب،(المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٤م):ص ١٣.

(٢) أنصاريان، حسين، الأسرة ونظامها في الإسلام، ط الاولى، (قم: انصاريان، ١٣٨٣هـ ش): ص ٥٦.

(٣) السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، ط الثانية، (قم: مؤسسة الإمام الصادق ع، ١٤٢٥هـ): ج١ ص٥٢١.

(٤) لكسموري، جوناثن، انهيار الأسرة في المجتمع الغربي، مجلة البيان

https://www.albayan.co.uk/.

أطفال والأسر الأحادية وغيرها، فبدل أن تؤدي الدول الغربية محاولات جادة لدعم الأسرة ومعالجة المشكلات التي تعترضها، دعمت اشكال الأسرة المختلفة وعملت على تنظيم العلاقات داخلها، ما أسهم بمزيد من الضعف والتفكك[١].

وجدير بالذِّكر أنَّ الحكومة الامريكية في ١٥ حزيران عام ٢٠٠٨ اعتمد إحصائية للأطفال الذين ينشؤون من دون أبٍ واكدت على انهم هم أكثر احتمالًا للعيش في الفقر وارتكابهم للجرائم، وتركهم المدرسة، وينتهي بهم المصير في السجن، فهم أكثر عرضةً بأن يقوموا بمشاكل سلوكيَّة، أو أن يهربوا من البيت، أو أن يكونوا آباءوهم في سنِّ المراهقة، وعلى هذا فأن أسسَ مجتمعهم ستغدو أضعفَ بسبب هذا الأمر[٢].

وكذلك بسبب انهم أباحوا للمرأة التبرج والتهتك والحرية المطلقة والاختلاط غير المشروع، التي كانت من نتائجها ان سقطت الحضارة اليونانية مخلفة من ورائها الويلات والمتاعب حتى بقيت آثارها في الغرب إلى وقتنا الحاضر[٣].

لان من المعلوم والمحقق في علم النفس، إن الغرائز لا عقل لها، فهي عبارة عن دوافع نفسية صرفة وحاجات مفتوحة، تحث الفرد على إشباعها حثاً مستمراً، مع غض النظر عن طريق الاشباع وأسلوبه.

ومن جملة هذه الغرائز التي تتطلب الإشباع، ولعلها أقواها تأثيراً وأكثرها اندفاعاً، الغريزة الجنسية التي تصاحب الفرد من كلا الجنسين فترة طويلة من حياته. ولا يمكن للفرد تناسيها ولا غض النظر عن إشباع متطلباتها. بل إن إهمالها قد يؤدي إلى أنواع من الأسقام النفسية والعقلية والجسمية مما لا يحمد عقباه، من ذلك يظهر بكل وضوح، النتيجة الطبيعية المنطقية التي تترتب على إباحة الاختلاط بين الجنسين على سائر المستويات وفي كل زمان ومكان، وما ينتجه من فساد وانحراف. وقد لمسنا في مجتمعنا الحديث، مجتمع القرن العشرين، التجارب والدليل الصريح على ذلك. مقابل هذا فقد جاء الإسلام بأفضل التعاليم التي تكفل العلاقة الاجتماعية العامة بين الجنسين، وبأسمى معاني الفضيلة والعدل، التي تصونها عن الانسياق في تيار الرذيلة والفساد. فقد منع بشكل قاطع كامل، أي نحو

(١) سحر مصطفى، التفكّك الأسري في الغرب: نموذج غير صالح للتصدير، قضايا وآراء، تاريخ الاضافة ١٤/ ٥/ ٢٠٢٤، https://arabic.khamenei.ir

(٢) بكور، بشار، الأسرة في المجتمعات الغربية: إلى أين المصير؟، تاريخ الإضافة: ١٢/ ٤/ ٢٠١٦، https://www.alukah.net/

(٣) القبنجي، ام علي، المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر السيدة بنت الهدى أنموذجاً، ط الاولى، (قم: مؤسسة الرافد، ١٤٣٢هـ): ص١٤.

من أنحاء الاتصال الجنسي غير المشروع، مَنَعَهُ بكل مراتبه وأشكاله، ابتداء من تبادل النظر وانتهاء بالاتصال المباشر[١]. قال الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ۞ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا** ﴾[٣]. ان تفشي الفساد وغلبة النزوات المحرّمة ورذائل الأخلاق والقتل والنهب والفحشاء والمنكرات بين شعوب الغرب هو نتيجة للدمار الذي ضرب نظام البيت والأسرة. ومثل هذا النظام المنهار ليس جديراً ان يكون قدوةً، ومن يتبعهم سيصبح أسوء منهم لا محالة، وتقليده يعدّ عبثاً وتمهيداً لأن تنغمس الحياة في وحل الشقاء[٤].

(١) ينظر الصدر، محمد (ت/ ١٤١٩هـ)، الأسرة في الإسلام، (بيروت: مكتبة البصائر، ١٤١٣هـ): ص٢٢و٢٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية٣٢.

(٣) سورة النور: الآية ٣٠- ٣١.

(٤) ينظر أنصاريان، الأسرة ونظامها في الإسلام، ص٥٦، ٥٨.

المبحث الثاني: اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة مقابل أثر وتحديات العولمة الثقافية على الاسرة المسلمة سيرة الزهراء عليها السلام انموذجاً

في هذا المبحث نتعرض لبيان كيف اهتمت الشريعة الإسلامية بالبناء الاسري وبعض التشريعات الخاصة بنظام الاسرة مقابل تحديات العولمة ومقارنتها مع سيرة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام من خلال تقسيم المبحث إلى مطلبين.

المطلب الاول: اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة

أولى الإسلام عناية فائقة بالأسرة لأنها العماد الأول للمجتمع المسلم. فالأسرة هي الحصن الحصين للفكر الإسلامي التي تبتدئ بالفرد ثم الأسرة ثم المجتمع ثم الدولة فالأمة. ولعل من أبرز أسباب اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة بسبب دورها البالغ الأثر في التربية الفاضلة للفرد والمجتمع.

فالإسلام ينظر إلى أساس الأسرة على أنها لابد ان تتكون من زوجين صالحين حاملين للصفات الحميدة، لكي تكون نتائجها طيباً حميداً، لأفراد واعين واعضاء اساسيون في بناء مجتمع متماسك، ولان مقدار الوعي والكمال الذي يحمله الزوجان ينعكس على الولد كما ينعكس عليه مقدار درجة الاجرام والرذيلة[1].

كما حث الإسلام الفرد المسلم على الاهتمام بدينه وتشريعاته في مجال الاسرة فاحترام الابوين وبرهما وتربية الابناء التي هي اعمدة الحياة الاجتماعية، يبين للعالم ما هو الإسلام، وانه لم يهتم كما يدعون بالعبادات والاذكار فقط، بل هو نظام ديني شامل ومتكامل. وقد اقر بعض علماء الغرب بأن في الإسلام قوانين راقية ووافية، واشادوا بميزة هذا الدين وحيويته وقابليته للانسجام مع التقدم العصري[2].

فمن تشريعات الإسلام التي جعلته يتميز عن التشريعات الوضعية هو البناء الحضاري المتماسك للأسرة التي عمادها الرجل والمرأة اللذان يتمتعان بنفس الدرجة من الحقوق لكنها تختلف بسب طبيعة

(١) ينظر الصدر، الأسرة في الإسلام، ١١ و ١٣.

(٢) الشمري، جليل علي لفته، المرأة المعاصرة، بين الجاهلية والإسلام، ط: الاولى، (النجف الاشرف: دار الضياء، ١٤٢٧هـ): ص ٥٣.

كل منهما، اي ان حقوقهم اختلف تبعا لواجباتهم، فالرجل والمرأة في ميزان واحد، قال تعالى:﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾[1]، المراد من الآية الكريمة أن لكل من الزوج والزوجة حقوق على الأخر، وعليه واجبات، والمراد من المثلية «مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» هنا الوجوب لا التشابه من حيث الحقوق والواجبات، لأنها مختلفة[2].

فللإسلام «فلسفة خاصة فيما يتعلق بالحقوق العائلية لكل من الرجل والمرأة، وهي فلسفة تختلف عما كان يجري قبل أربعة عشرة قرناً وعما يجري في عالم اليوم. فالإسلام لم يُعين للمرأة والرجل حقوقاً وواجبات وعقوبات من نوع واحد في جميع الحالات، إنما اعتبر بعض الحقوق والتكاليف والعقوبات أكثر انسجاماً مع طبيعة الرجل فيما اعتبر نوعاً آخر منها أكثر ملائمة لطبيعة المرأة، وبالتالي فقد وضع في الحسبان وضعاً متشابهاً لهما في بعض الحالات، وجعل لهما في حالات أخرى وضعاً مختلفاً متبايناً»[3].

فالمُشرع العظيم الذي خلق الرجل والمرأة من نفس واحدة، وميزهما بخصائص ليست من باب المفاضلة، وانما من قبيل ان الشيء يتمم بعضه بعضاً، للاشتراك في اعمار الكون[4]، فضلا عن انه ينظر إلى مركز المرأة واهميتها في الاسرة وفي تكوين الجيل الصالح وصياغة الإنسانية، ويُريد لها صفات الكمال، وان لا تتصف بصفات السوء والرذيلة، الصفات التي تبعثر الاسرة وتقضي على التماسك والعاطفة[5].

بل أنه فضل المرأة على الرجل كما تذكر الروايات عكس ما يروج له الغرب من ان الإسلام يحتقر النساء، ويرفعون شعار قانون المساواة بين الرجل والمرأة متجاهلين الاختلاف الغريزي الطبيعي بينهما، مما يكشف مدى الاختلاف بين الانظمة الوضعية والشريعة الإسلامية التي تهدف إلى تحقيق منهج متكامل لا على حساب المرأة ولا على حساب الرجل وانما لصالح الإنسان والمجتمع[6]. فالإسلام فضل المرأة الصالحة على الرجل غير الصالح فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**الامرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح وأيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب النار وفتح لها**

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

(٢) ابن البراج، عبد العزيز الطرابلسي(ت/ ٤٨١هـ)، المهذب، ط بلا، (قم: المطبعة العلمية، ١٤٠٦هـ): ج٢ ص٢٢٥.

(٣) مطهري، مرتضى، نظام حقوق المرأة في الإسلام، ط الاولى، (ايران: مطبعة ستارة، ٢٠٠٥هـ): ص ١٤٠.

(٤) القبنجي، ام علي، المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر السيدة بنت الهدى انموذجاً: ص١٨.

(٥) الصدر، الاسرة في الإسلام: ص١١.

(٦) ينظر، الشمري، المرأة المعاصرة بين الجاهلية والإسلام: ص٥٠ و٧٠.

ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت»[1].

وقال عليه السلام: «**ما من امرأة تسقى زوجها شربة من ماء إلا كان خيرا لها من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ويبنى الله لها بكل شربة تسقى زوجها مدينة في الجنة وغفر لها ستين خطيئة**»[2].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: **دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة جالسة عند القدر وأنا أنقي العدس، قال: يا أبا الحسن قلت: لبيك يا رسول الله، قال: اسمع مني وما أقول إلا من أمر ربي ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله تعالى من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين داود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام. يا علي، من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف كتب الله تعالى اسمه في ديوان الشهداء، وكتب الله له بكل يوم وليلة ثواب ألف شهيد، وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة، وأعطاه الله تعالى بكل عرق في جسده مدينة في الجنة**[3].

بينما المجتمعات القديمة كالهندية والفارسية واليونانية اعتبرت المرأة احقر شيء، وعاملتها اقسى المعاملات، وحطت من كرامتها وانكرت وجودها الإنساني، اما عرب الجاهلية كانت المرأة على اسوء حال يذكر كان العربي يتألم اذا بشر بالأنثى بل يقتلها[4]، كما ذكر القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾[5] وحتى قوانين بعض الحضارات، كالقانون الروماني الذي أعطى للرجال حق التصرف بزوجته حتى بلغ تعسف الرجل وتسلطه في هذا الشأن انه يجوز له حتى قتلها في بعض الاحيان[6].

لكن الإسلام هو التشريع الوحيد الذي وضع حقوق وواجبات بين الزوجين تختلف، هدفها واحد هو انجاح المشروع الاسري وعيش الزوجين حياة توافق وانسجام كل منهما يعرف ما له وما عليه وانشاء مكون اجتماعي ناجح للحصول على مجتمع صالح.

---

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن(ت/ ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، بلا طبعة، (بيروت: احياء التراث العربي، بلا تاريخ طبع): ج١٤ ص١٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) السبزواري، محمد الشعيري، جامع الاخبار، ط الاولى، (قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤١٠هـ): ص٢٧٥.

(٤) ينظر القبنجي، المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر السيدة بنت الهدى انموذجا: ص١٣و ١٥.

(٥) سورة النحل: الآية ٥٨.

(٦) فضل الله، مريم نور الدين، المرأة في ضل الإسلام، ط الرابعة، (بيروت: دار الزهراء للطباعة، ١٤٠٥هـ): ص٢٩.

المطلب الثاني: أثر وتحديات العولمة على الاسرة المسلمة سيرة الزهراء عليها السلام انموذجاً

ان القوانين والتشريعات والأنظمة التي جاء بها الإسلام وأقرها تهدف إلى تنظيم العلاقة الاسرية وانجاحها على أجمل صورة.

وحتى لا يُدعى بأن هذه التشريعات والانظمة لا يمكن تطبيقها، لابد من بيان جوانب من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنها القدوة والمثل الاعلى المحتذى به فمن خلال حياة الصديقة عليها السلام نتعرف على مدى التباين بين التطبيق العملي لحياة القدوة والواقع المعاصر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾[1]. أي المثل الأعلى لكل القيم، والنموذج الكامل، لأفضل ما يفكر فيه الإنسان من خلق وعمل، والزهراء عليها السلام تمثل الامتداد الرسالي لحركة المرأة في التاريخ، والانموذج الكامل ليس للمرآة فحسب بل للقدوة الصالحة[2]. فقد جعلها الله للنساء من الأمة أسوة ورمز للفضائل والقيم وشاهده على مدى صلاحية تعاليم السماء للتطبيق العملي في كل المجالات، وجعل بيتها أنموذجاً لكل من اراد تكوين مكون أسري ناجح[3].

فجدير بالمرأة ان تقف على سيرة السيدة فاطمة عليها السلام لتأخذ منها دروس النضال والتضحية في سبيل البيت والتربية والعفاف والفضيلة. فقد كانت فاطمة على جانب عظيم في أمر حياتها الزوجية واحترام زوجها والقيام بشؤون البيت[4].

حيث كونت الزهراء بيتها بعيداً عن البهارج والزخارف الدنيوية والتقاليد والاعراف غير المقبولة، اضافة إلى دورها الاجتماعي وشعورها بالمسؤولية اتجاه المسلمين فلا تبرح عن الدعاء لهم، ما يبين مدى العطف والحب والروح الاجتماعية التي تحملها[5].

فقد ورد عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أُمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر**

(١) سورة الاحزاب: الآية٢١.

(٢) آل ابراهيم، محمد حسن، فاطمة الزهراء عليها السلام القدوة الجامعة، ٨/ ٤/ ٢٠١٣، الهدى مجلة شهرية ثقافية تصدر عن دار الهدى للثقافة والاعلام،

(تاريخ زيارة الموقع: 17/12/2018، 10:00م) www.alhodamag.com.

(٣) ينظر، المدرسي، محمد تقي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة واسوة، ط٢، (بيروت: دار كميل للطباعة والنشر، ١٤٣١هـ)، ٧و٨.

(٤) الكفائي، محمد كاظم، الزهراء عليها السلام في السنة والتاريخ والادب، ط بلا،(النجف الاشرف: مطبعة الغري، ١٣٦٩هـ)، ١/ ٢١٣.

(٥) سندس بندر خزعل، مركز دراسات البصرة والخليج العربي- قسم الدراسات التاريخية، سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام منذ الولادة حتى وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله دراسة تاريخية،

https://alfatimi-basra.com/

الدعاء لهم، ولا تدعوا لنفسها بشيء، فقلت لها: ياأُماه! لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يابُني الجار ثم الدار»[1].

فلم يقتصر دورهاعليها السلام على المستوى الفردي بل لها دور كبير وهام على المجتمعات البشرية في مجالات العلم والايمان والاخلاق والسياسة والحياة الزوجية والاجتماعية[2].

ففي مجال العلم تلقت الزهراءعليها السلام العلوم الربانية من مهبط الوحي لقد سمعت من ابيها الرسولصلى الله عليه وآله الكثير من العلوم وتعلمت منه القسط الوافر من الاحكام والادعية والاخلاق بالإضافة إلى ما ألهمها الله تعالى من العلم والمعرفة[3]، فكانت تحرص على طلب العلم من لقاءاتها مع ابيها رسول اللهصلى الله عليه وآله وبعلها باب علم النبي، كما كانت ترسل ولديها الحسن والحسين إلى مجلس رسول اللهصلى الله عليه وآله بشكل مستمر ثم تستنطقهما بعد العودة اليها وذلك لحرصها على تربية ولديها تربية فضلى، وكانت تبذل ما تكسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين بالرغم من كثرة واجباتها البيتية[4]. وتُجيب على اسئلتهن فعن الإمام العسكريعليه السلام قال: حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراءعليها السلام فقالت: «إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثتني اليك اسالكِ... فأجابتها فاطمةعليها السلام، فثنت فأجابت الزهراءعليها السلام، ثم ثلثت إلى ان عشرت فأجابتعليها السلام، ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليكِ يا ابنة رسول الله. فقالت الزهراءعليها السلام **هاتي وسلي عما بدا لكِ...**»[5].

ولكي لا يبقى عذراً لمعتذر، ولا حجة لمن يريد التبرير، جُعلتعليها السلام اسوة للنساء تشاركهن في المسؤوليات العامة، كالشؤون المنزلية، مثل الحمل والوضع والتربية، والاعمال البيتية، والوظائف الشرعية، مثل الحجاب واطاعة الزوج[6].

حيث كان بيت علي وفاطمةعليها السلام البيت الانموذج في الاخلاص والمودة والرحمة، تعاونا فيه بوئام

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: ج٧ ص١١٢.

(٢) وكالة النبأ، الزهراء هي النموذج الكامل لمفهوم القدوة الحسنة في حياة المرأة المؤمنة، ٣٠/ ٣/ ٢٠١٦، https://n.annabaa.org، (تاريخ زيارة الموقع:17/12/2018، 9:52م).

(٣) القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ط الاولى، (قم: دار الغدير، ١٤٣٢ه): ص ٢١٨.

(٤) المجمع العالمي لأهل البيتعليهم السلام، اعلام الهداية فاطمة الزهراء سيدة النساء، ط الاولى، (قم: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت،١٤٢٢ه): ج ٣ ص٣٥.

(٥) الطبرسي، حسين النوري (ت/ ١٣٢٠ه)، مستدرك الوسائل، ط الثانية، (بيروت: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لاحياء التراث، ١٤٠٨ه): ج١٧ ص٣١٨.

(٦) المدرسي، فاطمة الزهراءعليها السلام أسوة وقدوة: ص٢٥و٤٢.

على إدارة شؤون البيت وإنجاز أعماله[١]، التي قضى رسول الله صلى الله عليه وآله فيها على فاطمة عليها السلام بخدمتها ما دون الباب وقضى على علي عليه السلام بما خلفه. فقالت فاطمة عليها السلام: «**فلا يعلم ما دخلني من السرور إلا الله باكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله تحمل رقاب الرجال**»[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال لرجل من بني سعد: «**الا احدثك عن فاطمة انها استقت بالقربة حتى أثرت في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، واوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد**»[٣].

فقد كانت عليها السلام زوجة مثالية تُعين زوجها على امر دنياه واخرته، وكان بيتها تحيط به عظمة الزهد، لا تفارقه بساطة العيش ولا تبرحه خشونة الحياة، رغم انها ابنة حاكم المسلمين وزوجة الوزير والمشاور الاول لرئيس الدولة الإسلامية، فكانت القدوة الصالحة للمسلم الرسالي وانموذجاً للمرأة المسلمة، كما ضربت الزهراء عليها السلام اروع الامثلة في زهدها فهي خير من يؤثر على نفسه اقتداءً بأبيها حتى عرف عنها ايثارها بقميص عرسها ليلة زفافها سلام الله عليها[٤]. وخير شاهد على زهدها القرآن الكريم في سورة الدهر قال تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾[٥]، فلم يكن مجرد اطعام، بل كان مقرون بالإيثار العظيم عند الحاجة الماسة للغذاء، وفي دائرة واسعة بحيث شمل اصناف المحتاجين من المسكين واليتيم والاسير، وقد اتفق علماء الشيعة على ان الآية نزلت في حق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وكذلك هو المشهور بل المتواتر عند علماء السنة[٦].

كما كان لها دور سياسي مميز في حياة النبي وبعد وفاته، حيث وقفت وقفة سياسية جريئة بوجه القيادة التي تولت الحكم بعد ابيها، ومارست الدور الاعلامي أمام الجماهير في تلك الظروف لتحقق هدفها السياسي، حتى حازت درجة سيدة نساء العالمين بجهادها وعبادتها ومساهماتها السياسية المتميزة في خدمة الشريعة المباركة[٧].

(١) المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، اعلام الهداية فاطمة الزهراء سيدة النساء: ج٣ ص٩٣.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: ج١٤ ص١٢٣.

(٣) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت/ ٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه، ط الثانية، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي): ج١ ص٣٢٠.

(٤) ينظر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، اعلام الهداية فاطمة الزهراء سيدة النساء: ج٣، ص ٣٨، ٩١، ٩٢.

(٥) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٦) ينظر الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله الامثل، ط الثالثة، (قم: دار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٤٣٣هـ): ج١٤ ص٦٢٣.

(٧) الشمري، المرأة المعاصرة بين الجاهليه والإسلام: ص٨١.

ففي خطبتها الفدكية العظيمة التي خطبتها بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، الخطبة التي حيرت الالباب، بما تحتويه من فنون البلاغة، وخزائن المعارف والعلوم، ماهي الا نقطة من بحر علمها المتلاطم. تحدثت فيها عن التوحيد وأدلته، وركائز النبوة وقواعدها، كما تحدثت عن مقام الإمامة وأثبتت مقام بعلها أمير المؤمنين عليه السلام حيث وضعته في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، بقولها عليها السلام[1]: «**أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه وابن عمه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون...**»[2].

فلها دور رائد في الدفاع عن القضايا المصرية، ومنها قضية الإمامة، وكذلك اسهاماتها في حروب الإسلام المصرية، وموقفها القوي والمؤثر الذي وظفته لصالح حفظ ثمرات الجهاد في سبيل قضية الإسلام الكبرى، بطريقة تشيعها ودفنها التي اوصت بها[3].

فكانت الزهراء عليها السلام جديرة بان تمثل القمة في مستوى الكمال البشري في جانبه النسوي[4]. اذ طبقت عليها السلام تعاليم السماء تطبيقاً كاملاً، وبهذا اصبحت المثل المحتذى في جميع الفعال والخصال[5].

حيث واجهت عليها السلام تحديات عصرها من ثقافات اجتماعية سعت جاهدة للهيمنة على بيت بنت حاكم الدولة الإسلامية لتجعلها تعيش حالة البذخ والثراء في لبس الحرير والنوم على الديباج كأبناء حكام وملوك ذلك العصر لكن العولمة حالت دون جدوى من الزهراء عليها السلام.

الا ان التجمعات والمنظمات الغربية أصبح شغلها الشاغل عولمة الحياة الاجتماعية للدول غير الغربية عبر تقنين الإباحة والرذيلة باسم الحرية، ومن خلال تعميم الشذوذ باسم حقوق الإنسان والحرية الشخصية وتقويض بناء الأسرة.

ومع الاسف تمكنت من ابعاد الاسرة المسلمة عن منهج السماء المتمثل بسيدة النساء وأثرت العولمة بشكل كبير على البناء الاسري فبسبب هيمنة التكنلوجيا وسهولة الاتصال بالعالم الاخر وحب تقليدهم

(١) الخويلدي، حسن مكي، فاطمة الزهراء الحجة والقدوة، ط الثانية، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٩هـ): ص١٥٥.
(٢) الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب(ت/ ٥٤٨هـ)، الاحتجاج، ط الاولى، (قم: شريعت، ١٣٨٠هـ): ج١ ص١٣٠.
(٣) العاملي، جعفر مرتضى، مأساة الزهراء عليها السلام شبهات وردود، ط الثانية، (بيروت: دار السيرة، ١٤١٨هـ): ج١ ص٥٠.
(٤) الميلاني، فاضل الحسيني، فاطمة الزهراء عليها السلام أم ابيها، ط بلا، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٣٨٨هـ): ص ٥٥.
(٥) المدرسي، فاطمة الزهراء عليها السلام أسوة وقدوة: ص٩.

ساهمت العولمة في زيادة نسبة الطلاق والخيانة الزوجية والبغاء والانحراف والمخدرات والجريمة[1].

لقد بدأت هذه الانحرافات في المجتمعات الغربية وصُدّرت على نحو أو آخر إلى سائر المجتمعات، فللأسف تم تصدّر أزمات المجتمع الاوربي إلى أنحاء العالم كافة بفعل المؤتمرات الدولية ومقرراتها التي تنفذ إلى المناهج التعليمية والقوانين المرعية الإجراء في مختلف الدول، هذا فضلاً عن التأثير السلبي للإعلام بأنواعه المختلفة، بخاصة وسائل التواصل الاجتماعي وثقافة الاستهلاك والفردانية، على الأسرة وشبكة العلاقات داخلها[2].

والمجتمع العربي والمجتمع الإسلامي كانا من ضمن المجتمعات التي اثرت العولمة عليه بكل اقسامها، فالعولمة الاقتصادية تظهر من خلال هيمنة البضاعة الاوربية على الاسواق الإسلامية، او عبر المتاجر الالكترونية يتبن مقدار سيطرة هذا النوع من خلال نسبة الاوقات المهدورة في التبضع حتى وان كان الكترونياً.

وكذلك عولمة التكنلوجيا الحديثة والتي نقلت عبرها حياة الغرب إلى مجتمعنا عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك الأجهزة الالكترونية التي لم يسلم منها حتى الاطفال، الذين اصبحوا – مستخدميها من الاطفال – منعزلين عمن حولهم مما تسب لهم من امراض نفسية وعقلية.

اما العولمة السياسية التي فرضت فيها امريكا واسرائيل سيطرتها على اغلب دول العالم او جعلتها مستضعفه يسودها الظلم والفساد الاداري وسرقة اموال الدولة.

وكذلك العولمة الاجتماعية التي جعلت من مجتمعاتنا نسخة مقلدة لمجتمعات الغرب تبدأ من علاقة الابناء بآبائهم إلى العلاقات الزوجية لتنتهي ببناء اسري منهار ومجتمع ماتت فيه المحبة وروح الاخاء لتحل محلها روح الانانية، فاليوم كثير من المسلمين مقلدين بشكل كبير للمجتمعات الاوربية متناسين الاختلاف الشاسع بين عاداتهم ومعتقداتهم، ونظامهم المنهار وحياتهم المليئة بالشقاء، مقلدين لنظام اجتماعي ليس جديراً بان يتم تقليده.

ومن كل هذا نقول بضرورة الاقتداء بالزهراء عليها السلام واتباع منهجها لنستضيئ بنور سيرتها في الامور العبادة والمعاملات، وغير ذلك مما امر الله تعالى به حسب قدرتنا، لانها عليها السلام في موضع القدوة كما كان

(١) أنيسة فخروا، العولمة والاسرة،
https://www.alraimedia.com/

(٢) سحر مصطفى، التفكّك الأسري في الغرب: نموذج غير صالح للتصدير، قضايا وآراء، تاريخ الاضافة ١٤/ ٥/ ٢٠٢٤،
https://arabic.khamenei.ir.

ابوهاﷺ، ومن ناحية اخرى ان قدسيتها لم تخرجها من جنس البشر كما يروج البعض لشبهة على أنه لا مجال للاقتداء بالزهراءعليها السلام لانها معصومة ولها مقام يختلف عن سائر نساء العالمين، والحقيقة ان هذه الشبهة وامثالها هو نتاج من الثقافة التبريرية في ظل سيطرة الحياة المادية والشهوانية التي هي آخذه في الاتساع والتمكن يوما بعد يوم، والحق ان الزهراءعليها السلام عاشت لله ووظفت كل شيء عندها لله وتريد منا ان نسير على ماسارت عليه كل حسب قدرته واستطاعته[1]. قال تعالى:﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾[3].

(١) ينظر الخويلدي، فاطمة الزهراءعليها السلام الحجة والقدوة: ص١٦٣ - ١٦٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٣) سورة التغابن: الآية ١٦.

الخاتمة

بياناً على ما تقدم في البحث من مدى تأثير العولمة على البناء الاسري لابد من خلاصة للبحث تتضح في النتائج الأتية:

١ــ أن المراد بالعولمة هي هيمنة الغرب على البلاد الإسلامية والدول غير الغربية، وتدخل في جميع المجالات الحياتية منها الثقافية والاجتماعية والسياسية واقتصادية وتكنلوجية.

٢ـ اختلف الباحثون في نشأة العولمة، اشار بعضهم إلى انها تعود للعصر الحديث، بينما أشار اخرون أنها ظاهرة ذات جذور تاريخية قديمة، والاظهر انها ليست ظاهر جديدة.

٣ـ أن انهيار الأسرة الغربية كان نتيجة العوامل المادية والثقافية والاجتماعية والسياسية التي اقرت ان كل ما يلبي رغبات الإنسان ونزواته مقبول بغض النظر عن عواقبه، وأصبحت المجلات والأقلام والمسرحيات والجامعات وجميع المنتديات تعزف على وتر النزوات والغرائز والأنانية والتحرير من الدين والسخرية من قدسية الأسرة، فكانت أول ضحايا هذا التحرر هي الأسرة.

٤ـ اهتم الإسلام بالأسرة المسلمة من خلال وضع الشريعة حقوق وواجبات لكلا الزوجين، واوصت باتباعها، وهدفها الوحيد هو انجاح البناء الاسري.

٥ـ ان مدى تأثير العولمة على الأسرة المسلمة، في وقتنا المعاصر أصبح واضح للعيان، من خلال الجرائم التي تحصل في المجتمع وحالة التفكك والضياع بين افراد اغلب الاسر، وابتعاد المسلمين عن تعاليم دينهم وعدم استهجانهم للمنكر.

التوصيات

١ـ تفعيل دور الحوار بين الاباء وابنائهم، وبين الزوج وزوجته لأنهم مرمي على عاتقهم مسؤولية حماية البناء الاسري.

٢ـ الرجوع قدر الامكان إلى نظام الشريعة الإسلامية.

٣ـ الوعي بأساليب اعداء الدين الإسلامي وبيانها للجيل الجديد.

٤ـ لزوم الوقوف أمام تيارات العولمة الجارفة والتصدي لها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* آل ابراهيم، محمد حسن، فاطمة الزهراء عليها السلام القدوة الجامعة، ٨/ ٤/ ٢٠١٣، الهدى مجلة شهرية ثقافية تصدر عن دار الهدى للثقافة والاعلام، www.alhodamag.com (تاريخ زيارة الموقع: ١٧/ ١٢/ ٢٠١٨، ١٠:٠٠م).
* أنصاريان، حسين، الأسرة ونظامها في الإسلام، ط الاولى، (قم: انصاريان، ١٣٨٣هـ ش).
* أنيسه فخروا، العولمة والاسرة، https://www.alraimedia.com/
* ابن البراج، عبد العزيز الطرابلسي(ت/ ٤٨١هـ)، المهذب، ط بلا،(قم: المطبعة العلمية، ١٤٠٦هـ).
* بكور، بشار، الأسرة في المجتمعات الغربية: إلى أين المصير؟، تاريخ الإضافة: ١٢/ ٤/ ٢٠١٦، https://www.alukah.net/
* بول هوبر (Paul Hopper)، نحو فهم للعولمة الثقافية، ترجمة: طلعت الشايب، ط الاولى، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٤م)، ١٣.
* الحر العاملي، محمد بن الحسن(ت/ ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الطبعة بلا، (بيروت: احياء التراث العربي، بلا تاريخ طبع).
* السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، ط الثانية، (قم: مؤسسة الإمام الصادق ع، ١٤٢٥هـ).
* السبزواري، محمد الشعيري، جامع الاخبار، ط الاولى، (قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤١٠هـ).
* سحر مصطفى، التفكّك الأسري في الغرب: نموذج غير صالح للتصدير، قضايا وآراء، تاريخ الاضافة ١٤/ ٥/ ٢٠٢٤، https://arabic.khamenei.ir
* الخويلدي، حسن مكي، فاطمة الزهراء الحجة والقدوة، ط الثانية، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٩هـ).
* سندس بندر خزعل، مركز دراسات البصرة والخليج العربي- قسم الدراسات التاريخية، سيرة

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام منذ الولادة حتى وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله دراسة تاريخية، https://alfatimi-basra.com/

* السهلي، نبيل محمود، تأثير العولمة الثقافية على الاسرة المسلمة، مجلة البيان الرقمية، العدد ٣٨٧، https://www.albayan.co.uk/

* الشمري، جليل علي لفته، المرأة المعاصرة، بين الجاهلية والإسلام، ط: الاولى،(النجف الاشرف: دار الضياء، ١٤٢٧هـ).

* الشيباني، الخضر بن عبد الملك، البعد الديني ومفهوم العولمة، (صنعاء: مركز الكلمة الطيبة للبحوث والدراسات العلمية، ٢٠٠٩م).

* الشيرازي، محمد الحسيني، فقه العولمة دراسة إسلامية معاصرة، ط الثانية، (مكان الطبع: بلا، مؤسسة المجتبى عليه السلام، ٢٠٠٢م).

* الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله الامثل، ط الثالثة، (قم: دار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام،١٤٣٣هـ).

* الصدر، محمد(ت/ ١٤١٩هـ)، الأسرة في الإسلام، (بيروت: مكتبة البصائر، ١٤١٣هـ).

* الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت/ ٣٨١هـ)، من لا يحضره الفقيه، ط الثانية، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي).

* الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب(ت/ ٥٤٨هـ)، الاحتجاج، ط الاولى، (قم: شريعت، ١٣٨٠هـ).

* الطبرسي، حسين النوري (ت/ ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، ط الثانية، (بيروت: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤٠٨هـ).

* العاملي، جعفر مرتضى، مأساة الزهراء عليها السلام شبهات وردود، ط الثانية، (بيروت: دار السيرة، ١٤١٨هـ)،

* عبد الصبور شاهين «عضو مجمع اللغة العربية» العولمة جريمة تذويب الأصالة»، مجلة المعرفة العدد (٤٨)،

http://saaid.org/Doat/

* فضل الله، مريم نور الدين، المرأة في ضل الإسلام، ط الرابعة، (بيروت: دار الزهراء للطباعة، ١٤٠٥هـ).

* القبنجي، ام علي، المرأة في المجتمع الإسلامي المعاصر السيدة بنت الهدى انموذجاً، ط الأولى،

(قم: مؤسسة الرافد، ١٤٣٢ه).

* القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ط الاولى، (قم: دار الغدير، ١٤٣٢ه).

* الكفائي، محمد كاظم، الزهراء عليها السلام في السنة والتاريخ والادب، ط بلا، (النجف الاشرف: مطبعة الغري، ١٣٦٩ه).

* لكسموري، جوناثن، انهيار الأسرة في المجتمع الغربي، مجلة البيان
https://www.albayan.co.uk/

* مبارك عامر بقنه، مفهوم العولمة ونشأتها،
http://saaid.org/Doat/

* المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، اعلام الهداية فاطمة الزهراء سيدة النساء، ط الاولى، (قم: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤٢٢ه).

* محمد عدنان القماز، تعريف الاسرة،
https://mawdoo3.com/، ١٠ أكتوبر ٢٠٢١.

* المدرسي، محمد تقي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة واسوة، ط٢، (بيروت: دار كميل للطباعة والنشر، ١٤٣١ه).

* مصطفى مسلم، نشأة العولمة وتعريفها،
https://mustafamuslim.net/

* مطهري، مرتضى، نظام حقوق المرأة في الإسلام، ط الاولى، (ايران: مطبعة ستارة، ٢٠٠٥ه).

* ابن منظور، جمال الدين(ت/ ٧١١ه)، لسان العرب، (قم: نشر أداب الحوزة، ١٤٠٥ه).

* الميلاني، فاضل الحسيني، فاطمة الزهراء عليها السلام أم ابيها، ط بلا، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٣٨٨ه).

* وكالة النبأ، الزهراء عليها السلام هي النموذج الكامل لمفهوم القدوة الحسنة في حياة المرأة المؤمنة، https://n.annabaa.org، 30/ 3/2016 (تاريخ زيارة الموقع:17/12/2018، 9:52م).

* ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ العولمة، https://ar.wikipedia.org /

المرأة الكاملة في القران الكريم

بين السيدة الزهراء والسيدة مريم (عليهن السلام)

دراسة نقدية

الباحثة: م.د. بتول نعمة علي الموسوي

الملخص

لأمر مهم أن يتعامل الدارس مع مقامين مقدسين وعاليين هما النص القرآني والسيدة الزهراء عليها السلام، من خلال البحث عن شخصيتها المقدسة والتحقق الواقعي للمرأة الصالحة في الخطاب القرآني، فالنص القرآني يصرح بقصص نساء كثر قد مثلن موقفين أو أكثر منهن من مثلت الصلاح والايمان والموقف التوحيدي الخّير ومن جانب آخر ذكر الخطاب الآيي نساء طالحات في مواقفهن المثبتة قرآنيا، وسيوضح هذا البحث موقف وصفات النساء في القرآن مقارنة بالمصداق الواقعي الذي تمثله شخصية إسلامية إيمانية متمثلة بشخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، يدور البحث حول شخصية السيدة الزهراء عليها السلام والتحقق الواقعي للمرأة الصالحة في الخطاب القرآني دراسة مقارنة لصفاتها ومواقفها والمصاديق النصية والروائية، تناول البحث حورائية الزهراء والتحقق الواقعي لمصداق مرأة الحور العين، وكذلك وقف على الامر الاصطفائي للسيدة الزهراء سلام الله عليها ومدى تناسخ الامر بينها وبين السيدة مريم عليها السلام ويتداخل مع هذا المعنى مفهوم الانا الجمعية التعويضية عن نساء الامة في آية المباهلة ومجرياتها ولينتهي الامر في تحقق الاصطفاء من خلال الصلاح المعاكس للنساء الطالحات في القران عبر النص القراني والروايات والتحليل المنطقي واللغوي من خلال البحث في فكر الزهراء ومواقفها وصفاتها، ليصل البحث لتحقق صلاحها وكمالها من خلال شمولها كل الصفات والمواقف والامتيازات التي رسمها النص القراني للنساء الصالحات على مر الوجود وتفوقها بالكمال عليهن.

كلمات مفتاحية: المرأة الصالحة، فاطمة الزهراء، مصداق قرآني، خطاب قرآني.

المقدمة

إتجاه كل الموجودات بدءا من الخلق وتحديد النوع والأصل مرورا بالتكوين وبالدور والصفات والمواقف والتكريم، وقد تم ذلك من خلال الذكر القرآني العام بإفرادها أو بمساواتها مع الرجل وكذلك من خلال المصاديق النسائية الرائدة التي ذكرها.

أهمية الموضوع: بيان دور الخطاب القراني في طيّ صفحة لتأريخ طويل كانت المرأة فيه محاطة بالخرافة والظلم والاستضعاف وعدم التقدير الإنساني الحقيقي في ظل الامتهان والدونية والنظرة المادية لها، ليشكل الخطاب السماوي صورة المرأة بمفهوم قيمي عال على الصعيد الإنساني والفكري والاجتماعي ومن ناحية الحقوق والواجبات وبيان الصفات الكمالية للمرأة من خلال صفات الزهراء ومواقفها.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

١. بيان منزلة السيدة الزهراء عليها السلام من خلال النص القراني.

٢. مقارنة المواقف والصفات الخاصة بشخصية السيدة الزهراء عليها السلام مع مواقف وصفات النساء اللواتي ذكرهن الخطاب القرآني واثبات تفوق الزهراء عليهن.

٣. اثبات تعضيد الاقوال النبوية للخطاب القرآني.

منهج البحث: المنهج التحليلي

الدراسات السابقة للبحث: يرتكز البحث على دراسات مهمة أهمها:

- فاطمة الزهراء قنديل العرش، السيد هادي الموسوي.
- المرأة في النص الديني قراءة نقدية في روايات ذم المرأة، حسين الخشن.
- المرأة الكاملة بالوجود السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله رؤى عالمية، الدكتور راجي أنور هيفا.

يثمن الخطاب القرآني موقف كل فرد معتبرا أن لكل واحد عمل يعمله وهذا العمل لايُضَيَع عند

ذاته الربانية العادلة فيقول جل جلاله: ﴿ **أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى** ﴾[1]، وهذا يجعل إقتداء البشرية بموقف الزهراء عليها السلام الإسلامي مطلق ولا تُحَدُّ سيادتها بنساء العالمين فقط فتحل سيدة على الجميع من النساء والرجال وهذا يثبته قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[2] لتكون الزهراء سلام الله عليها قدوة للرجال والنساء معاً ومن هنا كانت حياة العظماء تعتمد على وجود أمرأة ومشارِكة وعظيمة من حوّاء ومشاركتها آدم عليه السلام أبوة هذه البشرية إلى نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام وهاجر، وموسى عليه السلام ومن شاركنه مسيرة حياته ومهامه التكليفية وعيسى وأمه الصديقة مريم عليها السلام، ومع أيوب الصابر عليه السلام كانت زوجته الصابرة العظيمة.

ومع رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله كانت خديجة الكبرى مثال للموقف المساند والمعضد بكل ما تملك من عظمة مادية ومعنوية مثلما كانت ابنتها الزهراء لعلي بن أبي طالب سلام الله عليهما «ولعمري إنها قاعدة تجري على كل العظماء في العالم سواء كانوا بمصاف الانبياء والائمة، أو كانوا في عداد الثوار والعلماء والمصلحين فكل النجاح الذي أحرزه العظماء في التأريخ كان ينبت أول زهرة في قلوب النساء اللواتي كن معهم» وهذا ما يأخذنا إلى جعل الزهراء عليها السلام سيدة المؤمنين والمؤمنات.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

(٢) سورة الحجرات: الآية١٣.

المبحث الاول: اصطفاء الزهراء عليها السلام ومصداقه

يقدم القران الكريم بعض ملامح الصلاح الذي يكتنف المرأة ضمن ثقافة السماء وعنايتها الخاصة فيوصي ويوصف ويأمر ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾[2] فيرسم لنا الصفات العامة للمرأة الإسلامية التي لا تنفك صفات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من أن تكون ابلغ تمثل لما يذكره الخطاب القراني في آييه ومحط تحقق لكل ما ذكر في الايتين وغيرهما كما انها مصداق للصفات المرصوفة في الآية المشتركة بين النساء والرجال: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾[3] وهذه الصفات الصالحة التي قدسها وأعلاها الخطاب القرآني هي صفات متناسخة في الذات الزهرائية فهي أختزال فارق لكل المصاديق المذكورة حتى أهلت أن تكون محل أصطفاء واختيار من بين كل الخلق في عدة صفات وكمالات تحققت في المعاني القرآنية:

- الاصطفاء بالحورائية:

من النماذج القرآنية الموازية لصورة المرأة الدنيوية هي (الحور العين) او المرأة الجنائنية، والتي قد تحقق المرأة الدنيوية مرتبة أعلى من مرتبتها لأنها عبارة عن جزاء للمؤمنين أثر عمل صالح قام به في الدنيا فلولا عمل المؤمنين لما كان هناك جنة ولا حور عين[4]. وهذا ما يأخذنا إلى جعل الزهراء عليها السلام وهي سيدة المؤمنين والمؤمنات أعلى مرتبة من الحور العين بكل صفاتهن وقيمتهن الترغيبية في الخطاب القرآني والنص الروائي فعندما سئل الإمام الصادق عليه السلام كيف تكون الحوراء في كل ما أتاها زوجها

(١) سورة النور: الآية ٣١.
(٢) سورة الاحزاب: الآية ٥٩.
(٣) سورة الاحزاب: الآية٣٥.
(٤) المصدر نفسه: ج٣ ص٣١٤.

عذراء قال: **أنها خلقت من الطيب لا تعتريها عاهة ولا تخالط جسمها آفة**[1]. (٨)

كما أنها كانت الحوراء بالتحقق الفعلي الواقعي للحوراء بصفاتها المادية فتذكر الروايات عن الزهراء عليها السلام بانها حوراء انسية وعذراء دنيوية كما يعبر النص االقرأني ﴿ **فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا** ﴾[2] وهذه الميزة التصويرية للخلق الخاص بسيدة الوجود فاطمة لا مثيل لها إذ «لا يوجد وصف بهذه الكيفية «حوراء إنسية» لأحد من الاولين والاخرين من نساء الدنيا ولا للرجال أيضاً بأنهم ملائكة بشريون مثلا، ومع أنَّ الله خلق الانبياء عظاما وكراما بطريق الاعجاز المحض من دون الاسباب االظاهرية»[3] كآدم وعيسى عليهما السلام.

ميز رب العزّة والجلالة سيدتنا ومولاتنا في الاصطفاء من أول الخلق حيث أصطفى نورها من نور عظمته وادرجها مدارج الكمال والطهر والعصمة وفي حديث طويل للرسول صلى الله عليه وآله: «**إن آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد يمشين أمام فاطمة كالحجاب لها إلى الجنة**»[4] ففاطمة بين النساء هي خيرهن إذ ما كمل من النساء الا أربعة فلا بد أن تكون فاطمة كاملة بأنوثتها وإذا ما كان من صفات الحور عدم الحيض ودوام البكارة فهي صفات ظاهرة للزهراء سلام الله عليها كمصداق واقعي في الدنيا بأعتبارها حورية دنيوية تحقق فيها الصلاح والكمال فيؤكد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله باكثر من قول «**أعطاني الله فاطمة العذراء ترجع كل ليلة بكرا ولم يعط ذلك أحد من النبيين**»[5]. وهذا القول يحمل معنا دقيقا وهو تحقق كمال وتقدم الرسول على الانبياء بتحقق كمال الزهراء وقد ورد في حديث عن صادق العترة عليه السلام قال: «**ما تكاملت النبوة لنبيٍّ، حتى أقرَّ بفضلها ومحبتها**»[6].

- الاصطفاء بالمباهلة:

ولا تكريم أعلى من التصريح القرآني في آية المباهلة بأختصار الأنا الجمعية التي حققها وجود الزهراء عليها السلام كعائض عن أنوات كل نساء الامة الإسلامية آن ذاك عندما باهل وتحدى الخطاب القرآني بصورة دعائية للمباهلة وملاعنة من كان من الكاذبين بأمر الله ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا**

(١) بحار الانوار: ج٨ ص١٣٦.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٣٦.
(٣) فاطمة الزهراء قنديل العرش، السيد هادي الموسوي: ج٧٨.
(٤) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٣٦.
(٥) بحار الانوار: ج١ ص٨٩.
(٦) الاسرار الفاطمية: ص٨٢ .

وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[1].

إذ يصرح النص القرآني بصورة جلية أن الزهراء عليها السلام هي النساء الكاملات أجمع؛ إذ لا يليق أن يراهن ويناقض أي أحد مع مخالف له ومحاجج لعقيدته ودينه الا بأعلى قيمة وجودية لديه فكان أهل البيت هم القيمة العليا عند الرسول صلى الله عليه وآله وعند الذات الالهية لهذا أُمر الرسول صلى الله عليه وآله لأن يباهل يهود نجران بمن هم أهل للغلبة ومصداق للكمال في الوجود فما كان جوابهم الا إنه «جاء بخاصته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقا بحقه، والله ما جاء بهم وهو يتخوف الحجة عليه فإحذروا مباهلته»[2].

وتفوقت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام كهالة تحوي الكمال العام لمصداق النساء جميعا كأنا جمعية عنهن فكان مفهوم التحدي الذي وضعه القران الكريم مفهوما جمعيا بل أميا لانه كان تباهل أمة أمام أمه وأختصر نساء الامة جميعا بالسيدة الزهراء لوحدها وهو يعبر بالجمع ﴿ **وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ** ﴾ «وخصوصية الزهراء في هذه الحادثة أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بلزوم دعوة فاطمة وابنائها وزوجها لهذه المباهلة وقد قرنها في هذه الفضيلة بنبيه في هذا الاصطفاء على الامة وفي القرب الاهلي واستجابة الدعاء وإنها تمثل نساء النبي صلى الله عليه وآله ونساء الامة»[3] ولعل هذا الامر هو أحال لموقف تسيد الزهراء النساء الكمل وعلى وجه الخصوص ذكر الرسول النساء الكُمّل قائلا: «**حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون**»[4].

قال المجلسي: وفي رواية مقاتل والضحاك وعكرمة عن ابن عباس: «وأفضلهن فاطمة»[5].

- الاصطفاء من خلال مقارنتها بالسيدة مريم:

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾[6] تعد السيّدة مريم عليها السلام آية كبرى، معصومةً مقدّسةً، ومثالًا للطهر والإنسان الكامل بنحوٍ خالٍ من الغبار، وبذلك ربما يبرّر تكرار لفظة الاصطفاء في حقّها أصطفاء مرتبط بمعجزة الايجاد وولادتها لعيسى من غير أبٍّ، ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: «**... اصْطَفَاهَا مَرَّتَيْنِ، أَمَّا الأُولَى فَاصْطَفَاهَا**

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.
(٢) المرأة الكاملة بالوجود: ص٣٤.
(٣) فاطمة الزهراء قنديل العرش: ص٦٢٠.
(٤) بحار الانوار: ج١٤ ص١٩٥.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

أَي اخْتَارَهَا، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ فَاصْطَفَاهَا بِذَلِكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»[1] وقد أشاح وكشف النص االقراني عن جانبٍ مهم في سرّ اصطفائها ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾[2].

من هذا نستنتج أن الاصطفاء مرتبط بالايجاد والايجاد قضية وجودية في الامر الالهي الرسالي ويتحقق الامر واقعيا وبالمعطيات القرانية في مهمة الزهراء عليها السلام الايجادية الذرارية في تحقق الطهر والاصطفاء معا لتكون ذريتها وسلسلة ابنائها أئمة معصومين متناسلين من ذرية واحدة بعضها من بعض مطهرون ومن الزنا والسفاح والاوساخ والارجاس في حجور نقية كما قال عنهم في كتابه المجيد ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾[3] وهذا ما لا يتحقق مع السيدة مريم سلام الله عليها، ولعل المقارنة بين المقامين من ناحية الذرية تعطي هذه النتيجة الفلسفية السماوية:

مريم الايجاد إعجازي / الانقطاع ذراري (فردي)
←
الزهراء الايجاد طبيعي / الاستمرار ذراري (جمعي)
←

لتمثل هذه الصفات تحقيقا واقعيا لمصاديقها القرآنية البليغة في النساء المذكورات في خطابه السماوي على إنّها تشترك مع الزّهراء عليها السلام في طبيعة الاصطفاء، والروايات كثيراً ما تربط بين مسألة اصطفاء السيّدة مريم عليها السلام وبين اصطفاء السيّدة الزّهراء عليها السلام -والمظنون أنّ ورود قصّتها في القرآن وتسليط الآيات عليها هو من أجل لفت العناية وتوجيه الأنظار إلى الزّهراء عليها السلام- وبناءً على ذلك فإنه بمقدورنا تَعْدِية ما يستفاد من دور مريم عليها السلام والغرض من اصطفائها إلى الزّهراء عليها السلام، وتصبح معه القصّة والآيات المتعلّقة بها مشيرة ظاهراً إلى شخص مريم عليها السلام ولكنّها في الواقع هي بمثابة التوجيه إلى شخص الزّهراء عليها السلام أيضاً.

والخطاب القراني يقدم لنا السيدة الزهراء بأنا الجمع والتعويض ويقابلها أنا مصطفاة ايضا ولكنه اصطفاء ذاتي وخاص، ومنه نخلص لتحقيق ان للزهراء تسيد عوالمي فتكون وفق الروايات سيدة نساء

(١) بحار الأنوار: ج١٤ ص٢٠٠.
(٢) سورة التحريم: الآية ١٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآية٣٣.

العالمين وهذا يحتم ان يكون الشأن المريمي في نطاق الاصطفاء الحيني الدائر وقتي وحيني آن زمانها كما هو موضح في المخطط والروايات:

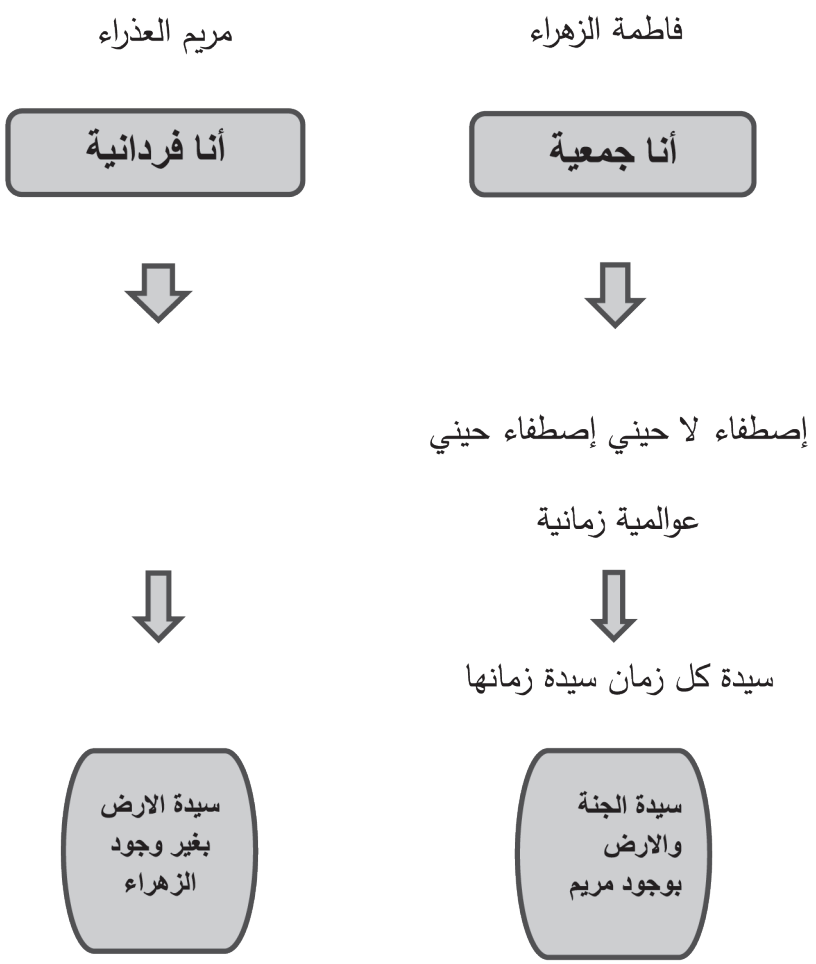

وبهذه المسلمات نصل لمسلمات متقابلة كنتائج قرآنية لمباهلة السيدتين المصطفيتين لنسمي كل مباهلة بتسمية تميز مفهومها

- السيدة الزهراء – (ثبات / دينية) – مباهلة منتصرة
- السيدة مريم – (تصالح / أجتماعية) – مباهلة مذعنة

ولو عدنا إلى السيّدة الزّهراء عليها السلام وبالنظر إلى مجموعة الروايات التي تشبّه ظرفها –من زاويةٍ ما– بظرف السيّدة مريم عليها السلام نجد أنّ الخطب الجليل الذي كلّفت به هو كونها الواسطة التي تنحدر منها

الذريّة الطاهرة لآل البيت النّبويّ الشريف (عليهم الصلاة والسلام)، هذه العترة التي تمثّل علّة الوجود وسرّ رحى الكون ومهبط الرحمة على العالمين والموئل الذي يفزع إليه النّاس بعد الرسول صلى الله عليه وآله، والذي يصبح خاتمهم عجل الله فرجه هو المنقذ للبشريّة من ألوان الظّلم والعذاب، ويظهر به الإسلام على سائر الأديان، ولعمري أنّ المتتبّع للروايات حول مقامهم ومنزلتهم لَيشعر بالإيقان أنّ آية خلقهم وإيجادهم عليهم السلام لَهي أعظم وأكثر إعجازاً من خلق النّبي عيسى عليه السلام.

ولهذا المعنى العميق يمكن أن نؤول ذكر السيدة مريم العذراء لمقامات أخرى ولعل النص يفرز القرئن النصة دلائلا على ذلك كما يؤكد النص الروائي تفاصيل المقام كقوله تعالى في ذكر امرأة عمران، ونذرها المبارك: ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[1].

واذا كانت مريم أفضل النساء، وفاطمة الزهراء عليها السلام افضل من مريم ومن جميع نساء العالمين وكثرة التصريح باسم مريم لا يدل على أفضليتها «وإحتجاب اسمها واختفاؤه دليل على عظمة ذاتها وشرف حالاتها وهي المستورة الكبرى كما أن ثبوت هذه الفضيلة لفاطمة عليها السلام لاتنفي علو مرتبة مريم عليها السلام»[2].

ولا نبتعد عن فلسفة الرمز في القران الكريم اذا ما حللنا تفاصيل الآية من دعاء امرأة عمران ونذرها وحتى التسمية على أنها حادثة تأريخية واقعة فعلا أذا ما قلنا من الممكن ان تشترك المعاني مع ولادات مشابهة ولكن تحتاج هذه الآية بعدا تأويلا جديدا مرتبطا بشخص السيدة الزهراء عليها السلام فيكون النذر من قبل السيدة خديجة سلام الله عليها وهي تحمل أبنتها الزهراء لتنذرها محررة في سبيل الله وتضعها وتعيذها بالله وذريتها وهذه التعويذة تحتاج لالتفاتة مهمة وهي ان الاستعاذة جاءت لذرية كاملة ومريم سلام الله عليها ليس لها ذرية وانما ولد واحد وهو عيسى لهذا يمكن ان تنطبق هذه التفصيلة على ذرية الزهراء سلام الله عليها أكثر من فردانية مولود مريم فتذكر الروايات ان ال ياسين المسلم عليهم في ﴿ **سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ** ﴾[3] كانوا آل الرسول من ابنته فاطمة والكلام في تفاصيل الال

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٥-٣٦.
(٢) الخصائص الفاطمية: ص ٢٥٥.
(٣) سورة الصافات: الآية ١٣٠.

والذرية يطول[1]. لنفضي بعد هذا الانبات والسلام والنذر إلى الاصطفاء المشترك بين السيدتين عليهما السلام.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۞ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[2].

(١) ينظر: هذه فاطمة دراسة وتحليل، السيد نبيل الحسيني: ج٩١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٢-٤٣.

المبحث الثاني: كمال الزهراء مع وقف المعجزة (التحقق الطبيعي)

لتحقيق الكمال في أي شيء شأن وحكمة سارية من جنبة الذات الالهية خصوصا اذا كان تحقيق هذه المزية الكمالية قائمة على مواصفات خاصة ومرتبطة بشأن سماوي، فحدوثها من وقفها وعدم سريانها أمر إلاهي له اسبابة وتأويلاته وقد نجد المعجزة حاضرة في أحداث وقصص كثيرة متعلقة بالانبياء والصالحين في النص القراني والبحث فيها في دائرة الدراسات المقارنة بين الصالحين وبين اهل بيت محمدﷺ يخرجنا لنتائج قيمة وكمالية مهمة لان المعجزة في اساسيات حياة ال محمد وقفية ولا تسري مسراها الاول مع الانبياء والمرسلين والصالحين ومن ما يهمنا هنا شأن كمال الزهراء وتمام مواقفها وجميل صفاتها مع وقف الامر الاعجازي الظاهري من خلال دراسة موازنة بين شخصيتها والنساء في النص القراني

- السيدة آسيا بنت مزاحم:

فقد كان السيدة آسيا كان لها موقف اعجازي مع الذات الالهية روى الثعلبي في العرائس: عن ابن عباس قال: أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل في دينه، فمر بها موسى وهو يعذبها، فشكت إليه بأصبعها، فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب، فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما إلى أن ماتت في عذاب فرعون، فقالت وهي في العذاب: «رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني...» الآية، فأوحى الله إليها أن ارفعي رأسك، ففعلت فرأت البيت في الجنة من در، فضحكت فقال فرعون: انظروا إلى الجنون الذي بها، تضحك وهي في العذاب

والعجيب في أمر آسية أنها كانت تكتم إيمانها في هذه المدة المديدة، وهي عند فرعون، تعيش معه كزوجة تألفه وتؤانسه، فلما علم بإيمانها استشاط غضبا وأخذ يصرخ كالمجانين ويتلوى، وكلما أصر عليها أن تقر بربوبيته رفضت وبقيت ثابتة على إيمانها بالله، وتمسكها بالشريعة الموسوية، فدعى قصابا -كما في بعض التواريخ المعتبرة- وأمره أن يقطع رأسها أمامه ويسلخ جلدها

ثم قال الملائكة مرة أخرى: عجبا من آسية، تطلب «بيتا» من الله ولا تطلب شيئا آخر وهي في ساحة المجد الكبريائي الرباني، تطلب بيتا فقط أجرا لصبرها؟! فقال الله تعالى: إنها طلبت شيئا عظيما،

لأنها قالت «رب ابن لي عندك بيتا» فهي تطلب جواري، وقد بنيته لها. وهذا يقترن بما تنقله النصوص الروائية عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها انها سمعت رسول اللهﷺ يبكي ويقول: «**أبكي لذريتي وما يصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة أبنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي: وا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي**» فراحت تبكي لسماعها ذلك فقال لهاﷺ: «**لا تبكي يا بنية**» فقالت: «**لست أبكي لما يصنع بي من بعدك، ولكني أبكي لفراقك يا رسول الله**» فقال لها: «**أبشري يا بنت محمد فأنك أول من يلحق بي من أهل بيتي**»(١).

وما آسية التي شكلت موقفا عقائديا توحيديا ثابتا وحازما أمام أعتى طغات الارض الا مصداقا قرآنيا لهذه الكمالات المشتركة مع السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام فقد اجتهدت في سبيل الإسلام والإيمان غاية الاجتهاد، وتحملت الصعاب، وقدمت روحها فداء واستشهدت في سبيل الله، والعاقبة أنها نالت أجر همتها العالية، فرفع ا لله عن نظرها الحجاب، فرأت منزلها في الجنةولكن تبقى الدرجة الرفيعة لفاطمة الشفيعة أعلى وأفضل من مقام آسية لأنها أدركت سعادة الشهادة، قال الإمامعليه السلام «**إنها ماتت شهيدة**»(٢)، ولأنها لم تتمن على الله عند رحلتها في اليوم الأخير من عمرها حورا وقصورا وولدانا وغلمانا وجنانا، ما تمنت شيئا من ذلك، وإنما تمنت جوار أبيها سيد الرسل.

﴿ **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا** ﴾(٣) أما سيدتنا الزهراءعليها السلام ماكان من أمرها الا إنها واجهت الظلم والارتداد على دين ابيها ووصيته ويتحقق موقف السيدة الزهراء المتمثل بالمواجة لاثبات الحق قرآنيا إذ ذكر أن السيدة العذراء مريم عندما ارادت مواجهة قومها كان للسماء تدخل اعجازي واضح ﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾(٤) وهذا التسليم متحقق في شخص الزهراءعليها السلام دونما تتداخل المعجزة في تخفيف ما حل بها وبذريتها فكان للزهراء ولبنيها المزية في التسليم لامر الله والصبر على قضائه كله دونما اعجاز لهذا ينتهي الامر بابتها السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب ان

(١) ينظر: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: ج١ ص٣٢٣.
(٢) انظر البحار: ج٤٣ ص ١٩٨ ح ٢٩ باب ٧.
(٣) سورة مريم: الآية ٢٣.
(٤) سورة مريم: الآية ٢٧-٣٣.

تقول «ما رأيت إلا جميلًا».

- توحيد السيدة بلقيس:

مثلما كان للمعجزة حضور في قصة إيمان بلقيس ﴿ **قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۞ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾[1] وتدخل السماء والفعل النبوي في بناء موقفها الوحداني وما دورها في تجنيب قومها حربا ضروسا وأخذت بإيديهم الى الايمان والتوحيد حتى جعلت نفسها ونبي الله بمرتبة إسلام واحدة[2] فقالت «وأسلمت مع سليمان رب العالمين» ولموقفها هذا انعكاس صلاح مهم للامة باكملها[3] من خلال موقفها مع بعلها في تحقيق وصية الرسول الكريم بعد وفاته في الحفاظ على الدين غير أن الزهراء سلام الله عليها جرى ما جرى عليها دون تدخلات للإعجاز ولا خرق للواقع فكانت صابرة ومنتصرة لله على الرغم من كل العنت الذي قابلها به ناكثوا العهد والوصية ويقترن المصداق ويتحقق وجه الشبه للصلاح النسوي في الشخصيتين من خلال الموقف الخطابي الذي مارسته الزهراء سلام الله عليها في المطالبة بحقها واستدارة كثير من الاحداث بحكمتها وهذا هو المصداق القرآني المتمثل بموقف بلقيس وهي مخاطبة قومها غير أنها وجدت من هم لقولها صاغين بعكس ما لاقت سيدتنا ومولاتنا الزهراء عليها السلام.

- السيدة هاجر والافتداء:

والحديث عن هاجر الصابرة المحتسبة وهي ترى زوجها يأخذ بيد فلذة كبدها وولدها الوحيد ليذبحه ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾[4].

فينشط الشيطان باذلاً ما في وسعه من جهد ليحرّك مشاعر الأمومة في نفسها، ويثير ما بداخلها من أشجان وآلام، فأتاها قائلاً: أتدرين أين يذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: لا. قال: إنه يذهب به ليذبحه. قالت: كلا، هو أرأف به من ذلك. فقال: إنه يزعم أن ربه أمره بذلك. قالت: فإن كان ربه قد أمره بذلك، فقد أحسن أن يطيع ربه ولعل المقارنة بين موقف السيدة الزهراء عليها السلام وهي أم الحسين الشهيد وموقف هاجر أم اسماعيل تنتهي لذات التسليم بأمر الله غير أن الكرامة تنتهي بالنتيجة الاعجازية

(١) سورة النمل: الآية ٣١.
(٢) ينظر: المرأة في النص الديني قراءة نقدية في روايات ذم المرأة، حسين الخشن: ص٦١.
(٣) ينظر: المرأة الكاملة بالوجود: ص ٣٤٣- ٣٤٦.
(٤) سورة الصافات: ١٠٢.

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾(١).

ولم تكن النتائج خارقة للطبيعة مع الامام الحسين عليه السلام فكان التسليم أعظم والمصاب أفجع وما هذا الا استجماع ايماني للمصداق الكمالي للمرأة في القران الكريم فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمد إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة، تقتله أمتك من بعدك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمتي من بعدي، فعرج ثم هبط عليه السلام فقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، فعرج جبرئيل عليه السلام إلى السماء ثم هبط فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويبشرك بأنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فقال: قد رضيت ثم أرسل إلى فاطمة إن الله يبشرني بمولود يولد لك، تقتله أمتي من بعدي فأرسلت إليه لا حاجة لي في مولود مني، تقتله أمتك من بعدك، فأرسل إليها إن الله قد جعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية فأرسلت إليه إني قد رضيت فـ ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي... ﴾**(٢) **فلولا أنه قال: أصلح لي في ذريتي لكانت ذريته كلهم أئمة. ولم يولد لستة أشهر إلا عيسى بن مريم عليهما السلام والحسين بن علي عليهما السلام** (٣).

فما كان جواب فاطمة الا «**رضيت**».(٤)

- حياء بنات النبي شعيب عليه السلام والشبه النبوي:

أبرز ماجبلت عليه المرأة في بناء شخصيتها هي صفة الحياء. وقد تكاد تكون الصفة الاساسية لكل امرأة تربت في وسط يؤمن بالفضيلة والاخلاق.

فصفة الحياء هي ملبس الجمال والزينة، ولقد بين القرآن الكريم صورة واضحة للمرأة في قصة موسى عليه السلام ونبي الله شعيب للقدوة الحسنة التي يستوجب على المرأة ان تتأسى به وتحرص عليه وتتمسك به.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٣-١٠٧.

(٢) سورة الاحقاف: الآية ١٥.

(٣) موسوعة شهادة المعصومين: ج ٢ ص٣٧.

(٤) تأويل الايات الظاهرة في فضال العترة الطاهرة: ص٥٦٣.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.(١)

جاء الخطاب القرآني واصفا بطريقة تربوية بذكر وصف الحدث تفصيليا: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾(٢).

وهذا المعنى يتحقق في هيأة الزهراء عليها السلام إذ تذكر الروايات صفاتها ومعنى الحياء والخدر المتحقق فهي المصون التي تحترس من حضور الرجل الاعمى والخطيبة التي تشبه ابيها رسول الله فقد «روى عبد الله بن الحسن عليه السلام بإسناده عن آبائه عليهم السلام أنه لما أجمع -القوم -على منع فاطمة عليها السلام فدك، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله»(٣).

هكذا توصف الزهراء عليها السلام في أصعب المواقف التي مرت بها وهي تطالب بحقهافكانت تحقيقا جليا لامر الالهي ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤).

وتحقيق للقول القرآني الامر أيضا ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾(٥).

(١) سورة القصص: الآية ٢٢-٢٤.
(٢) سورة القصص: الآية ٢٥-٢٦.
(٣) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص٢١٦.
(٤) سورة النور: الآية ٣١.
(٥) سورة النور: الآية ٣١.

المبحث الثالث: الصلاح القلبي والمصداق المعاكس

يتجلى إيمان الفرد وتنغرس وحدانية الله او الكفر به في قلوب خلقه بسبيل تجريدي لا دخل قطعي للنسب أو للعلاقات الاجتماعية او القرب الاجتماعي او الزماني حتى الا من أثر من الممكن تحققه أو لا لهذا جاء في النص القرآني نماذج من النساء المحيدات عن سبيل الصلاح كامرأة نوح وأمرأة لوط وهما مثال للذين كفروا، ولم يغنِ عنهما كونهما زوجتا نبيين من أنبياء الله ما دامَتْا غير مؤمنتا بالرسالة النبوية، فحكم النص القرآني عليهما بالكفر.

- أمرأة نوح:

فامرأة نوح مثَلٌ للذين كفروا، وهي على رغم كونها زوجة لَصِيقة بزوجها نوح، لم تفتح قلبها لدعوته، وبقِيَتْ على ضلالات قومها، وتعلُّقها بأصنامهم المتعدِّدة، وكانت بذلك قد خانَتْ زوجها ودعوته، واستحقَّت بذلك عقوبتين:

الأولى: في الدنيا إذ غرقت مع الغارقين.

والثانية: في الآخرة؛ فكانت من أهل النار.

وردَتْ إشارات غير مباشِرة عنها في قول الله - تعالى ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ** ﴾[1].

ففي قوله - تعالى ﴿ **إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ** ﴾ إشارة عامَّة إلى الذين لم يؤمنوا بدعوة نوحٍ عليه السلام من أهله؛ وهما ابنه وامرأته، كما يُفهَم ذلك من آيات أخرى صرَّحت بذكر امرأة نوح، وذلك في قوله تعالى ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾[2].

فأقرباء النبي صلى الله عليه وآله وأقرباء الصحابة أو ذوو الشأن والعُلَماء، لا يُغنِي عنهم هؤلاء من الله شيئًا، ما

(١) سورة المؤمنون: الآية٢٧.

(٢) سورة التحريم: الآية ١٠.

دام نبي الله نوح لم يغنِ عن زوجته شيئًا، ولم يمنع عنها عذاب الله، أمَّا إذا كانت مؤمنة صالحة وهي زوجةٌ لنبيٍّ فسيكون أجرها – بإذن الله – مضاعفًا، وكذلك كلُّ مَن له صلة قرابة بالصالحين لا يستغني بهم عن عمله الصالح أبدًا، وإذا وصل الأمر إلى حدِّ الكفر فلن تكون له شفاعة.

– أمرأة لوط:

وقد ورد ذكر امرأة لوط بصورة واضحة في ثماني آيات من سُوَرٍ متعدِّدة، وكلها يحكم عليها فيها بعدم السلامة من عذاب الله في الدنيا، وأنها سيُصِيبها ما يُصِيب قومها من عذاب الله ﴿ **قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** ﴾[1]، والآيات الباقيات تجعلها مُستَثناةً من النجاة من عذاب الله في الدنيا، فقد تكفَّل الله للوطٍ وأهله بالنجاة؛ قال الله – تعالى –: ﴿ **فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾ [2]، ﴿ **قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ** ﴾[3]، ﴿ **إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ** ﴾[4].

ولنا في هذا الموقف عِظَة وعبرة كبيرة، فإن الصلة الأسرية بالنبي أو بالصالحين من عِبَاد الله لا تُعطِي صاحبها أفضليَّة على الآخَرين ولا درجةً ولا قبولاً في الآخرة «... **اعملوا؛ فإني لا أُغني عنكم من الله شيئًا الا بالورع**»[5] امرأة أبي لهبوهي زوجة عمِّ الرسول – ﷺ – (عبدالعُزَّى) الذي كان يُؤذِي رسولَ الله ﷺ، وتُشارِكه في ذلك زوجته

وهي أروى بنت حرب بن أُمَيَّة أُخْتُ أبي سفيان بن حرب، وكنيتها أمِّ جميل المعروفة بحمَّالة الحطب، كما وصَفَها القرآن الكريم، وقد خصَّها الله – تعالى – مع زوجها ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ** ﴾[6].

وهذه النماذج الثلاثة لنساء كافرات خصَّهن الله بالذكر في القرآن الكريم دليل على أن الايمان بالله

(١) سورة هود: الآية ٨١.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٨٣.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٣٢.
(٤) سورة الصافات: الآية ١٣٥.
(٥) ينظر: بحار الانوار: ج٦٧ ص ٣٠٨.
(٦) سورة المسد.

وتوحيده سبحانه لا علاقة لقرابة والنسب بتولده في القلب ولا بدرجته أو كيفيته وهذا يوكده البحث بالايات والمواقف السابقة للنساء الصالحات ايضا مثل إيمان آسية وهي زوجة فرعون وإسلام بلقيس لسليمان عليه السلام وموقف خديجة الايماني من الرسول صلى الله عليه وآله وإيمان فاطمة الزهراء عليها السلام واصطفائها.

الخاتمة

إن الحديث عن شخصية السيدة الزهراء عليها السلام له أهمية عظيمة ويحتاج فهما عاليا وبعدا عقائديا خصوصا إذا كان هذا الحديث يدور في فلك النص القرآني لاننا سنكون أمام مقامين مقدسين وعميقين إذ النص القرآني يحتاج الدارس به عناية خاصة وكذلك حال الزهراء ولعل أهمية هذا البحث تكمن في هذا الامر غير أن هذا الموضوع والعنوان لم يخض به على وجه التحديد والتفصيل والاستقلالية كما أن نتاج هذه الدراسة جاءت وفق تحليل عميق ورؤية جديدة لمقام الزهراء الكمالي وتحقيقها الواقعي للمرأة القرآنية الصالحة وفق الخطاب القرآني والتعضيد الروائي والتحليل الفكري والعقائدي فجاء مخلص الامر بنتائج مهمة لم يسبق لبعضها بهذة الاستقلالية الخاصة بالبحث والمقارنة بين مقام الزهراء ومصاديق الخطاب القراني للنساء الصالحات وغير الصالحات ايضا تحت فقرات وعنوانات قيمة ابتداء بالعناية الالهية والعمل المشترك إلى معنى الاصطفاء وتحققه مقارنة مع السيدة مريم العذراء وما حققته الزهراء من مقامات الالهية من خلال الانا التعويضية في آية المباهلة وتحقق نذر السيدة خديجة المتمثل بقصة أمرأة عمران وتحقق الانبات وعصمة الذراري الفاطمية ومثولا للنص القراني ننتهي بتحليل الموقف الطالح لبعض النساء ضمن دائرة عدم تأثير القرابة في موقف الايمان والكفر.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تقديم السيد شهاب الدين المرعشي، تخريج الأحاديث الشيخ علاء الدين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨١.
- الاسرار الفاطمية، محمد فاضل مسعودي، مكتبة رافد، ١٩٩٩.
- إعلموا أني فاطمة / فاطمة الزهراء في الحضارة الإسلامية، عبد الحميد المهاجر، انتشاران أفق فردا، ط١، ١٤٢٦ هـ
- بحار الانوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق وتصحيح لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٨.
- تأويل الايات الظاهرة في أفضال العترة الطاهرة، السيد شريف الدين علي الحسيني الاسترابادي النجفي، مطبعة الاصفهاني، قم المقدسة، ط١.
- الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري، ترجمة سيد علي جمال أشرف، مطبعة الشريعة، انتشارات الشريف الرضي،
- فاطمة الزهراء قنديل العرش، السيد هادي الموسوي، دار وارث، كربلاء، ط١، ٢٠٢٣.
- المرأة في النص الديني قراءة نقدية في روايات ذم المرأة، حسين الخشن
- المرأة الكاملة بالوجود السيدة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه واله رؤى عالمية، الدكتور راجي أنور هيفا، دار وارث، كربلاء، ط١، ٢٠٢٢
- موسوعة شهادة المعصومين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ع، انتشارات نور السجاد، ط١.
- هذه فاطمة وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، دراسة وتحليل، السيد نبيل الحسيني، شعبة الدراسات الإسلامية / العتبة الحسينية، ط١، ٢٠١٣.

تجليات العواطف في خطابات الزهراء عليها السلام

الباحثة : م. م. حنان مرزوك شدهان عبود العبودي

الملخص

حاول النقد في حداثته أن يقارب بين كل أجناس الأدب المختلفة؛ حتى يكشف ثقافة النص القديم وما به من إبداع أدبي؛ إذ عمد إلى تفكيك الخطاب وتحليل دلالاته كونه صورة حملت رؤى وأفكار فترة من الزمن، وقد هدفت هذه الدراسة إلى الغوص والكشف عن تجليات العواطف وما يتعلّق بها من أفعال في خطابات السيدة الزهراء عليها السلام، وبيان أثرها في تغيير مسار سلوكيات المتلقي لتلك الخطابات التي لم تخلُ من عاطفة، كون الافعال لا يمكن أن تخلو من العواطف، والعواطف لا تخلو من الفعل، وأنّ محور تجلي العاطفة بالتأكيد يهتم بدراسة الكيفية التي ظهرت بها العاطفة والتي تتضح في أي عملٍ أدبي عبر انفعال الشخصية وحركاتها وعلاقاتها في المحيط الذي يحيط بها وما تشعر به تلك الشخصية، ودراسة العواطف لا تهتم بمعرفة تأثيرها على الشخصية فحسب؛ بل تهتم بمعرفة ما وراء تلك الانفعالات من تشفير يسجله الخطاب ويركز عليه ذهن المتلقي لها؛ كون خطابات الزهراء تعد وثيقة تراثية عربية كانت منجمًا مهما للبلاغة والتربية والخلق العظيم، ثم لا ننسى أنها جاءت في عصر قد طغت فيه المشاكل السياسية والاجتماعية، وقد تطلب تتبع عواطف الزهراء في خطاباتها منهجا عميقا ينماز عن غيره بوسائله المختلفة، وهذه الوسائل قد تمركزت في المنهج الوصفي الذي يستقصي العواطف المختلفة عبر فك شفرات النصوص وتحليلها عاطفيا، وقد تم الكشف عن العواطف بوسائل مختلفة تمثلت بقياس درجات الانفعال العاطفي، ومنها ايضا عوامل الذات والآخر أي المرسل والمرسل اليه، وكشف الاستعداد النفسي لمعالجة مشاكل الفرد والمجتمع.

Abstract

Criticism in its modernity tried to bring together all the different genres of literature; to reveal the culture of the ancient text and its literary creativity; as it sought to deconstruct the discourse and analyze its connotations as an image that carried visions and ideas for a period of time, and this study aimed to dive into and reveal the manifestations of emotions and the actions related to them in the speeches of Lady Zahra (peace be upon her) , and to show their effect in changing the course of the recipient's behavior for those speeches that were not devoid of emotion, since actions cannot be devoid of emotions, and emotions are not devoid of action, and that the axis of the manifestation of emotion is certainly concerned with studying how the emotion appeared and is evident in any literary work through the character's emotions, movements, and relationships in the environment surrounding it and what that character feels, and the study of emotions is not only concerned with knowing their effect on the character; but it is also concerned with knowing what is behind those emotions of encryption recorded by the speech and focused on by the mind of the recipient; The speeches of Al-Zahra are considered an Arab heritage document that was an important mine of eloquence, education and great morals. Then we must not forget that they came in an era in which political and social problems prevailed. Following Al-Zahra's emotions in her speeches required a deep approach that is distinguished from others by its various means. These means were centered on the descriptive approach that investigates different emotions by decoding the texts and analyzing them emotionally. Emotions were revealed by various means represented by measuring degrees of emotional agitation, including also factors of the self and the other, i.e. the sender and the recipient, and revealing the psychological readiness to deal with the problems of the individual and society.

الكلمات المفتاحية: خطابات الزهراء عليها السلام، العواطف، تجليات العاطفة، عناصر العاطفة

المقدمة

ارتأى النقد الحديث كشف الأبعاد المختلفة في كل الأجناس الأدبية القديمة من خلال تجزئة مضامينها والبحث في ما وراء مكنوناتها اللغوية، وتأويل دلالات نتجت من تلك الأجناس، فبدأ بقراءة كل انفعال يصدر من الأديب للوصول إلى فكره ورؤاه ومعرفة غاياته وخطب الزهراء عليها السلام كانت اصداءً للظلم الذي تعرضت وأهل بيتها الطاهرين له وغصب حقوقهم، فبدأت بالتصريح والكشف عنه امام مرأى ومسامع الجميع، فكان لزامًا على الباحثة تسليط الضوء على الانفعالات والعواطف الواردة في خطبها عليها السلام، وان سبب تقديم هذه الدراسة لإبراز العواطف المتجلية في كلام السيدة الزهراء عليها السلام وبيانها؛ كونها تعد من أهم وثائق التراث الأدبي الذي انطوى على الكثير من الحقائق المتعلقة بعلاقات الإنسان مع ربه او لا وعلاقاته مع المجتمع ثانيا، فضلا عمّا تضمنته من الحقوق والواجبات التي يجب على الفرد ان يقوم بها، وقد واجهت الباحثة عددا من الصعوبات منها قلة المصادر التي تدرس العواطف عند أهل البيت عليهم السلام.

وقد اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع متنوعة، كان أبرزها لسان العرب، والمعجم الوسيط، وسيمياء العواطف في نهج البلاغة، ومسند الزهراء عليها السلام، اضافة لعدد من الرسائل والاطاريح الجامعية التي أسهمت برفد الدراسة وتدعيم حجتها العلمية.

وقد اشتمل البحث على مقدّمة، وتوطئة بعنوان: تجليات العاطفة مدخل تعريفي تضمّن التعريف بالعواطف، وجاء المبحث الأول بعنوان: عاطفة الحب يقابلها عاطفة البغض والكره، تناولت الباحثة فيه دلالة مفهوم الحب وبعض من النماذج التطبيقية من خطب الزهراء سلام الله عليها، وبيان مفهوم البغض والكره ومع نماذج تطبيقية له من خطب السيدة الزهراء عليها السلام، والمبحث الثاني جاء بعنوان: عناصر العاطفة، بيّنت فيه الباحثة أثر العوارض في مكونات العاطفة بما فيها الشِّدّة والكمية

وانتهى البحث بنتائج توصّلت اليها الباحثة، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها في البحث.

توطئة

دلالات العواطف: مدخل تعريفي

العاطفة في اللغة: «الرَّحِم، صفة غالبة... تعطّف على رحِمِه: رقَّ لها... ورجلٌ عاطف وعطوف: عائد بفضله، حَسَنُ الخُلُق... وعطفتُ عليه: أشفقتُ»[1] والعطف هو الانحناءات والميول، فيقال: ناقة عطوف، هي التي تعطف على الحوار، ويستعمل هذا اللفظ للميل والشفقة كظبية عاطفة على ولدها[2].

فيما وضع ابن رشيق القيرواني العاطفة في أربعة مواضع وهي «الرغبة، الرهبة، الطرب، الغضب»[3] والله سبحانه وتعالى جعل موطن العاطفة هو القلب، فقال جلّ وعلا ﴿ **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ** ﴾[4]، ويرى النقاد أن للعاطفة مخطط نظامي يتألف من مراحلٍ خمس «إنّ التطبيق العلمي على مستوى الملفوظات هو الذي يرسم البعد العاطفي والعاطفة تتجسد من خلال معايشة الذات لظروف تحفيزية معينة تؤدي إلى الانفعال والاضطرابات النفسية المختلفة، سواء كانت سلبية أم ايجابية»[5] فتترجم هذه العواطف بوصفها إحساس صرف يلتقي مع عناصر الفكر الأخرى فتصبح على شكلٍ تسلسلي تحت مخطط رسمه جاك فونتاني وكما هو موضح أدناه:

اليقظة العاطفية الاستعداد النفسي ⬅ محور العاطفة ⬅ الاحساس ⬅ التهذيب[6].

ويرى بعض النقاد أنّ العواطف في الخطب تتصف بمظهرين من المحددات يتصلُ بعضها بالبعض

(١) لسان العرب: أبي الفضل جمال الدين بن منظور الافريقي ت ٧١١هـ - مؤسسة الاعلمي للمطبوعات -بيروت - لبنان -ط١ - ٢٠١٥: ٤:٢٦٦٨.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية - أشرف على الطبع حسن علي عطية - محمد شوقي أمين - ط٢: ج٢ ص٦٠٨.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ت٤٥٦هـ - حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد - ط٥ -دار الجيل - ١٩٨١هـ: ج١ ص١٢٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥١.

(٥) فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية الأمير لـ: واسيني الأعرج -دراسة سيميائية: سعدية بن ستيتي -اطروحة دكتوراه - جامعة سطيف -٢٠١٣: ص٤٣.

(٦) ينظر: سيمياء العواطف في الصحيفة السجادية: زهراء عبد الحميد غالي - اطروحة دكتوراه - جامعة كربلاء - ٢٠٢٣م: ص٧١.

الآخر، أولهما: المظهر الذي يعتمد على الشكل الخارجي من العوامل والملفوظات والتي بدورها تكشف عن العاطفة المخبأة في الخطاب، وثانيهما: المظهر الذي يكشف عن محددات التوتر التي تعتري النفس في احداث الانفعال والانطباع[1].

فالعواطف هي إحساس نابع من الشخص نفسه يمكنه ان يكتمه ويمكنه أن يظهره بقدرٍ معين يحتاج لدقّة وتمعن بحسب الحاجة التي تستدعي ظهور أو إخفاء تلك العاطفة، فإن أي انفعال بنظر المرسل هو دوما فعل بنظر المرسل اليه، كون العواطف هي المحرك لفعل الإنسان، وتنبني عليها مواقفه، فمنطلق العواطف هنا يقوم على جس الأبعاد العاطفية في الخطاب وبيان دلالاتها وايحاءاتها التي تدل على الذات المبدعة[2].

ولتنوع العاطفة وكثرتها سنحدد عواطف أساسية، وهي عاطفة الحب يقابلها عاطفة البغض، وعاطفة الطمأنينة يقابلها عاطفة الخوف؛ كون هذه العواطف لها تأثيرًا واضحًا على حياة الفرد بشكلٍ عام وحياة المرأة بشكلٍ خاص، فهي تغيّر مسار سلوكياتها وبالتالي سيكون لهذا التغيير بصمته في التأثير على بنية المجتمع.

وخطب الزهراء عليها السلام تمثّل إنموذجا متكاملا لمنطلقات العواطف التي انمازت بعمق المعاني وفصاحة اللفظ وحمل جمال الاسلوب مع حسن الأداء يربطه قوة التراكيب ودقة البيان التي اظهرتها قدرتها التعبيرية حينما جعلت كلماتها ناطقة عن عواطفها التي استثارت بها نفوس سامعيها، فقد شكّلتْ خطب الزهراء منهلا ومادة خصبة للبحث عن عمق العاطفة وتجلياتها وتأثيراتها في أمة بكاملها.

(١) ينظر: فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية الأمير لـ واسيني الأعرج – دراسة سيميائية: ص٤١.

(٢) الدلالة المرئية: علي جعفر العلاق – بحث منشور – مجلة فصول –مج١٥– ع٣– ١٩٩٦– مصر –: ٤٢، ينظر، انفعالات النفس: رينيه ديكارت: ص١٥.

المبحث الأول

أولًا: عواطف الحب والبغض والكره

عاطفة الحب من العواطف السامية التي تحيي السلام وتعيد الحياة، والحب لغة نقيض البغض وهو الوداد[١] وأحبّ فلانًا فلان أي ودّه وصار له حبيبًا[٢]، والمحبة عند الراغب الأصفهاني: هي أن تريد ما تراه أو تظنه خيرًا، متمثل بأوجه ثلاثة، اللذة والنفع والفضل[٣]، فالحبُّ في خطب الزهراء عليها السلام يُعدُّ محورًا أساسيًا؛ كونها تدعو الى السلام وحبّ الإنسان وحبّ الكون وحبّ الإخلاص في كل شيء، إذ نجد الزهراء تصرّح بذلك الحبّ بأعلى درجاته الذي ينطلق من مركز الكون، أبيها محمد صلى الله عليه وآله في قولها «**أشهدُ أنّ أبي محمدًا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، اختارَه وانتجَبَهُ قبلَ أنْ أرسلَهُ، وسمّاه قبلَ أن اجْتبَلَهُ، واصطفاه قبلَ أن ابتَعَثَهُ**»[٤] فقد تجلت عاطفة الحب هنا بالحديث عن اختيار الله سبحانه وتعالى للنبي محمد واختصه بالرسالة واصطفاه دون سواه من العالمين، «**إذ اجتبله على فطرة الكمال التي ليس أحد مثلها واصطفاه لنفسه والاصطفاء خيرة الشيء، فهو المختار له من بين جميع خلقه، فبعثه رسولًا وسمّاه قبل ان اجتبله في عالم الوجود**»[٥]، وهذه العاطفة ارتبطت بمرتبة الشرف والرتبة السامية فالمرتكز الاساس للعاطفة هنا هو الإيمان بعقيدة النبي الأمين الذي جاء بتكليف من رب العباد والذي له القوة المطلقة في ادارة الكون، فعاطفة محبة الرسول «صلى الله عليه وآله تأتي بالمنزلة العظمى في القلوب، كما ورد ذلك في قول الزهراء عليها السلام «**اللهم داحي المدْحُوات، وبارىء المَسْموكات، وجبَّال القلوبِ على فطْرَتِها شَقيِّها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك، وروافه تحيّاتك، على محمدٍ عبدِك ورسولك، وأمينك على وحيك، القائم بحُجَّتك، والـذَّابِّ عن حُرَمِكَ، والصّادع بأمرك،**

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة حبب: ج١ ص٧١٣.

(٢) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة –اشراف: نعيم عرقسوسي– ط٨– ٢٠٠٥ مؤسسة الرسالة – بيروت –: ج١ ص٧٠.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني – تحقيق: صفوان عدنان داوودي –دار القلم – دمشق– الدار الشامية – بيروت –ط٤– ٢٠٠٩: ج٢ ص٢١٤.

(٤) أعيان الشيعة: محسن الأمين – حققه وأخرجه: حسن الأمين –دار التعارف للمطبوعات – بيروت –١٩٨٣م: ج١ ص ٣١٦.

(٥) شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء: محمد طاهر آل شبر الخاقاني – تنقيح: كاظم النوراني –منشورات انوار الهدى قم: ص١٤٦.

والمُشيِّد بآياتِك، والمُوفِي لِنَذرِك»[1].

تقوم عاطفة الحب هنا على ثنائية المقام / الدعاء التي مثلتها الزهراء سلام الله عليها في دعاءها لأبيها الحبيب المصطفىﷺ بمقابل موقعه المحوري في الكون، حتى تعمم تلك العاطفة على جميع المخلوقات ويتفشّى حبّ النبي في كل الخلائق، فالزهراء في هذا الخطاب لم تكتفِ بإبراز عاطفة الحب فحسب؛ بل أشارت وبوضوح تام الى الخصال والصفات التي جمعت بين مقام النبي في قلبها وكيفية اعلانها للآخر، فالعلاقة التي تجمع بين المقام ومحور الدعاء هي «بؤرة النموذج العاملي لأنها محملة بالشحنة الدلالية الكامنة في الرغبة»[2].

وقد أخذ ذكر أوصاف الرسولﷺ في خطب الزهراء بعدًا جديدًا؛ إذ جعلت من عاطفة الحب لرسول الله تكاملًا متممًا لأمر الله «**ابتعَثَهُ اللهُ تعالى إتمامًا لأمرِهِ، وعزيمةً على إمضاءِ حُكمِهِ، وإنفاذًا لِمقاديرِ حَتْمِهِ**»[3]، فالخطاب العاطفي هنا يتعلق بوحدات المضامين التي تنسحب على الحب العميق لمن يخاطب به «إذ يدرس المكون الخطابي كل ما يتعلق بالتيمات الدلالية ووحدات المضامين من الصورة او الليكسيم إلى المسار التصويري ثم الى التشكيلات الخطابية وفق سلسلة من الارغامات التي يفرضها الإطار الثقافي العام»[4].

لاشك أنّ عاطفة الحب تبدأ بمن هو أعظم منزلة وأشرف الناس على وجه المعمورة، ألا وهو سيد الخلق، فقد عبرت سيدة النساءعليها السلام في خطبتها عن مدى قوة العاطفة بين الأب النبي الأكرمﷺ وبين الحبيب أمير المؤمنينعليه السلام، فقالت «**لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم فهو عزيز عليه ماعَنِتّم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم**»[5] فقد لوّحت الزهراء بالترابط العاطفي المتين بين أركان مثلث الحب، وقد جسده رسول الله وعلي بن أبي طالب وسيدة النساء سلام الله عليهم أجمعين، وقد اتخذ هذا الترابط بعدًا انتمائيًا مشحونًا بدلالات طفحت بالحبّ وشرف المنزلة.

كما عبّرت الزهراء سلام الله عليها عن عاطفة الحب اتجاه ابا الحسن عليعليه السلام، وقد تجلت تلك

(١) مسند فاطمة الزهراءعليها السلام: جمعه السيد حسين شيخ الإسلامي التويسركاني – راجعة: محمد جواد الحسيني الجلالي- دار الصفوة –بيروت – لبنان –ط١- ١٩٩٢م: ص٤١١.

(٢) في الخطاب السردي نظرية غريماس: محمد الناصر العجيمي – الدار العربية للكتاب –تونس –١٩٩١: ص٤٠.

(٣) أعيان الشيعة: ج١ ص٣١٦.

(٤) الاتجاهات السيموطيقية (التيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة الغربية): جميل حمداوي –ط١-٢٠١٥: ص٨٥.

(٥) أعيان الشيعة: ج١ص ٣١٦.

العاطفة بالإعلان عن جهاده وكفاحه ضد المتربصين بالنبي محمد ودين الإسلام «**فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمدٍ صلى الله عليه وآله بعد اللّتيّا والّتي، وبعد أن مُني ببُهَمِ الرجال وذُؤبانِ العَرَبِ ومَرَدَة أهلِ الكتاب ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ أو نَجَمَ قرنٌ للشيطانِ، وفَغَرَتْ فاغِرةٌ من المُشْرِكِين قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها، فلا ينكفِيءُ حتَّى يَطَأ صِماخَها بأخمَصِهِ، ويُخمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مكدُودًا في ذات الله، مُجْتَهِدًا في أمرِ الله، قريبًا من رسولِ الله سيّدَ أولياءِ اللهِ، مُشْمِّرًا ناصحًا، مُجِدًّا كادِحًا**»[1].

نلحظ أنّ السياق العاطفي وعبر دلالة المفردات والتراكيب قد وصف وعبّر عن عاطفة الحب لإبي تراب واصفًا تلك المنزلة التي لا تخفى على أحدٍ من خلال البعد العقائدي الذي وضع العاطفة بهالة من القدسية خصّت الزهراء بها أمير المؤمنين؛ إذ لفتت الانتباه الى أنه أخ رسول الله صلى الله عليه وآله، فلفظة أخاه، سيد أولياء، شكّلت حقلًا دلاليًا يحتّم الشعور بعاطفة الحب والقرب، إذ إنّ «الحقل الدلالي يتحدد بدراسة الكلمات في سياقاتها النصية والخطابية... بمعنى أنّ دلالات الكلمات تستكشف داخل سياقاتها النصية»[2].

واحيانا نجد عاطفة الحب تتجسّد فيها دلالة البوح عن الألم الذي يعانيه الحبيب، فيدلي السياق بتواشجٍ معبر عن ماهية الحزن تكثّفت في صوغ قساوة السامع الذي أضاع الحق «**وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟ نقموا والله منه نكيرَ سيفِهِ وقلة مبالاته لحتفه ونكالِ وقعِهِ وشِدَّة وطأتِهِ، وتَنَمُّره في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيرًا سجحا، لا يكلم حشاشه، ولا يكلّ سائره، ولا يملّ راكبه، ولأوردهم منهلًا نميرًا صافيا، رويا، تطفح ضِفّتاه**»[3]، فنسق عاطفة الحب هنا أصبح فيه التألم والحزن رؤية عاطفية جسّدت شفرة الغضب على الظالم، وبنفس اللحظة اصبح لشخصية الزهراء عليها السلام دور ساند للإمام علي عليه السلام.

نخلص من ذلك إلى أنّ عاطفة الحب في خطب الزهراء عليها السلام هي عاطفة إنسانية دافعها الرئيس الحب في الله.

أمّا عاطفة الكره فقد ورد في اللغة نقيضًا للحب، فيقال قمتُ على كُرهٍ بالضّم، أي قمتُ على

(١) م. ن: ج١ ص٣١٦.
(٢) الاتجاهات السيموطيقية: ص ٨٧.
(٣) أعيان الشيعة: ج١ ص٣١٦.

مشقّة[1]، وهو انفعال بشري سلبي يختلف من شخصٍ لآخر، وبما أنّ العواطف تدخل في نسيج المجتمعات فهي تختلف باختلاف طبقات تلك المجتمعات، فنظرات التعالي والغرور الموجهة من الغني نحو الفقير إنما ينجم عنها الكره والحسد، وقد تمظهرت عاطفة الكره والبغض في خطب سيدة النساء عليها السلام بمظاهر عدّة منها كره الشخصيات، وهو كره لصفات وسلوكيات أشخاص بعينهم، صرحت بذلك الزهراء عليها السلام علنًا «**أُأغلبُ على ارثيه يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترثَ أباكَ، ولا أرثَ أبي؟ لقد جئتَ شيئًا فَريًّا، أفعلى عَمْدٍ تَركتُمْ كتابَ الله، ونَبَذتمُوهُ وراء ظُهُوركُم**»[2]، فقد أعلنت الزهراء سلام الله عليها تألمها من تلك الشخصية التي عمى الحقد والغلّ عيونها وبخست حق الزهراء في إرثها، فقد استثمرت السيدة امكاناتها التعبيرية لتبيّن بغضها وكرهها لمن يظلم حقها، ووصفتها بأنها فئة ضالة تركت كتاب الله، فقد كانت قصدية الخطاب صريحة وجِّهت الى ذاتٍ معينة، فللبغض «أثر على النفس البشرية اتجاه من تبغض، ويظهر ذلك الأثر في الانفعالات المصاحبة للبغض، وقد تكون هذه الانفعالات سلمية إذا كان المبغوض مما يبغضه الله عز وجل، وقد تكون هذه الانفعالات غير سوية إذا كان المبغوض مما يبغض تبعًا لهوى في النفس أو نتيجة لخلاف شخص أو سوء فهم»[3].

احيانا نجد عاطفة البغض تكون أساسًا للتوبيخ معتمدة الحوار في ايصال رسالتها للمتلقي «**يا معاشر الفتية وأعضاد الملّة، وأنصار الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي؟ والسِّنَة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: «المرءُ يُحفظُ في وُلدِهِ»؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أُحاول، وقوة على ما أطلب وأُزاول، أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله؟**»[4]، نلحظ هنا أنّ النسق الداخلي في الخطبة قد أحال على ظهور عاطفة البغض لِكلِّ من صمت ولم يطالب بحقها عند من ظلمها، في أسلوب يدعو الى الإخبار عن خسرانهم في الدنيا والآخرة.

وقد تتخذ عاطفة الكره مسار الشكوى عند أحبّ الخلق لرسول الله صلى الله عليه وآله والسيدة الزهراء عليها السلام الا وهو ابو الحسن عليه السلام «**هذا ابن أبي قحافة يبتزني نُحيلة أبي وبُلْغة ابني، لقد أجهر في خصامي**»[5]، تلحظ أنّ الزهراء قدمت شكواها لابي الحسن وهي مستوعبة للظلم الذي وقع عليها بوساطة توصيف الظالم

(١) لسان العرب، مادة كره: ج٤ ص٣٤٢٥.
(٢) أعيان الشيعة: ج١ ص٣١٦.
(٣) الحب والبغض في القرآن الكريم: مها يوسف جار الله- تقديم: السيد محمد السيد نوح – جامعة الكويت – ١٩٩٩: ص٣٨١.
(٤) أعيان الشيعة: ج١ ص٣١٦.
(٥) ن. م: ج١ ص ٣١٦.

(المبتز المخاصم)، وهذه الألفاظ أدت إلى وجود سياق عاطفي يحيل على البغض والكره والاحالة في هذا الخبر تعبر عن هيجان الغضب في قلبها عبر دلالة المفردات، إذ «تُعدُّ المفردة أهم الوحدات الدلالية الأكثر شمولية وهي المتركبة من وحدات على مستوى الكلمة فنعني بها تلك العبارات التي لا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضم هذه المعاني الى البعض»[1].

وهناك حقول دلالية تجسّد عاطفة البغض تتمثّل بأفعال البعض الشنيعة، فتوجه لهم الزهراء دعاءً يعتريه بغض لهم «**معاشر الناس المسرعة إلى قِيل الباطل، المُغضية على الفعل القبيح الخاسر**»[2] فقد تصدرت أفعال الآخر القبيحة نسق عاطفة البغض، فدلالة الخسران تحيل على مقاصد واضحة، وخطاب البغض أدلى ببغض الظلم، فقد اتسم الخطاب بخصوصية لذوات معينة «للتعبير عن المعاني والإفصاح عن المقاصد»[3].

نخلص من ذلك أنّ عاطفة البغض وجدت لتحقق هدفًا وأنّ الزهراء سلام الله عليها وجهت عاطفة البغض للجوانب السلبية للشخصيات التي اغتصبت حقها، عبر اسلوب خطابي ودلالي معتمدًا المنطق والبلاغة، وحينما تتداخل هذه الانساق فإنها تشكّل العوامل المكونة لعاطفة البغض في خطب الزهراء عليها السلام.

ثانيًا: تجليات عواطف الخوف والأمن

قبل الولوج في دراسة خطابات الخوف لابد من الإشارة إلى أنّ ديناميكية الخوف لا تتساوى في كل الأوقات، بمعنى أنه ليس كل عاطفة خوف تحمل معاني الضعف المذموم؛ بل هناك أنواع للخوف يكون فيها محمودًا، كالخوف الذي ينشئ من كثرة الإيمان بالله جل وعلا، فالخوف من رب العباد « من أعظم النعم ومن أهم الصفات الحسنة وهو يوجب تقوى النفس عن مخالفة الله تعالى»[4].

وخوف الله ينشئ من معرفة الإنسان بصفات الباري وقدرته على كل شيء، أو قد يكون الإنسان خائفًا من كثرة ذنوبه، فيخاف عقاب الله، كما جاء الله في محكم كتابه الكريم ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ**

(١) علم الدلالة: أحمد مختار عمر – عالم الكتب – ط٥– ١٩٩٨: ص٣٣.
(٢) أعيان الشيعة: ج١ص ٣١٦.
(٣) التبالغ والتبالغية نحو نظرية تواصلية في التراث: رشيد يحياوي: ص٥٢.
(٤) دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العلمية: حسين المظاهري –إعداد: مجيد هادي زادة – مكتب الإعلام الإسلامي التابع لحوزة قم العلمية – فرع أصفهان – ومؤسسة الزهراء الثقافية الدراسية –ط١– ١٤٣٢هـ – مطبعة القلم: ج١ص٣٧٣.

الْعُلَمَاءُ﴾[1]، وهناك خوف مشروع، وهو الخوف من مكاره الحياة والوقوع في الشدائد، والذي يمعن نظره في خطابات الزهراء (سلام الله عليها)، يجد أنها تُحرِّك عواطف الخوف في قلوب الناس لأجلهم، أي خوفًا عليهم من الوقوع في الزلل ونيل عقاب الله، فتارة تجد عاطفة الخوف عندها من أجل موعظة الناس وتربيتهم وتوجيههم التوجيه الصحيح، وتذكيرهم بعواقب العمل الذي يغضب الله تعالى، فكانت تسأل رسول الله عن أهوال يوم القيامة «**أخبرني يا أبتِ كيف يكون الناس يوم القيامة؟** قال: **يا فاطمة يُشغلون، فلا ينظر أحدٌ إلى أحدٍ، ولا والدٌ إلى ولدهِ، ولا ولدٌ إلى أمِّهِ**، قالت: **هل يكون عليهم أكفان إذا خرجوا من القبور؟ قال: يا فاطمة، تَبلى الأكفان، وتبقى الأبدان، تُستر عورة المؤمنين، وتُبدى عورة الكافرين**، قالت: **يا أبه، ما يسترُ المؤمنين؟**، قال: **نورٌ يتلألأ، لا يُبصرون أجسادَهم من النور**، قالت: **يا أبه، فأين ألقاك يوم القيامة؟** قال: **انظري عند الميزان وأنا أنادي: ربّ أرجع من شهد أن لا إله الا الله...**»[2].

نلحظ أنّ خوف الزهراء عليها السلام من يوم العرض والمحشر قد هيمنت على حديثها مع الرسول محمد صلى الله عليه وآله، فقد عرضت عاطفة الخوف بأسلوب حواري انطلق من مستوى سطحي إلى مستوى أعمق عبر الحوار، استذكرت فيه نار جهنم وجزاء الله تعالى لمن يعصي أمره، ثم تدرّجت لتصل إلى موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وشفاعته للمؤمنين، فقد أنجزت خطابها عبر دائرة تكاملية ابتدأت من التذكير ثم تحريك المواقف وانتهت بالجزاء لإنتاج فكرة صقلت فيها الدور الكبير لعاطفة الخوف.

وقد يكون خوف الزهراء عليها السلام على أهل بيتها من براثن الأعداء وصنيع الدنيا وقباحتها، فلا يسيطر الباطل على الحق «**خلّوا عن إبن عمي، خلّوا عن بعلي، والله لأكشفنّ عن رأسي ولأضعنّ قميص أبي على رأسي، ولأدعونّ الله عليكم**»[3]، نلحظ أنّ بعد عاطفة الخوف قد تخصص بزوجها الإمام علي عليه السلام، وقد مزجت عاطفة خوفها في خطابها بأسلوب تهديدي واضح، في انعكاس لعالم قد اجتمع وتعاقب حقده على بيتها، فكان الدافع وراء هذا الخوف جزاء فعل اقترفه العدو، فالزهراء (سلام الله عليها) هي منشئة الخطاب وهي المسؤولة في هذه اللحظة عن الدفاع عن زوجها، وقد أرسلت خطابها لجمع من السامعين ترأسهم شخصية ارادت ايقاع المصائب على بيتها وزوجها،

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٢) شذرات من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام: إعداد: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية – الناشر: العتبة العلوية المقدسة – ط١ – ٢٠١٦: ص٤٥.

(٣) الأسرار الفاطمية: محمد فاضل المسعودي – تقديم: عادل العلوي – مطبعة: أمير قم – ٢٠٠٠م – الناشر: مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة عليها السلام – رابطة الصداقة الإسلامية: ص٦٢.

فالعلاقة الرابطة بين المرسل ومستلم الرسالة هي علاقة ابلاغ قائمة على خوف المرسل من بطش المرسل اليه، فالخوف هنا «من أن تصبح الزناة سيوفًا لله لا يجوز غمدها لولاة المسلمين، كان الخوف من أن تصبح الإمامة تصدق صهرها خراج بلد وتلين بازاء شربة الخمور على حساب الأمة والدين، كان الخوف من أن يطبق أمثال المؤلفة قلوبهم والمطرودين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله قانونًا تسامى في كل جوانبه»[1] فنتج عنه تحفيز اسلوب التهديد والوعيد لمعالجة الموقف في لحظته وكبح جماح الشر عبر ملفوظات حكمت الخطاب.

وقد ترد عاطفة الخوف مرتبطة ارتباطًا واضحًا بالآخرة والجزاء، نتيجة لهفوات الدنيا وأعمال الإنسان فيها، نحو ما نجده في خطاب الزهراء عليها السلام «**اللهم إنّي أسألك باسمك المخزون... الذي قامت به السماوات والأرض... ووجِلت منه القُلوب**»[2]، وقولها عليها السلام «**وَوجِلت القُلوبُ من مَخافتهِ**»[3]، وقولها عليها السلام «**اللّهم فوّضت أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، وأسلمتُ نفسي إليك بما جَنَيت عليها فزعًا منك وخوفًا وطمعًا**»[4].

جاءت عاطفة الخوف فيما سبق من الخطابات مبنية على الإخلاص لله وحده، والإيمان به، وقد تشعّبَ الوجل ليصل إلى الخوف من المصير المحتوم يوم القيامة، متحركًا في دائرة الرغبة والشوق للحصول على رحمة الله والتوكل عليه وتفويض الأمر كله له وحده دون سواه.

نلحظ مما سبق أنّ عاطفة الخوف في خطابات الزهراء (سلام الله عليها) قد سارت بمواقف أحيانًا وفي الأدعية أحيان أخرى، وقد عالجت بصورة واضحة امور الدنيا والأخرة، إذ عملت الزهراء عليها السلام على تحقيق حالة من توازن الإنسان من تعامله مع ربه ومع الآخر، الهدف منه التأثير في نفوس السامعين وعدم الانجرار في مغريات الدنيا وتضييع الآخرة.

أمّا الأمن، فمعناه الاطمئنان، فقد ورد في أصله «طمأنينة النفس وزوال الخوف»[5]، وأعمق أمن وأمان هو اللجوء الى الله سبحانه وتعالى، وقد أكّدت على هذا الأمر الزهراء (سلام الله عليها) كثيرا «**اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، وركنك الذي لا يرام، وبأسمائك العظام، وصل على محمد وآله،**

(١) شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام: محمد طاهر آل شبير الخاقاني: ص٥٤.
(٢) مسند فاطمة الزهراء: ص٤٠٦.
(٣) م. ن: ص٤٠٦.
(٤) م. ن: ص٣٩٩.
(٥) التوقيف على مهمات التعاريف: عبد الرؤوف بن المناوي – تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان – ط١ – ١٩٩٠ – عالم الكتب – القاهرة: ٦٣.

واحفظ علينا ما لو حفظه غيرك لضاع، واستر علينا ما لو ستره غيرك شاع»[1]، «**يا من بابه مفتوح لداعيه، وحجابه مرفوع لراجيه، يا ساتر الأمر القبيح، ومداوي القلب الجريح، لا تفضحني في مشهد يوم القيامة بموبقات الآثام، ولا تعرض بوجهك الكريم عنّي من بين الأنام، يا غاية المضطر الفقير، ويا جابر العظم الكسير هب لي موبقات الجرائر، وأعف عني فاضحات السرائر، وأغسل قلبي من الخطايا**»[2]، نلحظ أن أسلوب الخطاب تضمّن كلمات مباشرة وصريحة تحمل في عمقها معاني الطمأنينة، والأمن، ساعدت على إنجاز موضوع الأمان (حراسة القلب والروح، الحفظ من الضياع، الستر، الجبر، العفو)، كلها ألفاظ عضّدت معنى الطمأنينة واللجوء إلى الله وحده، وقد أعطت القيمة الكامنة فيه.

وقد تتضمن الخطابات عاطفة الأمن عبر أنساق ثقافية مضمرة، فيصدر الخطاب بالدعاء على الأعداء بحثًا عن الأمن المرجو للذات «اللهم واعدائي ومن كادني بسوء أن اتوا برًّا فجبّن شجيعهم، فضّ جمعهم، كلّل سلاحهم، عرقب دوابهم، سلّط عليهم العواصف والقواصف أبدًا حتّى تصليهم النار، أنزلهم من صياصيهم، أمكنّا من نواصيهم»[3].

نلحظ هنا أنّ الزهراء قد أحاطت خطابها ما وجدته في نفوس الآخرين الذين كادوا لها السوء، فجعلت دعائها على العدو حاملًا لمضمرات العيش بسلام والخلاص من كره وحقد العدو، فقد أحاطت خطابها بعاطفة الكره وخلفه تضمر عاطفة الأمن والطمأنينة.

نخلص مما سبق إلى أنّ السيدة الزهراء عليها السلام ركّزت على صفات الحفظ والستر لتعيش بسلام في الدنيا والآخرة، عبر علاقة تواصلية مع الله سبحانه ومع الآخرين يحكمها الموقف، لهذا نجد عاطفة الامن قد تفرعت إلى الأمان والإيمان بالله تعالى، وقد يكون الأمن بين الذات والآخر.

(١) مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٣٩٧.
(٢) م. ن: ص٤٠٠.
(٣) م. ن: ص٤٠٨.

المبحث الثاني: عناصر العاطفة

توطئة

لا شك أنّ العواطف تتجسّد في صفتها، فتكون متداولة بين الناس، وتتشكّل بوساطتها كيانات المجتمع المختلفة، وعبرها يتم معرفة مقياس انفعالات الناس بشدّتها وقلّتها، وهذه العواطف ليست احكام او افعال طارئة يمكننا الاستغناء عنها بيسر وسهولة؛ إنّما هي جزء من كيان البشر ووجوده، ووفقًا لذلك فإن الأساس في دراسة العاطفة ليس لمجرد التعرف على العلاقات التي تدلنا على العاطفة؛ بل لمعرفة الأثر المعنوي الذي تحدثه تلك العواطف؛ إذ يرى جاك فونتيني أن العواطف تتمثّل بمحددات وهي التحديدات الصيغية التي تتكون عبر العامل والكفاءة والتحديدات التوترية التي تتكون عبر التوترات على ذات الشخص، كون العواطف ترتبط بالقيم والأفكار والمبادئ[1].

ولا شك أن العاطفة هي « حالة شعورية وما يصحبها من نشاط موجه متواصل، أي تفيد معنى الميل والاتجاه وتتابع حلقات الفعل، كما تطلق على جميع مظاهر الحب أو الكراهية»[2]، ومنطق العاطفة له عوارض تتمثل بـ:

١-الشِّـــدَّة

هو صيغة تلفظية يدخل في حالة التقييم، ويكون بالقبول او الرفض، أي بالإيجاب او السلب فالإيجاب فيه حينما يعد الحدث به مفرحًا، أما السلب فيكون الحدث فيه محزنًا[3].

إنّ الأصل في وحدات المفردات التي تشكّل المعاني اللفظية وغير اللفظية ليست محددة في كينونتها الذاتية؛ بل عبر الممكنات المتداخلة في تركيبات لها القدرة على استيعاب الخطاب الذي يضع لها حدود

(١) ينظر: سيمياء العواطف في قصيدة «أراك عصي الدمع» لأبي فراس الحمداني: عمي ليندة – رسالة ماجستير – جامعة مولود معمري تيزي –وزو – الجزائر: ١٩، وينظر: الشعور بما يحدث – من الجسد والعاطفة في صنع الوعي: انطونيو دا ماسيو – ترجمة: رفيف كامل غدار: ص ٤١.

(٢) المعجم الفلسفي: مراد وهبة – دار قباء الحديثة – القاهرة –٢٠٠٧: ص ٤٠٦.

(٣) ينظر: سيمياء العواطف في قصيدة «أراك عصي الدمع» لأبي فراس الحمداني: عمي ليندة: ص ٢٠.

فلذلك تجد قبول العاطفة او رفضها مرتبط بعمق الممارسات وتركيبة الافعال[١]، فمن الافعال التي يعد رفضها أولى من وجهة النظر العامة هو الظلم، فكما تراه الزهراء عليها السلام لا ينال صاحبه من وراءه الا القبح وسخط الرحمن «**فقبحًا لفلول الحدِّ وخَورِ القناة، وخَطلِ الرأي وبئسَ ما قدَّمتْ لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون**»[٢].

فقد تبنت الخطبة عاطفة رفض الرأي الآخر، حينما أراد الانزياح عن تكليفات المُشرّع الديني المتمثل برسول الله صلى الله عليه وآله حينما ولّى أبا الحسن عليه السلام وليّا للأمر من بعده، فالمتخاذلين هنا ازواج النساء اللاتي زرن الزهراء وهي اوصلت رسالة شدة رفضها لتخاذلهم عن نصرة الامام عليه السلام وهذا خلق بيئة لعاطفة الضد، أي عاطفة الرفض للشخصيات المتخاذلة، وقد استثمرت لك العاطفة حينما أكدت على الانفصال عن القوم الظالمين « **جَدعًا وعَقرًا وسُحقًا للقوم الظالمين**»[٣].

نلحظ هنا أنّ عاطفة الرفض قد اتكأت على دلالات المفردات اللغوية، فقد كان الدعاء عليهم أسلوب صريح للرفض، فحقّق بذلك قصدية الخطاب، وهذا الرفض إنّما تولّد من وجود عواطف قبلية مسبقة، فهو رد فعل لفعل، إذ توجد هناك « علاقات وصل وفصل تترجم بمصطلحات محسوسة ويتم ذلك بوساطة وصل على الفضاء التوتري للحضور المدرك لتتولد العواطف»[٤].

فعاطفة الرفض في خطاب الزهراء شكّل انفعال ارتدادي الذي بدوره يُشكّل الشدة العاطفية، ودرجة الرفض هنا عنيفة جدا كون أنّ الذات قامت بفعلٍ نافى أخلاق الدين الإسلامي.

وبنفس الكيفية تعاملت الزهراء عليها السلام بنوع العاطفة، اي بنفس درجة الرفض لمن خذل ابن عمها، وهذه العاطفة شكلت خطًا أسهم بالتأكيد على الرفض النفسي والقولي ووضع نتيجة حتمية لذلك الرفض، فقد استعملت اسلوب الترهيب «**أبشروا لسيفٍ صارم، وهزجٍ شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدًا، وجمعَكم حصيدًا**»[٥]، فالسياق العاطفي الذي مارسته السيدة الزهراء عليها السلام قد مارس اسلوب الرفض وهو بالأساس عنصر لفظي اعتمدته للتقييم، اي رفض الشخصية الخطيبة لما تضايقت منه من الآخر، والترهيب من أهم الاساليب المعبرة عن الرفض النفسي

(١) أعيان الشيعة: ج١ ص٣٢٠.
(٢)م. ن: ج١ ص٣٢٠.
(٣) م. ن: ج١ ص٣٢٠ .
(٤) ينظر: سيمياء العواطف في قصيدة «أراك عصي الدمع» لأبي فراس الحمداني: عمي ليندة: ص٢١.
(٥) أعيان الشيعة: ج١ ص٣٢٠.

الكبير[١]، فقد استعملت الزهراء الخبر الحقيقي لسوء فعلتهم نخلص من ذلك ان الرفض العاطفي في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام يتمحور في رفض المتخاذل وصاحب الصفة السيئة، من اراد الانزياح عن التكليفات السماوية، وبذلك فإن عاطفة الرفض تحققت بوساطة آليات متعددة تمثلت بالترهيب والدعاء على الآخر الناكص متكئة على أساليب لغوية متنوعة.

٢-الكمية

تعني الكمية «انتشار الانفعال العاطفي ثم ارتباطه بالفضاء، ويكون قياس الكمية بقياس الامتداد الذي تمثله المسافة والمدة وعند اجتماع هذين المحورين نحصل على ما يسمى الوزن العاطفي»[٢]، وفي خطب الزهراء نجد عنصر الكمية العاطفية قد تحكم بعواطف عدّة منها عاطفة الفخر «**طاعتنا نظامًا للمِلّة، وإمامتنَا أمانًا من الفُرقة**»[٣]، فالفعل العاطفي هنا يدخل في جانب الانفعال الايجابي، كون أن عاطفة الفخر استدعت انفعالا أدى وظيفة الإرشاد والتوجيه.

وقد ترد الخطابات لتؤدي دورًا تقويميًا لمجتمع اتبع الشيطان وغيّه، فترتفع فيها كمية البغض «**ثم لم تلبثوا إلّا ريْثَ أن تَسْكُن نَفْرَتُها، ويَسْلَسَ قيادُها ثُمَّ أخذتُم تُورون وَقْدَتَها، وتُهيِّجُون جَمْرَتَها، وتسْتَجِيبون لهتاف الشيطان الغويِّ، واطفاء أنوارِ الدِّين الجَليِّ، واهمادِ سُنَن النَّبي الصَّفِي، تُسِرّون حَسْوًا في ارتغاء، وتمْشُونَ لأهلِهِ وَوَلَدِه في الخمَرِ والضِّراء**»[٤].

نلحظ في خطاب الزهراء ارتفاع كمية البغض بسبب وجود مسبق للإحساس بالبغض اتجاه الطرف الآخر الذي عمل على اذكاء الفتنة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وكان فعله مستهجن، والخيانة التي اشارت اليها الزهراء سلام الله عليها قد حملت فيها كمية بغض عالية لمن مارس التعنت تجاه آل البيت عليهم السلام.

كما نجد عاطفة كمية عاطفة اللوم والعتاب قد أخذت مسار التقريع «**أيْها بني قَيْلَة، أاهظمُ تراثَ أبيه وأنتم بمرأى مني ومَسْمعٍ، ومبتَدأ ومجمع؟ تَلْبَسُكُم العوة، وتَشْمُلُكُم الخَبْرة، وأنتم ذوو العدد والعُدَّة، والأداة والقوَّة، وعندكم السلاح والجُنَّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصَّرخة فلا تُغيثُون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنُّجَبة التي انتُجِبت، والخيرة التي**

(١) ينظر: معاني القبول والرفض في القرآن الكريم -دراسة في الالفاظ والاساليب: فضيلة عبد العباس حسن الأسدي -اطروحة دكتوراه - جامعة الكوفة - ٢٠٠٩: ص ١٨٩.

(٢) سيمياء العواطف في نهج البلاغة: حيدر نعيم مغتاض - رسالة ماجستير - جامعة ذي قار - ٢٠١٨ م: ٨٧.

(٣) أعيان الشيعة: ج١ ص٣١٦.

(٤) م. ن: ج١ ص٣١٦.

اختيرت»[1].

فعاطفة اللوم والعتاب التي وجهتها الزهراءعليها السلام للأنصار انخفضت فيها عاطفة الحب بشكلٍ واضح، وارتفعت كمية عاطفة العتاب بشكلٍ لافت، فاتحاد عاطفة العتاب مع انفعال الغضب في نقطة زمنية محددة ولّد نسقًا عاطفيًا منخفضًا للحب مرتفعًا للعتاب.

أما عاطفة الخوف التي تكاد تكون موجودة عند أغلب البشر، إلا اننا نجدها في خطابات الزهراء لها وزن عاطفي مرتفع، كونها نابعة من تقوى قلبها؛ إذ حمل مسارات الفوز بالجنان «**اللهم أذا ضاق المقام بالناس، فنعوذ بك في ضيق المقام، اللهم إذا طال يوم القيامة على المجرمين فقصِّر طول ذلك اليوم علينا كما بين الصلاة إلى الصلاة**»[2]، نلحظ أن ذات الزهراء المؤمنة قد عاشت حالة من الخوف الذي رافقه قلق من حساب اليوم الآخر، لكن ما نلمسه بنفس اتجاه هذا الخوف هو الأثر الجيد الذي تركه هذا الخوف، ألا وهو السير في طريق مستقيم، والخلاص من جهنم ونيرانها، والالتزام بشرائع الدين الحنيف، فالتحول الواضح من عاطفة الخوف والقلق الى عاطفة السعادة أهم المبادئ الروحية التي اشار اليها خطاب الزهراءعليها السلام، اي اصبح الخوف ايجابي كونه يحمل الذات على تطبيق تعاليم السماء.

وقد ينطلق خطاب الزهراء من عاطفة الخوف الممزوجة بالتوسل بالله تعالى «**ربِّ أستجيرك من النار فأجرني، ربِّ أعوذ بك من النار فأعذني**»[3]، فقد وجهت الزهراء خطابها عبر أسلوبٍ طلبي سعت من خلاله الى تحذير الناس من الوقوع في السيئات، وعاطفة الخوف هذه طبيعية وممدوحة ففيها إصلاح حال الإنسان وابعاده عن المخاطر التي قد تحدق به وتوصله الى قعر جهنم.

فخطاب الزهراءعليها السلام يضع كمية عاطفة الخوف بمقام مرتفع من التحذير من الخطأ والتذكير بجادة الصواب «**أفر إليك هاربًا من الذنوب، فاقبلني والتجيء من عدلك إلى مغفرتك فادركني، وألتأذ بعفوك من بطشك فامنعني، واستروح رحمتك من عقابك فنجني**»[4].

نلحظ أنّ كمية عاطفة الخوف في خطاب الزهراءعليها السلام قد تعلقت بالآخرة وارتبطت بالمغفرة وطلب الرحمة من الله سبحانه وتعالى، فعالجت الذات مفهوم الخوف بأسلوب رجائي محدد، انطلق

(١) أعيان الشيعة: ص٣١٧.
(٢) مسند فاطمة الزهراءعليها السلام: ص٤٠٦.
(٣)م. ن: ص٤١٠.
(٤) م. ن: ص٤٠٨.

من رغبات العمل بطاعة الله وعمل الحسنات، فالخوف هنا لم يكن خوفًا من هموم؛ بل خوف يشتد فيه الوثوق برحمة وعطف الله والحصول على درجات العلا يوم القيامة.

نخلص من ذلك إلى أنّ كمية العواطف وردت ضمن مسارات كبرى وصغرى في خطابات الزهراء عليها السلام، وقد اقترنت عاطفة الخوف بالخضوع لله لتتحقق السعادة الأبدية وهو بالنتيجة خوف جيد وممدوح كونه ارتبط بتصحيح مسار العبد ولجوئه إلى ربه.

الخاتمة

بعد هذا البحث في خطابات الزهراء عليها السلام أن مصدر العاطفة عند الزهراء عليها السلام هو القلب الذي اتخذ من مسارات مواقف الامة منها ومن آل بيتها ينبوعًا حانيًا من العواطف التي اجهشت بها مولاتنا عليها السلام، فالعواطف كثيرة تظهر في مواقف مختلفة، واستخراج هذه العواطف يتوجّب منّا احاطة كاملة ومعرفة واضحة بالذات العاطفة، وفهم حقيقي لسيرة السيدة الزهراء (سلام الله عليها)، وقد توصّل البحث إلى النتائج الآتية:

- تبيّن من خلال الدراسة ان عواطف الفرد ترتبط باحساسه، وهذا الاحساس غالبا ما يتشكّل تبعا للثقافة التي يكون انتماءه لها والى المواقف التي تحدث له.

- يتوصّل البحث إلى وجود عواطف متنوعة وظهورها ليس على مستوى واحد؛ فهناك عواطف ظاهرة، واخرى تقرأ من بين السطور.

- وجود انساق كثيرة في خطابات الزهراء، منها ما كان نسقا دينيا يتعلق بالايمان بالله وبالتعاليم التي نزلت بها الرسالة المحمدية، وما كان منها سياسيا يتعلق باغتصاب الحق المفروض لها، ومنها ماكان اجتماعيا يتعلق بالحب والدعاء.

- أثبت البحث أنّ عاطفة الحب في خطب الزهراء عليها السلام هي عاطفة إنسانية دافعها الرئيس الحب في الله، انطلقت من عاطفة محورها حب الخالق والعمل على طاعته، وقد تدرجت هذه العاطفة من حب أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وابن عمها الامام علي عليه السلام انتقالًا الى حب فعل الخير.

- مثّلت عاطفة الكره والبغض في خطابات السيدة الزهراء عليها السلام مسارًا تمحور حول من اغتصب حقها وحاول أن يمنعها إرثها من أبيها.

- أثبت البحث أنّ عاطفة الخوف في خطابات الزهراء (سلام الله عليها) قد سارت حسب الموقف، وقد عالجت بصورة واضحة امور الدنيا والأخرة، فيما تفرّعت عاطفة الأمن الى الأمان والإيمان بالله تعالى، وقد يكون الأمن بين الذات والآخر.

- توّزع عناصر العاطفة في شدّتها وكميتها واختلافها من موقفٍ لآخر.

- توصّل الى أنّ عاطفة الخوف في خطب الزهراء عليها السلام ايجابي؛ كونه مرتبط بدوافع دينية صدرت من معصوم بهدف تحذير الناس من الوقوع في الزلل.

- تدرجت العاطفة عند السيدة الزهراء في خطاباتها بدء من عاطفة المركز وهي عاطفة الحب وتمركزت في حب الباري جل وعلا ثم انتقلت الى عواطف البشر التي تدرجت حسب الظرف والموقف.

- كشفت الدراسة ان عواطف الزهراء عليها السلام كانت تمزج بين ترغيب الناس وتحذيرهم، فكان كلا المسارين يعملان على البحث في طرق لاستقرار ذات الفرد في مجتمعه.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الاتجاهات السيموطيقية (التيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة الغربية): جميل حمداوي –ط١–٢٠١٥.
- الأسرار الفاطمية: محمد فاضل المسعودي – تقديم: عادل العلوي – مطبعة: أمير قم – ٢٠٠٠م – الناشر: مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة عليها السلام – رابطة الصداقة الإسلامية.
- أعيان الشيعة: محسن الأمين – حققه وأخرجه: حسن الأمين –دار التعارف للمطبوعات – بيروت –١٩٨٣م.
- التبالغ والتبالغية نحو نظرية تواصلية في التراث: رشيد يحياوي.
- التوقيف على مهمات التعاريف: عبد الرؤوف بن المناوي – تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان – ط١ – ١٩٩٠ – عالم الكتب – القاهرة.
- الحب والبغض في القرآن الكريم: مها يوسف جار الله– تقديم: السيد محمد السيد نوح – جامعة الكويت – ١٩٩٩.
- الدلالة المرئية: علي جعفر العلاق – بحث منشور – مجلة فصول –مج١٥ – ع٣– ١٩٩٦ – مصر.
- الشعور بما يحدث – من الجسد والعاطفة في صنع الوعي: انطونيو دا ماسيو – ترجمة: رفيف كامل غدار – الدار العربية للعلوم – ناشرون –ط١.
- انفعالات النفس: رينيه ديكارت – ترجمة وتقديم وتعليق: ترجمة زيناتي – دار المنتخب العربي للدراسات –ط١– ١٩٩٣– بيروت – لبنان.
- دراسات في الأخلاق وشؤون الحكمة العلمية: حسين المظاهري –إعداد: مجيد هادي زادة – مكتب الإعلام الإسلامي التابع لحوزة قم العلمية – فرع أصفهان – ومؤسسة الزهراء الثقافية الدراسية –ط١– ١٤٣٢هـ – مطبعة القلم.
- سيمياء العواطف في الصحيفة السجادية: زهراء عبد الحميد غالي – اطروحة دكتوراه – جامعة كربلاء – ٢٠٢٣م.
- سيمياء العواطف في قصيدة « أراك عصي الدمع « لأبي فراس الحمداني: عمي ليندة – رسالة ماجستير – جامعة مولود معمري تيزي –وزو – الجزائر

- سيمياء العواطف في نهج البلاغة: حيدر نعيم مغتاض – رسالة ماجستير – جامعة ذي قار – ٢٠١٨ م.
- شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء: محمد طاهر آل شبر الخاقاني – تنقيح: كاظم النوراني – منشورات انوار الهدى – قم.
- شذرات من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام: إعداد: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية – الناشر: العتبة العلوية المقدسة – ط١-٢٠١٦.
- علم الدلالة: أحمد مختار عمر – عالم الكتب – ط٥- ١٩٩٨.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ت٤٥٦هـ – حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد – ط٥ –دار الجيل – ١٩٨١هـ.
- فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية الأمير لـ: واسيني الأعرج –دراسة سيميائية: سعدية بن ستيتي –اطروحة دكتوراه – جامعة سطيف –٢٠١٣.
- في الخطاب السردي نظرية غريماس: محمد الناصر العجيمي – الدار العربية للكتاب –تونس –١٩٩١.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة –اشراف: نعيم عرقسوسي– ط٨– ٢٠٠٥ مؤسسة الرسالة – بيروت.
- لسان العرب: أبي الفضل جمال الدين بن منظور الافريقي ت ٧١١هـ
- مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: جمعه السيد حسين شيخ الإسلامي التويسركاني – راجعه: محمد جواد الحسيني الجلالي– دار الصفوة –بيروت – لبنان –ط١– ١٩٩٢م.
- معاني القبول والرفض في القرآن الكريم –دراسة في الالفاظ والاساليب: فضيلة عبد العباس حسن الأسدي –اطروحة دكتوراه – جامعة الكوفة – ٢٠٠٩.
- المعجم الفلسفي: مراد وهبة – دار قباء الحديثة – القاهرة –٢٠٠٧.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية – أشرف على الطبع حسن علي عطية – محمد شوقي أمين – ط٢.
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني – تحقيق: صفوان عدنان داوودي –دار القلم – دمشق– الدار الشامية – بيروت –ط٤– ٢٠٠٩.

البعد السوسيو لساني للدلالة اللغوية والعددية

في تسبيحة الزهراء عليها السلام

وأثره القرآني المثوي

الباحثة : م. م رشا محسن عباس الباحثة : م. م ميادة إبراهيم حبش

الملخص

تروم هذه الورقة البحثية الوقوف على الجانب السوسيولساني كظاهرة اجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجانب اللغوي من ناحيتي البعد والدلالة بين أهمية الأعداد التي تتكون منها تسبيحة السيدة الزهراء عليها السلام؛ وبين العدد (١٠٠)، وأثره القرآني من ناحية طرح النصوص القرآنية وربطها تحليلاً بأعداد التبيحة، بالاستعانة بعلم حساب الجمل، وقد توصل البحث إلى أنّ من أهم مظاهر الحياة العملية المملؤة بالديمومة والأستمرار، ماهي إلا نتاج طقوس دينية عملية موروثة من بيت النبي المصطفى وما علّمه لأبنته الزهراء عليها السلام، وأن لأعداد التسبيحة أثر قرآني تمثل بأهمية العدد (مئة) الوارد في آيات القرآن الكريم الصريحة، وبيّن البحث العلاقة بين هذين العددين وأهميتهما في أداء الزهراء لهما في حياتها العملية. وذلك بأستخدام آلية نظام حساب الجمل وتسليط الضوء على أهمية هذه الأعداد وآثرها القرآني، ناهيك عن أثرها في الحياة العملية لكل أنسان حين يتخذ من شخص السيدة الزهراء عليها السلام قدوة له.

الكلمات المفتاحية: السوسيو لسانيات، الدلالة اللغوية، الدلالة العددية، التسبيح، الأثر القرآني المئوي.

المقدمة

فاللغة والمجتمع وجهان لعملة واحدة في علم السوسيولسانيات، الذي يُعدُّ فرعًا مهمًا من فروع علم اللغة التطبيقيّ، فهو يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ لأَنَّهُ ينظم كلَّ جوانبِ بنيةِ اللغةِ وطرائقِ استعمالها، التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية، وليس المقصود بهذا العلم أَنَّهُ تركيبة أو توليفة من علمي اللغة والاجتماع، أو أَنَّهُ مزيجٌ منهما أو تجمع لقضاياهما ومسائلهما، وإنَّما هو الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، وفي وقتنا الحاضر ازداد الاهتمام بدراسة اللغة اجتماعيّاً، للكشف عمّا كان غامضًا من طبيعة اللغة وطبيعة المجتمع؛ لأنَّ اللغة سلوك اجتماعيّ، ولا يمكن لأية لغة أن تحيا إلاّ في ظلِّ مجتمع إنسانيّ، يُعدُّ علمُ السوسيولسانيات فرعًا مهمًا من فروعِ علمِ اللغةِ التطبيقيِّ، يُعنى بدراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع؛ لأَنَّهُ ينظمُ كلَّ جوانبِ بنيةِ اللغةِ، وطرائقَ استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية، فهو ينظر في التغييرات التي تصيب بنية اللغة؛ استجابةً لوظائفها الاجتماعيّة المختلفة، مع بيان هذه الوظائف وتحديدها. وقد قرَّرَ كثيرٌ من علماءِ اللغةِ الاجتماعيين أنَّ دراسةَ اللغةِ من دون الرجوع إلى السِّياق الاجتماعيِّ جهدٌ لا يستحق العناء؛ لأنَّ إهمالَ السِّياقِ الاجتماعيِّ قد يؤدي بكلِّ فروعِ علمِ اللغةِ النظريِّ (الوصفيّ والتاريخيّ والمقارن... وسواها) إلى القصور.

ومن الشعائر الإسلامية التي أكد عليها القرآن الكريم هي شعيرة التسبيح، تلكم الشعيرة التي تزيد في إيمان الإنسان وتضيف عليه هالة من النورانية عبر أداء هذه الركيزة الإسلامية التي أكد عليها القرآن الكريم في كثير من آياته المباركة فقد جاء في قوله تعالى ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[1] ليؤكد على هذه الحقيقة الخالدة التي أثبتها الله تبارك وتعالى لجميع الأشياء، وقوله تعالى: ﴿ **وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾[2]. إذن رحلة التسبيح في القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جداً كل ذلك ليكون إيمان الإنسان عبر التسبيح في القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جداً كل ذلك ليكون إيمان الإنسان عبر التسبيح أعظم وأفضل ما يكون عليه الإيمان.

إنّ السيدة فاطمة عليها السلام تصوّر الإسلام بكل أبعاده حيث تجلس إلى الرحى تطحن فيها القمح والشعير ـ لتسد أود أبنائها وبعلها ومن يلوذ بها في ظل أهل البيت. وإن فاطمة تصور، الإسلام بكل

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) سورة النور: الآية ٤١.

أبعاده، حين تخرج مع أبيها رسول الله في ساحات القتال والجهاد، تضمّد جراحه وجراح بعلها الوصي، وتمسح عنهما الآلام والأحزان، كانت تصور الإسلام، عندما تستقبل بطل الإسلام علياً أمير المؤمنين، وهو عائد من الحرب.

مشكلة البحث

يحاول البحث الإجابة على أهم الإشكاليات التي يخوض البحث دراستها وهي:

- ما هو البعد السوسيولساني والدلالة اللغوية لتسبيحة الزهراء؟

- ماهي علاقة العدد (١٠٠) بأعداد تسبيحة الزهراء عليها السلام وأثرها القرآني؟

وسيعتمد البحث المنهج الاحصائي والوصفي التحليلي في الوصول لنتائج البحث.

اسباب اختيار الموضوع:

أنّ سبب اختيارنا لهذا الموضوع محاولة الوقوف على أهم الدلالات التي تشير إليها الأعداد في تسبيحة الزهراء عليها السلام والوقوف على دلالتها اللغوية المرتبطة بالدلالة العددية التي لها الأثر الأكبر في القرآن الكريم على الحياه الاجتماعية؛ والذي بدوره يزيح الضبابية في معاني هذه الأعداد وأهميتها في التسبيحة؛ ناهيك عن أن لهذه الأعداد لغة ومعاني وأعداد باطنية أخرى. يسعى معها البحث للتعرف أكثر في تسليط الضوء عليها.

أهمية الموضوع

١- يجد البحث أنه سيفتح أفقا دلالية وسوسيو لسانية كثيرة لمن يريد أن يخوض في مثل هذه المواضيع.

٢- تأتي أهمية الموضوع في تسليط الضوء على الأعداد الخاصة بتسبيحة الزهراء وأثر هذه الاعداد وأهمية اختيار رمزيتها، ناهيك عن أنّ العلاقة بين تأدية الزهراء للتسبيحة بهذه الاعداد وتداخلها مع البعد القرآني.

٣- يمكن اعتبار مجال السوسيو لسانيات من المجالات اللغوية والاجتماعية المهمة في المجتمع، التي تحتاج منا السعي للبحث في هذا المجال.

المبحث الأول: قراءة في المفاهيم

أولاً: السوسيو لسانيات

يُعد حقل السوسيولسانيات أرضية خصبة، يشترك فيها اللسانيون وعلماء الاجتماع الذين سَعوا بكل ما أوتوا من تراكمات معرفية في كلا الحلقين (اللسانيات وعلم الاجتماع) إلى وضع نظرية سوسيولسانية تُعنى بالبحث الاجتماعي اللغوي، من خلال دمج المقاربات النظرية اللسانية بنظيرتها الاجتماعية، فتنتج عن ذلك محاولات متعددة» تمثلت في اتجاهين أحدهما: عُني بفهم المظاهر الاجتماعية للغة، والآخر: عُني بفهم المظاهر اللغوية للمجتمع حيث أصبحت سنوات السبعينات من القرن الماضي منعطفاً حاسماً في ظهور علم السوسيولسانيات فظهرت مجلات ودوريات تحيل صراحة على اللسانيات الاجتماعية أو علم الاجتماع اللغوي التي أخذت تتبوأ مكانة هامة وتُزعزع المواقع التي عُدت نهائية» (كالفي، ٢٠٠٦، ٢٥). أن السلوك السوسيولساني للأفراد يتحدد من خلال المعتقدات المعرفية والتوجه بشكل عميق لما يفعلونه بمواردهم اللغوية – والتي تعتبر تسبيحة الزهراء عليها السلام جملة من هذه الموارد اللغوية– بما في ذلك تلك التي ينقلونها لغيرهم، وتلك التي يملونها، وتلك التي يتعلمونها، وتلك التي يمارسونها، سواء بشكل فاعل عند الإنتاج أو فقط عند الاستقبال. أنّ السوسولسانيات الكلية تُعنى بدراسة الأنظمة العامة والتنوعات اللغوية بشكل شامل في إطار مجموعة لسانية. إننا نجد أن القدرة السوسيولوجية تشمل الجانب الشفوي للغة فهي تركز على الكلام في السياق الاجتماعي، التي تتحول بدورها إلى قدرة لغوية عند الفرد لذا أصبحت السوسيولسانية جزءا لا يتجزأ من الحقل التطبيقي للسانيات النظرية (اللسانيات التطبيقية) وأصبح الدرس السوسيولساني يُعنى بالعلاقة بين اللغة ومستعملها من جهة وبين اللغة والبيئة الاجتماعية والجغرافية من جهة أخرى.

يتبين أنّ أي علاقة لابد أن تقوم على استغلال قوة العمل لتخلق في النهاية فائضاً، فكذلك اللغة سواء كانت لغة طبيعية شفهية أو كتابية أو عددية «لا قيمة لها إلا إذا دخلت حقل التداول، فتتحول بذلك إلى علاقة اجتماعية، فهي كنسق من الإشارات والعلامات لا معنى له إلا إذا اكتسبت قيمة تبادلية وتداولية واستعمالية، من خلال تحولها إلى علاقة اجتماعية استغلالية في حيز التداول اللغوي

لتنتج فائضا في المعنى» (عبد القادر، ٢٠١١، ٣٦).

ثانياً: التسبيح

-هو التنزيه، وقيل سبحان الله، تنزيه الله عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به (ابن منظور، مادة سبّح)، والتسبيح: تنزيه الله (الأصفهاني، د. ت، مادة سبّح)، وتنزيه الله جلّ ثناؤه من كل سوء، والتنزيه التبعيد، والعرب تقول: سبحانه من كذا أي ما أبعده (مقاييس اللغة، ١٩٧٩م، مادة سبح) وهذا القول يعني تبعيد الله عن صفات النقص، فالله منّزه عن كل نقص، وقد دلت فواتح بعض السور على هذا التنزيه.

سبح: سبح بالنهر وفيه، سبحاً وسباحةً: عامَ، وهو سابحٌ وسبوح من سُبحاء، وسبّاح من سبّاحين، قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِحَاتِ** ﴾ هي السفن، أو أرواح المؤمنين، أو النجوم. (سبحان الله): تنزيهاً لله من الصاحبة والولد، معرفة، ونُصب على المصدر، أي: أبرّئ الله من السوء براءة، أو معناه: السّرعة إليه، والخفّة في طاعته، سبح، سبحاناً، وسبّح تسبيحاً: تسبيح: الصلاة، ومنه: ﴿ **كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ** ﴾[١] (ابن منظور،١٤١٤هـ، ج٢، ٤٧٠).

وعُرّف اصطلاحياً: «تنزيه الله عن بادية نُقصٍ في خلقٍ أو رتبة» (المناوي، ١٤١٠هـ: ج١ ٩٦)، وعُرف ايضا «تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث» (الجرجاني، ١٤٠٥هـ: ج١ ٥٧).

قال تعالى: ﴿ **وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾[٣]. وهنا تستوقفنا كلمة سبحان؛ وهي كلمة ممتنعة لا يجوز أن يوصف بها غير الله؛ لأن المبالغة في التعظيم لا تليق لغير الله. اذن التسبيح مصطلح تتعدد له التعريفات كل حسب منهاجه وطريقته، الا أن الجميع يتفق على أنها تنزيها لله عز وجل.

ثالثاً: الدلالة:

ما يهمنا في تعريف الدلالة بكسر الدال هو المعنى الاصطلاحي: وتعني (الاستدلال)؛ فهي شقّان: دال ومعنى؛ فـ«الدال» هو المتولد من المعنى الأصلي، وأما «المعنى» (sens) فمتولد من:

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٣.
(٢) سورة الأحزاب: الآية٤٢.
(٣) سورة النصر: الآية٣.

• الدَّلالة: بالفتح وهي ما تدل على الشيء ما يُمكّن كل ناظر أن يستدلُّ بها عليها كمثل ذكر (الخالق والإبداع) دلالة على الخالق.

• الاستدلال: وهو الفعل الذي يقوم به المستدلُّ.

• الدِّلالة: بكسر الدال ما يمكن أنّ يستدل بها كوسيلة من وسائل الحقيقة. (إسماعيل،٢٠١١، ١٨-١٩).

هذه المعطيات جميعها تصبّ في ضبط مصطلح (الدلالة) عند أهل التفسير الذين قالوا بأنها الإشعار بأمر خفي، وقد أشار إلى ذلك الراغب الأصفهاني، الذي يؤكد أن الدّلالة قد تكون عن قصد كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود والحساب- وهي جميعها علامات سيميائية دالة في تسبيحة الزهراء من خلال دلالة أعدادها ولغة هذه الأعداد- وقد لا تكون بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنّه حيّ مصداقاً لقوله تعالى ﴿ **مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ** ﴾[1].

يمكن القول أنّ الدلالة تعني إرشاد شخص طلبَ معرفةً، وعليه يكون (الدليل) إرشاد إلى شيء مطلوب غيرَ واضح لطالبه، فهو متميز بالغموض والخفاء، حتى تتم تجليته ووضوحه بما يدّل عليه، كما هو موضح في الآية الكريمة. وعليه تكون الدّلالة هي تلك العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، فغياب أحدهما لا يتصور، ولا يتحقق بغياب الأخر، فهما مرتبطان ارتباطاً عضوياً لا يمكن فكّه بحال من الأحوال.

ولعل أشهر التعريفات الاصطلاحية هي تلك التي قالها المناطقة؛ والتي تؤكد أنّ (الدّلالة) هي فهم أمر من أمر آخر يدّل عليه. «... ومعنى دلالة اللّفظ: أن يكون إذا ارتسم في الخيال اسم ارتسم في النقس معنى، فتعرف النفس، أنّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الجسّ على النفس التفتت إلى معناه» (ابن سينا. د. ت، ٤) أي أنّ الدلالة هي ثنائية متلازمة من مسموع ومفهوم؛ المسموع هو اللفظ، والمفهوم هو المعنى. وتعني «الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه» (ابن منظور، مادة دلل)، «كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر» (الجرجاني، ٢٠٠٧، ١٧٤) وهو «علم يبحث عن حقيقة المعنى وكيفية الوصول إليه، قائم على التحليل والتعليل والتدليل» (استيتية، ٢٠٠٥، ٢٥٧). أذن الدراسة الدلالية تُعنى بدراسة التراكيب اللغوية وتحليلها، للوصول إلى معنى محدد معلل يستدل عليه من سياق الجملة أو النص. وهذا يعني دراسة العلاقة بين المفردات في سياق معين من المستوى

(١) سورة سبأ:الآية١٤.

اللغوي بكل مجالاته أحياناً.

رابعاً: الأثر

- وظائف اللغة

الكل يعرف أنّ الوظائف الاتصالية تقف في مقدمة الوظائف للغة فعند تشومسكي «أن ثمة وظيفة اتصالية اجتماعية للغة حتى في الكلام المتمركز حول الذات، وأنّ الراشد يفكر في المجتمع والآخرين حتى لو كان وحيداً، وعند جون ديوي أنّ اللغة ليست تعبيراً عن المشاعر والأفكار، وإنما هي بالدرجة الأولى وسيلة اتصال بين أفراد جماعة تؤلف بينهم على صعيد واحد» (السيد، ١٩٨٩م، ١١٠). هاليدي أعزى اللغة لوظائف عدة ولأنه لا يتعامل مع ترتيبها حسب الأهمية، وإنما يجعل من جميعها ذات الأهمية في حياتنا؛ ويمكن إجمالها:

• الوظيفة الشخصية: Personal function: ويقصد بها استخدام اللغة من أجل أن يعبر الفرد عن مشاعره وأفكاره، ويلخصها هاليداي في عبارة «إنني قادم» Here I come.

• الوظيفة التنظيمية: Regulatory function: ويقصد بها استخدام اللغة من أجل إصدار أوامر للأخرين، وتوجيه سلوكهم، ويلخصها هاليداي في عبارة «افعل كما أطلب منك» (Do as I tell you).

• الوظيفة التفاعلية: (Instrumental function): ويقصد بها استخدام اللغة من أجل تبادل المشاعر، والأفكار بين الفرد والآخرين، ويلخصها هاليداي في عبارة «أنا وأنت Me and you».

• الوظيفة الاستكشافية: (Heuristic function): ويقصد بها استخدام اللغة من أجل الاستفسار عن أسباب الظواهر، والرغبة في التعلم منها، ويلخصها هاليداي في عبارة «أخبرني عن السبب Tell me why».

• الوظيفة التخيلية: (Imaginative function): ويقصد بها استخدام اللغة من أجل التعبير عن تخيلات، وتصورات من إبداع الفرد، وإن لم تتطابق مع الواقع، ويلخصها هاليداي في عبارة «دعنا نتظاهر أو ندعي» Let us pretend.

• الوظيفة النفعية: (Instrumental function): ويقصد بها استخدام اللغة للحصول على الأشياء المادية مثل: الطعام والشراب، ويلخصها هاليداي في عبارة» أنا أريد» (I want).

• الوظيفة البيانية: Representationl function: ويقصد بها استخدام اللغة من أجل تمثل الأفكار والمعلومات، وتوصيلها للآخرين. ويلخصها هاليداي في عبارة «لدي شيء أريد إبلاغك به I have got something to tell you». (طعيمة، ١٩٨٦م، ١١٩-١٢٠)

• وظيفة التلاعب باللغة: (Play function): ويقصد بها اللعب باللغة، وبناء كلمات منها حتى ولو كانت بلا معنى، ومحاولة استغلال كل إمكانات النظام اللغوي. وتلخصها وليجا ريفرز في عبارة «Billy Pilly».

• الوظيفة الشعائرية: Ritual function: ويقصد بها استخدام اللغة لتحديد شخصية الجماعة، والتعبير عن السلوكيات فيها. ويلخصها هاليداي في عبارة «كيف حالك» .How do you do

(Rivers 1983107-109 ،م).

ويبدو أنّ وظائف اللغة لا تتحدد بوظيفة واحدة، وكل تعريف للوظيفة يتحدد بمعنى معين وتسمية معينة حسب الوظيفة التي تؤديها اللغة المستخدمة.

المبحث الثاني: السمات السلوكية لشخصية السيدة الزهراء عليها السلام

- الأثر الاجتماعي لتسبيحة السيدة الزهراء عليها السلام

- تسمياتها:

فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وبضعة المصطفى، وأم أبيها، وزوجة سيد الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأم سيديّ شباب أهل الجنة والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام. وقد ذكر الأمام الصادق عليه السلام تسعة أسماء لأمّه فاطمة عليها السلام وهي: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية والمحدثة، والزهراء (الخميني، ١٩٨٦م: ٣٤). وهناك أسماء أخرى وردت في روايات أخرى وهي: الحرّة، والسيدة، والعذراء، والحوراء، ومريم الكبرى، والبتول (أبو عمر، ٢٠٠٦م، ٦٥).

-كنيتها:

فقد كانت تكنى بأم أبيها، وأم السبطين، وأم الحسن، وأم الحسين، وأم الأئمة وغيرها (تبريزي، ١٩٨٥م:٨٧). وأشهر القابها: سيدة نساء العالمين (العسقلاني، ١٤١٥هـ:٦٥)، سيدة نساء المؤمنين (علي دخيل، ١٩٩٢م: ٢٣).

ولسنا فى صدد تسليط الضوء على مادة التسبيح بحد ذاتها؛ بقدر ما نريد معرفه أهمية التسبيح وموقعه من القران الكريم ودوره فى الحياة الاجتماعية للسيدة الزهراء عليها السلام ويعد التسبيح نوع من العبادات التي أكد عليها الله (سبحانه وتعالى) تلكم العبادة التي تزيد في إيمان الإنسان وتضيف عليه هالة من النورانية عبر أداء هذه الركيزة الإسلامية التي أكد عليها القرآن الكريم في كثير من آياته المباركة فقد جاء في قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾[1] ليؤكد على هذه الحقيقة الخالدة التي أثبتها الله تبارك وتعالى لجميع الأشياء، فالكون يسبح والنجوم تسبح في مداراتها الغارقة في أعماق الفضاء والشجر والنباتات والحيوانات بكل صنوفها تشترك في هذا الموكب الرهيب الذي يثير الدهشة ويجتذب القلوب، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿ **وَالطَّيْرُ**

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾[1].

وفي تسبيح الزهراء، نجد ان الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام قد حولت هذه العبادة إلى سلوك يومي، وذلك عندما علمها أبوها النبي صلى الله عليه وآله هذا التسبيح، ذهبت إلى قبر الحمزة بن عبد المطلب.. وأخذت تصنع من تراب قبره حبات لمسبحتها لتدير بها هذا التسبيح. ومعنى ذلك انها اعطت العبادة محتوى ومضمونا، أي انها جعلته شعارا حيا، وليس مجرد كلمات تتحرك بها الشفاه واللسان، دون ادراك ولا اسيتعاب. وهذه هي الفلسفة والرشد، الذي تريده الزهراء عليها السلام، أنّه امتزاج بين التسبيح وبين دماء الشهداء. ان الصلاة من دون دم الشهيد لا تساوي شيئا.[2] او قل؛ لولا الشهداء لما قام لهذا الدين عمود. وإذا تفحصنا القرآن الكريم نجد زخماً كبير من الآيات المباركة تصل العشرات تؤكد على مسألة التسبيح ومنها: ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾[3] ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾[4]. ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** ﴾[5] ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى** ﴾[6]. إذن رحلة التسبيح في القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جداً كل ذلك ليكون إيمان الإنسان عبر التسبيح في القرآن الكريم عظيمة وكبيرة جداً.

- آثر التسبيح فى سلوكيات الزهراء عليها السلام

ان نظرة فاحصة نلقيها على هيكل التسبيح المذكور، ترينا بوضوح، ان التسبيح مؤلف من أربع وثلاثين تكبيرة وثلاث وثلاثين تحميدة... وثلاث وثلاثين تسبيحة وهذا يعني انه بدأ بالله أكبر. فأول كلمة في التسبيح كلمة الله اذ انه لو بدأ مثلا في التحميد لكانت اول كلمة فيه كلمة الحمد وليس كلمة الله، وهكذا اراد النبي لهذا التسبيح ان يصب في قالب تربوي كما هو شأن كل العبادات الإسلامية.. فجعله يبدأ بالله أكبر.. وينتهي بسبحان الله انه بدأ بالله وختم بالله.. وهذا هو المراد من الإطار التربوي في منهج التسبيح.. وهو موافق لسلسلة الفكر الإسلامي في القرآن الكريم... فنحن نعرف ان اول كلمة نزلت في القرآن هي: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾[7] والرب كلمة مشتقة من التربية، بمعنى

(١) سوره النور: الآية٤١.

(2) https://almaaref. org. lb/post/9887

(٣) سوره الحشر: الآية١.
(٤) سوره الجمعة: الآية١.
(٥) سوره طه: الآية١٣٠.
(٦) سوره الأعلى: الآية١-٢.
(٧) سوره العلق: الآية١.

ان القراءة المطلوبة يجب ان تكون في إطار التربية الربانية.. وإلاّ لكان يقول: اقرأ باسم الله الذي خلق... ولكنه لم يقل باسم الله الذي خلق، في هذه السورة بالذات، وانما قال: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ هذا بالإضافة إلى انّ القراءة معناها تغذية العقل، لأنّ العقل يتغذى بالعلم، ومن دون علم تموت العقول، وحين يقول الحق سبحانه: اقرا باسم ربك.. فان ذلك يعني غذاء عقلك بالتربية العلمية، حتى يصل عقلك إلى مرحلة الرشد الفكري.

يبدو ومن خلال البحث أن للتسبيح ثمار كثيرة ويمكن أجمالها حسب رؤية البحث لقصة تسبيح الزهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام)، فمثلا يرى البحث أن بتسبيحها أثر للصبر وأثر لإزالة الكرب وأثر لطمأنينة القلب، وأثر للرضا، وأثر لدخول الجنة، وأثر لزيادة الإيمان، وأثر للتوكل على الله، والكثير من الأثار والثمار.

-أثار وثمار تسبيحة الزهراء عليها السلام

بالتأكيد ستستند الأثار والثمار على ماجاء في النص القرآني والتي تنطلق منها معظم الأثار بكل أنواعها والتي يترتب عليها الثمر بكل أنواعه ايضا؛ ومنها:

• أثر وثمرة حالة الرضا:

قال تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى** ﴾(١). وقوله تعالى: ﴿ **رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾(٢)، أي «سبح الله في تلك الأوقات لتنال ما ترضى به نفسك من حصول الظفر وانتشار أمر الدعوة في الدنيا ويرضيك ربك بما تنال من الثواب والشفاعة في الأخرة» (الألوسي، د. ت، ج١٦: ٢٨٠). كذلك نجد في تفسير آخر للنص أن «التسبيح اتصال بالله، والنفس التي تتصل تطمئن وترضى وهي في ذلك الجوار الرضي، فالرضى ثمرة التسبيح والعبادة وهو وحده جزاء حاصر ينبت من داخل النفس» (الحمصي، ١٩٨١م، ج١: ٢١٣). من جهة أخرى يمكننا القول:» إن هذا كما يقول الملك الكبير يافلان اشتغل بالخدمة فلعلك تنتفع به ويكون المراد أني أوصلك إلى درجة عالية من النعمة» (الرازي، د. ت، ج٢٢: ١١٤). وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾(٣).

(١) سورة طه:الآية١٣٠.
(٢) سورة الفجر: الآية٢٨.
(٣) سورة الضحى: الآية٥.

ولأن الرضا يعتبر هو الطريق المختصر الذي أتخذته السيدة الزهراء عليها السلام؛ فقد أيقنت عليها السلام إنما نهايتها همة عالية ونفس زكية توطن النفس على كل ما يرد عليها من الله تعالى. قال تعالى: ﴿ **جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾[1]. والآية تشير إلى أن الله عز وجل «رضي عنهم بما أطاعوه في الدنيا وعملوا لخلاصهم من عقابه» (الطبري، ١٤٠٥هـ، ج٣٠: ٢٦٥) «ورضى الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه لقوله تعالى: ﴿ **وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[2] وهذا الرضا جزاء رضاهم عنه في الدنيا» (الغزالي، د. ت، ج٤: ٣٢٤).

اذن يبدو أن ثمرة تسبيح الزهراء عليها السلام نالت من الرضا الذي فتح باب حسن العلاقات بالخُلق من الرضا والذي يقابله سوء الخُلق من السخط، ناهيك عما يثمره الرضا من سرور القلب وطيب النفس وسكونها.

• أثر وثمرة الصبر

في الحقيقة أن للصبر مكانة متميزة ومنفردة؛ قد أشار إليها القرآن ولكن ما يهمنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على ثمرة الصبر المصاحب للتسبيح «والصبر ضرورة حياتية ودينية فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا به؛ فالكسب يحتاج إلى صبر ومعاملة الناس تحتاج إلى الصبر والمزارع والطالب والمجاهد كلهم يحتاجون للصبر؛ للقدرة على القيام بالأعمال. وكما أنّ الصبر ضروري لأهل الإيمان في بلائهم كذلك ضروري لرسل الله-تعالى- في تبليغهم عن الله» (الميداني، ١٩٩٦م، ج٢: ٣١٩). فهذا الخطاب الإلهي من الله -جل وعلا- لنبيه ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ** ﴾[3] يقول تعالى مخاطباً نبيه: «إصبر يا محمد وأمضِ لأمره ونهيه وبلغ رسالته فإنك بأعيننا أي بمرآى منا نحفظك ونحوطك فلا يصلوا إليك» (أبو السعود، د. ت، ج٨: ١٥٣).

وهنا يكمن دور السيدة الزهراء عليها السلام في انعكاس تربية رسول الله محمد أبيها صلى الله عليه وآله من خلال أمر الله لرسوله بالصبر والحكمة وبذلك تهون عليه جميع المصائب؛ لما في الصبر من معنى الثبات فكأنه يقول كن ثابتا لحكم ربك، لذلك نجد الأمر بالصبر المقرون بالتسبيح في آية أخرى لقوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ**

(١) سورة البينة: الآية٨.
(٢) سورة التوبة: الآية٧٢.
(٣) سورة الطور: آية٤٨.

عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾[1]، كون أن هذا الصبر به حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش، ولا يخفى عنّا أنّ التسبيح يعطي شحنة روحية، تحلو بها مرارة الصبر، وينشرح بها مرارة الصبر، وينشرح بها ضيق الصدر. ناهيك ما للمُسبّح من حظ وفير «فتلك الثمار السالفة بمقدار حضور قلبه ونفسه وفكره مع ربه في أوقات ذكره، فتنقص منه الغفلات، وتنقص منها شوارد الأفكار، وتنقص منها الشهوات والأهواء ولو كان اللسان مشتغلاً بالتسبيح والجهر، ويزداد النقص حتى يصبح الذكر اللساني في حركة آلية لا يتجاوز تأثيرها العضلات والأعصاب المادية التي تتحرك بألفاظ التسبيح بحمد الله، وكذلك كل أنواع الذكر وصوره التي يؤديها الذاكرون لله وجل» (الميداني، ج٦: ٥٧٩). وهنا نجد مدى تأثير التربية المحمدية بسلوكيات وتنشئة السيدة الزهراء عليها السلام من جانب الصبر والرضا من أثر مهارة وممارسة التسبيح الذي أقترن بتسبيحها.

• أثر وثمرة التوكل على الله

عندما نمعن النظر في خطاب الله عز وجل في نص كتابه المحكم المقدس لقوله تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ** ﴾ نلاحظ في الآية المباركة أن الله يوجه الخطاب لنبيه صلى الله عليه وآله «بأن يتوكل عليه ليدفع جميع المضار وجلب جميع المنافع، وخص صفة الحياة إشارة إلى أنه هو الذي يوثق به في المصالح ولا حياة على الدوام إلا لله سبحانه» (الشوكاني، د. ت، ج٤: ٨٣) يعني «ثق به وأسند أمرك إليه في اكتفاء شرورهم وسبحه عن أن يكل إلى غيره من توكل عليه» (النسفي، ٢٠٠٨م، ج٣: ١٧٤)، حيث نجد أنها عليها السلام كأبيها أوكلت أمرها بالتسبيح لله طاعة لرسوله بقبول التسبيح بدلاً من الخادمة التي كان الهدف من وجودها مساعدتها في أعمال البيت. «فالتوكل يعني التسليم والتفويض والاعتماد عليه سبحانه والثقة به والطمأنينة إليه» (حوى، ١٩٨٨، ٢٧٨).

• أثر وثمرة الثبات والاستمرار في طريق الدعوة

التسبيح له أثره في الثبات على طريق الحق، والاستمرار في الدعوة للحق، كون» أن طريق الدعوة طويل وشاق والسائر في هذا الطريق يحتاج أن يعد العُدة حتى يستمر ويقدر على حمل أعباء الرسالة ومن أهم عناصر هذه العدة: الاتصال الوثيق بالله تعالى- والدعاء» (زيدان، ١٩٨٨م: ٣٤٣)، فزاد الطريق وعدة الموكب، أنه الاتصال بصاحب الدعوة ينبوع القوة ومصدر الزاد والمدد، والاتصال به

(١) سورة ق: الآية ٣٩.

ذاكراً وعبادةً، ودعاءً وتسبيحاً ليلاً طويلاً حيث يلتقي العبد بربه في خلوة ونجاة وفي أنس تفيض منه الراحة على التعب والقوة على الضعف، فتستصغر ما لاقته وما تلاقي من أشواك الطريق» (الحمصي، ١٩٨١م: ٢١٤) لقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلا** ﴾[١]. وهنا يأتي دور السيدة الزهراء عليها السلام المستقبلي في قياس مدى حجم المسؤولية التي كانت على أكتافها من مراحل حياتها التي تبنتها وحملتها حضورا وغياباً من مرض والدها رسول الله صلى الله عليه وآله، وحقوق زوجها، وحادثة الباب، والاعتداء على ولدها (الإمام الحسين عليه السلام) وكل ما تشمله الحياة من مصائب عليها عليها السلام وعل آل بيتها عليهم السلام وهذا الدور يعود لرسول الله الأعظم محمد صلى الله عليه وآله عندما علّم أبنته الزهراء تسبيحتها إنما كان يهدف لأن تتروض على رياضة الثبات والاستمرار.

• أثر وثمرة مغفرة الذنوب ومضاعفة الثواب

وفي بالغ تأثير التسبيح على الذنوب والمعاصي وإذابتها روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال أمير المؤمنين: «**التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملأ الميزان، والله أكبر يملأ ما بين السماء والأرض**» (الكليني، د. ت، ج٢، ٢٠٦). إن تسبيح الخالق العظيم تطهير لنفوس المسبحين من المعاصي ومغفرة لذبوبهم لقوله تعالى: ﴿ **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ **يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ** ﴾[٣] نلاحظ أن الاستغفار مقرون بالتسبيح وهذا ما نلاحظه عمليا في تسبيحة الزهراء عليها السلام «فكما أن التسبيح تنزيه لله تعالى عن عيب ونقص فالاستغفار طلب المغفرة من الله» (الأصفهاني، ١٩٩٧م، ج٢، ٤٦٩) وكلاهما يستلزم الأخر، ناهيك عن أنّ التسبيح نتاجه الاستغفار؛ فإذا أردنا التساؤل عن سر تقديم التسبيح في الآية على الاستغفار نجد» أن التسبيح من أعمال القلب والاستغفار هو من ذكر الله والثناء عليه والاعتراف بمنته وفضله من أعمال اللسان، فقدم ما محله القلب على ما محله اللسان» (أبو حيان، ١٤١٣هـ، ج٦، ٢٢٥) وفي قوله تعالى ﴿ **وَاسْتَغْفِرْهُ** ﴾ «أي أطلب غفرانه إنه كان غفاراً، إيذاناً بأنه لا يقدر أحد حق قدره، فقال معلماً بأن من كماله أن يأخذ بالذنب إن شاء ويغفر إن شاء وإن عظم الذنب، ليحث ذلك على المبادرة إلى التوبة وتكثير الحسنات وحسن الرجاء» (البقاعي، ج٨، ٥٦٢) وكان خير معلماً للزهراء عليها السلام أبوها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

(١) سورة الإنسان: الآية٢٦.
(٢) سورة النصر: الآية٣.
(٣) سورة الشورى: الآية٥.

المبحث الثالث: البعد الدلالي لأعداد التسبيحة وترتيبها

إن المتتبّع للأحاديث الشريفة المتمحورة حول هذا التسبيح العظيم، يلاحظ أن توصيات أهل البيت عليهم السلام تتركّز باستحباب هذا التسبيح، فعن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «**إذا أخذت مضجعك فكبّر الله أربعًا وثلاثين، واحمده ثلاثًا وثلاثين، وسبّحه ثلاثًا وثلاثين**»(١) وقال أبو جعفر عليه السلام: «**من سبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام ثم استغفر غُفر له، وهي مائة باللسان وألف في الميزان، ويطرد الشيطان ويرضى الرحمن**»(٢) وهنا يحاول البحث الوقوف على مفردات التسبيحة المباركة وما تنتجه من نمط تربوي سلوكي أعجازي وأبعاد كثيرة في مجالات الحياة الواسعة؛ حين يضع البحث كل مفردة من مفردات التسبيحة ضمن منظومة لها قيمتها العلمية القرآنية من حيث صياغتها واختيار المفردة خصيصاً من أبيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وأعادة قراءتها، حيث يذكر أحد الباحثين المعاصرين «أن مفردات التسبيحة ما هي إلا صفات الله وأيضا هي أسماؤه: الحميد والسبحان والكبير... وعند الوقوف على دراسة مفردة (الله أكبر) «نجد أن هذا الذكر ثابت كركن من أركان الصلاة ويكون بهذا النمط (سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر) هذه التراتبية لها قراءة تصاعدية؛ فالبدء بتسبيح موجودات الله والشكر على نعمه يجعلنا نتفكر بواجب الوجود الواحد، وبلورة فكرة تعظيم الله وتقديمه على كل هذا الوجود ومخلوقاته، وما نلاحظه في عبارة الذكر تحديداً يتقدم اسم الله على صفاته، بينما العبارتين اللاحقتين اسم الله يلي صفته، فيقال: الحمد لله وسبحان الله وهذا ايضا له قراءة دلالية نرى فيها ليس فقط تكبير» (فرحات، ٢٠٢٢م: ع٢٠: ١٢٣-١٣٩)، رغم أتفاق العلماء على تقديم التكبير للروايات المصرحة بذلك ومنها عن الحسين بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن عامر، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**من سبح تسبيح الزهراء عليها السلام قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفر الله له ويبدأ بالتكبير**»(٣) وهنا نجد كثيراً ما يختلف به العلماء في تقديم التحميد على التسبيح، أو العكس» فالمشهور في تسبيح الزهراء عليها السلام تقديم التكبير ثم التحميد، ثم التسبيح» (العلامة الحلي، ١٤١٢هـ، ج٢: ١٨٢-١٨٣)، إلا أن بعض العلماء ذهبوا إلى إمكانية

(١) الكافي: ج٢ ص٥٣٦.
(٢) وسائل الشيعة: مج٣، ج٤ص ١٠٢٣.
(٣) الكليني، د. ت: ج٣، ح٦ ص٣٤٢.

تقديم التسبيح على التحميد، فقد ذكر في فقه الإمام الرضا عليه السلام «**وتسبح بتسبيح فاطمة عليها السلام وهو أربع وثلاثون تكبيرة، وثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة**» (الطبرسي، د. ت، ج٥، ح٢، ٣٨) وهنا نلاحظ الإشارة العددية، فالتسبيح والتحميد يتساوان من ناحية العدد، ولكن الأختلاف الحاصل في الترتيب في مفردات التسبيحة، ومدى معرفة قيمة الدلالة اللغوية.

- قيمة الدلالة اللغوية بين (التسبيح والتحميد) في القرآن.

للتسبيح والتحميد قيمة عبادية تأتي أهميتها من القيمة الاصطلاحية المتداولة، وكذلك له قيمة لغوية فلابد من الوقوف على أهمية هذه القيم المعرفية ويمكننا القول أنّ:

التسبيح لغةً أنّه: التقديس والتنزيه، وهو مصدرٌ من الفعل سبّح، فإن قيل سبّح الله فقد عظّمه، ومجّده، ونزّهه عن العيوب والنقص.

الحمد لغةً بأنّه: الشكر والثناء، وهو مصدرٌ من الفعل حمِد، فيُقال حمِد الله بمعنى أثنى عليه وشكره، ورضي بقضائه وشكر نِعمه.

- التسبيح اصطلاحاً بأنّه: قول سبحان الله، أو أيّ لفظٍ آخرٍ يشمل التسبيح، وهو كما سبق الذكر تنزيه الله -سبحانه- عن النقص والعيوب، ممّا في ذلك الشريك والولد، والتسبيح نوعٌ من التعظيم لله سبحانه، لذلك قُرن التسبيح بالتعظيم في لفظ: (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم).

- الحمد اصطلاحاً: فيُقصد به قول: الحمد لله، ولقد حمد الله -تعالى- نفسه في كتابه، وأرشد عباده ليحمدوه، فقال: ﴿ **وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا** ﴾[1]، وفي ذكر الاقتران بين الشكر والحمد يذكر أهل العلم أنّ الحمد أشمل وأعمّ من الشكر، فالحمد موفورٌ لله -سبحانه- على كلّ الاحوال؛ في السراء والضرّاء والمنع والعطاء، بينما يكون الشكر موجهاً لنعمة بعينها يشكر العبد ربّه على إتمامها له.[2]

من خلال التأمّل في المفهوم الحقيقي (للتسبيح) يتضح لنا سر التلازم بين هذا الذكر وذكر (التحميد) في القرآن والأدعية الشريفة ولماذا تأتي الملائكة بحمد اللهّ مع تسبيحه: ﴿ **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** ﴾[3]. ويأمر اللهّ تعالى النبيّ صلى الله عليه وآله قائلًا: ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ**

(١) سورة الإسراء: الآية ١١١.

(2) http://www. 3alamatnisurah. com/PreviewWords. aspx?PID=45

(٣) سورة الزمر: الآية ٧٥.

﴿ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾[1]. ويقول أيضًا: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[2]. كما ذكر القرآن بشأن ذكر «الرعد»: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾[3]. بل إنّ كل الأشياء في عالم الخلق تحمد اللهّ تعالى إلى جانب تسبيحه: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[4]. وتوضيح ذلك أن التسبيح هو تنزيه الله تعالى في الذات والصفات والأفعال من كل نقص والتحميد، هو الثناء على الله – تعالى لتمتعه بجميع الكمالات في الذات والصفات والأفعال على هذا، فإنّ التحميد هو في الحقيقة نوع من التسبيح، باختلاف في جهة واحدة وهي أنّ التسبيح ثناء على الله بصفات الجلال والتحميد، ثناء عليه بصفات الجمال، واقتران التسبيح بالتحميد، يعني الثناء على الله – تعالى – بصفات الجلال والجمال معا. (الأفقى،١٤٢٩هـ، ج١: ١١٤-١١٥) وعلى هذا، فإنّ جذور التحميد والتهليل والتكبير تمتد في التسبيح، ورغم أنّ هذه الأذكار مختلفة من حيث المفهوم ولكنّها تتمتع بالوحدة في المصداق، لذلك يطلق على هذه الأذكار الأربعة في الصلاة مصطلح (التسبيحات الأربعة) كما يسمى (التكبير والتحميد) بالتسبيح في تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام.

(١) سورة غافر: الآية: ٥٥.
(٢) سورة الطور: الآية ٤٨.
(٣) سورة الرعد: آية١٣.
(٤) سورة الإسراء: آية٤٤.

المبحث الرابع: الدلالة القرآنية للعدد (١٠٠) وعلاقته بالإشارات العددية لتسبيحة الزهراء عليها السلام

قبل الدخول في دلالة العدد (١٠٠) وما هي أهم الأمور التي لها علاقة بأعداد تسبيحة الزهراء عليها السلام علينا أولاً الوقوف على تعريف العدد:

- العدد اصطلاحاً: العدد يدلّ على ما يحصى ويحسب ومقدار ما يعدّ وتأشير ابتداء الشيء وانتهائه، مع اعتماد حسابية للزمن أو أجزاء الوقت والقياسات الرياضية والحجوم، «فهو الكمية المتألفة من الوحدات، وقد يطلق على كل ما يقع في مراتب العد» (الكفوي، ١٩٩٨م، ج٣: ٢٤٥).

«فالعدد هو الذي يدّل على كمية الأشياء المعدودة جامدة أو متحركة. ويسمى بالعدد الأصلي[١]، وقد يدل على ترتيبها ويسمى العدد الترتيبي» (الشريف الجرجاني، د. ت:١٢٤).

يبدو أن العدد في المعنى الاصطلاحي يختلف عنه في المعنى اللغوي -الذي يتضمن المعنى ويأخذ منحى أخر- وبالتالي يمكننا القول: أن العدد اللغوي فضلاً عن أنه أسلوب وتركيب وسمة كلام، فهو نوع من المركبات اللفظية التي يؤلفها العدد مع المعدود.

- دلالة العدد (١٠٠) وعلاقته بأعداد تسبيحة الزهراء عليها السلام

في الحقيقة ومن خلال البحث والمتابعة وإعطاء العقل التدبر والتفكر في آيات الله عز وجل وجدنا أن هناك ثمة علاقة بين العدد (١٠٠) واعداد تسبيحة الزهراء عليها السلام الأمر الذي يجعلُ من التسبيحة إعجاز عددي له علاقته بالقرآن الكريم. حيث يُعدّ العدد (١٠٠) من الأرقام التي لها وظائف إعجازية كثيرة قد اوردت في القرآن الكريم والأناجيل؛ مثل أنجيل (مرقس، وتكوين، لاويين، يوحنا، والكثير من الأناجيل التي تذكر العدد (١٠٠)...) ومثاله في إنجيل مرقس: ١٠٠رقم الثمر المتصاعد الكثير: قال الرب يسوع في مثل الزارع: «وسقط آخر في الأرض الجيدة، فأعطى ثمرًا يصعد وينمو، فأتى واحد بـ٣٠، وآخر بـ٦٠، وآخر بـ ١٠٠» (مرقس٤: ٨)، والرقم ١٠٠ يشير إلى الحصاد والخير الوفير: «وزرع إسحق في تلك الأرض، فأصاب في تلك السنة ١٠٠ ضعف وباركه الرب» (تكوين٢٦: ١٢) والرقم ١٠٠ الحماية والغلبة من القدير: «إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم

(١) يقصد بالأعداد الأصلية التي يكنى بها عن مجموع وكمية معينة.

وصاياي وعملتم بها أعطي مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلتها... وأجعل سلامًا في الأرض، فتنامون وليس من يزعجكم... وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم... يطرد خمسة منكم مئة، و١٠٠ يطردون ربوة» (لاويين٢٦: ٣-٩) وبعض الكتب الدينية، بما يشكّل له وظيفة جمالية وروحية واجتماعية ثقافية، بعلاقته مع الكيانات البشرية والوجود العام والكينونة والظواهر الكونية الكثيرة. وهذا يعني أنّه عدد ليس عابرًا في الأدبيات الدينية والروحية، فهو يتكرر ويُرشد ويُلهم.

قد يسأل سائل ما علاقة العدد (١٠٠) بأعداد تسبيحة الزهراء عليها السلام؟ وهو سؤال بديهي وهنا علينا -ومن خلال البحث - الإجابة عليه. وقبل كل شيء لابد من أن نلفت نظر القارئ أن ثمت علاقة بين الأعداد مهما كانت المسافات الرقمية بينها، وأولاً علينا أن نقف قبل كل شيء على حساب الجمل لأرقام التسبيحة (اللهّ أكبر٣٤، سبحان الله ٣٣، الحمد لله٣٣) سيقوم البحث بوضع هذه الأرقام تحت مجهر حساب الجمل.[١]

ا	1	ح	8	س	60	ت	400
ب	2	ط	9	ع	70	ث	500
ج	3	ي	10	ف	80	خ	600
د	4	ك	20	ص	90	ذ	700
هـ	5	ل	30	ق	100	ض	800
و	6	م	40	ر	200	ظ	900
ز	7	ن	50	ش	300	غ	1000

جدول حساب الجمل

- حساب الجمل وعلاقته بحروف (ابجد هوز حطي كلمن) والأعداد يُقال «أجمل الشيء جمعه عن تفرقة، وأجمل لها الحساب كذلك. والجملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره»، يُقال: أجملت له الحساب والكلام. لقوله تعالى: ﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾[٢].

(١) تعتمد تلك الحسابات التخمينية بشكل رئيس على (حساب الجُمَّل) وهو علم يطلق عليه أيضًا اسم (أسرار الحروف) الأوفاق إحدى فروعه، وتعني -باختصار- وضع مكافئ رقمي لكل حرف من حروف الأبجدية. وهو يبين العلاقة بين الحروف والأعداد، لكونه ذا صلة بالإعداد حساب الجمل هذا أقحم بشكل مباشر في عدة ممارسات أخرى، مثل التنجيم، وعلم التعمية، وبعض التفسيرات الباطنية للقرآن، فضلا عما اعتقده الناس في السحر والشعوذة والأعمال الخارقة.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

أن من ينظر في كتب علم الحرف -لقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ...** ﴾[1] - يجد فيها جداولاً فنقول: أن العلاقة هيا أنهم جعلوا «العدد روح والحروف جسد فهو سار في جميع الأسماء» (آل عبد الجبار،١٤١٨هـ: ٢١٢). ولذلك يعرفه البعض مبيناً هذه العلاقة «بأنه استنطاق الحروف أو الكلمات ضمن أعدادها وفق هيئات مخصوصة وقواعد مضبوطة»: (الفراهيدي، د. ت، ج٦: ٢١٢). وعند حساب جمل التسبيحة فأننا نجد.

الله	ا/ ١	ل/ ٣٠	ل/ ٣٠	ل/ ٣٠	هـ/ ٥	٩٦	
آكبر	أ/ ١	ك/ ٢٠	ب/ ٢	ر/ ٢٠٠	ـــ	٢٢٣	
الحمد	أ/ ١	ل/ ٣٠	ح/ ٨	م/ ٤٠	د/ ٤	٤٧	
لله	ل/ ٣٠	ل/ ٣٠	ل/ ٣٠	هـ/ ٥	ـــ	٩٥	
سبحان	س/ ٦٠	ب/ ٢	ح/ ٨	ا/ ١	ن/ ٥٠	١٢١	
الله	ا/ ١	ل/ ٣٠	ل/ ٣٠	ل/ ٣٠	هـ/ ٥	٩٦	المجموع=
							٦٧٨÷ ٦= ١١٣

-تحليل حساب جمل التسبيحة

- الوجه الأول: ربما يسأل البعض من أين أتت هذه الأرقام ومجموعها ونتيجتها، فعند حساب الحروف بأرقمها والتي تقابلها لكل حرف رقم حسب من خلال عملية حساب الجمل (حرف أ= ١، وحرف ل=٣٠، وحرف هـ = ٥، وحرف ك= ٢٠، وحرف ب= ٢، وحرف ر=٢٠٠، وحرف ح=٨، وحرف م=٤٠، وحرف د=٤، وحرف س=٦٠، وحرف ن= ٥٠)، ثم نقوم بجمع أرقام الحروف جميعها فيظهر لنا المجموع (٦٧٨) وعند القيام بعملية حسابية أخرى وهي القسمة على عدد كلمات التسبيحة- والتي عددها ٦ كلمات- يصبح عندنا الرقم (١١٣) وهذا الرقم بالأصل (١١٤-١=١١٣)، والعدد (١١٤) هو عدد سور القرآن الكريم، ولو أمعنا النظر في البحث لوجدنا أن تسبيحة الزهراء عليها السلام ما هي الأ تعبير لعدد سور القرآن الكريم، وشخصها الكريم أبنة بنت رسول الله هي الرقم المكمل للعدد (١١٣) والتي تُعد آية من آيات الله وهي ريحانة رسول الله سورة من سور القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾[2].

- الوجه الثاني: وجد البحث أن من أسرار الاعداد الاعجازية في القرآن الكريم هو العدد (١٠٠)،

(١) سورة الحج: آية ١١.

(٢) سورة الكوثر: الآية١.

ولو نظرنا إلى أعداد تسبيحة الزهراء عليها السلام وجدنا أن ناتج العدد (١٠٠) قد جاء نتيجة عملية جمع الأعداد (٣٤+٣٣+٣٣=١٠٠).

فما قدسية العدد (١٠٠)؟ وماهي الدلالة اللغوية في سياق الآيات الواردة في القرآن الكريم للعدد (١٠٠)؟ وماهو البعد السوسيولساني لأعداد التسبيحة وعلاقتها بالعدد (١٠٠)؟ وهنا على البحث أن يسلط الضوء على جملة من النصوص القرآنية والآيات الواردة فيها العدد (١٠٠). وتحليلها بشكل موضوعي لسياق النص. نجد في إحدى آيات سورة البقرة لقوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ**... ﴾[١]، تبين الآية قدرة الله على الإماتة لمئة عام والإحياء بعدها بجملة مستأنفة (بل لبثت مئة عام) وهي دليل على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى. (الشوكاني،١٤٢٨هـ، ج١: ١٩٠)، الأمر الذي يجعل من ديمومة تسبيحة الزهراء عليها السلام في الحياة، فهي لابثة طيلة الاستمرار بممارسة التسبيحة، وقوله تعالى: ﴿ **فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[٢] أن العمل الحسن بعين الله يضاعف ويتوسع وأن حضور العدد (مئة) في هذه الآية ذو دلالة واضحة يشبه حال إعطاء النفقة ومصادفتها موقعها وما أعطي من الثواب لهم بحال حبَّة أنبتت سبع سنابل، أي زُرعت في أرض نقية وتُراب طيّب وأصابها الغيث فأنبتت سبع سنابل. وهنا تأتي مضاعفات حسنات التسبيحة بشكل عملي بالاستمرار عليها بدلالة المئة حبة. ومثله قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا** ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ **الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[٤]. وفي هذا دلالة على أنّ الجماعة من المؤمنين قليلاً كانوا أو كثيرًا لا يغلبهم عشرة أمثالهم من الكفار بحال من الأحوال، معنى ذلك أنّه لما شق ذلك على المؤمنين واستعظموه خفف عنهم ورخص لهم لما علمه سبحانه من وجود الضعف.

يبدو أن دلالة العدد (١٠٠) الناتجة من جمع أعداد التسبيحة تتضمن استنباط سوسيولولساني كظاهرة عملية في مواجهةٍ بين الكثرة والقلة في غلبة الأعمال، وكما أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بأن هذه التسبيحة تخفف ألامها ومعاناتها وتضاعف حسناتها، وتقوي ضعفها ووهن

(١) سورة ابقرة: الآية٢٥٩.
(٢) سورة البقرة: الآية٢٦١.
(٣) سورة الأنفال: الآية٦٥.
(٤) سورة الأنفال: الآية٦٦.

جسدها عليها السلام.

حيث تناقل المؤرخون عبر التاريخ تلك القصة المؤثرة المأثورة، والتي ينقلها أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومفادها قوله: «**لما رأيت ما أصاب فاطمة الزهراء من العناء في خدمة البيت، وقد جاء سبيٌ إلى النبي صلى الله عليه وآله، قلت لها: هلّا أتيت أباك تسألينه خادما يكفيك مشقة خدمة البيت؟ فأتت النبي وإذا عنده جماعة فانصرفت، وعلم أبوها أنها جاءت لأمرٍ أهمها، فغدا دارها صباحًا وسألها عما جاءت له، فقلت له: إنك تعلم ما تلاقيه فاطمة من القيام بشؤون البيت من الاستقاء والطحن والكنس، وقد أثّر ذلك عليها، فقلت لها لو سألت أباك يُخدمك من يكفيك مشقة ما أنت فيه من العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفلا أدلّك يا فاطمة على ما هو خيرٍ من الخادم ومن الدنيا؟ فقالت: بلى يا رسول الله، فعلّمها هذا التسبيح المعروف عند النوم وبعد كلّ صلاة**». (الإربلي، ٢٠١٩، ج٢: ٩٩)

اذن الدور الذي لعبه العدد (١٠٠) في آيات القرآن الكريم، كان له الأثر القرآني في ما دلت عليه أعداد التسبيحة، الذي أنعكس على الظاهرة السوسيولسانية كظاهرة لغوية تحولت عمليا طقس ديني عملي يمارس بعد كل فريضة لما له من الأجر والثواب، وحتى تنظيم السلوك الأنساني وأثره في حياة الأنسان من خلال تجربة السيدة الزهراء عليها السلام.

النتائج

خلُصت الدراسة لأهم النتائج التالية:

– اظهر البحث الدلالة العددية، حيث إنها تحتاج إلى تبصر وتأمل، ولما للعدد في القرآن الكريم من نصوص محددة الدلالة والمعنى، فقد تكون الدلالات العددية في نظر البشر كذا، لكنه في كلام المولى سبحانه غير ذلك.

– تجلى هذا البحث في إشارة إلى اختيار الأعداد في القرآن الكريم، كان مناسبًا في المواطن التي استعمل فيها، وأن هذه المناسبة الشرعية والدلالية جزءًا من إعجاز وبلاغة القرآن الكريم.

– نستدل من قول أمير المؤمنين عليه السلام عدة أمور منهاأولًا: إن التسبيح له أثر وضعي في الدنيا كما أن له ثواب الآخرة، فهو يذهب التعب والنصب، ونستشف هذا من خلال ما شَكَت الزهراء عليها السلام لرسول الله تعالى من أثر الرحى. ثانيًا: إن التسبيح هو خير من الدنيا وما فيها، أقول ما أعظم هذا الكلام وما أعظم أثره لدى الذاكر الذي يتعود على العمل به، حتى إنه يكون جزءًا لا يتجزأ من حياته اليومية.

– أن لتسبيح الزهراء عليها السلام أثراً عدديا له أبعاد تترجم من خلال العدد نفسه والتي تعُد نوع من أنواع الأعجاز العددي.

– أن لتسبيحة الزهراء المتكونة من (٣٤ الله أكبر، ٣٣ الحمد لله، ٣٣ سبحان الله) له أثره العجيب بأدخاله ضمن حساب الجمل وعلاقته بعدد سور القرآن، حيث أثبت البحث أن الزهراء سورة من سور القرآن وهي السلر الأعظم عند الله.

– ترجم البحث ما علاقة العدد (١٠٠) بأعداد تسبيحة الزهراء عليها السلام بإيراد شواهد قرآنية لذلك

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن سينا، كتاب العبارة.
- ابن فارس، أحمد، د. ت، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط.
- ابن منظور، (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، ١٤١٤هـ، مادة سبّح، دار صادر، بيروت، ط٣.
- .....،٢٠٠٢م، لسان العرب، مادة (عدد)، دار الحديث القاهرة، د. ط.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، د. ت، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، ١٤١٣هـ، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.
- أبو عمر، يوسف عبد الله محمد عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢٠٠٦م، دار الفكر د. ط.
- الإربلي، علي بن عيسى بهاء الدين، كشف الغمة في معرفة الأئمة
- استيتية، سمير شريف، (٢٠٠٥م)، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١.
- إسماعيل، طالب محمد، (٢٠١١م)، مقدمة لدراسة علم الدّلالة (في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري)، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط١.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب، ١٩٩٧م، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ضبطه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- الأفقي، رسول، ١٤٢٩هـ، منتخب نهج الذكر، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط١.
- آل عبد الجبار، محمد، ١٤١٨هـ، مقدمة محقق كتاب الشهب الثواقب لرجك شياطين النواصب، تح: حلمي السنان، الهادي، قم، ط١.

- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت ١٢٧٠)، د. ت، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن علي أبي بكر، ١٩٩٥م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١.
- تبريزي، ميرزا جواد مكي، أسرار الصلاة، ١٩٨٥م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، د. ط.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، ١٤٠٥هـ، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١.
- .....، (٢٠٠٧)، التعريفات، تح: نصر الدين تونسي، القدس للتصدير، القاهرة، ط١.
- الحمصي، أحمد فائز، ١٩٨١م، طريق الدعوة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط.
- حوى، سعيد، ١٩٨٨م، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام، الغويرية، ط٤.
- الخميني، الآداب المعنوية للصلاة،١٩٨٦ م، تعريب وشرح وتعليق: أحمد الفهري، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن البكري، د. ت، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (د. ت)، المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة.
- زيدان، عبد الكريم، ١٩٨٨م، أصول الدعوة، مكتبة البشائر، عمان- الأردن، ط٣.
- السيد، محمود أحمد، (١٩٨٩م)، شؤون لغوية، دمشق، دار الفكر.
- الشريف الجرجاني، د. ت، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، د. ت، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، د. ط.
- .....، ١٤٢٨هـ، فتح القدير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، د. ط.
- الطائي، نعمة دهش فرحان، (٢٠١٨م، نحو تأسيس نظرية سوسيولسانية كبرى: مقاربة بينية بين تجاذبات المحتوى وعقدية الانتماء، مجلة الأستاذ، العدد٢٤٤، المجلد الأول.
- الطبرسي، حسين النوري، د. ت، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء

التراث، قم، د. ط.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، ١٤٠٥هـ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرأن، دار الفكر، بيروت، د. ط.
- طعيمة، رشدي أحمد، (١٩٨٦م)، تعليم العربية لغير الناطقين بها، مناهجه واساليبه، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١١٩-١٢٠.
- عبد القادر، دهّام (٢٠١١م) الدلالة الاجتماعية للغة مقاربة سوسيولوجية، دار نوافذ، د. ط.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن الحجر، الإصابة في تميز الصحابة، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- العلامة الحلي،١٤١٢هـ، مختلف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١.
- علي دخيل، علي محمد، أعلام النساء، ١٩٩٢م، الدار الأسلامية للطباعة والنشر والتوزيع- لبنان.
- الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، د. ت، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د. ط.
- الفراهيدي، الخليل أبن أحمد، د. ت، كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، إبراهيم السامرائي، د. ط.
- فرحات، ليال غسان، ٢٠٢٢م، علاقة تسبيحة الزهراء بالعلامات المنطقيّة، مجلة أوراق ثقافية، لبنان، العدد٢٠.
- كالفي، لويس جان (٢٠٠٦م)، علم الاجتماع اللغوي، تر: محمد يحياتن، دار القصبة للنشر، الجزائر.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، ١٩٩٨م، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.
- الكليني، محمد بن يعقوب د. ت، الكافي، كتاب الدعاء، الطبعة الحجرية.
- الكليني،..... د. ت، الكافي، المكتبة الأسلامية، طهران، د. ط.
- مقاييس اللغة، (١٩٧٩م)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف،١٤١٠هـ، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط١.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ١٩٩٦م، الأخلاق الأسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط٤.

- .....، د. ت، معارج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم، دمشق، د. ط.
- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، ٢٠٠٨م، تفسير النسفي، ضبطه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- إنجيل مرقس٤: ٨
- إنجيل تكوين٢٦: ١٢
- إنجيل لاويين٢٦: ٣-٩
- http://www. 3alamatnisurah. com/PreviewWords. aspx?PID=45
- https://almaaref. org. lb/post/9887

الملامح التفسيرية في الخطب الفاطمية

الباحثة : أ.د آمال خلف علي آل حيدر

ملخص البحث

أضحت المسارات المعرفية في المناهج التفسيرية ذات مناويل متعددة؛ ولاسيما في التوظيفات السياقية للنصوص القرآنية؛ لأن الحمولات الدلالية المكثفة التي تلازم النصوص القرآنية، يجعلها محط أنظار المتكلمين، وهم يدفعون بخطاباتهم اتجاه الآخرين من أجل توليد القناعات، وإيجاد التأثيرات في السلوك والمواقف أمام الأحداث الاجتماعية، وهذه التوظيفات للنصوص على وفق السياقات التي يوردها المتكلم في سياقه، والقرائن الحالية والمقالية، تكشف عن مظهر من مظاهر الملامح التفسيرية التي استدعاها الخطيب في خطابه.

وفي معرض بيان الكلمات المفتاحية للبحث، فقد وردت (التفسيرية) لبيان الجهد التفسيري لكشف مقاصد الآيات القرآنية الكريمة التي استدلت بها السيدة الزهراء عليها السلام والذي ظهر في مضمون كلمة (الخطب) ونقصد بها خطاب السيدة الزهراء لمجموعة من فئات المجتمع آنذاك، (الفاطمية) لبيان نسبة تلك الخطب إلى مقام السيدة الزهراء عليها السلام دون غيرها.

وإذا ما أردنا تتبع هذه الملامح التفسيرية في الخطب الفاطمية، لابد لنا من الوقوف على خصائص الخطاب الفاطمي، الذي يشكل الخطاب القرآني الخلفية المعرفية له، وأصول وجوده وحركته لإحقاق الحق ودحض الباطل...، فهو من الخطابات الكونية التي تسعى إلى ترسيخ القيم القرآنية وجعلها سلوكاً في القول والفعل...، كاشفاً عن التغاير الوظيفي للنصوص القرآنية داخل الخطاب الفاطمي، التي ناسبت المقام، وأحوال المخاطبين.

الكلمات المفتاحية: (التفسيرية، الخُطب، الفاطمية)

Summary:

The cognitive paths in the interpretive approaches have become multi-manual; Especially in the contextual employment of Quranic texts; Because the intense semantic loads that accompany the Qur'anic texts make them the focus of attention of the speakers, and they push their speeches towards others in order to generate convictions and find influences in behavior and attitudes in front of social events. On the manifestation of the explanatory features invoked by the preacher in his speech.

And if we want to trace these explanatory features in the Fatimid sermons, we must stand on the characteristics of the Fatimid discourse, for which the Qur'anic discourse constitutes the epistemological background for it, the origins of its existence and its movement to establish the truth and refute falsehood…, as it is one of the universal discourses that seek to consolidate the Qur'anic values and make them Behavior in word and deed..., revealing the functional variation of the Qur'anic texts within the Fatimid discourse, which suited the status and conditions of the addressees.

توطئة

انمازت الخطب الفاطمية بتضمينها للنصوص القرآنية مما أضفى عليها صفة التماسك والتقارب بينها وبين النص القرآني، لا سيما وأن علاقة أهل البيت عليهم السلام بالقرآن لم تكن علاقة نظرية مقتصرة على الجانب العلمي والمعرفي فحسب، وإنما كانت عملية متحركة فاعلة في حياتهم... علاقة حب خاصة بكتاب الله تعالى وعلاقة اهتداء، ومما لا شك فيه أن حركة الزهراء عليها السلام في حد ذاتها كانت قرآنية؛ لأن البواعث الأساسية لهذه الحركة هي إحقاق الحق وكشف الباطل فقد بينت في خطبتها الأولى – الفدكية – تظلمها من السلطة الحاكمة آنذاك، كما أثبتت مشروعية إرثها من أبيها صلى الله عليه وآله فضلاً عن إشارتها إلى أصول الدين وفروعه، أما خطبتها في نساء المهاجرين والانصار فقد أماطت اللثام عما يضمره المهاجرون والأنصار من الخذلان ونكث العهود والامانات، مما يستدعي بيان المفاهيم القرآنية التي لازمت تلك الحركة؛ لذا جاء البحث للكشف عن ملامح التفسير في سائر خطب السيدة الزهـــــراء عليها السلام، فقد وظفت كل ما يتعلق بمناهج التفسير فضلاً عن اتجاهاته وأساليبه في بيانها وتفسيرها، فكانت تنتقل من منهج لآخر عن طريق الاستدلال بالنصوص القرآنية مستعينة بالقرآن لفهم القرآن، ثم ركزت على ربط تفسير الآية بالمفاهيم الإيمانية والأخلاقية دون الاقتصار على التفسير، عن طريق دفع متلقي الخطاب نحو التأمل الذاتي في النص القرآني بحثاً عن الحقيقة، وكذلك لم تلجأ السيدة الزهراء عليها السلام إلى التفسير بالرأي تبعاً للهوى والمزاج، بل اعتمدت الأسس الصحيحة حفاظاً ورعاية للقرآن الكريم.

المبحث الأول: الخصائص المعرفية في الخطب الفاطمية: من العَرَض الى الجوهر

ظهرت مجموعة من الخصائص المعرفية التي انمازت بها الخطب الفاطمية من حيث إنها تستقي من النص القرآني الأساس الواحد والموحد والذي يُنشأ لتلك الدوافع القيمية والمبادئ الهوياتية التي باتت حاضرة ومتجذرة فيه، ولا يمكن أن يعتريها شيئاً من التناقضات فضلاً عن الانحرافات الفكرية؛ لأنه خطاب يعمد إلى مبدأ الحوار، والمراد من الحوار... هو إتاحة الفرصة للمتلقي بأن يُدلي برأيه بكل أريحية... وهذه الخصيصة وافقت الخطاب القرآني، فنجد بالخطاب القرآني الحوارات متعددة لله جل جلاله، فتارةً تكون مع الملائكة، وتارة مع الأنبياء، وأُخرى تكون حوارات على لسان الأنبياء مع أقوامهم، وهذا ما أفادت منه السيدة الزهراء عليها السلام في خطبها، فقد حاورت القوم على اختلافهم مشاربهم وتباين أهوائهم، كلُ بحسبه فكان الخطاب إلى فئات ثلاث:-

المطلب الأول: الخطاب الفاطمي لعامة الناس

ورد في خطابها عليها السلام لعامة الناس من الحضور في المسجد تذكيرهم بأنهم مسؤولون تجاه الله تعالى، بقولها «**أنتم عباد الله نُصب أمره ونهيه وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم حقٌ له فيكم، وعهدٌ قدمه إليكم، وبقية استخلفنا عليكم كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضياء اللامع، بينةٌ بصائرهُ، منكشفةٌ سرائرهُ، متجلية ظواهرهُ، مغتبطٌ به أتباعهُ، قائداً إلى الرضوان أتباعهُ، مؤدٍ إلى النجاح استماعهُ، به تُنال حُجج الله المنورة، وعزائمهُ المفسرة**»[1] وكأنها تذكرهم وتشحذ هممهم بإشارةٍ منها «**أنتم عباد الله**» محملة إياهم مسؤولية العبودية لله وما يترتب على هذه العبودية من الطاعة والإذعان والتزام الأوامر واجتناب النواهي، واسترسلت بذكر مزاياهم من أنهم «**حملة دينه ووحيه**» أي إنكم مَنْ استأثرتم بحمل الدين وصعابه وانتظرتم متعطشين لوحيه وتعاليمه جنباً الى جنب مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكُنتُم «**بُلغاؤه الى الأُمم**» فحفظتم القرآن في صدوركم وبلغتموه الى الأُمم كما عهد به إليكم رسول الله صلى الله عليه وآله، «**وبقية استخلفنا عليكم**» أي أن أبي رسول الله صلى الله عليه وآله جعلنا -أهل بيته- خلفائه عليكم ولم تعملوا بما أوصاكم به وعمدتم الى بيعة مَنْ لا

(١) بحار الأنوار: ج٨٤ ص٢٦.

يملك الإذن والرخصة باعتلاء مسند الخلافة بعد رسول الله ﷺ، وهنا تبرز إحدى خصائص الخطاب الفاطمي، ألا وهي طرح الإيجابيات التي انماز بها متلقي الخطاب -عامة الناس-على مسامعه وفي محضر الجميع، وبعد ذلك تبدأ بالتعريض بهم وإنهم لم يكونوا كما ينبغي ولم يُأدوا الأمانة الى أهلها، بل اقتادوها الى غيرهم.

المطلب الثاني: الخطاب الفاطمي لفئة الحُكام

بعد أن بينت السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها المعروفة بالفدكية جملة من الامور لجمهور الناس عن طريق عرض أدوارهم وما ينبغي عليهم فعله تجاهها انتقلت بحوارها الى -السلطة الحاكمة- عامدة الى تفنيد ما جاءوا به من كذبٍ وافتراء وغصبٍ لحقوقها عن طريق سَوْق الأدلة النقلية والعقلية من النصوص القرآنية والمرويات النبوية الصحيحة، فضلاً عن الاستدلالات العقلية بإشارةٍ منها الى القاعدة الفقهية (البينة على المُدعي واليمين على مَنْ أنكر) ومفاد هذه القاعدة، هو إعطاء الضابط الأساسي للمحاكمة بين المتخاصمين، وسُميتْ بهذا الاسم؛ لأن الطرفين عند التخاصم على الأغلب عبارة عن المُدعي والمُنكِر[1]، وكما أذاع القوم بين أوساط الناس بأن الزهراء عليها السلام تدعي بأن لها حقاً بميراث أبيها رسول الله ﷺ، فصارت عليها السلام هي - المُدعي - من وجهة نظرهم؛ لذا وجب عليها أن تأتي ببينةٍ على صدق ادعائها، أقول:- إن وراثة الأبناء لأباءهم من البديهيات في التشريع الإسلامي والتي لا تحتاج الى إثبات وبينات ودلائل، فقد ثبُتت بالدليل القرآني الصريح، ولكن السلطة الحاكمة آنذاك أنكرت هذا الأمر بخصوص ما يتعلق بميراث الزهراء عليها السلام -خاصة- بزعمهم فيما يقولونه عن رسول الله ﷺ «**نحن معاشر الأنبياء لا نُورِث**» مُبطلة دعواهم بأدلةٍ قرآنية موجهةً الى كبيرهم استفهاماً إنكارياً بقولها «**يا ابن أبي قحافة ! أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرثُ أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً!!**» مستهجنةً هذا التناقض في توجيه وفهم النص القرآني الصريح حيث يرثَ الشيخ اباه ولا ترثْ الزهراء أباها ﷺ، أقول:- رداً على مَنْ يستدل بحديث «**نحن معاشر الأنبياء لا نُورِث**» بأن هذا الخبر المزعوم هو خبر آحاد، ولم يُعرف أحد من الصحابة موافقة أبي بكر على نقله، وقد تفرد وحده بنقله، فكيف يُعارض خبر الآحاد القرآن الكريم قطعي الصدور[2]، بل قام الإجماع على عدم صحته، والخارج عن الإجماع شاذٌ لا يُعبأ به، ثم بدأت عليها السلام بلفت أنظار القوم الى ما ورد من النصوص القرآنية ذات الدلالات الصريحة بمشروعية إرثها من أبيها رسول الله ﷺ إذ يقول الله جل جلاله ﴿ **وَوَرِثَ**

(١) شبكة المعارف الإسلامية الثقافية.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج١٦ ص٣٥٢ .

سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾[1]، وقال فيما اقتص من خبر زكريا إذ قال: ﴿ **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾**[2]، وقال ﴿ **وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾**[3] ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾**[4]، وقال ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾**[5]، ثم تواصل تساؤلاتها «**أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟**» هل أنتم متعمدون في فعلكم هذا من تعطيل أحكام الله تعالى في خلقه وإلقائه خلف ظهوركم متناسين ما جاء به وطبقه وأمر به أبي رسول الله ﷺ و«**زعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟**» هل توجد خصوصية لكم من دون أبي رسول الله ﷺ حتى استأثرتم بميراث آباءكم ولا أستأثر بميراث أبي؟؟ «**أم تقولون إن أهل ملتين لا يتوارثان، أولست أنا وأبي من ملةٍ واحدة؟**» هنا تواصل الزهراء عليها السلام عرض المزيد من الفرضيات التي تتبادر الى أذهان متلقي الخطاب في مشروعية منعها من ميراثها؛ لبيان جوهر القوم، فتُلقي بسؤالها للسلطة ورجالها قائلةً، قد زعمتم بأن أهل ملتين لا يتوارثان، فهذا زعم باطل في حقي وحق أبي رسول الله ﷺ، فهل أنا من غير ملة الإسلام أو أبي؟، بل العكس تماماً، فلله الحمد، فأنا وأبي من ملة الإسلام الذي جاء على يديه ﷺ مُسدداً ومُؤيداً من قبل الله جل جلاله، بعد أن استعرضت الزهراء عليها السلام كل المزاعم الباطلة للسلطة عن طريق الحوار المُتبادل معهم وعرض وتقديم الدليل تلو الآخر بقي في جُعبتها عليها السلام أمرٌ هام لابد من الإشارة إليه وهو: «**أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟**» دع عنك كل ما تقدم وأجبني مَنْ منكم يملك علماً بالقرآن – خصوصه وعمومه ومطلقه ومقيده وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله وقراءاته – أكثر من أبي رسول الله ﷺ وابن عمي علي بن أبي طالب عليه السلام؟؟ لقد برز في المجال الآخر من المجالات الرحبة التي حازت الزهراء عليها السلام فيها على المرتبة الأولى ببلاغتها وفصاحتها، فضلاً عن اسلوبها الذي امتاز بالاقتصاد اللغوي وتكثيف العبارات المنطوية على الشفرات الدلالية، وكذلك الاستدلال بالنص القرآني الحاضر في ذهن الزهراء عليها السلام إنه من العجيب أن تقف هذه الفئة بوجه السيدة الزهراء عليها السلام وتمنعها حقها دون أدنى احترام وإجلال لها وهم يعرفون قدرها ومكانتها عند رسول الله ﷺ فهو القائل في حقها «**فاطمة بضعة مني، فمَنْ آذاها فقد آذاني، ومَنْ**

(١) سورة النمل: آية ١٦.
(٢) سورة مريم: آية ٦.
(٣) سورة الأنفال: آية ٧٥.
(٤) سورة النساء: آية ١١.
(٥) سورة البقرة: آية: ١٨٠.

آذاني فقد آذى الله»[1]وقد أشهدت القوم على ما قاله النبي الأكرمﷺ بعد هجومهم على دارها فأقروا بذلك، ولكن، ولات حين مناص، «**فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاها يوم حشرك**» وتشير إليهم، أن خذوها -أي الخلافة -وتمتعوا بها قليلاً وستلقون المصير المحتوم في يوم القيامة «**فنِعم الحَكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون**»[2] فإن كنتم أوهمتم أنفسكم والآخرين بصحة ما زعمتم فإني أرفع ظلامتي الى الله جل جلاله فهو نِعْمَ الحَكم وأبي زعيمكم وشاهد والموعد القيامة فالمقياس هو الدين والميزان هو كتاب الله وشؤون الميراث بينة فيه ومحكمة[3] فكيف تنجون بأنفسكم وقد خسرتم الدنيا والآخرة ولات حين مندم، نلحظ في خطاب الزهراءعليها السلام جملة أُخرى من الخصائص وهي: الاستفهام... والاحتجاج... والإدانة... وردت في جمل قصيرة تُعلِمْ بها الخصم برأيها للوهلة الأولى، بل وقبل الخوض في التفاصيل، بما في ذلك من التأثير الشديد على متلقي الخطاب.

المطلب الثالث: الخطاب الفاطمي لفئة الأنصار

تحول الحوار الى فئةٍ ثالثة كان لهم الباع الطويل مع النبي الأكرمﷺ وبالطبع فقد اختلف عن حوار الفئتين السابقتين حيث شرعت السيدة الزهراءعليها السلام بمخاطبتهم قائلةً: «**يا معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة في حقي؟ والسِنةُ عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله أبي يقول «المرءُ يُحفظ في ولده»؟ سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أُحاولُ وقوة على ما أطلب وأُزاول، أتقولون: مات محمد فخطبٌ جليل استوسع وهنه واستنهر فتقه، وانفتق رتقه وأظلمت الأرض لغيبته وكُسفت النجوم لمصيبته أكْدت الآمال وخشعت الجبال وأُضيع الحريم وأُزيلت الحرمة عند مماته فتلك - والله - نازلة كبرى، والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه - في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً ولقبله ما حلَ بأنبيائه ورسله حُكم فصل، وقضاء حتم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾**[4]» بدأت الزهراءعليها السلام خطابها مع الأنصار بقولها «يا معشر النقيبة يا

(١) علل الشرائع: ج ١ ص١٧٦.
(٢) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص٨٤.
(٣) ينظر: فاطمة صوت الحق الإلهي: ص١٠٤.
(٤) سورة آل عمرن: آية١٤٤.

معشر النقيبة وأعضاد الملة وحضنة الإسلام» والذي انماز بإيجاز العبارة ودقة التصوير؛ لأنهم أوعى لما تنطق به الزهراءعليها السلام ولعلمهم بمدى معرفتها بأدق التفاصيل التي عاشها الأنصار في كنف أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله فقالت: «**يا معشر النقيبة**» أنكم نقباء القوم وقادتهم «**وأعضاد المِلة**» وأنتم العَضُد المتين الذي اشتد به الإسلام «**وحضنة الإسلام**» وأنتم مَنْ احتضن الإسلام وليداً جنباً الى جنب مع أبي رسول اللهصلى الله عليه وآله حتى بات قوياً وركناً شديداً تلوذون به في الشدائد والصعاب، بعد أن استعرضت السيدة الزهراءعليها السلام مآثر الانصار ومفاخرهم، أنكرت عليهم سكوتهم وتخاذلهم وتواطئهم مع القوم بقولها: «**ما هذه الغميزة في حقي؟ والسِنةُ عن ظلامتي**»؟ فأشارت الى التخاذل الذي جسده الأنصار على ثلاثة أنواع وهي:- القول، فقد سكتوا وخرست ألسنتهم عن إظهار الحقائق، والفعل، فكان بقعودهم عن نصرتها ودفع الظلم عنها أما التقرير فإنهم أيضاً أقروا بإساءة القوم إليهاعليها السلام ووافقوهم على فعلهم، ولم يطبقوا ما سمعوه من رسول اللهصلى الله عليه وآله في مساندتها في حين أنهم أشد الناس معرفةً بهاعليها السلام حيث ترسم النصوص والروايات الخط المستقيم في الأمة بالأمر الناجز بمودة أولي القربى التي هي الحسنة الكبرى؛ لأن بمودتهم يتكرس الخط القيادي السليم[1]، بينما نرى الأنصار وكأنهم قد أخذتهم الغفوة ولم يروا أو يسمعوا أو يعوا ما جرى وما يجري عليها، ثم تواصل استفهامها الإنكاري فتقول: «**أما كان رسول الله أبي يقول «المرءُ يُحفظ في ولده»**؟» هنا أشارتعليها السلام الى ما أُثِرَ عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله في رعايتها وحفظ كرامتها، حتى وإن لم أكُ بنتَ نبيكم، أولمْ يكُ لأبي حظوة فيكم، أولمْ يُعرف عندكم بالصادق الأمين قبل أن يبعثه الله نبياً، فأيٌّ حفظٍ لولده حفظتموه، ولكم طاقة على تحمل ما أواجه من ظلامات القوم في حقي«**أتقولون: مات محمد**» وتتوقعون أن تفعلوا ما يحلوا لكم وتصبوا إليه أنفسكم من الراحة والدِعة فضلاً عن انقلابكم على الأعقاب والذي لن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين الذين لم تتزلزل أقدامهم ولا نفوسهم ولا قلوبهم عن طريق الحق والصواب.

المطلب الرابع: الخطاب الفاطمي لنساء المهاجرين والأنصار

انماز خطاب السيدة الزهراءعليها السلام مع نساء المهاجرين والأنصار عندما جئنَ لعيادتها في علتها، بالغلظة والشدة والحِدة والتقريع والتوبيخ؛ للتعبير عن سخطها وغضبها عما رأته من خذلان المهاجرين والأنصار لها، فاختارت السيدة الزهراءعليها السلام موقفاً اعتزالياً لنفسها عن المجتمع الذي استشعرت

(١) ينظر: مقاصد السور: ص١٨٨.

بالوحشة معهم، فانسحبت من الساحة واتخذت منزلها منبراً للحق تصدح عن طريقه بما يعتلج صدرها من الألآم، ولم يكن هذا الانسحاب خالياً من التأثير على القوم آنذاك، بل أنها عليها السلام جعلتهم في حيرةٍ من أمرهم، وما الذي يُفترض أن يفعلوه لاسترضائها عليها السلام؛ لذا عمدوا الى إرسال نساءهم لعيادتها ولم يُعرف الدافع من وراء هذا الفعل، فهل كان محاولة منهم لكسب الود والرضا ومعرفة المزيد عما تريده الزهراء عليها السلام، أم قد حصل الوعي عند النساء وشعرنَ بالقصور والخذلان تجاه بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، أو أن هناك دوافع سياسية فرضت عليهن الحضور بين يديها عليها السلام[1]، ومع كل ما ذكرناه مما رافق هذه الأحداث، انبرت السيدة الزهراء عليها السلام مستثمرةً هذا الاجتماع النسوي لبيان جملة من الأفعال غير المقبولة بحق عترة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لما للنساء من حضوة في المجتمع ولارتباطهن بالفئات الأخرى والتي تستطيع النساء إيصال الأخبار لهم فضلاً عن قدرة النساء على تغيير الأفكار والآراء والقرارات، وعن طريق هذا التجمع النسوي أياً كانت مقاصده فإن السيدة الزهراء عليها السلام بينتْ أثر ودور المرأة في المجتمعات، فبدأنَ بسؤالها عليها السلام بالقول «كيف أصبحتِ من علتكِ يا ابنة رسول الله؟»، فردت عليهُنَ بأسلوب فصيح ذا أدبٍ رفيع المستوى غير مُكترثةٍ بعلتها، بل كانت تُبدي ألمها مما حلَ بها من خذلان الصديق وقلة الناصر قائلة: «**أصبحتُ والله عائفة لدنياكُنَ، قاليةً لرجالكُنَ، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم، فقُبحاً لفلول الحد واللعب بعد الجد، وقرع الصفاة وصدع القناة...**» أي أنها بدأت ببيان حال القوم الذين ظنت بهم خيراً ولكنهم فشلوا في الاختبار، فبدلاً من تقديم النُصرة والعون لبنت رسول الله صلى الله عليه وآله، انقلبوا على أعقابهم، فذكرت ما يناسب المقام من قوله تعالى ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾[2] مُشيرةً الى عاقبتهم السيئة جراء فعلهم وسكوتهم وتخاذلهم، ثم عَرَجَتْ على بيان فضائل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ومدى مشروعية خلافته، ولكن !!! أسمعت لو ناديت حياً.... ولكن لا حياة لمن تنادي، فقد وُإدَتْ الضمائر وخارت القوى وأنطفأ نور الإسلام الحقيقي في قلوبكم.

(١) ينظر: فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد: ص٣٦٨.

(٢) سورة آل عمرن: آية ١٤٤.

المبحث الثاني: الأنساق التفسيرية في الخطب الفاطمية: من المناسبة الى السياق

تعددت الأساليب التي لجأت إليها السيدة الزهراء عليها السلام في المنجز القولي بتوظيف النصوص القرآنية في سياق الخطب التي وجهتها للقوم آنذاك، وجاءت هذه التوظيفات للنصوص على وفق السياقات التي اوردتها الزهراء عليها السلام في كلامها، فتارة تأتي النصوص القرآنية ظاهرة، وأُخرى تأتي مضمرة في ثنايا الخطاب وثالثة تأتي تعقيباً لما يتقدمها من كلام الخطيب – وهو أكثر تأثيراً – لدى المتلقي وهو مما يساعد في الحصول على آفاق المدلول والمفاد القرآني في التفسير، وإن تلازم النصوص القرآنية بالحمولات الدلالية المكثفة، يجعلها محط أنظار المتكلمين، وهم يدفعون بخطاباتهم اتجاه الآخرين من أجل توليد القناعات، وإيجاد التأثيرات في السلوك والمواقف أمام الأحداث الاجتماعية، فضلاً عن استظهار القرائن الحالية والمقالية الكاشفة عن مناطق الاشتغال لدى المتكلم – السيدة الزهراء عليها السلام – والمتلقي – من الحاضرين في المسجد وفي دارها – حيث كشفت عن مظهر من مظاهر الأنساق والملامح التفسيرية التي استدعتها السيدة الزهراء عليها السلام في خطابها.

من أبرز الأنساق التفسيرية في خطب الزهراء عليها السلام هي إرجاع وربط الموضوعات التي احتجت بها إلى القرآن الكريم عن طريق الاستدلال بمجموعة من الآيات القرآنية المُعينة، فضلاً عن استحضار الشواهد الروائية؛ لبيان ما خَفِيَ من مطاوي المعنى في القرآن الكريم، كذلك عمدت الزهراء عليها السلام إلى وضع الموضوعات بعد ربطها بالنصوص القرآنية أمام حوارية فلسفية فكرية ذات أبعاد قيمية وطرحها للمتلقي عن طريق المناسبة بين الأحداث الجارية والنصوص القرآنية وجعلها فيما بعد وفق سياقات الخطاب، وإليك تطبيقات لشواهد الملامح والأنساق التفسيرية في خطبتي السيدة الزهراء عليها السلام.

المطلب الأول: نسق إظهار الشاهد القرآني:

أي التصريح في عرض الشاهد القرآني، حيث يظهر في مواضع كثيرة من خطبها عليها السلام حيث تُصرح قبل إيراد النص القرآني في كلامها بإظهار نسبة النص إلى الله تعالى من خلال استخدام لفظ (القول) ومثاله [إذ يقول الله جل جلاله، وقال فيما اقتص من خبر زكريا إذ قال]، فيكون بذلك التوظيف صريحاً بالنص القرآني واضحاً كوضوح الشمس في وضح النهار، واستدلت السيدة الزهراء عليها السلام

بالنصوص القرآنية وفق أنساق تفسيرية معينة راعت فيها المناسبات التي وظفت النصوص القرآنية فيها توظيفاً وفق السياق القرآني، وجاءت الاستدلالات القرآنية بشكل نص صريح ظاهر كما ورد في القرآن الكريم وفقاً لما يقتضيه الخطاب والسياق، ونذكر بعضاً مما ورد من أسلوب الإظهار في خطاب الزهراء عليها السلام. ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[1]. ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[2] ﴿ **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ** ﴾[3].

﴿ **أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾[4]وسقوطهم في الفتنة مُذكرةً إياهم بأن وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ليست مبرراً للسقوط في الفتنة التي أرادها الحكام شأناً دنيوياً لا دينياً من خلال إسقاط ظلال منهجيات الحكم البشري على منهجية الحكم الإلهي/ النبوي[5]﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[6]، بينت الزهراء عليها السلام أن الدين الحقيقي هو الإسلام، والذي يعني التسليم لأمر الله بمعناه العام، وأما بمفهومه الخاص فهو الانتقال الى الدين الإسلامي الذي هو أكمل الأديان فتقول الآية: أنه لا يُقبل من احدٍ سوى الإسلام مع الأخذ بنظر الاعتبار احترام سائر الشرائع الالهية المقدسة، وأما الذين يتخذون غير هذه الحقيقة ديناً، فلن يُقبل منهم أبداً ولهم عقاب شديد ﴿ **وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾؛ لأنه تاجر بثروة وجوده مقابل بعض خرافات وتقاليد بالية وعصبيات جاهلية وعنصرية، ولا شك أنه هو الخاسر في هذه الصفقة، وإذا ما خسر الإنسان ثروة وجوده، وجد نتيجة ذلك حرماناً وعذاباً وعقاباً يوم القيامة.[7]

﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[8] اختارت السيدة الزهراء عليها السلام النص القرآني الذي يناسب المقام وجعلته ضمن سياق خطابها؛ ليلتفت متلقي الخطاب إليها، وليعلم بأنها لا تدعي ما ليس لها ظلماً وعدواناً، وإن ما تدعيه ثابت بالنصوص القرآنية الصريحة الظاهرة.

(١) سورة فاطر: آية ٢٨ .
(٢) سورة التوبة: آية ١٢٨.
(٣) سورة المائدة: آية ٦٤.
(٤) سورة التوبة: آية ٤٩.
(٥) ينظر: فدك – ابعادها- دلالاتها- وامتداداتها: ص١٥٣.
(٦) سورة آل عمران: آية ٨٥.
(٧) يُنظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢ ص٣٤٥،٣٤٧.
(٨) سورة المائدة: آية ٥٠.

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾[1] و﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾[2]، ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[3]، ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾[4]،﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[5] كذلك وردت استدلالات السيدة الزهراء عليها السلام للإثبات حقها في إرثها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله بنصوص ظاهرة صريحة لا تقبل الشبهة، ولكن القوم غيروا مفاهيم النص القرآني عن طريق حرف مسار فهم النص وفق سياقات مُغايرة لما أرادت الزهراء عليها السلام إثباته ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[6]، ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[7]، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[8]، ﴿ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾[9]، ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[10].

المطلب الثاني: نسق إضمار الشاهد القرآني:

وهو عدم التصريح في عرض الشاهد القرآني كاملاً، عن طريق اقتباس بعضاً من الآيات القرآنية التي تناسب الغرض والموضوع الذي تطرحه الزهراء عليها السلام، وتُعد هذه الحالة واحدة من الأنساق التفسيرية التي استدعتها الزهراء عليها السلام في خطبها غير مرةٍ، مما يدل على حضور النص القرآني في ذهنها فضلاً عن قدرتها لبيان التناسب ما بين الحدث واستدعاء النص القرآني عن طريق الإشارة الى جزءٍ منه وإضمار الجزء الآخر، ومن أمثلة ذلك ما ورد في قوله تعالى ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾[11]

(١) سورة النمل: آية١٦.
(٢) سورة مريم: آية ٦.
(٣) سورة الأنفال: آية٧٥.
(٤) سورة النساء: آية١١.
(٥) سورة البقرة: آية١٨٠.
(٦) سورة التوبة: آية١٣.
(٧) سورة المائدة: آية٨٠.
(٨) سورة الأعراف: آية٩٦.
(٩) سورة الزمر: آية٥١.
(١٠) سورة يونس: آية٣٥.
(١١) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

و﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[1] و- ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾[2] و﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3] و﴿ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾[4] و﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾[5].

المطلب الثالث: نسق التعقيب بالشاهد القرآني:

يعني اختتام الكلام بآيةٍ من القرآن الكريم، ويُعد التعقيب إحدى الطرق التي اعتمدتها السيدة الزهراء عليها السلام في توظيف النص القرآني في كلامها، حيث تختتم بعض الأجزاء من خطابها بآية مناسبة لما عرضته من أفكار، فحينئذٍ يعمل النص القرآني على اختزال الفكرة التي أرادت أن توصلها لمتلقي الخطاب، وهذا الأسلوب كثيراً ما يرد في خطبها عليها السلام، حيث يُعد هذا الأسلوب أشد إمعاناً في التأثير في السامعين؛ لما للقرآن من الوقع في النفس البشرية، مما يجعلها تستشعر الندم بطريقة او بأخرى، فيكون هذا الاختتام بمثابة التوقيع لخطبتها، وإليك مجموعة من الأمثلة على ما ورد من أسلوب التعقيب بالنصوص القرآنية في الخطب الفاطمية، كما ورد في قوله تعالى﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ حيث أشارت الزهراء عليها السلام الى الذين يخشون غضب الله من خلال تعريضها واستهجانها بالقوم الذين أنكروا وغصبوا حقها أما قوله جل جلاله ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ و﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ و﴿ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ۞ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ فقد عقبت الزهراء عليها السلام كلامها بهذا النصوص القرآنية واصفةً ومُنذرةً القوم بسوء العاقبة والمنقلب، ومتوعدةً إياهم بالعذاب الأليم، أما قوله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ استدلت السيدة الزهراء عليها السلام في بيان حال القوم الذين غصبوا حقها، وأبعدوها بشتى الأساليب عن مضان القرار، فبعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عمد البعض إلى إضعاف جانب البيت النبوي من الناحية الاقتصادية، فضلاً عن الناحية السياسية فجاءت المؤامرات متعاقبة عليهم حتى تحقق الهدف المرجو وهو مصادرة حقوق السيدة الزهراء عليها السلام بعد الإمساك بدفة الحكم عن طريق (الانقلاب) الذي أشارت إليه بالنص القرآني[6].

(١) سورة الزمر: آية: ١٥.
(٢) سورة الحج: آية: ١٣.
(٣) سورة الكهف: آية: ١٠٤.
(٤) سورة الجاثية: آية: ٢٧ .
(٥) سورة هود: آية: ٢٨.
(٦) ينظر: ملحمة الزهراء: ص٨٧.

إن للتمرد والعصيان الاجتماعي صور مختلفة، منها (الانقلاب) فهو يعني بالمعنى الأعم قيام فئة من الجهاز الحاكم ضد فئة أخرى بحيث يكون همها إبعاد الفئة الأخرى عن مجال القدرة، ويتولد الانقلاب من جراء التنازع على القدرة والسلطة، وبدافع إبعاد المنافسين بأي شكل من الأشكال عن مركز القرار؛ لذا لا يمكن أن يُعد هذا الانقلاب صلاحاً لأفراد المجتمع كافة، وإن كان في الظاهر يدعو إلى كسب تأييد العامة من خلال بعض النشاطات، فضلاً عن الاستدلال بأقوال داعمة لدعواهم[1]، وهو ذات الاسلوب الذي اتبعه القوم الذين وصفهم الله تعالى في الآية المتقدمة.

(١) ينظر: النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ: ص٤٢٩.

الخاتمة

في مسعى لكشف الملامح التفسيرية في الخطب الفاطمية والظروف التي استدعتها تمثلت عدة مواقف وحقائق، مما يستدعي قراءة هذه المواقف عبر المنظومة المعرفية للأفراد لتكون كاشفة عن الملامح التفسيرية، وقد أثبت البحث مجموعة من النتائج التي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

١- كشف البحث عن الدوافع القيمية والمبادئ الهوياتية التي باتت حاضرة ومتجذرة في خُطب السيدة الزهراء عليها السلام، والتي لا يمكن أن يعتريها شيئاً من التناقضات فضلاً عن الانحرافات الفكرية.

٢- أثبت البحث أهمية مبدأ الحوار في الخطاب لإتاحة الفرصة للمتلقي بأن يُدلي برأيه بصراحة.

٣- كشف البحث عن المناسبات والسياقات بين الأحداث والنصوص القرآنية، فضلاً عن الروايات النبوية الشريفة.

٤- استظهر البحث الملامح التفسيرية في الخطب الفاطمية عن طريق وضع الموضوعات بعد ربطها بالنصوص القرآنية أمام حوارية فلسفية ذات أبعاد قيمية وطرحها للمتلقي.

٥- بَيَنَ البحث الخلفية المعرفية التي يستند إليها، وهي خلفية قرآنية مما وُسِمَتْ به خُطبها عليها السلام بأنها خطابات عالمية؛ لأنها تحمل قيماً إنسانية.

٦- استظهر البحث أسلوب وخصائص الخُطب الفاطمية الذي امتاز بالاقتصاد اللغوي وتكثيف العبارات المنطوية على الشفرات الدلالية، وكذلك الاستدلال بالنص القرآني الحاضر في ذهن الزهراء عليها السلام.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، تأليف العلامة الفقيه المفسر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، منشورات الأعلمي بيروت – لبنان ط١ ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار، تأليف العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره، دار التعارف للمطبوعات بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، تأليف العلامة الخطيب السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط١ ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- فاطمة صوت الحق الإلهي، مُحسن المعلم، دار الهادي للطباعة والنشر بيروت – لبنان، ط١ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- فدك – ابعادها- دلالاتها- وامتداداتها، الدكتور الشيخ عبد المجيد فرج الله، المحبين للطباعة والنشر، مطبعة الرسول، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.
- مقاصد السور في القرآن الكريم، المرجع آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، محبان الحسين عليه السلام – قم المقدسة ط١ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- ملحمة الزهراء، تأليف عبد العباس مصطفى الأسدي، المطبعة العلمية، ط١- ١٤٢٠هـ.
- النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ، تأليف الاستاذ محمد تقي مصباح اليزدي، منشورات دار الروضة بيروت – لبنان، ط١ ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

تحديات المرأة المعاصرة في ظل العولمة:

رؤية من خلال سيرة السيدة

فاطمة الزهراء عليها السلام

الباحثة: د. منى محمد يونس

الملخص

يتميز هذا العصر بالتطور التكنولوجي السريع في كافة ميادين العلوم، بما في ذلك العلوم الإنسانية والاجتماعية، إلى جانب التقدم في مجال الذكاء الاصطناعي الذي يهدد الخصوصية، وانتشار وسائل الاتصال والإعلام، وتأثير النمط الثقافي الغربي. كل هذه العوامل ساهمت في نشأة المجتمعات المفتوحة في أوطاننا، وتحول العالم إلى قرية كونية صغيرة بفعل ظاهرة العولمة.

بسبب هذا الانفتاح، تواجه مجتمعاتنا تحديات كبيرة وخطيرة، مثل الغزو الثقافي والفكري والاجتماعي، مما أدى إلى تغلغل الأفكار الملوثة في عقول الأجيال الصاعدة في بيئتنا، فتضاربت لديهم الأفكار والآراء، مما يشكل خطرًا حقيقيًا عليهم. وللخروج من هذا التقوقع الفكري، ليس لنا سوى الرجوع إلى جذور ديننا، والتمسك بسيرة أهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام، وعلى رأسهم سيرة مشكاة الأنوار، السيدة فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام. إذ تعد سيرتها الشريفة منبعًا غنيًا بالدروس والعبر التي يمكن الاستفادة منها في مواجهة تحديات العصر الذي نعيشه، لأن حياتها كانت مليئة بالتجارب والمصاعب التي كوّنت شخصيتها التاريخية النموذجية، مما جعلها قدوة يُحتذى بها في كل زمانٍ ومكان.

انطلاقًا من ذلك، يهدف هذا البحث الوصفي، التحليلي التاريخي، والمقارن إلى تسليط الضوء على سيرة السيدة الزهراء عليها السلام، وأهمية اكتساب المرأة المعاصرة من رؤيتها العظيمة، حيث تمثل السيدة الزهراء أسمى ما في المرأة من إنسانية، صيانة، كرامة، قداسة، رعاية، وعناية. إلى جانب ما كانت عليه من ذكاء وقّاد، فطنة حادة، وعلم واسع، أفادت به مجتمعها وأسهمت في تطويره.

من خلال هذا البحث، تم الاطلاع على عدد من الدراسات الأجنبية والعربية التي تناولت تحديات المرأة في زمن العولمة، كما تم استكشاف كيفية استفادة المرأة المعاصرة من سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لمواجهة هذه التحديات، عبر مناقشة قيم العدالة والمساواة التي جسدتها، فكانت عليها السلام مرشدًا للمرأة في تعاملها مع الضغوط الثقافية والاجتماعية، ونموذجًا في المحافظة على هويتها الدينية والثقافية في ظل العولمة، من خلال الالتزام بمنهج الرسالة المحمدية الاصيلة وهكذا نسير بخطوات

مدروسة لتحقيق التنمية المستدامة في مجتمعنا.

الكلمات المفتاحية: العولمة، المرأة المعاصرة، سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، رؤية فكرية، تحديات العصر.

المقدمة

تميّز هذا القرن بتدفّق الثورة المعلوماتية والمعرفية في ظل تنامي ظاهرة العولمة التي أدّت إلى اندثار الحدود الجغرافية والثقافية، فانفتحت الثقافات على بعضها البعض، مما انعكس على مختلف ميادين الحياة، بما في ذلك العلوم الإنسانية والاجتماعية. ولم تكن مجتمعاتنا بعيدة عن هذا الأمر، بل تأثّرت بظاهرة العولمة كما غيرها.

في ظل هذه التغيرات المتسارعة التي يشهدها العالم، وبعد ازدياد انتشار تطبيقات الذكاء الاصطناعي، برزت العولمة كأحد أبرز العوامل المؤثرة في حياة المجتمعات بشكل عام، وفي حياة المرأة بشكل خاص. فقد واجهت المرأة في ظل هذه الظاهرة مجموعة معقّدة من التحديات التي تتجاوز الأبعاد التقليدية المرتبطة بدورها الاجتماعي والثقافي، حيث إن العولمة تعني الترابط والتداخل المتزايد بين الدول والمجتمعات في مختلف المجالات. وقد جلبت العولمة فرصًا كبيرة، لكنها في الوقت ذاته فرضت أنماطًا ثقافية غير مسبوقة على النساء في مختلف أنحاء العالم. لم تكن العولمة مجرد ظاهرة اقتصادية، بل هي تحوّل يمس جوانب الحياة كافة، وقد انعكست آثارها بشكل ملحوظ على المرأة التي وجدت نفسها عند مفترق طرق بين التمسّك بجذورها الثقافية والدينية والانخراط في مجتمع عالمي يدعو إلى التحرّر والمساواة.

في خضم هذه الصعوبات، يبرز السؤال: كيف يمكن للمرأة المسلمة أن تواجه هذه التحوّلات الكبيرة دون أن تفقد هويتها أو تتنازل عن قيمها الأساسية؟ هنا تبرز أهمية استلهام القيم والمواقف من الشخصيات الإسلامية التاريخية التي جسّدت أدوارًا متميّزة في الدفاع عن حقوق المرأة وكرامتها.

في هذا السياق، يصبح من الضروري الرجوع إلى نماذج تاريخية تقدّم رؤى تساعد المرأة المعاصرة على التعامل مع هذه التحديات. ومن أبرز تلك النماذج سيرة السيدة فاطمة الزهراء، ابنة نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله، وزوجة أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي عليه السلام، التي تُعتبر رمزًا للمرأة المسلمة المثالية.

جسّدت فاطمة الزهراء نموذج المرأة المسلمة القيادية في قوّتها وثباتها على الحق، ونجحت في تقديم مثال حيّ لدور المرأة في المجتمع دون التخلي عن دورها الأسري أو قيمها الدينية. تُعد سيرتها

الشريفة مصدر إلهام مستمر للمرأة المسلمة عبر العصور، حيث عاشت في فترة من التحولات السياسية والاجتماعية الكبرى، ورغم ذلك تمكّنت من الحفاظ على مكانتها واحترامها في المجتمع الإسلامي. هذا النموذج يقدّم مثالًا مشرّفًا يمكن للمرأة المعاصرة أن تستفيد منه لمواجهة تحديات العولمة، خاصة وأن القيم التي تمثلها فاطمة الزهراء، مثل العدالة والكرامة والشجاعة، لا تزال صالحة لمواجهة التحديات الحديثة. فرغم أن فاطمة الزهراء عاشت في عصر مختلف، إلا أن مواقفها ومبادئها تقدم إجابات مهمة حول كيفية التعامل مع ضغوط الحياة الحديثة. إلى جانب هذه العوائق، نجد أن العولمة قد أسهمت في توسيع نطاق مشاركة المرأة في الحياة العامة من خلال تيسير الوصول إلى المعلومات والموارد. ومع ذلك، فإن هذا التوسع يأتي مع تحديات جديدة تتعلق بكيفية الحفاظ على الثقافة والمبادئ الأساسية. لذا تعتبر فاطمة الزهراء رمزًا للأصالة والصمود في وجه الظلم والاضطهاد، ويمكن للمرأة المعاصرة أن تستلهم من سيرتها القوة والإصرار للدفاع عن حقوقها في ظل التحديات الكبيرة، كما سنحاول من خلال هذه الدراسة استكشاف تجارب حياة بنت رسول الله ﷺ ومواقفها العظيمة التي تمثل منارة إرشاد ورؤية فكرية مهمة للمرأة المسلمة المواكبة لمستجدات العصر، حيث تجسد نموذجًا مثاليًا للمرأة المؤمنة القوية، التي تجمع بين العلم والعمل، والإيمان والإخلاص، والحكمة والشجاعة، وترتقي بمجتمعها لتحقيق تنميته المستدامة.

القسم الأول: منهجية البحث:

أ. أهداف البحث: هي:

- ايضاح أبرز التحديات التي تواجه المرأة المعاصرة في ظل العولمة، وصعوبة التوفيق بين الأدوار المتعددة.
- تحديد القيم والمبادئ التي يمكن للمرأة المعاصرة أن تستمدها من سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.
- ربط بين الدروس المستفادة من سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والتحديات المعاصرة، واقتراح حلول عمليّة.

ب. أهمية البحث:

- رفع الوعي بأهمية دور المرأة في المجتمع، مع التركيز على تأثير العولمة عليها.

• تحليل بعض التجارب الحياتية من سيرة السيدة فاطمة الزهراء واستخراج الدروس والعبر التي يمكن الاستفادة منها في مواجهة التحديات التي تعاني منها المرأة في عصرنا.

• تقديم رؤى جديدة لحل تحديات المرأة المعاصرة، مستوحاة من سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام،، تساهم في بناء مجتمع.

ج. الإشكالية.

نعيش اليوم في عصر العولمة، حيث تحوّل العالم إلى قرية كونية واحدة أُزيلت فيها الحدود والقيود، وانفتحت المجتمعات على بعضها البعض. كما وصلت إلينا العديد من الأفكار المغلوطة والمشبوهة التي تلوّث الفكر الإنساني. يُعتبر دور المرأة أساسيًا في إعداد الأجيال وتنشئتها، فهي الأم، الزوجة، المعلمة، المربية، والعاملة في مختلف ميادين الحياة. وقد أثرت العولمة عليها كثيرًا، إذ أضافت إلى مسؤولياتها تحديات جديدة أُلقيت على كاهلها.

للتفوق على هذه التحديات والتغلب عليها، لا بد من التمسك بالمبادئ الروحية والالتزام بنهج أهل بيت النبوة ومنبع الرسالة المحمدية الأصيلة عليهم السلام، ومنهم سيدة نساء العالمين "أم أبيها" عليها أفضل الصلاة والسلام. بهذا، تستطيع المرأة أن تأمن شر الثقافة المعولمة والدخيلة، وتحصّن مجتمعها في مواجهة الأفكار الملوثة والمشوهة. انطلاقًا من ذلك، تم طرح الأسئلة التالية:

• ما التحديات التي تواجه المرأة المعاصرة في ظل العولمة وتمنعها من تحقيق التنمية المستدامة في مجتمعها؟

• كيف يمكن لسيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أن تقدم رؤية ملهمة للمرأة المعاصرة في مواجهة تحديات العولمة، من حيث التوازن بين الأدوار المجتمعية والالتزام بالقيم الإسلامية؟

د. فرضيات البحث:

بناء على الأسئلة التي تضمنتها الإشكالية، وضعت الفرضيات التالية:

• التحديات التي تواجه المرأة المعاصرة في عصر العولمة، كثيرة ومتشعبة وتُقسم إلى نوعين: مادية ومعنوية.

• الإطلاع على تجارب حياة السيدة الزهراء عليها السلام والاستفادة من سيرتها الشريفة ما يسمح بتحقيق الفهم العميق لتحديات المرأة المعاصرة في ظل العولمة وانفتاح الثقافات على بعضها البعض.

هـ. تقديم رؤية مستقبلية لدور المرأة في المجتمع، بناءً على الأسس التي وضعتها السيدة فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام.

منهج البحث ومراحله:

بهدف تأطير البحث ووضعه داخل إطار سوسيولوجي، يفيد المرأة بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، اعتمد البحث في كافة مراحله، على المناهج التالية:

• المنهج التحليلي التاريخي: تم استخدامه للاطلاع على بعض الدراسات التي تتناول واقع المرأة في عصر العولمة وتحليل سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأدوارها المختلفة في المجتمع الإسلامي.

• المنهج الوصفي: جُمعت المعلومات لوصف وتحليل تأثيرات العولمة على المرأة المعاصرة وتحدياتها وسيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بالإضافة إلى الاستعانة بمواقع الإنترنت المختلفة.

• المنهج المقارن: تم استخدامه لمقارنة بين التحديات المعاصرة للمرأة ودور المرأة في الإسلام من خلال نموذج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ولاستخراج النتائج وتفسيرها والاضاءة على الحلول المقترحة للتفوق على التحديات.

بعدما تم استعراض منهج البحث فإننا ننتقل إلى القسم النظري.

القسم الثاني: القسم النظري:

يشمل هذا القسم تعريفات وتوضيحات لبعض المصطلحات والمفاهيم العلمية التي مرت في البحث، إضافةً إلى الأدبيات التي تناولت مواضيع قريبة من موضوعه.

١- مصطلحات البحث:

* العولمة: تعتبر العولمة مصطلح جديد يعبّرعن ظاهرة قديمة[١]، أدّت إلى جعل العالم قرية كونية صغيرة بفعل ترابط أجزاؤها عن طريق وسائل الاتصالات المتطورة ووسائل المواصلات أيضًا.[٢] والعولمة هي عملية تكامل وترابط بين الدول والمجتمعات على الصعيد الاقتصادي، السياسي، الاجتماعي، والثقافي، مما يؤدي إلى إزالة الحواجز والمسافات بين الدول ويعزز التفاعل المتبادل. تنطوي العولمة على انتقال وتبادل السلع، والخدمات، والأفكار، والتكنولوجيا، ورؤوس الأموال،

(1) mawdoo3.com (13-8-2024).

(2) What Is Globalization, piie, Retrieved (25-8-2021).

والمعلومات بين دول العالم. كما تؤدي العولمة إلى تقارب الثقافات وانتقال العادات والقيم بين المجتمعات[١]. يرى بعض الباحثين أن العولمة تعزز النمو الاقتصادي والتقدم التكنولوجي، بينما يراها آخرون تخلق فجوات اقتصادية واجتماعية وثقافيّة بين الدول الغنية والفقيرة.

* المرأة المعاصرة: إنها الأنثى الفاعلة في المجتمع التي تعيش في العصر الحديث وتواجه تحدياته وفرصه. تمتاز المرأة المعاصرة بقدرتها على الموازنة بين أدوار متعددة في الحياة الشخصية والمهنية والاجتماعية[٢]، إنها في قلب المجتمع الحديث لها دورها الأساسي والفعّال، كما يشير الإمام الخميني قدس سره إلى هذا الدور بشكل إجمالي في الكثير من كلماته، ومن هذه الكلمات: «إن للمرأة دوراً كبيراً في المجتمع، والمرأة مظهر لتحق آمال البشر[٣]». واليوم تتمتع المرأة المعاصرة بحقوق موسعة مقارنة بالعصور السابقة، إلا أنها لا تزال تواجه بعض التحديات التي ظهرت لها بفعل التطور والحداثة في هذا العصر.

* تحديات العصر: إنها مجموعة من المشاكل والعوائق التي تواجه الشعوب في بلدانها ومجتمعاتها في ظل التغيرات العالمية السريعة على الصعيد الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي، البيئي، والتكنولوجي. تشمل هذه التحديات مشاكل الغزو الثقافي التي تدخل إلى عقول المسلمين[٤] وتحول دون قدرتهم على استيعاب تطوّرات العصر، والوعي بالزمن، والوعي بالتطوّر التاريخي، إضافةً إلى تحديات التكنولوجيا الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والرقمنة.

* الشخصية القيادية: هي الشخصية القوية ذات التأثير العالي التي تقوم بتوحيد جهود الأتباع للتعاون على تحقيق هدف مشترك. فالقائد يملك نوع خاص من الكاريزما القيادية تسمح له بالتأثير فيمن حوله للإيمان به ومن ثمة الايمان بالهدف والسعي لتحقيقه بكل رضى وتفاؤل. وبالتالي فإن ماهية الشخصية القيادية تتلخص في قدرة القائد على الإقناع والتي تسمح له بالتأثير في مجموعة من الأتباع لتحقيق هدف سامي يخدم المجتمع.[٥]

* سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: تعتبر السيرة سردٌ لحياة شخصٍ معين، تُقدم معلومات حول

(١) صندوق النقد الدولي (IMF)، تقرير العولمة والاقتصاد العالمي، ٢٠٢٠.

(2) Chatgptpdf (13-8-2024)

(3) www.almaaref.org/17-8-2024.

(4) www.al-binaa.com/archives/article/90178.

(٥) هوكس، ديفيد، (٢٠٠٠)، ترجمة ابراهيم فتحي، الإيديولوجية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ص.٥.

نشأته، تعليمه، إنجازاته، وتجاربه الشخصية والمهنية. يمكن أن تكون السيرة مكتوبة بأكثر من طريقة، وسيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي قصة حياة واحدة من أبرز الشخصيات في الإسلام، وهي ابنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وزوجة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأم الحسن والحسين عليهما السلام. تُعتبر فاطمة الزهراء رمزًا للطهارة والإيمان والتضحية في الإسلام، وتحظى بمكانة خاصة في قلوب المسلمين، خصوصًا لدى الشيعة الذين يقدّرونها كأم الأئمة المعصومين.[1]

٢- أدبيات البحث:

أ) السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: قدوة وأسوة، منشورات مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، المؤلف: محمد تقي بن كاظم الحسيني المدرسي، سنة ١٩٨٥.

تناول هذا الكتاب سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كقدوة وأسوة في ١٢٨ صفحة، تضمن إطلالة على بعض الجوانب التربويّة والاجتماعية والجهاديّة من السيرة العطرة للسيدة الزهراء عليها السلام، وقد تم الاعتماد فيه أسلوب النصّ التعليميّ الذي لا يغفل البعد الوجدانيّ، ما تطلّب زيادة جرعة الجانب الإنشائيّ في بعض الموارد التي تناولت علاقة سيدة نساء العالمين برسول الله صلى الله عليه وآله، ليبقى الجانب التعليميّ والثقافيّ هو الأصل بحسب ما ظهر في المتون التعليميّة. يركز الكتاب على أهمية الاقتداء بالسيدة فاطمة الزهراء في حياتنا اليومية، فهي نموذج للتقوى، الصبر، التضحية، والعطاء غير المحدود. كما يسرد الكتاب عن جوانب من حياتها الشخصية، مثل بساطتها وكرمها، ودورها في المجتمع الإسلامي كقائدة للنساء والمسلمين بشكل عام. ويناقش علاقتها العميقة بوالدها النبي، وما مثّله ذلك من تأكيد على مكانة المرأة في الإسلام ودورها الأساسي في بناء المجتمع. يعتمد الكتاب على النصوص التاريخية والدينية، مستندًا إلى أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام، ويستعرض أيضًا كيفية مقاومة السيدة فاطمة للظلم بعد وفاة والدها، وتصديها للدفاع عن حقوق أهل البيت. يقدم الكتاب السيدة الزهراء كنموذج إيماني وأخلاقي يصلح لكل زمان ومكان، مشددًا على ضرورة اتباع نهجها في مواجهة تحديات الحياة المعاصرة.

ب) الزهراء عليها السلام البنت التي أصبحت ام أبيها، بقلم الباحث الدكتور فاضل عبد العباس محمد:

تتناول هذه الدراسة سيرة أهل البيت عليهم السلام وما لهم من تأثير في البناء العقائدي والفكري والسياسي والاجتماعي الذي يبتغيه الدين الإسلامي لصالح الإنسانية جمعاء.. والزهراء عليها السلام سيدة

(١) العاملي، السيد جعفر مرتضى، (١٩٩٩)، فاطمة الزهراء: بهجة قلب المصطفى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

نساء العالمين، انها ام أبيها والمثل الأعلى الذي قدّمته الرسالة الإلهية للمرأة، وذلك لما تميزت به من أخلاق وتجارب عظيمة، فقد صاغتها يد العناية الربانية لتكون قدوةً للحياة الكريمة، وأسوة للفضائل والقيم الإنسانية، فهي نسخة ناطقة بتعاليم الوحي الإلهي، وتكمن أهمية هذا البحث في الآتي:

١. التعريف بدور الزهراء عليها السلام للعالم أجمع، بالأخص الجيل الجديد.

٢. بيان السيرة العطرة للزهراء ومظلوميتها للعالم اجمع، لكي تتجلى أمام العالم القيم الأخلاقية لأهل البيت عليهم السلام بصفتهم حاملي الرسالة السماوية والمحافظين عليها.

٣. إبراز دور المرأة داخل الأسرة، من خلال ما جسدته الزهراء عليها السلام من قناعة ورضاً وتواضع داخل أسرتها

٤. إبراز الدور الريادي للمرأة المسلمة، والذي لا يقل أهمية عن دور الرجل في الحفاظ الدين؛

٥. الوقوف بحزم ودون تهاون ضد الأشرار والمارقين، والحفاظ على للثروات والتوزيع العادل لها، وتغليب المنفعة العامة على الخاصة تأسياً بالسيدة الزهراء عليها السلام.

ج) تقرير «المرأة في العالم في ظل العولمة، (٢٠٢٣)، منشورات هيئة الأمم المتحدة للمرأة (UN Women)».

أصدرت الأمم المتحدة في تقريرها لعام ٢٠٢٣دراسة عالميّة حول معاناة المرأة في عصر العولمة وتناولت تحديات المرأة المعاصرة مفصلًا. وسلطت الضوء على الإيجابيات التي أمنتها العولمة للمرأة من خلال تسهيل وصولها إلى التعليم وسوق العمل والتكنولوجيا، إلا أنها في الوقت نفسه أضافت تحديات جديدة على مستويات متعددة. من أبرزها الفجوة في الأجور بين الجنسين، وعدم المساواة في الوصول إلى الفرص القيادية، حيث أن تمثيل النساء في المناصب العليا ما زال منخفضًا على مستوى الشركات والمؤسسات الحكومية.

كما تطرقت الدراسة إلى العنف ضد المرأة الذي زاد مع تصاعد الأزمات الاقتصادية والسياسية، حيث تعاني النساء بشكل غير متناسب من آثار الصراعات والهجرة القسرية، مما يجعلهن عرضة للعنف والاستغلال.

ختامًا، قدمت الدراسة توصيات بضرورة تعزيز سياسات المساواة بين الجنسين، وتقوية التشريعات التي تحمي حقوق المرأة، مع التركيز على التمكين الاقتصادي للنساء كأحد الحلول الرئيسية لمواجهة

تحديات العولمة.

الخلاصة: جميع هذه الدراسات تدعو إلى تعزيز دور المرأة وتمكينها، مستنيرةً بسيرة النموذج الديني المتمثل في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، التي يمكن للنساء الاستفادة من سيرتها لتحقيق سياسات اجتماعية واقتصادية عصرية تتماشى مع التنمية الروحية والجسدية بشكل صحيح.

القسم الثالث: القسم التحليلي:

شهد العالم في العقود الأخيرة تغيّرات جذرية نتيجة العولمة، التي أثّرت بشكل واسع على مختلف مناحي الحياة، بما في ذلك وضع المرأة ودورها في المجتمع. ولعل التحديات التي تواجه المرأة اليوم، سواء على الصعيد الثقافي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، تتطلب إعادة النظر في النموذج الذي يمكن أن تستمد منه المرأة المعاصرة الإلهام للتعامل مع هذه التحديات.

تقدم سيدة نساء العالمين مثالًا مشرقًا وبارزًا في التاريخ الإسلامي. سيرة السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – تمثل نموذجًا للمرأة القوية والفاعلة، التي وازنت بين مسؤولياتها الأسرية والاجتماعية مع الحفاظ على القيم والمبادئ الإسلامية. وقد تم التركيز في هذا القسم على المواضيع التالية:

- واقع المرأة المعاصرة في ظل العولمة ودورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.
- النموذج الإسلامي للمرأة من خلال سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وتجاربها الحياتية العميقة.
- مقارنة بين التحديات المعاصرة للمرأة وحياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، التي كانت مليئة بالمواقف النبيلة.

أ) واقع المرأة المعاصرة في ظل العولمة ومكانة هذه المرأة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة:

عرف العالم تطورات هائلة في مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية بفعل انتشار ظاهرة العولمة، مما أدى إلى تأثيرات مباشرة على وضع المرأة في المجتمعات المعاصرة.

في البداية، أحدثت العولمة تغيرات واسعة في الأدوار الاجتماعية للمرأة؛ فقد ساعدت في تمكين المرأة من خلال تعليمها في مختلف المراحل ما أهلها للدخول إلى أسواق العمل على نطاق أوسع، وأتاحت لها الفرص للوصول إلى الموارد التعليمية والصحية بشكل أفضل وتوسعت فرصها

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومع ذلك، لم تكن هذه التأثيرات إيجابية دائمًا، حيث جلبت العولمة معها تحديات جسيمة تتعلق بعدم المساواة الاقتصادية والاستغلال العمالي، لا سيما في الدول النامية ومنها دول العالم الإسلامي. سنبدأ باستعراض هذا الواقع بشفافية علنا نساهم في تغييره وتصويب مساره:

- في المجال الاقتصادي: يُعد التوسع في الفرص الاقتصادية أحد أبرز نتائج العولمة على واقع المرأة المعاصرة في العديد من الدول، إذ أصبحت النساء قادرات على الوصول إلى وظائف وفرص عمل لم تكن متاحة لهن في السابق، خاصة في المجالات المتعلقة بالتكنولوجيا والابتكار. منذ الثمانينات من القرن العشرين درست المرأة اختصاصات كثيرة عرفتها بفضل العولمة منها الابتكار التكنولوجي والبرمجيات ونظم المعلومات وتطبيقات الذكاء الاصطناعي.

دخلت النساء إلى سوق العمل العالمي وأصبحن جزءًا من القوة العاملة الرقمية. وزادت نسبة النساء في المجالات التكنولوجية بنسبة ١٣٪ على مدار العقد الماضي[١].

ومع ذلك، لا تزال النساء في هذه القطاعات يواجهن تحديات مثل الفجوة في الأجور وعدم المساواة في الترقيات، ما يعرقل تطورهن المهني ويحد من إمكانياتهن في الاستفادة من العولمة بشكل كامل.

هذا التفاوت يعكس عدم العدالة في توزيع فوائد العولمة، خاصة في القطاعات التي تتطلب مهارات أقل والتي تسيطر عليها العمالة النسائية، مثل الصناعة التحويلية والخدمات.

وأضحت المساواة التي تغنى بها دعاة العولمة مجرد كذبة غير حقيقية.

- على الصعيد الاجتماعي والثقافي: أثرت العولمة بشكل ملحوظ على الهوية الثقافية للمرأة والرجل على حدٍ سواء، لكن انعكاسها على المرأة كان أكثر حدةٍ لكونها الأم والمربية والمسؤولة عن تربية أولادها وتأهيلهم ليصبحوا عناصر فاعلة في المجتمع. في ظل هذا الانفتاح الثقافي العالمي، تواجه المرأة المعاصرة ضغطًا متزايدًا لتبني أنماط حياة وتصورات غريبة قد لا تتماشى مع القيم الثقافية والدينية لمجتمعها لا سيما المرأة المسلمة. هذا التحدي يتجلى في التناقض بين الأدوار التقليدية التي كانت تضطلع بها النساء في المجتمعات المحافظة، والدعوات المتزايدة من قبل العولمة لتبني مفاهيم أكثر تحررًا مثل الاستقلالية الشخصية والحرية الاقتصادية. وفي هذا السياق، تجد العديد من النساء أنفسهن في حالة من الصراع

(١) المنتدى الاقتصادي العالمي لعام ٢٠٢١.

بين الحفاظ على هويتهن الثقافية وبين الاستفادة من المزايا المزيفة التي تقدمها العولمة خاصةً من حيث إدخالها مفاهيم مشوهة حول الجنس البشري ومفاهيمه المغلوطة والخارجة عما أراده اللَّه سبحانه وتعالى.... كلها آفات دخلت إلى مجتمعاتنا عبر بوابة العولمة فضاعت المرأة بين تناقضات الحداثة والالتزام بالشرع والفقه والثقافة الدينية الحقة.

تعاني المرأة من انعكاسات عولمة الثقافة التي شوهت صورتها بفعل الأنماط الاستهلاكية الغربية وحولتها إلى سلعة ترويجية لتحقيق الأرباح على حساب مبادئها وثقافتها المحلية والإسلامية من حيث الحلال والحرام والحق والباطل. فبينما ساهمت العولمة في نشر قيم المساواة وحقوق الإنسان صوريًا، عملت من جهة أخرى للقضاء على العادات والتقاليد المحلية والموروثة والتي تلتزم بها بعض النساء في مجتمعاتنا الإسلامية بشكل كبير، ما يشكل حاجزًا ووقايةً نفسية وروحية يمنعها ويمنع أولادها من الإنزلقات الأخلاقية. وقد رأت بعض الثقافات في الانفتاح على العالم تهديدًا لهويتها ولأمنها الفكري والديني، فكان تحدي إضافي أمام المرأة في القرن الحادي والعشرين. وبالتالي، تصبح المرأة المعاصرة عالقة بين متطلبات العولمة والتمسك يقيمها ومبادئها الدينية.

- فيما يتعلق بأهداف التنمية المستدامة: تلعب المرأة دورًا حاسمًا في تحقيق هذه الأهداف، خاصة فيما يتعلق بالهدف الرابع حول التعليم وضمانة الحصول عليه للإرتقاء بنفسها وبمجتمعها. كذلك الأمر بالنسبة للهدف الثالث الذي يركز على الصحة الجيدة والرفاه، إذ يُعد الوصول إلى هذه الأهداف خطوة أساسية نحو تطور المجتمع وذلك عبر القضاء على الفقر (الهدف الأول) وضمان الصحة والموارد الغذائية والمائية النظيفة والمساواة بين الجنسين[1]. تشير منظمة الأمم المتحدة في تقريرها عن التنمية المستدامة لعام ٢٠٢٢ إلى أن تمكين المرأة له تأثير مباشر على تحسين الصحة والتعليم والاقتصاد في مجتمعها، مما يساهم في تعزيز التنمية الشاملة والمستدامة. فالنساء يمثلن نصف المجتمع، وأي تقدم يُحرز في مجال حقوقهن وفرصهن الاقتصادية يعود بالفائدة على المجتمع ككل.

ومع ذلك، تواجه المرأة عقبات كبيرة في تحقيق هذه الأهداف، حيث تتفاقم التحديات في الدول الغنية والنامية والفقيرة على حدٍ سواء. إذ لا تزال المرأة تعاني من مشكلات اجتماعية كالعنف القائم على النوع الاجتماعي والزواج المبكر وعدم متابعة دراستها واهتمامها بتحصيل الماديات لاسيما الكماليات دون الاهتمام كثيرًا بمصادر هذه الأموال، ما يجعلها عرضةً للإنحراف الاجتماعي والأخلاقي. وقد

(١) منشورات الأمم المتحدة في تقريرها عن التنمية المستدامة لعام ٢٠٢٢.

أشار تقرير البنك الدولي لعام ٢٠٢١: «إلى أن النساء في العديد من الدول النامية يشكلن الفئة الأكثر تضررًا من الفقر المدقع، حيث يعانين من نقص في الموارد الغذائية الأساسية والخدمات الصحية والتعليمية»، ما يجعل تحقيق أهداف التنمية المستدامة أمرًا صعبًا دون تحسين وضع المرأة عبر فرض التعليم المجاني إلى المرحلة الثانوية، وهذا دليل واضح على صحة الفرضية الأولى للبحث التي تشير إلى أن التحديات التي تواجه المرأة المعاصرة في عصر العولمة، كثيرة ومتشعبة وتُقسم إلى نوعين: مادية ومعنوية.

كما يتطلب هذا الدور سياسات دولية ومحلية تدعم المرأة وتضمن مشاركتها الفعالة في جميع مناحي الحياة مما يؤكد أن إشراك المرأة بفعالية في القرارات السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية هو مفتاح لتحقيق التنمية المستدامة عالميًا وليس فقط في دولنا الإسلاميّة..

في الخلاصة: يُظهر الواقع الذي تعيشه المرأة المعاصرة في ظل العولمة أن تمكينها لا يمكن أن يتم بمعزل عن خطة اجتماعية كاملة تدعم حقوقها وتوفر لها بيئة أخلاقية وروحية قبل أن تكون مادية تمكنها من تحقيق ذاتها والمساهمة في تطورها الفكري عبر اكتسابها لمنظومة القيم والمبدىء التي تساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. من هنا، تأتي أهمية تبني استراتيجيات شاملة مستوحاة من سيرة القدوات من النساء تتضمن تحسين الاستفادة من خبراتهن عبر التعمق بسيرتهن وتجاربهن، لضمان حماية أسرهن من الملوثات الفكرية والعقائدية. ويجب أن تدرك الحكومات والمؤسسات الدولية والمحلية أن العولمة وعواملها المساعدة لم تحقق النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة لا للمرأة ولا للرجل بل سرعة ضعاف النفوس منهم للوقوع في الهاوية الغيراخلاقية.

في النهاية، تبقى المرأة المعاصرة تحت وطأة التأثيرات المزدوجة للعولمة؛ إذ قد تفتح العولمة أبوابًا واسعة لتحقيق المساواة والتنمية، إلا أنها تجلب معها تحديات سلوكية وروحية واقتصادية واجتماعية قد تعيق المرأة عن تحقيق كامل إمكانياتها. لذا، فإن تعزيز تمكين المرأة علميًا ودينيًا وثقافيًا يجعلها تضمن قدراتها لمواجهة آفات العولمة.

ب) النموذج الإسلامي للمرأة المعاصرة من خلال سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وتجاربها الحياتية:

تُعتبر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام واحدة من أعظم النساء في العالم، إنها إبنة محمد الصادق الأمين وخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، وزوجة باب مدينة العلم وأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وقد

اكتسبت من نبيعها من العلم والمعرفة ما أضاف على ذكائها وفطرتها العمق والبصيرة، فأضحت السيدة فاطمة عليها السلام نموذجًا مثاليًا للمرأة المؤمنة في كافة جوانب حياتها؛ في سلوكها وأخلاقها وتجاربها الحياتية، وقد صاغت بمواقفها وأخلاقها وتربيتها معايير المرأة المسلمة المثالية التي تجمع بين الإيمان العميق والمسؤوليات الاجتماعية والعائلية. كانت حياتها زاخرة بالتجارب التي تلهم النساء المسلمات في كل العصور. سنستعرض بعض ملامح حياتها وتجاربها التي جعلتها نموذجًا يُحتذى به.

- فاطمة الزهراء عليها السلام أم أبيها:

تعتبر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الأقرب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقد كانت تربطها به علاقة عاطفية وروحية قوية. كان النبي صلى الله عليه وآله دائمًا ما يُعبر عن حبه العميق لفاطمة، وقد قال عنها: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني**» (صحيح البخاري). هذا الحديث يظهر المكانة العالية التي كانت تحظى بها فاطمة في قلب والدها، كما يعكس أهمية المرأة في الإسلام، حيث تتمتع بقيمة عالية وكرامة وقد أطلق رسول الله صلى الله عليه وآله تسمية المؤنسات الغاليات على الأنثى عامةً، فكيف بفاطمة عليها السلام؟ وهي مدللته وأم أبيها منذ نعومة أظافرها.

- فاطمة الزهراء عليها السلام الزوجة المثالية:

كانت السيدة فاطمة عليها السلام زوجة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، الذي كان من أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله. كان زواجها من علي نموذجًا للتكافل والمساواة بين الزوجين. رغم أن حياتهما كانت بسيطة ماديًا، إلا أن علاقتهما كانت مبنية على الحب والنقاش الفكري والاحترام المتبادل. كانت السيدة فاطمة تشارك زوجها في تحمل المسؤوليات المادية والمعنوية، وهو ما يعكس النموذج الإسلامي المثالي للزواج الذي يقوم على التعاون والشراكة بين الزوجين.

من بين الجوانب المهمة في حياة السيدة فاطمة عليها السلام دورها كأم لأربعة أبناء هم الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. لقد كانت السيدة فاطمة أمًا محبة وحنونة، واهتمت بتربية أبنائها على القيم الإسلامية العالية. وقد أشرف النبي صلى الله عليه وآله بنفسه على تربيتهم أيضًا، مما جعل من هؤلاء الأبناء شخصيات إسلامية بارزة. ويعد الحسن والحسين عليهما السلام من أبرز الأئمة في الإسلام فهما سيدا شباب أهل الجنة، ومكانتهما تعود في جزء كبير منها إلى التربية الصالحة التي وفرتها لهما والدتهما[1]. وهذا ما يؤكد صحة الفرضية

(١) شمس الدين، الشيخ محمد مهدي (٢٠٠٣). السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: دراسة تحليلية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية.

الثانية التي تشير إلى ضرورة إلقاء الضوء على التراث الإسلامي في بناء مستقبل أفضل للمرأة عبر الإطلاع على تجارب حياة السيدة الزهراء عليها السلام.

- دورها القياديّ والبناء في المجتمع:

لم تكن السيدة فاطمة عليها السلام مجرد امرأة تعيش في ظل حياتها العائلية فقط، بل كانت لها أدوار بارزة في المجتمع الإسلامي، ميزتها بمواقفها ورجاحة عقلها. كانت تشارك في الحياة الاجتماعية والدينية للمجتمع، وكانت تتواصل مع النساء وتوجههن وتعلمهن أمور الدين والحياة. كانت تمثل قدوة للمرأة المسلمة في كيفية الموازنة بين مسؤولياتها العائلية والاجتماعية، حيث جمعت بين التدين والعلم والفعالية الاجتماعية.

- دورها في الدفاع عن الحق:

تميزت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بموقفها الثابت في الدفاع عن الحق ويثعتبر إحدى أهم الجوانب في حياتها الشريفة، وخاصة بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله. كانت مدافعة قوية عن حق زوجها علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة، وعرفت بخطبتها الشهيرة (خطبة فدك) في مسجد النبي، التي تحدثت فيها عن أهمية الحفاظ على القيم الإسلامية والتمسك بالعدل. كان هذا الموقف يعكس قوتها وشجاعتها في مواجهة الظلم، وهي سمة أساسية في النموذج الإسلامي الشيعي للمرأة.

- شخصيتها الفزة وفضائلها الكريمة:

اشتهرت السيدة فاطمة عليها السلام بفضائل عظيمة، منها الورع والتقوى والزهد في الدنيا. كانت تمثل الإخلاص الكامل لله تعالى، وتعيش حياتها متوجهة نحو الآخرة دون التعلق بالمتاع الزائل للدنيا. وقد قال عنها النبي صلى الله عليه وآله: «سيدة نساء أهل الجنة» (صحيح البخاري). هذا اللقب ليس مجرد تكريم لها بل يعبر عن مثالية شخصيتها التي تمثل النموذج الذي يجب أن تتمثل به النساء في السعي نحو الله والتمسك بالقيم الأخلاقية.

- وفاتها المؤثرة وميراثها الروحي الغير متناهي:

توفيت السيدة فاطمة عليها السلام بعد وقت قصير من وفاة والدها النبي محمد صلى الله عليه وآله، ولم تعش طويلًا بعده. رغم قصر حياتها، إلا أن تأثيرها كان عظيمًا على الأجيال المتلاحقة ولا زال بحرها عميق كلما

ارتشفنا منه نغوص في عشقها أكثر فأكثر. يُعتبر ميراثها الروحي والأخلاقي مصدر إلهام للمسلمين على مر العصور. إنها نموذج للمرأة التي تجمع بين القوة الروحية والعاطفة النبيلة والتزامها بالحق.

تعتبر سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دليلًا حيًا على مكانة المرأة في الإسلام ودورها المحوري في الأسرة والمجتمع. تجربتها الحياتية تظهر كيف يمكن للمرأة أن تكون قوية، مستقلة، مؤمنة، ومدافعة عن الحق، وكل ذلك ضمن إطار القيم الإسلامية. إنها نموذج خالد يُستلهم منه قيم الإيمان والصبر والشجاعة، ويُعد مثالًا يُحتذى به للمرأة المسلمة في مختلف الأوقات.

ج) المقارنة بين التحديات التي تواجه المرأة المعاصرة في ظل العولمة وتجارب حياة من سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

يرتبط الأمن الروحي والأمن الفكري ارتباطًا وثيقًا بالعقل، فإنّ العقل من القضايا التي كرم الله بها خلقه من بني البشر عن سائر المخلوقات. فالأمن الروحي القائم على أسس ومبادئ إسلامية ذو أهمية كبيرة، ومن نتائجه وحدة الاعتقاد والفكر والسلوك والتزام الأخلاق والقيم السامية. كما يُعد الأمن الأخلاقي والروحي أحد أهم جوانب الأمن الإنساني لأنّه معني بالحفاظ على الذاتية والهُوية، فثمة ترابط بين الأمن بمعناه الشّامل وحفظ هذه الضّرورات، فأمن الناس لا يكون إلا باستقامة الحياة في جوانبها الضّرورية الروحية والمادية، والاضطراب الأمني ما هو إلا نتيجة الإخلال بحفظها، كمعاناة المرأة في عصرنا الحالي. إنطلاقًا من ذلك تم اجراء هذه المقارنة لنحلّل التحديات التي نعاني منها كنساء في عصر العولمة ورؤيتها في سيرة سيدة نساء العالمين عليها السلام.

أدوار المرأة المعاصرة	التحديات التي تواجهها المرأة المعاصرة في ظل العولمة	الرؤية الفكرية المكتسبة من سيرة السيدة الزهراء عليها السلام والتي تساعد في تحقيق التنمية المستدامة في مجتمعها.
الدور الإجتماعي	تعيش المرأة المعاصرة في عالم يتغير بسرعة، حيث تتعرض لضغوط متزايدة للقيام بأدوار متعددة، كزوجة، أم، عاملة، وناشطة مجتمعية. تتطلب هذه الأدوار منها القدرة على تحقيق التوازن بين مسؤولياتها المختلفة	كانت الزهراء عليها السلام تعرف بدورها الفعال في مجتمع المدينة المنورة. رغم مسؤولياتها الأسرية، كانت تسهم في القضايا الاجتماعية والدينية. تعكس سيرتها التوازن بين الحياة الشخصية والمشاركة المجتمعية.
التنمية الاقتصادية	تواجه النساء اليوم تحديات اقتصادية مثل الحاجة إلى تحقيق الاستقلال المالي أو المساهمة في دخل الأسرة.	كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام نموذج للصبر والزهد إذ عاشت حياة متواضعة، وكانت تقدر النعم التي لديها وتواجه الصعاب بالصبر والرضا. تقدم سيرة الزهراء عليها السلام للمرأة المعاصرة درسًا في كيفية التدبر والتأقلم في مواجهة الصعوبات المادية بحكمة وإيمان.
العدالة والمساواة	تواجه المرأة اليوم تحديات تتعلق بالتمييز وعدم المساواة في مختلف المجالات، مثل العمل والتعليم. تحتاج المرأة إلى استلهام قوة الزهراء في المطالبة بحقوقها دون تردد.	كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مدافعة قوية عن حقوقها وحقوق الآخرين وهذا تجلى بأبهى صوره في مطالبتها بحقها في «فدك» وقد أصبحت خطبتها رمزًا للمطالبة بالعدالة والمساواة.

العلم والعمل	يمثل التعليم أحد أهم الأدوات التي يمكن للمرأة المعاصرة استخدامها للتغلب على تحديات عصر العولمة المادي. فأتت سيرة السيدة الزهراء لتحفز المرأة على التعلم وأهمية السعي الدائم للتثقف، واستخدام العلم كوسيلة للارتقاء الذاتي وتربية أسرتها وخدمة مجتمعها.	تعتبر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام رمزًا للعلم والمعرفة فهي من أعلم نساء عصرها، ولم تتوقف عن طلب العلم وتعليمه، فقد كانت تستمع إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وتناقش الإمام علي عليه السلام بكافة الأمور الدينية والدنيوية ثم تقوم بعقد حلقات تعليميّة لنساء مجتمعها وتكسبهم ما اكتسبته من رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة العلم كما تسقطه على مشاكل وتحديات نساء عصرها وتربطه بتعاليم الدين الإسلامي فعرفت بتفوقها العلمي والروحي.
العلاقات الأسرية ودور المرأة	تعيش النساء اليوم في ظل العولمة في ضغوطات اجتماعية ونفسية كبيرة تفرضها عليها الأنماط الثقافية الاستهلاكية المادية التي أثرت على العلاقات الأسرية بشكل كبير، إذ سعت المرأة إلى توفير الكماليات المادية لأفراد أسرتها وكان ذلك على حساب تخليها عن الجوانب الإنفعالية - الاجتماعية والروحية. قدّمت سيرة الزهراء عليها السلام نموذجًا للتعامل مع هذه الضغوطات من خلال الصبر والحكمة وتقديم الأولويات الأسرية وذلك بدءًا من تهذيب النفس وانتهاءً بالعلاقات الروحية مع الله عز وجل.	كانت السيدة الزهراء عليها السلام مثالًا للزوجة والأم المثالية، حيث أظهرت تفانيًا كبيرًا في تربية أبنائها والحفاظ على استقرار الأسرة فقد كانت تعلمهم الايثار كما الدفاع عن الحق، وكانت الصديقة الصدوقة لأطفالها ولم تشعرهم يومًا بالتكبر والتعجرف بل أكسبتهم التواضع ومساعدة الآخر وأبعدت عن تفكيرهم الكبر رغم تحدرهم من سلالة أهل بيت النبوة صلى الله عليه وآله.

التمسك بالقيم وسط التغيرات المادية.	تواجه المرأة المعاصرة اليوم تحديات تتعلق بتغير القيم المجتمعية تحت تأثير العولمة وانفتاح الثقافات على بعضها البعض، وقد غزت عقول الناشئة الكثير من الأفكار والقيم الغير متناسبة مع مجتمعنا كالمثلية وعبدة الشيطان... وغيرها من الملوثات الفكرية. هذا الأمر انعكس على عدد من النسوة ضعاف النفوس والعقيدة فأصبحن يخجلن بإنتمائهم الديني والمجتمعي للإسلام، وتأثرنا بقشور العولمة ظنًا منهن بأنها مفتاح التنمية المستدامة التي ستحقق لهن الرفاه الاجتماعي والاقتصادي، وقد تفاجأة المرأة بعد مرور فترة زمنية معينة من الضياع الفكري الذي وقع فيهن كما في اسرتهن، فما كان منهن إلا أن قررن العودة إلى جذورهن الدينيّة والرحيّة عبر التمسك بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها، وقد استلهمت المرأة من سيرة الزهراء عليها السلام القدرة على التمسك بقيمها رغم كل المتغيرات التي قد تنعكس على هويتها وثقافتها.	تعتبر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حامية للقيم والتعاليم الإسلامية الحقة والمنيرة للعقل الإنساني من خلال تمسكها بالأسس والمبادئ الإسلامية التي جاءت بها الرسالة المحمدية الأصيلة، بالرغم من التحديات التي واجهتها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله سواء في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة، وكانت مرآة لقوة الإيمان والتمسك بالحق فلم تساوم ولم تهادن فكانت فعلًا ثمرة النبوة والإمامة على حدٍ سواء.

القيادة والإرشاد	يمكن للمرأة اليوم أن تستلهم من الزهراء دورها القيادي في مجالات مختلفة من الحياة، سواء كان ذلك في الأسرة والمجتمع، أو حتى في المجال العملي والعلمي. القيادة ليست بالضرورة أن تكون في المناصب العليا، بل هي في القدرة على التأثير الإيجابي على من حولها وانعكاس تصرفاتها على شخصيتهم وسلوكهم.	تميزت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأنها قائدة وموجهة لأنها كانت مصدر إلهام ليس فقط لأسرتها ولكن أيضًا للمجتمع الإسلامي بأسره، من خلال علمها وتقواها، فقد أرشدت الناس إلى الحق والصواب وقد أثرت في نساء مجتمعها كما في رجاله واستمر انعكاسها حتى يومنا هذا.
التعامل مع الظلم والاضطهاد	تواجه المرأة في عصرنا الكثير من أشكال الظلم والتمييز سواء في لبسها أو جنسها او دينها او اثنيتها...وقد أيقنت نساء عصرنا لا سيما المسلمات منهن بأن نظريات العولمة التي نادت بالمساواة ورفع الظلم كانت كاذبة فقمن بالثورة على هذا الظلم وقد اكتسبنا من سيرة الزهراء عليها السلام استراتيجيات وأفكار مقاومة الظلم بالحكمة والصبر، دون التفريط في حقوقها أو التنازل عن مبادئها.	اعتبرت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام نموذج للصبر في وجه الظلم فقد تعرضت عليها السلام في العديد من مراحل حياتها للقهر والجور والطغيان والاضطهاد والانتهاك لحقوقها، لكنها واجهت بعقل وحكمة وجرأة وبصيرة دون أن تتخلى عن مبادئها، فكانت أيقونة في الصبر والثبات. وينادي باسمها اليوم كل مقاوم شريف يثور على الظلم والعدوان في غزة وجنوب لبنان والعراق واليمن. إنها القدوة والمثال في القيادة الروحية والعسكرية والمجتمعية والاقتصادية لرفض كل أشكال الظلم والاضطهاد.

نستنتج مما سبق غنى سيرة السيدة الزهراء عليها السلام في كافة الأدوار التي تهم المرأة المعاصرة، كما تُعتبر هذه السيرة الشريفة موسوعة يمكن للنساء والرجال في كل زمانٍ ومكان أن يستفيدوا منها في الموعظة الحسنة، والفطنة، والخبرة لمواجهة كل تحديات الحياة الظاهرة والخفية. ولا يتحقق ذلك إلا بالعلم والتعلّم، وقد قال رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «**من تعلم العلم لله عز وجل وعمل به، حشره الله يوم القيامة آمنًا، ويُرزَق الوُرود على الحوض**».

فبالعلم تُبنى الأمم، وتعرف تعاليمها ورسالتها الدنيوية والروحية؛ إذ يحقق العلم الغذاء العقلي، والأمن الروحي، ويرتقي بالأخلاق.

الخاتمة

وفقًا لتقرير الأمم المتحدة (UN Women) حول وضع المرأة في العالم لعام ٢٠٢٣، تمثل المرأة المعاصرة "نموذجًا للقدرة على التكيف والتفاعل مع التحديات المعاصرة بفضل التعليم والتمكين الاجتماعي والسياسي، على الرغم من استمرار بعض العوائق المتعلقة بالماديات والمساواة بين الجنسين". ومع ذلك، عانت هذه المرأة بفعل العولمة من الضياع والتناقض المعنوي والمادي، مما جعلها بعيدة عن تحقيق أهدافها الروحية كما تلك المتعلقة بالتنمية المستدامة.

انطلاقًا من ذلك، أظهر البحث أن أصحاب المبادئ، مثل السيدة الزهراء عليها السلام، لا يختفي ذكرهم، خاصةً عندما يمتلكون رؤية فكرية عميقة نابعة من معاناة ووعي حقيقي. ولسيرتهم آثار كبيرة على عملية التطور العقلي والروحي للإنسان، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالعودة للأمن الفكري الذي نكتسبه من سيرة الصالحين، كالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

لذلك نختتم البحث بهذه التوصيات:

١. تعزيز الوعي بقيم ومبادئ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

أهمية نشر سيرة السيدة الزهراء عبر الوسائل الرقمية الحديثة وتبنيها كمرجع للنساء والرجال على حد سواء، لتعزيز الصمود والثبات في مواجهة التحديات العصرية.

٢. تعزيز دور التعليم في تمكين المرأة:

ضرورة التركيز على التعليم كوسيلة أساسية لتمكين المرأة من مواجهة تحديات العولمة. كما يجب تعزيز فرص التعليم للنساء على جميع المستويات والمجالات. لا سيما في مجتمعنا الإسلامي عبر فرض قانون التعليم المجاني حتى نهاية المرحلة الثانوية.

٣. التركيز على الأمن الفكري:

ضرورة الاهتمام ببناء الأمن الفكري المستند إلى القيم الدينية والأخلاقية، والذي يُعد ضروريًا لمواجهة الأزمات الفكرية الملوثة والضغوط الناتجة عن قشور العولمة.

٤. الترويج للتوازن بين الأدوار المختلفة للمرأة:

يُنصح بتشجيع النساء على تبني نماذج التوازن بين الأدوار الاجتماعية والمهنية والأسرية، كما فعلت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، لتجنب التشتت الناتج عن الضغوط الاجتماعية.

٥. تبني سياسات تدعم المرأة في التنمية المستدامة:

ضرورة وضع سياسات تركز على تمكين المرأة اقتصاديًا واجتماعيًا في مجتمعاتنا، وتسهم في تقليل الفجوات بين الجنسين، لضمان تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

تُعَدُّ سيرة السيدة فاطمة الزهراء، بنت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، منبعًا غنيًا للدروس والعبر التي يمكن الاستفادة منها في مواجهة تحديات العصر، إذ إن حياتها الشريفة مليئة بالتجارب والمواقف والصعاب التي كوّنت شخصيتها التاريخية العظيمة، مما جعلها ينبوع العصمة ونبراس الحكمة. كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام نموذجًا للقوة والشجاعة في مواجهة الظلم، وفي الوقت ذاته كانت ملتزمة بأدوارها الاجتماعية والأسرية، مما يجعلها مرجعًا قيمًا لدراسة كيفية تعامل المرأة مع التحديات في مختلف العصور.

المصادر والمراجع

- البخاري، صحيح البخاري، (٢٠٠٢)، دار ابن كثير، الطبعة الأولى.
- الإمام الصادق، كتاب بحار الأنوار، (١٩٨٣)، مؤسسة الوفاء، الطبعة الرابعة.
- البنك الدولي (٢٠٢٠). تقرير الفجوة بين الجنسين: اتجاهات عالمية وأرقام.
- الأمم المتحدة (٢٠٢١). تقرير أهداف التنمية المستدامة.
- المنتدى الاقتصادي العالمي. (٢٠٢٢). التقرير العالمي حول الفجوة بين الجنسين.
- جيبسون، كيت (٢٠٢١). تحديات العولمة وأثرها على المرأة: دراسة تحليلية.
- شمس الدين، الشيخ محمد مهدي. (٢٠٠٣). السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: دراسة تحليلية"، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية.
- كلينتون، هيلاري. (٢٠٢٠). المرأة والعولمة: تحديات وفرص.
- هوكس، د. (٢٠٠٠). الإيديولوجية (ترجمة: إبراهيم فتحي). المجلس الأعلى للثقافة.
- زكي نجيب محمود. (١٩٩٦). رؤية جديدة للفكر العربي. دار الشروق.
- العاملي، السيد جعفر مرتضى. (١٩٩٩). فاطمة الزهراء: بهجة قلب المصطفى. دار التعارف للمطبوعات.
- صندوق النقد الدولي (IMF). (٢٠٢٠). تقرير العولمة والاقتصاد العالمي.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO). (٢٠١٧). التنوع الثقافي في عصر العولمة.
- المدرسي، م. ت. بن ك. الح. (١٩٨٥). السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: قدوة وأسوة. منشورات مؤسسة الوفاء.
- Institut National d'Études Démographiques (INED). (2018). La Femme Contemporaine et les Défis de la Mondialisation.
- عبد العباس، ف. (بدون تاريخ). الزهراء عليها السلام: البنت التي أصبحت أم أبيها.
- هيئة الأمم المتحدة للمرأة (UN Women). (٢٠٢٣). تقرير المرأة في العالم في ظل العولمة.
- Chatgptpdf. (2024, August 13)
- www.almaaref.org(2018, January 13)
- www.al-binaa.com/archives/article/90178
- www.piie.com What Is Globalization? (2021, August 25)